شهر في غرب إفريقية
مشاهدات وأحاديث عن المسلمين

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م
حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى خادم الحرمين الشريفين صاحب الجلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية أهدي هذا الكتاب المتواضع رمز تقدير لاهتمام جلالته حفظه الله بأمور المسلمين في أقاصي الأرض وأدانيها واعترافاً بفضل الله تعالى على جلالته أن وفقه إلى مساعدة المؤسسات الإسلامية من المساجد والمدارس والجمعيات الإسلامية في كل ركن من الأرض يوجد فيه مسلمون .

زاده الله من التوفيق وأدام على بلادنا العزيزة نعمة الأمن والإيمان في ظل قيادته الحكيمة .

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

جلالة الملك فهد بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنه بعد سنوات من العمل الإسلامي المتمثل في المساعدات الإسلامية التي قدمتها المملكة العربية السعودية عن طريق عدد من المؤسسات والإدارات التي تعمل في حقل الدعوة إلى الإسلام في خارج البلاد مثل لجنة الشئون الإسلامية بمجلس الوزراء ، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية،ورئاسة الافتاء والدعوة، ورابطة العالم الإسلامي،والجامعات الإسلامية في المملكة. رؤي أنه من الضروري إلقاء نظرة تقويم على ما سبق عمله، وما يحسن أن يعمل في المستقبل ، فصدر أمر رئاسة مجلس الوزراء بتأليف لجنة من الدوائر المعنية بالأمر لهذا الغرض .

وقد أوصت اللجنة بإيفاد وفود إلى إفريقية حسب تقسيم رأته . ورفعت اقتراحاتها إلى مجلس الوزراء الموقر، فوافق عليها صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز رئيس مجلس الوزراء حفظه الله.

وقد عرضت عليَّ رابطة العالم الإسلامي أن أكون ممثلها في أحد الوفود وأن يكون الخيار لي في الأمر فطلبت أن يكون سفري إلى بلاد لم أزرها من قبل وإلا فإنه لا حاجة بي إلى السفر.

فسارعت الرابطة بإخباري بأنها قد استصدرت أمرًا من مجلس الوزراء بأن أسافر إلى أقطار في غرب إفريقية ناطقة بالانكليزية وهي غامبيا وسيراليون وليبيريا وغانا ونيجيريا .

وقدرت مدة الرحلة بأربعين يومًا .

وكان أعضاء الوفد هم الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق ، مساعد مدير إدارة الدعوة في الخارج في رئاسة الافتاء والدعوة والشيخ عبد العزيز بن عمر الربيعان الأستاذ المحاضر في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وإمام في مسجد قباء في المدينة المنورة . وكاتب هذه السطور.

عود إلى خطة قديمة :

كان لي شرف رئاسة أول وفد إسلامي سافر من المملكة العربية السعودية لتفقد أحوال المسلمين في إفريقية وكان هذا الوفد يحمل أول مساعدة مالية فورية يدفعها وفد سعودي إلى المؤسسات والمدارس والهيئات الإسلامية في إفريقية حسب تقديره وكنت صاحب هذا الاقتراح .

وكان ذلك في وقت مبكر من مرحلة اهتمام المملكة العربية السعودية بتقديم المعونة للمسلمين في الخارج على أساس ثقافي إسلامي أهلي وليس على أساس سياسي إذْ كان في عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م . ثم بعد ذلك بسنتين كنت قد عدت إلى إفريقية أحمل مبالغ مالية من المملكة مع تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين، وعروض لإرسال دعاة ومدرسين .

وقد قصصت حديث ذلك في كتاب : (في إفريقية الخضراء) الذي طبع أكثر من مرة وترجم إلى عدة لغات أجنبية .

ثم كثر العمل الإسلامي الذي عملته المملكة في جميع أنحاء العالم ، ومنه القارة الإفريقية . إلّا أن أسلوب إعطاء الوفود والمبعوثين مبالغ مالية فورية قد توقف منذ زمن . وحل محله أسلوب التقارير تعقبها الدراسة ثم تقديم المساعدات المالية .

وفي هذه المرة وبعد مضي سبعة عشر عامًا على رحلتي الأولى إلى إفريقية ومعي نقود، عاد الأمر الحميد القديم فصدر أمر رئاسة مجلس الوزراء بأن تعطى الوفود مبالغ مالية فورية توزعها على من ترى أنهم محتاجون إليها من

المؤسسات والجمعيات الإسلامية .

وقد كتبت خلال أداء هذه المهمة مذكرات يومية تضمنت مشاهداتي وانطباعاتي عن البلاد المشار إليها مع التركيز على ما يتعلق من ذلك بالإسلام والمسلمين في تلك الأقطار .

فكان منها هذا الكتاب . والله الموفق للصواب .

الرياض : ١٤ شعبان ١٤٠٣ هـ — المؤلف

٢٦ مايو ١٩٨٣ م — محمد بن ناصر العبودي

يوم السبت ١٧ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ٢١ فبراير ١٩٨١ م

من الرياض إلى باريس :

لم يكن في هذا الجزء من الرحلة من حديث يشوق القارئ كما انها هي نفسها ليس فيها ما شاق الكاتب .

فقد ابتدأت من مطار الرياض في الساعة العاشرة ليلاً على طائرة (ترايستار) الضخمة التي تحمل ثلثمائة راكب .

وكان الملاحون قد اعتادوا على أن يصفوا هذه الطائرات منذ سنوات خلت بأنها الطائرة التي تمتاز بالراحة والأمان .

ونزلت الطائرة في جدة وبعد ساعة عادت تطير إلى روما فأخذ ذلك منها أربع ساعات وعشرين دقيقة وأنفقت في مطار روما ساعة ونصفاً وهي واقفة استأنفت بعدها السفر إلى باريس واخذ ذلك من الوقت ساعة ونصفاً أيضًا .

وقد تعاقبت على الطائرة ثلاث مجموعات من الملاحين ابتداء من الطيار إلى أصغر مضيف أو مضيفة ، فقادها ثلاثة طيارين كان اثنان منهم من الأجانب أما الثالث الذي تسلمها من روما إلى باريس فهو سعودي قدير .

يوم الأحد ١٨ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ٢٢ فبراير ١٩٨١ م

في مطار شارل ديغول :

وصلت الطائرة مطار شارل ديغول في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين من توقيت المملكة العربية السعودية ويوافق السادسة وخمسًا وخمسين دقيقة صباحًا بتوقيت باريس . وكان ذلك ما بين طلوع الفجر ووقت شروق الشمس مع أن الشمس طلعت بعد ذلك ولم تشرق على هذا المطار إذْ كانت السماء ملبدة بالغيوم وكان الثلج يتساقط كأنه نديف القطن المتطاير أو الفراشات البيض الصغيرة المتطايرة .

وجدنا مندوبًا من مؤسستنا السعودية على باب الطائرة ورحب بالعربية وقال لي بعد ذلك : إنه أرمني لبناني الأصل متجنس بالفرنسية ويقيم في باريس منذ أربع عشرة سنة وقد قام بالخدمة اللازمة من تأكيد الحجز غير أن المشكلة في أنه قال لي : إن القاعدة عندهم أن الراكب إذا كان قد بقي أكثر من اثنتي عشرة ساعة على رحلته التالية فإن الشركة تسكنه في فندق على نفقتها . أما إذا كان الوقت أقل من ذلك فإنه يبقى في المطار وإذا اراد أن يقضي ذلك الوقت في فندق فإنه يكون بنفقته .

وقال لي : إنه قد بقي الآن على رحلتك حوالي سبع ساعات لذلك لا أتمكن من إسكانك في فندق .

فقلت له : إنني لم أنم الليلة البارحة واحتاج إلى الراحة ، ولن ادفع للفندق وأنا قادم مع رحلة طويلة ومسافر على رحلة طويلة أيضًا وكلها بالدرجة الأولى . ولن ابقى هذه المدة في قاعة المطار . وقد سبق أن جربت ذلك مع الخطوط الفرنسية فأقنعتهم به .

فلما رأى إصراري تحير فقلت له : اشرح الأمر للمسئول الكبير في (السعودية) أو في الشركة الفرنسية ففعل ثم تهلل وجهه . وقال ، نعم لقد وافقوا .

وهكذا ذهبت إلى فندق (سوفوتيل) القريب من المطار . ولبثت فيه حتى الساعة الثانية والنصف ظهراً .

وكان الثلج يتساقط طيلة هذه المدة وكنت أرقبه من خلال زجاج حاجز في الفندق وقد حيل بيننا وبين برده بلفح من مدافيء قوية (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) .

وكان مع الثلج الظلمة في الجو ، ومنظر الأشجار والحشائش الهامدة ، وما بقي منها حيًّا فإنه قد طأطأ رأسه للثلج حتى توّجه بتيجان بيض ولكنه بياض الموت الذي لا مبعث منه إلا بحلول الربيع .

ومع ذلك فإن من يكون مثلي قادمًا من جو مشمس بل مغبر جاف في الرياض يلذُّ له أن يرى تساقط الثلوج من وراء الزجاج ، ويحب أن يرى الشمس وقد تقنعت بقناع أسود سميك من السحاب والضباب .

وعدت إلى المطار من أجل السفر إلى داكار ورأيت على مكتب الترحيل الخاص بالدرجة الأولى امرأة فرنسية أُقدر عمرها في حدود الثلاثين ولكنها من ذلك النوع من الفرنسيات التي تطيق من العمل في ميدانها ما يطيقه الرجال ، ولكنها تكاد تذوب رقة حتى تعجب من كونها وهي كذلك تستطيع أن تتحمل تلك الأعمال حتى في الخيال .

وما رأيت في كثرة ما جلت عليه من انحاء العالم مثل المرأة الفرنسية في رقتها إذا استلطفت رجلاً وفي صنعتها في وجهها إذا جملته . ومن إتقانها لعملها إذا أحبته .

ولقد وزنت فأرجحت ، ولكنها سمحت إذْ كان معي شيء من التمر

لإخواننا السمر في إفريقية ، ومعه بعض الكتب وخفت أن يزيد الوزن فتطلب زيادة في المال إلا أنها لم تبال بل إنها نادت أحد العاملين وطلبت منه أن يوثق رباط صندوق من الورق المقوى كان فيه التمر زيادة في العناية والرعاية .

وأخذت وهي تبتسم تصف العروج إلى الطابق الذي فيه بوابة الخروج ، ولم تكتف بالوصف بل أخذت تشير بيدها ، وهي تعلم ـ بلا شك ـ أنني لا أحتاج إليها ولكن ذلك منها من باب المجاملة في المعاملة .

وشيعتني بسماتها كما رافقتني نظراتها إلى أن غبت عن نظرها .

وذكرت ابتسامات لأخوات لها من قبل في الفندق هذا اليوم وقلت : وماذا عن آخرين من قوم يستحقون اللوم لأنهم يجمعون إلى الخشونة في المعاملة ، والغلظ في المقابلة سوء المظهر ، وفساد المخبر ، فلا يحرصون على أداء الأمانة في العمل ، ولا يبالون بضياع الجهد والمال إما عن إهمال وإما عن كسل .

وماذا يضير الواحد منهم في تفكيرهم إذا ذهب عنه الراكب أضاع أم أضاع ، بل إنه ربما يفرح بضياعه . أو على الأقل لا يحزنه ضياع ما أضاع لكي ينتقم منه لنفسه الذي اعتقدها مظلومة بالعمل الكثير مع أن الحقيقة أن العمل به هو المظلوم . وأنه هو الملوم .

ذهبت أسير مع الدهاليز المتحركة إلى حيث بوابات الخروج في هذا المطار العجيب الذي أحسنوا صيانته وبقاءه عامرًا . بل أحسنوا حتى تحسينه ولو كان عند قوم كنا في الحديث عنهم قبل أسطر من الأسطر لأفسدوا صالحه ، ولأضاعوا مصالحه حتى يصبح مثله مثل سائر شئون حياتهم مهملاً مضاعاً .

وعجبت لكوني وصلت إلى بوابة الخروج التي قالوا إنها رقم (٧) ولم يعترض طريقي مكتب للجوازات ولم يطلب مني أحد إبراز جوازي .

وكان جمع المسافرين حاشدًا إذ الطائرة هي من طراز (ايرباص) التي تحمل ثلثمائة راكب وهي من صنع أوروبي اشتركت فيه فرنسا وألمانيا وغيرهما وهو الطراز الوحيد الحديث الذي قد ينافس شركة بوينج لصنع الطائرات المدنية الأمريكية .

وكانت الدرجة الأولى تشبه إلى حد ما الدرجة الأولى في طائرة الترايستار إلا أنها في طائرتنا السعودية أفخم وأوسع أيضًا .

إلى داكـار :

اعلنت المضيفة والطائرة تدرج على أرض المطار تستعد بذلك للإقلاع بأننا سنطير إلى مدينة (بوردو) وبعدها إلى داكار .

وأقلعت الطائرة التابعة لشركة (إيرفرانس) الخطوط الجوية الفرنسية في الساعة الرابعة وخمس دقائق ظهرًا إلى بوردو .

وكانت كل المناظر في المطار هي مناظر الأرض الثالجة وكأنما نثر عليها الملح أو كأنما بسطت فيها فرش بيض مهلهلة النسيج .

ولم يكن في الدرجة الأولى إلاَّ نصف مقاعدها مشغولاً . أما السياحية فإنها مزدحمة .

وبعد ٥٠ دقيقة من طيران فوق سحاب متراكم نزلت الطائرة قليلاً فبدت الأرض قرب مدينة (بوردو) أرضًا تغط في سبات شتوي عميق إن لم نقل إنها أرض ميتة تنتظر النشور غير أن المعالم الصناعية والإصطناعية فيها كانت ظاهرة واضحة من مصانع تكتظ مداخنها بالدخان الكثيف إلى أبنية كبيرة وأعمال مختلفة في هذا الريف الفرنسي المتحضر .

وفي الموعد المحدد نزلت الطائرة في مطار يعتبر صغيرًا بالنسبة إلى المطارات

الحديثة ، وإن كان مناسبًا لحجم هذه البلدة إلاَّ أن كل ما فيه هو من طراز قديم .

وأعلنت المضيفة أن على الركاب المواصلين سفرهم إلى داكار أن يأخذوا جوازاتهم معهم وبطاقات الدخول إلى الطائرة .

وزال عجبي حينما نظر الضابط في جوازي وألقى عليه بختم لطيف جدًا يفيد بالخروج من الأراضي الفرنسية ، إذْ عرفت السبب في كونهم لم يختموا على الجواز في المطار بباريس .

وبعد ساعة من اللبث في هذا المطار اشترى طائفة من الركاب من السلع المعفاة من الرسوم فيه ما خف حمله على الأيدي .

عادت الطائرة إلى التحليق وتكلمت المضيفة بأن الرحلة إلى داكار ستدوم خمس ساعات . وفور الاقلاع من المطار بدأوا بالإعداد للعشاء . وكان عشاء فرنسيًا استغرق تقديمه إلى النهاية ثلاث ساعات كاملة .

كانوا كعادة الفرنسيين يبطئون في تقديمه ، ويفصلون بين كل نوع وآخر بفاصل زمني وبخاصة ذلك الفاصل الذي كان بين زمن الشراب وزمن الطعام ، وكان شرابهم أنواعًا منوعة من الإثم ما بين صفراء قال فيها أبو نواس إنها لاتنزل الاحزان ساحتها، وبين حمراء قبل المزج صفراء بعده الخ ..

وكان جيراني في مقاعد الدرجة الأولى أسرة فرنسية من أهل بوردو قالت إن عميد الأسرة يسكن في داكار وإنهم ذاهبون لزيارته . قد افرط أفرادها في الشراب فاستخفهم الطرب حتى خفت حلومهم وظنوا أن لا أحد يلومهم ، فأسرع بعضهم إلى جارهم كاتب هذه السطور يتحدثون ويسندون الحديث إليه كأنما بينهم وبينه من المعرفة سنون .

كان طيران هذه الطائرة رخوا سجسجًا خلاف عادتها التي عرفتها من هذا

الطراز من (ايرباص) أو الحافلة الجوية الذي كان يستخفه الطرب أيضًا أو يستولى عليه الفزع عندما يقابل مسارًا في الهواء غير سمح ، أو طريقًا غير سهل فيظل يرقص ويتمايل وليس كما هي عليه الحال بالنسبة إلى رصيفه وحليفه الأمريكي الذي انتج (البوينج) وأبناء عم البوينج .

كانت الطائرة تطير فوق السحاب . وكانت الشمس تستعد للغروب وكأنما قد تحيرت فلم تبرح إذ لبثنا مدة ونحن نشاهد وجهها الوضاء ، وقد علته صفرة المغيب إلا أنه ودعنا بأجمل ما تقع عليه عين الرقيب إلا وهو منظر سقوطها من حالق في غيم رقيق من خلال هذا الارتفاع الشاهق فكان منظره أرجوانيًا ثم أصبح لازورديًا ثم انقلب إلى رماديّ غامق .

لقد كانت اللغة الرئيسية في الطائرة هي الفرنسية بطبيعة الحال تليها الإنكليزية ، إلاَّ أن اللغة العربية لم تغب عن البال فهي ظلت تطالعني طول الرحلة من بطاقة التعليمات المثبتة أمامي في جيب المقعد مع ثلاث لغات رئيسية .

وهذا أمر جديد على الخطوط العالمية إذْ لم يكونوا يحفلون بالعربية ، وكانوا يظنون أن من يركب معهم من العرب يكون ـ في الغالب ـ يفهم الانكليزية أو الفرنسية .

وقد أعلن مكبر الصوت في الطائرة أننا سنمر فوق أربع مدن رئيسية هي مدريد والدار البيضاء وأغادير المغربية ، ثم نواكشوط الموريتانية . وكلها مدن عربية باعتبار ما كان أو ما هو كائن.

في مطار داكـار :

في الساعة الحادية عشرة تمامًا بتوقيت باريس الذي يتقدم ساعة واحدة عن توقيت داكار كانت الطائرة تحط في المطار .

يوم الأربعاء ١٤٠١/٤/٢١ هـ ١٩٨١/٢/٢٥ م

من داكار إلى بانجول :

صحوت قبل الفجر في فندق (تيرانقا) في داكار التي معناها التكريم ولكنها ـ في الواقع ـ تكريم لصندوق الفندق . إذْ دفعت لهم أغلى أجر دفعته لفندق فيما أذكره من أجور الفنادق في العالم وهو سبعة عشر ألف فرنك إفريقي غربي لليلة الواحدة دون أي شيء حتى طعام الافطار ويساوي ذلك ثلثمائة وأربعة فرنكات فرنسية وإذا أضيف إلى ذلك المبلغ الذي دفعته لقاء ما أكلت وشربت وما أكل وشرب ضيوفي وهو غالٍ غلاء فاحشًا فإنه يتحقق ما سمعت من قبل من أن داكار تعتبر أغلى مدينة في إفريقية وهو من بين أربع مدن في العالم تعتبر الأغلى فيها .

وتركنا فندق تيرانقا عند الساعة السابعة والنصف ، والشمس لم تبزغ بعد ، مع الطريق إلى المطار في جو جميل ، ووسط اشجار الطريق التي هي شبه صحراوية فلا هي بالإستوائية الخضراء ولا المنطقة بالصحراوية الخالصة للصحراء ، كما هو عليه الحال في بلادنا .

وهذا أمر طبيعي بل إن الطبيعي أن تكون خضراء كالمنطقة الإستوائية لأنها ليست ببعيدة عن خط الإستواء وهي كذلك على شاطيء المحيط الاطلسي العظيم .

ومن الملاحظ أيضًا أن الهواء في داكار ليس رطبًا رغم ما ذكر بل هو لطيف ولعل السبب في ذلك عدم وجود جبال وأراضٍ مرتفعة ارتفاعاً مفاجئاً إلى الشرق من المحيط مما سمح بتسرب الرطوبة إلى داخل القارة بعيدًا عن الشاطيء .

وفي مطار داكار أمضينا فترة في قاعة المسافرين ولم تكن معنا رحلات أخرى وقد لاحظت أنه رغم كون الطائرة مسافرة من عاصمة إفريقية هي داكار إلى عاصمة دولة إفريقية اخرى فإن أكثرية الركاب هم من غير الإفريقيين.

ثم أقلعت طائرة الخطوط النيجيرية من طراز ٧٢٧ في الساعة التاسعة والثلث وأعلن المضيف أن مدة الطيران إلى بانجول سوف تستغرق عشرين دقيقة ، وكانت الدرجة الأولى فيها شبه مليئة بالركاب وليس فيها إفريقي واحد بل كل الذين فيها من الغربيين إضافة إلينا نحن العرب الثلاثة ورجل عربي آخر من موريتانيا تبين بعد ذلك أنه القنصل الموريتاني في غامبيا .

عندما اقلعت الطائرة من مطار داكار اتضحت المنطقة التي تقرب منه فإذا بها شبه صحراوية جافة أو قريبة من أن تكون كذلك ، وإذا بالاشجار الصغيرة فيها قد احاطت به رمال سافية حمراء تمامًا مثل ما يوجد في بلادنا الصحراوية في وقت الربيع .

وفي أطراف مدينة داكار أحياء شعبية منسقة قل أن يوجد لها نظير في الأحياء الشعبية من المدن الإفريقية ، ثم عطفت الطائرة نحو جو المدينة الحديثة من داكار أو قل: نحو قلب المدينة فبدا كأنه في قارة غير القارة الإفريقية منسقًا جيد المظهر ، حسن المباني وزاد المنظر تأكيدًا لذلك منظر ميناء داكار بأرصفته الجيدة ، والسفن تفرغ حمولتها فيه أو تشحن منه .

وقد شعرنا في الطائرة أننا قد فارقنا النفوذ الفرنسي الذي كان مظهره في اللغة الفرنسية في السنغال فالاعلان بالانكليزية فقط . والطاقم كله إفريقي ، ولم يكن الوقت يتسع لتقديم أي ضيافة للركاب بطبيعة الحال .

وقد دخلت الطائرة سماء المحيط فأخذت تلجج فيه ، ولا منظر غير مياهه .

وما أسرع أن بدأنا نشعر بانخفاضها وكان ذلك بعد ١٥ دقيقة من بدء الطيران . وكان ذلك فوق الساحل ساحل المحيط الأطلسي في أراضي غامبيا .

وبدت أرض غامبيا أكثر خضرة من أرض السنغال ولكنها أقل عمارة وتنظيمًا .

وعندما اقتربت الطائرة من المطار كنا نرى بيوتًا منفردة غير متلاصقة ، وكان المنظر يشبه المنظر قرب مدينة مقديشو من الطائرة لولا أن الخضرة هنا أكثر كثافة .

ثم رأينا أراضي مستنقعات فيها أشجار وحشية كثيفة ، وبعد ذلك أراضي زراعية إلا أنه ليس فيها زراعة حقلية وإنما فيها أشجار غير كثيفة من النارجيل ونخيل الزيت .

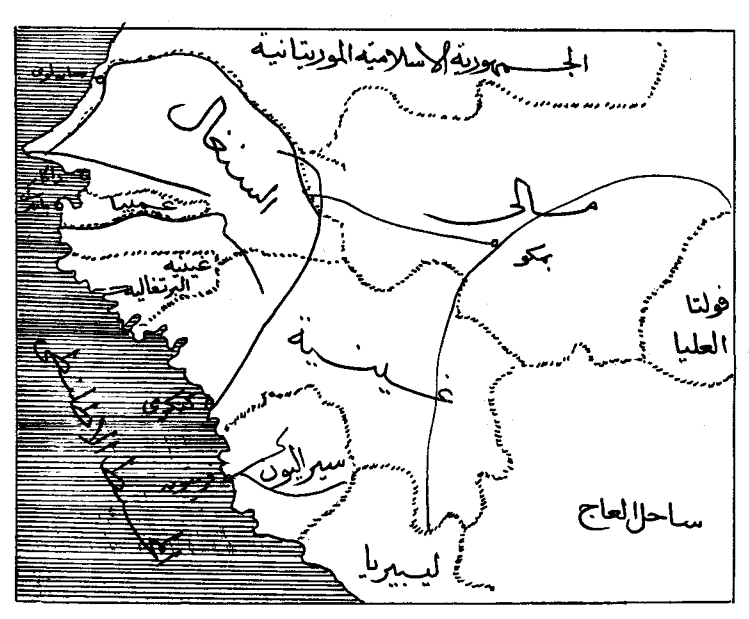

موقع غامبيا في غرب إفريقية

في مطـار بانجـول :

بعد ٢٢ دقيقة هبطت الطائرة في مطار مدينة بانجول عاصمة جمهورية غامبيا في مطار ليس بالكبير ولكنه نظيف حديث قد بني فيه كل شيء بمواد حديثة ووفق ذوق جميل . وهو كله حديث بالفعل لأنه بني بعد الاستقلال أما في زمن الإستعمار البريطاني فإنه لم يكن يوجد إلاَّ مطار محلي صغير .

وجدنا في الاستقبال عند مدخل قاعة الوصول المدير العام للمطار السيد عبدالله نجاي وهو عضو في مؤسسة التضامن الإسلامي والشيخ (حطاب شريف بوجانج) وهو شاب ذكي من أهل غامبيا يعرف اللغة العربية معرفة جيدة وسبقت له الإقامة في عدد من البلاد العربية ومنها الرياض والمدينة المنورة .

أكرمنا اخواننا اكرمهم الله فتركونا نمر إلى مكان خارج منطقة الجوازات حتى أنهوا الاجراءات التي كانت سهلة .

وسلم علينا في المطار أيضًا رئيس الجالية الموريتانية في غامبيا وكان قد حضر لاستقبال القنصل الموريتاني الذي حضر معنا في الطائرة .. وعدد من اخواننا منهم مبعوثان من الافتاء بالمملكة هما فلسطيني اسمه (عمر عبد العزيز خريش) وآخر من بنغلاديش اسمه (عبد الودود محمد حافظي) وإثنان من أهل البلاد .

عندما خرجنا من أبنية المطار التي هي جميلة وحديثة ولكنها في الوقت نفسه بسيطة كانت هناك سيارتان احضرهما إخواننا لهذا الغرض ، وبينما كنا نركب السيارة في جو لطيف في هذا الصباح كنت أنظر حولي فأرى المنظر التقليدي في إفريقية الغربية وهو منظر البائعات اللاتي يعرضن بضائعهن على الأرض اسفل الحائط وهي بضائع بسيطة ، ونخلة من نخيل الزيت التي تشبه نخيل التمر على البعد .

وسارت السيارتان من المطار إلى المدينة مع طريق يمتد خمسة وعشرين

كيلا وسألتهم : لماذا يكون المطار بعيدًا من العاصمة مع أنني لم أَرَ جبالاً ولا تلالاً مرتفعة تمنع من كونه أقرب من ذلك ؟

فأجابوا : إن ذلك ليس بسبب التلال لأنها غير موجودة ، وإنما هو بسبب المستنقعات والأراضي الرخوة التي قد تمتد إليها مياه المحيط فتغمرها في بعض الأحيان . وهناك مستنقعات تتخلف من مياه الأمطار في موسم الأمطار .

كانت المناظر بجانب الطريق الذي هو مسفلت سفلتة لابأس بها هي مناظر الحشائش الكثيفة الجافة اصبحت صفراء بسبب الجفاف ولأن هذا الوقت ليس هو بوقت الأمطار في العادة إضافة إلى الجفاف الذي كان قد سيطر على أقطار عدة في الساحل الإفريقي الغربي حتى سبب لها المجاعة ، وموت المواشي منذ سنوات .

وإلى جانب هذه الحشائش الصفراء الجافة توجد أشجار شبه صحراوية خضراء ونخيل الزيت التي ترتفع فروعها الكثة كما ترتفع فروع نخيل التمر في بلادنا وليس كما ترتفع فروع أشجار النارجيل التي تكون في العادة نحلية القوام بالنسبة إلى النوعين السابقين من النخيل .

وأخبرونا أن نخيل الزيت عندهم ينقسم إلى قسمين قسم ينتج زيتًا أحمر وقسم ينتج زيتًا أسود . وفي كل منهما نفع وإدام .

المدرسة الإسلامية الابتدائية :

وفي الطريق بين المطار والمدينة وقفنا في قرية اسمها قلندكنجا ومعناه المكان الممتد على الطريق الرئيسية بلغة الماندنكا وذلك لرؤية اطفال مدرسة إسلامية خرجوا على جانب الطريق الذي لم يكن فيه رصيف . وإنما هو التراب .

وقد تجمع الأطفال من بنين وبنات وأكثرهم البنون معهم طائفة من مدرسيهم وأخذ أحد المدرسين يصفر لهم بصفارة كما يفعل المدرب العسكري ،

وهم ينشدون نشيد مدرسيًا بالعربية وعلى صغرهم في السن فانهم أدوه أداءً جيدًا .

وقد كتبوا لافتة بالعربية فيها اسم المدرسة واخرى فيها الشهادتان .

وكانت وقفة قصيرة استأنفنا السير بعدها في ريف تحف بالطريق أرض سوداء كانت تغمرها مياه المستنقعات . وبعضها لاتزال فيه حمأة سوداء وبقية من ماء .

وكانت هناك سيارات نقل قادمة من طريق آخر يجتمع بطريق المطار كان بعضها محملاً بأخشاب الوقود إذْ غاز الوقود عندهم غالٍ جدًا . مع أن قطع الأخشاب ممنوع من الحكومة لأن بعض الذين عللوا سبب امتناع الأمطار عن المنطقة قالوا : إن ذلك كان بسبب قطع الأشجار من الغابات .

ووصل الطريق إلى جسر قد أقيم على خليج صغير من مياه المحيط كان يعزل العاصمة عن المنطقة التي فيها المطار .

ومع أن الماء كان من مياه البحر الملحة إلاَّ أن فيه أشجارًا وحشية ولا نستطيع أن نقول: برية لأنها نامية في مستنقعات من مياه البحر .

مدينــة بانجــول :

اسمها من اللغة المحلية الرئيسية لغة الماندنكا وهي لغة من لغات محلية خمس موجودة في هذه البلاد الصغيرة غير أن هذه هي أوسعها .

ويعني خشب الحبال لأن مكانها كان فيه شجر تصنع منه الحبال ـ جمع حبل ـ . فاسم العاصمة محلي وطني أما اسم الدولة (غامبيا) فهو اسم اجنبي استعماري بل اسم من لغة دولة عريقة في الاستعمار سيئة السمعة فيه ، منحطة الإدارة هي الدولة البرتغالية ومعنى الاسم في لغتها : المنفذ على المحيط لأن البرتغاليين هم أول الأوروبيين وصولاً إلى هذه المنطقة وتاريخهم فيها حافل

بالأفعال غير الإنسانية ومن افحشها انتهاب الناس من الإفريقيين والمتاجرة بهم في أمريكا وأوروبا ببيعهم رقيقًا كما تباع البهائم .

وقبل الوصول إلى قلب العاصمة يلاحظ المرء مظهرين لعمودين هامين من أعمدة الاقتصاد في هذه الدولة الأفريقية الفقيرة هما : السياحة ، والفول السوداني . فالفول السوداني هو المحصول الرئيسي في الزراعة الذي يصدر أكثره فتجني البلاد عملة صعبة . والسياحة هي مصدر للدخل مزدهر وموسمها في هذه الأيام حين تكون البلاد الأوروبية والأمريكية في شتاء قارس البرد فيأتي أهلها إلى غامبيا ونحوها من البلاد الحارة يتمتعون بالشمس والسباحة في البحر ، ويتخففون من الملابس التي كانت تثقلهم في بلادهم .

لقد ذكرنا بالفول السوداني مصنع رأيناه على يسارنا سبقت رائحته في أنوفنا أخباره في آذاننا . وأما السياحة فإن فندقًا من الفنادق الكثيرة المتناثرة على المحيط هو الذي جر الحديث عن السياحة والسائحين .

الفول السوداني مما أنتجه غامبيا

وكان أهم ما يراه المرء من الأشجار ذات المنظر المميز في هذه البلاد شجرة ضخمة تكون في المناطق الاستوائية وما قرب من المناطق الاستوائية في العادة وتسمى في هذه البلاد (سيتو) وهي ضخمة الجذوع ذات بطون بارزة من جسم لها غير رشيق ذي قشر يختلف ما بين السمرة الضاربة إلى الحمرة إلى السمرة الضاربة للكدرة .

وليس لها ورق ظاهر كثير ، وإنما ورقها قليل إلا أنهم هنا ينتفعون به إذ يضعونه في الطعام مع الثريد يأكلونه ، ولها ثمرة ينتفع بها فهي تمص كما تمص الثمار الحلوة .

شجرة ضخمة في غامبيا

وبدت ضواحي المدينة على حيطان بعض الأبنية الهامة فيها زهور أرجوانية اللون تبين أنها الاكثر انتشارًا من بين أنواع الزهور في هذه البلاد .

ورأينا أيضًا مظهراً من مظاهر السياحة في إذاعة انشأتها السويد هنا تذيع برامج مناسبة للسياح كما تذيع اعلانات تجارية .

الحبس الأبدي والسياحة :

غير بعيد من منطقة الفنادق السياحية التي تقع على شاطيء المحيط الاطلسي توجد مقابر واقعة هي أيضًا على شاطيء المحيط ممتدة على امتداده أكثرها واظهرها مقابر المسلمين تليها بعد فاصل من المسافة مقابر المسيحيين الذين كانوا كثيرين في عهد الاستعمار الانكليزي . أما الآن فإن نسبتهم على اختلاف مذاهبهم النصرانية تبلغ حوالي ٧ ٪ فقط .

ومن أول منازل العاصمة رأينا عدة فنادق ومستشفى ، وأساس مسجد جامع كان قد ابتدأه الليبيون ثم لما اخرجهم الغامبيون ترك فريسة لتقلب الأهواء السياسية دون إكمال . وأمام هذا البناء المعطل يوجد مركز ثقافي ليبي مغلق أيضًا .

في مدينة بانجول :

قال لنا إخواننا : لقد حجزنا لكم غرفًا في فندق في المدينة ليس على الشاطيء لأن فنادق الشاطيء مخصصة للسياح وهذا الموسم هو موسم سياحي . وتعج تلك الفنادق بالسابحين والسابحات في مناظر ليست مناسبة لكم ولا لزواركم فقلنا لهم : أحسنتم الاختيار ، واحسنتم التعليل . وهذا أحب إلينا .

والفندق اسمه (فندق ادونيس) في وسط المدينة التي هي تعتبر ممتدة على شاطيء المحيط الأطلسي مع امتداده .

ويقع على شارع تجاري يأتي بعده صف من البيوت بعدها الميناء الذي هو ميناء بحري على المحيط ولكنه ليس خالصًا للبحر بل فيه شِرْك للنهر.

منظر من القسم الحديث من مدينة بانجول.

ذلك بأن نهر غامبيا الذي ينبع من هضاب غينيا يصب قريبًا من هذا المكان فتختلط مياهه بمياه المحيط لمسافة طويلة وبخاصة إذا كانت مياه النهر ليست كثيرة مما يجعل نسبة الملوحة في هذه المياه المختلطة عالية جدًا.

أخذنا غرفنا في هذا الفندق الذي يعتبر من فنادق الدرجة الثانية الجيدة وقد رأينا في مداخله بعض السياح أيضًا فمعظم النزلاء هنا من السياح الغربيين.

وهو قديم الطراز لذلك كانت غرفه واسعة مكيفة الهواء وأجرة الغرفة الواحدة الواسعة فيه هي ٥٠ خمسون (دالاس) وهو العملة المحلية لهذه البلاد وتساوي مائة ريال وقبل مضي وقت قصير كان هناك طائفة من الزوار منهم

الشيخ (محمد الأمين سيسي) من الشخصيات الإسلامية المعروفة في هذه البلاد ، يعرف العربية جيدًا وكان قد قدم لتوه من المملكة حيث صحب رئيس البلاد داود جاورا رئيس الجمهورية في وفد غامبيا إلى مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في الطائف وهو رئيس مؤسسة تسمى الاتحاد الاسلامي لغامبيا ويشرف على عدد من المدارس والكتاتيب الإسلامية في غامبيا وهي مدارس تعلم اللغة العربية ومباديء الدين الإسلامي ، وتأخذ بعض الأجر الشهري من أولياء أمور الطلاب .

الدعاة من المملكـــة :

وقد كان حضر الجلسة معه طائفة من الدعاة والمرشدين الذين تدفع المملكة العربية السعودية لهم رواتب ومكافآت ويبلغ مجموعهم في غامبيا أحد عشر ، عشرة منهم تابعون لرئاسة الافتاء والدعوة وواحد تابع لرابطة العالم الإسلامي .

وقد تطرق البحث إلى شئون الدعوة في هذه البلاد وبخاصة تعلم اللغة العربية. فشكوا من جهود دعاة النصرانية من المبشرين الغربيين أو الذين يمدهم الغربيون بالمال والنفوذ . وقالوا : إن المسلمين في مقابل ذلك فقراء لا يجدون مالاً كافيًا ولا إمكانات .

ولعل هذا هو واقع حالهم ولكنهم يبالغون فيه ليحثوا إخوانهم المسلمين من العرب القادرين على مد يد المساعدة الواجبة إليهم .

وذكروا مشكلة أخرى ربما كان طريفة والمصيبة فيها جاءتهم من الدولة . ذلك بأنه يحدث كثيرًا أن تسعى هذه الجمعيات الإسلامية على بناء مدرسة إسلامية حتى إذا تم بناؤها وانتظم العمل فيها استولت عليها الحكومة بحجة الحاجة إليها .

وقالوا : صحيح أن الحكومة حكومة وطنية مسلمة وأنها تعلم فيها أبناء

المسلمين إلا أنها تجعلها للتعليم المدني بدلاً من التعليم الديني ، وتدرس فيها اللغة الانكليزية عوضًا عن اللغة العربية.

وتناولنا طعام الغداء في الفندق وجاؤا بالشواء وافر الكم ، طيب الطعم ، قالوا : إن سبب وفرته أن هذه البلاد تعتبر من الدول المصدرة للحم وبخاصة إلى جارتها السنغال بسبب وجود المراعي فيها .

إلى سيركنـــدا :

سيركندا بلدة يصح أن تسمى بالعاصمة الشعبية للبلاد كما أن (بانجول) هي العاصمة الإدارية وتبعد سيركندا عنها (١٥) كيلا .

كان الذهاب إليها في الساعة الرابعة والنصف ظهراً على سيارة مستأجرة بأجر يومي مع طريق يدع المحيط على يده اليمنى ويكاد يباريه ، وتباريه فنادق الشاطيء المخصصة للسّياح هواة السباحة والخلوة في الماء في هذا الفصل الشتوي في بلادهم الباردة .

وأهم ما يلاحظه المرء أنه رغم ما قيل وردد عن فقر هذه البلاد فإن مظاهر اليسار موجودة ومنها عدد عديد من السيارات الحديثة النظيفة ، وقد رأينا طائفة من الجديد منها معروضة للبيع مما يدل على وجود المشترين .

ولفت نظرنا مظهران غير حميدين أحدهما مصنع للخمر قالوا : إنه أُحْدِث بعد استقلال البلاد بحجة أن المقصود منه هو صنع الخمور وتصديرها وأن المستورد الرئيسي لهذه الخمر كان السنغال إلا أن الرئيس الحالي المسلم فيها (عبده جيوف) أعلن أنه سيحد من انتشار الخمور في السنغال وأنه سيحدد أماكن بيعها . والثاني مظهر كنيسة كبيرة ذات حديقة منسقة ، قد حفت بحيطانها زهور أُرجوانية اللون .

وعندما وصلنا إلى أطراف بلدة (سيركندا) التي معناها محل سير ، اذْ كندا

محل. وسير: اسم شخص كان أول من جاء إلى هذا المكان وحصل على أرض فيه سور فيها سُورًا ليسكن فيه ويصطاد السمك من المحيط ويعيش عليه فسميت باسمه وهو من السنغال .

عندما وصلنا إليها رأينا افواج العامة من الناس شعبًا إفريقيًا نظيف اللباس ، سويّ الاجسام .

وأهم ما يسترعى الانتباه هنا هو منظر النساء بملابسهن الفضفاضة التي تشبه ملابس السنغاليات إلا ما كان من أمر الصبايا والفتيات فإن اللباس قد يكون اللباس الإفرنجي أو قريبًا منه ويكون الرأس عندهم عاريًا أما عند اولئك النساء فإن العادة أن يضعن فوق رؤسهن مناديل ملونة وغالبًا ما تكون كالعمامة ذات طيات متعددة أو طية واحدة على الأقل .

وأما أعلى الصدر والرقبة فإنهما بارزان عند النساء جميعًا .

وطبيعي أن يقال : إنه لا مجال هنا للحجاب فلا حجاب أصلاً ولا توجد امرأة متحجبة بالحجاب الذي نعرفه في بلادنا وهو تغطية الرأس والوجه .

مقر جمعية التضامن الإسلامي :

كان الهدف الأول من زيارة هذه المدينة هو رؤية مشروع المقر الجديد الذي تجري إقامته جمعية التضامن الإسلامي لغرب إفريقية .

وعليه لافتة بالانكليزية تحمل اسمه وتبين أنه سوعد من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة . والمقر الذي يجري انشاؤه مؤلف من مقر للاتحاد بمعنى مكاتب إدارة ومدرسة وقاعتين للمحاضرات ومكتبة و٣ غرف للضيافة .

وذلك علىأرض جيدة على شارع سيركندا الرئيسي . وقد قطعوا منها اشجارًا من اشجار النيم التي لا ثمرة فيها وإنما تستعمل أوراقها دواء وخشبها وقودًا ، وإن كان بعضها لايزال باقيًا لضخامته ، وصعوبة قطعه .

المقر العام لجمعية التضامن الإسلامي لغرب أفريقيا بغامبيا (تحت الإنشاء).

وأخشاب الوقود هنا ثمينة لأن غاز الوقود غالٍ جدًا لكونه يستورد من الخارج ، ولكون الحكومة تمنع من قطع الأشجار الكبيرة كيلا يؤثر ذلك على طبيعة الجو في البلاد ولعدم هدر الثروة من الغابات .

ورئيس الجمعية المذكورة هو مرافقنا (حطاب شريف بوجانج) وهو رجل نشيط ، ذكي ، يجيد العربية كأهلها .

كان يشرح لنا أهداف جمعية التضامن المذكورة وما لها من فروع ومراكز في غامبيا وما في المراكز من مدارس بحماس ظاهر إلا أنه لا ينسى أن يؤكد على فقر هذه البلاد وحاجة المشروعات الإسلامية فيها إلى المساعدة المادية مثلما يفعل النصاري على الأقل الذين كما يقول ـ يسعون إلى عرقلة الأعمال الإسلامية غير الرسمية في هذه البلاد .

كان يفعل ذلك وكنت أتأمل ما حولي في هذا الشارع الرئيسي من هذه المدينة الإفريقية الغربية فأجد أمامي أشجارًا من أشجار المانجو الضخمة التي علا الغبار أوراقها القديمة بسبب الجفاف وبعد العهد بموسم الامطار وما فيها

من ورق أخضر إنما هو مما نما نموًا جديدًا واسفل من ذلك رجل يبيع حشايا أو ما يسمى بالمراتب من الخيش محشوة بالقش أو الحشيش أي العشب اليابس واخبرونا أن هذه هي الطراز التقليدي الذي ينام عليه الناس في هذه البلاد .

وهناك بيوت من الطين مسقفة بالصفيح وحيطان أحواشها من الأعواد أو على الأصح من الأخشاب غير الغليظة .

وركبنا السيارة لمشاهدة جامع المدينة ويسمى (جامع سيركندا) وهو ذو محراب واسع في واجهته نافذة قالوا إنها من التقاليد التي تراعى في هذه البلاد فلابد من أن يكون في المحراب نافذة وهذا أمر غير مألوف أو معروف في أكثر البلاد الأخرى في العالم .

وقد كتبوا على المحراب بخط رديء (الله .. محمد) .

ورأينا أفواجًا من الناس يأتون إلى الجامع فيتوضؤن ويدخلون يصلون فرادى لأن الجماعة الرئيسية قد انتهت وليس من عادتهم أن يكرروا إقامة الجماعة بعد الأولى إلاَّ أننا عندما صلينا جماعة صلى معنا منهم كثير .

والمسجد مبني باللبن ومسقف بالصفيح الذي تحمله الأخشاب المتوفرة في هذه البلاد على شكل مسنم .

وفي جانب منه عند أماكن الوضوء (أزيار) جمع زير وهو الجرة الكبيرة من فخار أحمر ممتلئة بالماء يشرب منها الناس ماء باردًا .

وفي الفناء الخارجي المكشوف للمسجد وهو ضيق صغير رأينا شجرة كبيرة من أشجار العمبة (المانجو) تحتها عدة شياه من الضأن ذي اللون الأبيض في هذه البلاد خلاف لون الآدميين الذي هو أسود.

وشياههم ليست لها أليات كما للضأن عندنا وإنما لها ذنب دقيق أدق من ذنب البعير وليس فيه شيء من الشحم أصلاً . كما أنها ليس لها صوف كالذي

يكون على الضأن في بلادنا وما كان عنها إلى جهة الشمال والعلة في ذلك ظاهرة وهي أن هذه البلاد لا يكون فيه برد يحتاج معه الحيوان إلى صوف يدفئه .

أما العلة في كونها لا أليات لها ولا شحم في أذنابها فإنني لا أعرفها .

وأما الشارع الرئيسي الذي عليه المسجد فإنه كأكثر الشوارع خارج العاصمة الإدارية لا رصيف له بل هو التراب الجاف ذو اللون الأغبر المائل إلى الصفرة في مظهر غير رائق للعين إلا أن الرائق للعين أن الناس الذين يمرون من هذا الشارع يبدون في صحة بدنية جيدة ، ولا تظهر عليهم أمارات نقص التغذية أو علامات الأمراض الظاهرة أو آثارها . وثيابهم نظيفة ليس فيها أسمال بالية أو ممزقة .

وأما النساء فانهن الإفريقيات الخالصات فهذه إحداهن ترضع ولدها في وسط السوق المزدحم مظهرة ثديها غير مبالية بالناس والناس غير مبالين بها مع أنها شابة المظهر ، والمنظر.

ورغم لباسهن الفضفاض فإن النحر وأعلى الظهر يكونان في الغالب بارزين غير مستورين .

ورأينا فاكهتهم الكثيرة في هذه البلاد التي تكاد تكون الفاكهة الوحيدة فيها ألا وهي البرتقال بنوعيه الأخضر وهو الأكثر والأصفر وهو بعده في الكثرة وأغلب باعته من النساء في بسطات على الأرض .

وأما سيد الفواكه وأشيعها في إفريقية والمناطق الاستوائية وهو الموز فإنه يكاد يكون معدوما هنا أما الأصفر فإنه معدوم وأما الأخضر فإنه موجود ولكن على قلة وهذا من عجائب هذه البلاد إلا أن يكون للجفاف دخل في قلته .

مكتب جمعية التضامن الإسلامي :

دخلنا إليه في غرفة واحدة تشبه حانوتًا صغيرًا من صف من الحوانيت في

أحدها إسكافي وذلك لضعف إمكاناتهم المادية ولأنه مؤقت سيخرجون منه إذا تم لهم بناء المقر الجديد الذي تقدم ذكره .

فرأينا فيه جماعة من أعضاء الجمعية في انتظارنا منهم (عيسى جاي) رئيس مكتب الإدارة الذي قالوا إنه كان قد تعلم تعليمًا مدنيًا وأنه خدم في الدولة ثلاثين سنة ولما تقاعد من العمل فيها فرغ نفسه للعمل الإسلامي في سبيل الله وليخدم التعليم الإسلامي في آخر حياته . والأخ (إبراهيم جالا) الأمين العام للجمعية .

أما المكتب فإنه كغيره من الأبنية هنا مبنى باللبن المسقف بالصاج المسنم تحته أعواد أو أخشاب غير مهذبة .

وقد كتبوا بالعربية بخط قريب من المغربي اسم المكتب ، وتكلم الأخ عيسى بعد التقديم من رئيس الجمعية الشيخ (حطاب شريف) بكلمة قصيرة تضمنت طلبهم المساعدة من إخوانهم المسلمين لأن النصارى في الخارج يساعدون النصارى في هذه البلاد مع أنهم قلة .

وقال : إن مواردنا من الزكاة والتبرعات ولكن ذلك غير كافٍ وقال : إن من أهم المشكلات التي نواجهها عدم توفر الكتب الإسلامية بالعربية والانكليزية . كان يذكر حاجتهم إلى الكتب العربية في هذا البلد غير العربي وكنت أرى شواهد على اهتمامهم بالعربية فأمامي كان منزل كتب على واجهته بالعربية (الله أكبر .. الحمد لله) وكلمات أخرى لم اتبينها على البعد . وأخرجت من جيبي شيئًا ابتغيه فخرج معه واحد من عملتهم (الدالاس) فإذا بهم كتبوا عليه بالعربية اسمه ورقمه.

وقد رددت عليه بكلمة مناسبة قصيرة .

ثم تكلم الأمين العام فركز على أن من أهم وسائل العمل المثمر الحصول على المال الذي لا يوجد عندهم وقال إن المبشرين يحاربوننا بالمال فقط أما

العقيدة الصحيحة فغير موجودة لديهم ، وقال : إن من مظاهر حاجتهم للمال أنهم لم يستطيعوا تأمين سيارات للجمعية بل ولا آلة ناسخة .

وقال : إن النصاري يقومون بتوزيع الطعام والملابس على المحتاجين وبخاصة في فترة الجفاف ولكنهم لا يعطون ذلك إلا لمن حضر قداسًا يقيمونه بهذه المناسبة . أما نحن فإننا لا نستطيع أن نقول للجائعين من المسلمين ألا يأخذوا منهم شيئًا إلا إذا كان لدينا ما نعوضهم عنه من طعام أو شراب وهو غير متوفر لدينا .

وقال : إنه حتى التعليم الذي يوفره المبشرون في مدارسهم لأبناء الفقراء من المسلمين لابد من أن يغيروا اسماءهم إلى اسماء غير اسلامية مدة الدراسة عندهم .

وقال : إن الأقلية المسيحية في هذه البلاد لا تحاربنا بالسياسة فنحن أكثرية ولكنها تحاربنا عن طريق عدم مكافحة الجوع والمرض عند المسلمين بسبب الفقر .

وقال : إنهم أيضًا يعطون بعض كبار الموظائف ما يرضيهم لكي يسكتوا عليهم .

وقد رد عليه زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان بكلمة مناسبة .

وخرجنا من هذا المقر متأثرين بما قالوه ، وبأن واجبنا نحن المسلمين القادرين على الإنفاق في سبيل الله واجب كبير لم نصل ـ مع الأسف الشديد ـ إلى القيام به كما ينبغي أن يكون .

وبعد أن ودعنا إخواننا الذين لم يكن عددهم كبيرًا مررنا ببيت الحاج (محمد الأمين سيسي) الذي كان قريبًا من مكتب جمعية التضامن الإسلامي في زيارة مجاملة بمثابة ردٍ لزيارته لنا في الفندق في هذا الصباح وهو يعمل

مستشارًا لرئيس الجمهورية في الشئون الإسلامية وهو إمام مسجد جامع فاستقبلنا بترحيب عربي فصيح إذ هو يتقن العربية.

وبيته مبني بالطين ومسقوف بالخشب إلا أنه قد هدم جزءًا منه ليعيد بناءه بلبن الاسمنت . وفي غرفة استقبال صغيرة كان مجلسنا معه لفترة قصيرة وقد علقت على حيطانها لافتات بالعربية ، وفيها هاون من الخشب وعلى مائدة صغيرة حجر أسود قال إنه يوضع في ماء حار ويستنشق بخار ذلك الماء من يكون مصابًا من الزكام فيكون ذلك بمثابة علاج له .

وبعد فترة قصيرة خرج يودعنا من غرفة الاستقبال مشيرًا إلى أشجار قليلة من العمبة (المانقو) والنار جيل قائلاً : إنها كلها في بيته . وإلى حانوتين صغيرين كان قد بناهما في جزء من واجهة بيته المطلة على الشارع العام وقال : إنه يؤجر الحانوت الواحد بخمسين (دالاسًا) شهريًا ويساوي ذلك مائة ريال سعودي .

في المنطقة السياحية :

تمتد منطقة العاصمة (بانجول) وما حولها على شاطيء المحيط الأطلسي وهو شاطيء رملي في أغلبه صالح للسباحة ورياضة المشي على الشاطيء . وقد استغل الغامبيون ذلك بأن أقاموا عليه سلسلة من الفنادق والأماكن السياحية .

وقال لنا الأخ (حطاب شريف) سأريكم الطريق السياحي وما يفضي إليه من أماكن فسلك طريقًا يتجه ناحية الغرب تاركًا ساحل المحيط على يده اليمنى وسط ريف زراعي ترصعه أشجار نخيل الزيت غير أنه لا زراعة فيه الآن لأن هذا موسم جفاف وليس موسم زراعة ويرى المرء فيه أحيانًا بعض الأبقار التي ترعى الحشائش الكبيرة المتوفرة .

وقد شاهدنا عدة فنادق تحت الإنشاء لتضاف إلى الفنادق السياحية الموجودة .

ثم (ناديًا للقمار) أي ما يسمونه (كازينو) وهو أمر حظرته كثير من الدول إلا أنهم هنا اختاروا القليل المادي الحرام على المباح فأقاموه لكي يجتذبوا السياح من هواة القمار ليكون من وراءه الاستثمار ولكنه استثمار ما لا ثمرة له في العاقبة بل عاقبته البوار.

وحدثونا أنه تحدث حوادث للخارجين الكاسبين منه في الليل إذْ قد يترصدهم مترصد ليأخذ منهم حرامًا ما أخذوه من غيرهم بالحرام، وإذا مانعوا في ذلك كان الاقتتال والصدام.

ثم عدنا إلى منطقة فنادق سياحية اسمها (كوثوبيج) وفيها سوق سياحي فيه البضائع التي يرغب في شرائها السائحون من الأقنعة الإفريقية المشهورة والتروس التي كانت مستعملة في الحروب، ضد السيوف والرماح. والأواني الخشبية المحلية وسبح.

فجارا والفجـــار :

وبعد تفقد عدة فنادق وصلنا إلى منطقة تسمى (فجارا) ومعناها بلغة الماندنكا المحلية فيما اخبرونا عنها (محل الرفاهية). وليس لها علاقة بكلمة (فجر) العربية غير أن بعض إخواننا المتعلمين تعلمًا إسلاميًا يسميها (الفجار) لأنه لم يسكنها في السابق إلا الأوربيون المستعمرون ومن لف لفهم وتزي بزيهم من الإفريقيين.

ويقولون: إن هذا الحي هو أرقى حيّ في غامبيا من حيث المساكن والمباني والتخطيط والتنسيق في الحدائق، وهو عندي ليس بذاك إلا أن أشجاره باسقة وحيطان أحوشة البيوت فيها الزهور التي أغلبها أرجوانية اللون.

وفيه موضع نبع تشرب منه العاصمة من مجرى نبع من الأرض وليس من النهر، وفيه أيضًا بيت رئيس الجمهورية.

بين كل فندق وفندق : فندق ! !

يصح أن يقال في هذا المقام القولة الشائعة (بين كل كذا وكذا : كذا !) فالفنادق هنا كثيرة متعددة وكلها معدة للسياح الأجانب .

ومن الطرائف في هذا الأمر أننا رأينا في الميدان الكبير لأحد الفنادق بناء على هيئة حجرة مربعة الشكل معتنى بها إلا أنها ليست في موضع البناء إذ المفروض أن يكون في وسط هذا الميدان في هذا الفندق وأمثاله نافورة أو نصب يتمشى مع طبيعة الفندق لا أن تكون حجرة مغلقة فسألت عنه فأخبرني الأخ حطاب شريف بأنه قبر لأحد المشايخ كان قد دفن هنا قبل أن تصبح المنطقة منطقة للفنادق السياحية . وإن من المفارقات أن يأتي لزيارته جماعات من المتدينين من كبار السن في هذا الفندق الذي يعج بالصخب واللهو ، ويفعل فيه ما يبعد عن معنى العبادة كل البعد .

يوم الخميس : ١٤٠١/٤/٢٢ هـ ١٩٨١/٢/٢٦ م

صباح بانجول :

صحوت قبل الفجر ونظرت من النافذة فإذا ببعض الناس يسيرون في هذا الليل وان كان عددهم غير كثير ، وعندما صليت الفجر رأيت المارة قد بدأوا بالتكاثر .

كان الجو جميلاً منعشًا ، وكان من المارة نساء بثيابهن الكثيرة المتعددة الطيات التي يصح أن يقال في وصفها إنها قبة من قماش متعددة الحيطان ، ولابد من أن يكون لتلك القبة شاهد في اعلاها أو قمة وذلك الشاهد هو منديل أو قطعة من القماش ذات طيات متعددة غير ظاهرة بل تراها كأنها قد كومت على الرأس تكويمًا.

ويبكر بعض الشبان إلى أعمالهم وهم يَتَمَطونَ في الشارع والتمطي عندهم في وقت الصباح كثير ربما يكون أكثر مما هو عند غيرهم ولا أدري السبب .

ومنظر المياه من الجهة الشرقية التي تشرق عليها الشمس من غرفتي وهي جهة فيها شرفة لها باب كبير وتلك المياه من مياه المحيط الملحة تختلط بها مياه نهر غامبيا العذبة التي تغلبها مياه البحر في أوقات الجفاف مثل وقتنا هذا فتصبح كلها ملحة . و(الكثرة تغلب الشجاعة) كما يقولون .

ومركب صغير قد أرسى فيها على ميناء فرعي غير بعيد من الميناء الرئيسي لغامبيا .

وغربان كبيرة تنافس المبكرين من الأهالي في البكور وأسراب من الخفاش المرح في طيران راقص متصل .

وفتحت نافذة غرفتي لتدخل منها نسمات الفجر المنعشة بعد أن أطفأت المكيف الذي كان إشعاله فيها ترفًا من الترف لأن الحر ليس شديدًا هنا بل لا يكاد يحس به في الظل وإنما الحرارة الشديدة في أشعة الشمس .

وبعد ذلك دخلت أشعة الشمس التي فتحت لها نافذتي بدون استئذان كما دخلت محبة هؤلاء الأخوة إلى قلبي بدون استئذان ، وإنما كان شافعها في الدخول هو إخلاص الود ، وصدق اللهجة ، وطبيعة سمحة طيبة فيهم حتى إن الجرائم نسبتها بينهم قليلة ربما كانت من أقل النسب في العالم الإفريقي .

إلى حدود السنغال :

ليس الهدف هو زيارة حدود السنغال فذلك وإن كان قد يكون مطلوبًا في حد ذاته لمن يريد السياحة للسياحة وإنما الهدف هو القيام بجولة على المراكز الإسلامية والمدارس والكتاتيب في عدد من البلدان ما بين العاصمة (بانجول) وبين بلدة (كارتون) الواقعة على حدود السنغال وتبعد عن العاصمة نفسها ٨١ كيلا أو تسعة وخمسين ميلا وذلك إلى جهة الغرب من العاصمة .

كان دليل الرحلة ومترجمها هو الأخ الحصيف الشيخ (حطاب شريف بوجانج) رئيس جمعية التضامن الإسلامي لغرب إفريقية وأكثر المراكز التي

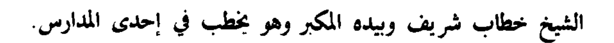

الشيخ خطاب شريف وبيده المكبر وهو يخطب في إحدى المدارس.

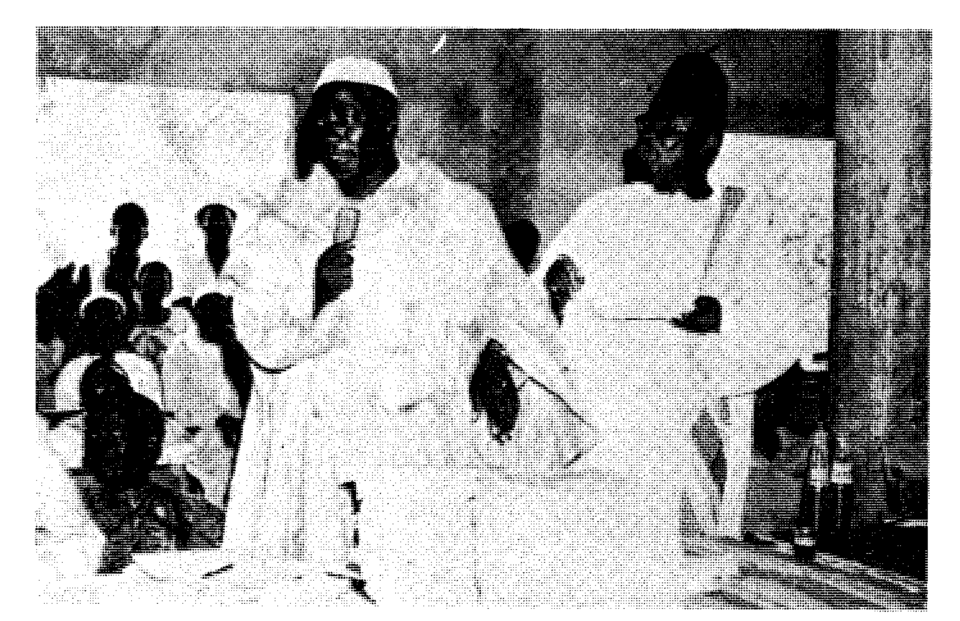

سنزورها متعاونة مع جمعيته . وكنا نحن أعضاء الوفد الثلاثة معه في هذه السيارة المستأجرة من طراز فرنسي ذي ثلاث مراتب .

تحركت السيارة من فندقنا (ادونيس) في وسط العاصمة في الساعة العاشرة ومررنا في ميدان قد توسطته شرطية واقفة بلباسها الرسمي تسير مرور السيارات ذات اليمين وذات اليسار إضافة إلى الاتجاه إلى الأمام . وكان سروالها قصيرًا كما يكون سروال الشرطيين في البلاد الحارة إلَّا أنها لم تنس زينة رأسها إذ ضفرت شعرها ضفائر صغيرة جدًا بينها خطوط من الفراغ على شكل الحقل المحروث .

ومررنا بمحطة للمحروقات فأخذ الشيخ حطاب الذي هو في الوقت نفسه سائق السيارة أيضًا بما قيمته خمسون ريالاً من الوقود ، ولم تصنع شيئًا في خزان السيارة وذلك لغلاء وقود السيارات في هذه البلاد .

الجـــذور :

الجذور هو عنوان كتاب من الكتب الشهيرة الذي هزت العالم الغربي في الولايات المتحدة الأمريكية واشتهرت في العالم كله ليس لكونها كتابًا جديًا فحسب وإنما لكونها أصبحت شريطًا سينمائيًا بهذا العنوان عُرض طويلاً في مختلف الولايات المتحدة الأمريكية وفي العالم كله حتى إنه عرضت منه حلقات في تليفزيون المملكة العربية السعودية .

وهو يحكي قصة من قصص العبيد من الإفريقيين الذين أصبحوا يعرفون الآن في الولايات المتحدة بالزنوج الأمريكيين . وكيف كان النخاسون من البيض الذين يجلبون العبيد إلى أمريكا ينهبون هؤلاء القوم ثم يعذبونهم ، ويفرقون بين المرء وزوجه وبين الولد ووالده فضلاً عن تفريقهم بين القريب وقريبه .

وعندما مررنا في إحدى ضواحي بانجول نريد الخروج إلى جهة الغرب أشار مرافقنا الشيخ حطاب قائلاً : هنا بعض المراكب التي يذهب بها السياح ليروا

بعض الأماكن التي استوحى منها كاتب (الجذور) كتابه وتقع على بعد ٧٠ كيلا إلى الشمال من العاصمة على ساحل البحر وهناك آثار تجمع العبيد ، وتسخيرهم قبل شحنهم بالمراكب إلى أمريكا .

وكان الكاتب قد جاء إلى هذه البلاد من الولايات المتحدة بحثًا عن أسرته الأصلية هنا فأقام في غامبيا ثمان سنوات وهو يدرس أحوالها ويتعرف عليها حتى تعرف على أصله وأسرته بعد أن تعلم لغة الماندنكا وكان يجول على القرى أحيانًا على قدميه . وقد شكت السلطات في أمره عدة مرات ، وحققت معه ثم كانت تطلق سراحه .

وكان تعرفه على أصله وأسرته بعد مضي ما يقرب من ثلثمائة سنة تقريبًا على نهب أجداده من هذه البلاد واسترقاقهم في أمريكا .

وقالوا : إنه تعرف على بعض الأسر في منطقة (كيا) في غامبيا ، ومن هناك استدل بعد عناء ومشقة على أسرته .

في سوكت :

وقفت السيارة في بلدة (سوكت) لمشاهدة مدرسة هناك كتب عليها بالعربية لافتة تقول : (مدرسة دائرة الشباب المسلم الإسلامية والعربية التابعة لجمعية التضامن الإسلامي لغرب إفريقية فرع سوكت) .

وهي مدرسة مظهر بنائها سيء إلا أن مخبرها الذي حدثونا عنه مشرق جميل إذْ وجدنا فيها أطفالاً صغاراً من بنين وبنات يتعلمون وقد أخبرونا أنهم ليسوا وحدهم الذين يتلقون العلم فيها ، وإنما يدرس فيها بعض الكبار في المساء وفي الليل يأتي بعض الشبان العاملين يتلقون العلم بعد الفراغ من عملهم ، وفي المساء تأتي النساء ليزددن معرفة بدينهن .

كان من الذين استقبلونا فيها مدير فرع الجمعية (الحسن جات) وأحد

لافتة مدرسة سوكت

المدرسين واسمه (اسحق سيلا) . وقالوا : إن فيها خمسة مدرسين وإن متوسط راتب الواحد هو ٤٠ دلسًا في الشهر ويساوي ذلك ثمانين ريالاً سعوديًا تقريبًا .

وهو مبلغ ضئيل بالنسبة إلى غلاء المعيشة في هذه البلاد .

وبناء المدرسة من الطين المسقف بالصفيح وغرفها ضيقة إلا أن في فنائها الذي هو غير واسع أيضًا شجرة ضخمة من أشجار العمبة (المانقو) قد ظلته حتى أصبح منها كأنه تحت قبة سميكة السقف .

وتظاهرها شجرة من اشجار البرتقال البالغة الضخامة التي لم أَرَ لها مثيلاً فيما رأيته من البلاد في جميع أنحاء العالم ويكفي أن تعرف أن لها جذعًا ضخمًا يرفعها عن الأرض كما يرفع جذع شجرة (المانقو) اغصانها عن الأرض ولا يكاد الشخص يستطيع أن يضم على جذعها بيديه إذا مدهما وأدارهما عليه ، ومع ذلك تراها محملة بثمار البرتقال الذي نضج أكثره بحسب ما اعتادوا عليه

وهو أن يقطفوا ثمار البرتقال وهو لايزال اخضر.

ولما ابديت عجبي من هذه الشجرة الكبيرة من أشجار البرتقال أرونا غيرها مثلها في بيت مقابل للمدرسة وثانية وثالثة وهي كلها شاهقة الارتفاع كثة الفروع كثيرة الاغصان مرتفعة عن الأرض حتى لا يستطيع الشخص أن يقطف منها الثمر إلا بعد أن يصعد إليها من جذعها الكبير وأن يكون في يده عصا طويلة ذات طرف معكوف.

لقد التف علينا مدرسو المدرسة وطائفة من أعضاء الجمعية من سائر الناس فكانوا يصافحون في ود غامر، وعلى وجوههم من الفرح والسرور ما لا يستطيع القلم أن يعبر عنه.

وهي عواطف تسعدنا لكونها صادقة وغامرة.

وأبدى بعض الدارسين هنا إعجابهم الشديد لسماعهم اللغة العربية من إخوانهم العرب فكأنهم كانوا في علم نظري فيما مضى من أمرهم، وأما الآن فقد سمعوا التطبيق العملي للحديث بالعربية من إخوانهم العرب.

وكنت أثناء ذلك أتأمل وجوه الأطفال والطلاب الذين في المدرسة فأرى علامات الصحة والعافية بادية عليهم. والتغذية الكاملة هي الموجودة في مظاهرهم، وقد لاحظت عيونهم خاصة فلم أجد في واحدة منها أثرًا من آثار أمراض العيون التي قد توجد في البلاد المتخلفة، ولا رأيت فيها قذى من القذى الذي يكون في عيون أطفال أمثال أولئك القرويين من الناس في العادة.

وتركنا بلدة (سوكت) قاصدين:

توابـــو:

ومررنا ببيوت إفريقية خالصة مبنية من الطين ومسقفة بالصاج أو القش

بيوت في ريف غامبيا.

أحواشها حيطانها من الأعواد المصفوفة غير المنسقة وأحيانًا تكون من القش .

وأمعنا في ريف ذى حشائش وحشية صفراء تتناثر فيه أشجار نخيل الزيت وليس فيه زراعة حقلية ، ولا نباتات مثمرة كالموز مثلاً .

وقال لنا الشيخ حطاب : إن ذلك هو بسبب الجفاف وأن هذه الأراضي كلها تصبح صالحة لزراعة الفول السوداني المحصول الرئيسي الذي يعد للتصدير إلى الخارج ويجلب طائفة كبيرة من العملة الصعبة . كما يزرع فيه الدخن إذا جاء المطر كذلك .

وكان السير في طريق غير مسفلت بل غير معبد وإنما هو طريق ترابي جاف كبعض طرق الصحراء في بلادنا من حيث الجفاف حتى أن السيارة تكاد تغرز فيه لولا أن سائقها الشيخ حطاب كان قد مرن على السير على مثل هذه الطرق الترابية التي لا يعدم الراكب فيها مطبًا في ظهره ، أو غبارًا في خيشومه . وذلك

أمر كنا قد تعودناه في بلادنا ثم نسيناه منذ وقت فيما نسيناه من أمور حالت دونها أحوال أنعم منها وأحسن .

ووقفنا عند المدرسة الإسلامية في (توابو) وكان الأهالي من الشيوخ وكبار السن قد تجمعوا فهم يحيون ويصافحون والبنات الصغيرات ينشدن نشيدًا ترحيبًا قصيرًا بالعربية أجمل ما فيه الحاء التي انقلبت على ألسنتهن هاء واللام المفخمة في بعض المواضع في العربية صارت مرققة في كل المواضع في لفظهن .

ومنظرهن وهن جميعًا من لون واحد ومن أعمار متقاربة أعلاها الحادية عشرة وادناها السابعة والبياض الذي يبرق من اسنانهن واطراف عيونهن ، والشعيرات في رؤوسهن التي طأطأت رؤوسها واضربت عن النمو . وشفاههن الممتلئة التي يغلبها الفضول فتحاول أن تتقدم باقي الوجه .

إلى جانب منظر الشيوخ الذين فرحوا بنا أكثر مما يفرح بنا أهلنا وقد أخذوا زينتهم من الثياب التي أهم ما فيها وأنفس أنواعها أن تكون ثيابًا عربية من غطاء الرأس الأحمر (الشماغ) أو الغترة البيضاء التي إذا لم يلبسوها وضعوها على الكتفين .

وأما القميص العربي الطويل فإنه هنا في هذه البلاد كلها ليس بالغريب ، إلا أنه أحيانًا يصيبه التمدد والاسترخاء فيصبح على اجسام إخوتنا هؤلاء فضفاضًا يسمح لنسمات المحيط البليلة أن تصافح الجسم داخله دون حجاب .

الوسائل الناقصة :

مع هذه المظاهر الإسلامية بل هذه التظاهرات الإسلامية في العواطف والأفعال كانت وسائلهم إلى التعليم الإسلامي ضعيفة جدًا بل ناقصة جدًا .

فقد أرونا المدرسة فإذا بها ذات جدران طينية غير متقنة يعلوها سقف من

الصاج الرديء .

أما بابها فإنه يتناسب مع ذلك ولا يتنافر معه إنه حصير غير متقن الصنع أيضًا ، إنه الحصير يزيحه الداخل بيده لأنه مربوط بالجدار من إحدى النواحي فإذا دخل تركه فعاد إلى إغلاق فتحة الباب .

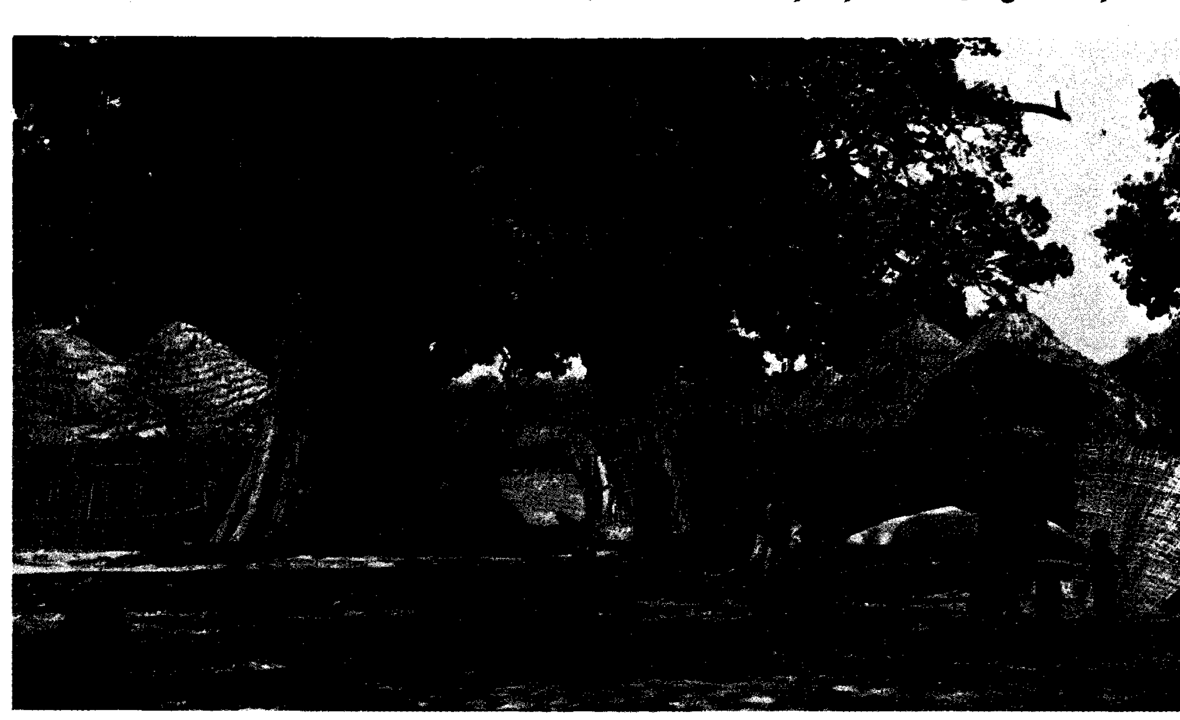

نماذج من البيوت التقليدية المبنية من الأعواد والحصر بجانب الأشجار الضخمة في ريف غامبيا.

وأما المقاعد التي يجلس عليها الطلاب فإنها من ذلك النوع أيضًا إذ هي كسر من لبن الأسمنت الذي لا يصلح للبناء لأن اللبنة الكاملة لا يستطيعون الحصول عليها ، وتكون تلك الكسرة متنافرة الأقسام ، غير متناسبة الزوايا فيجد الجالس عليها من العناء ما لا يجده الجالس على لبنة كاملة .

إن هذا أمر محزن : إذْ كيف يصير إخواننا المسلمون هنا على أمر مثل هذا في وقت ينفق فيه إخوانهم المسلمون في الخارج من الأموال التي منحهم الله

إياها ما يكون أحيانًا في غير محله .

ومع هذا كله فإنهم أخبرونا أن الدراسة في هذه المدرسة الرديئة المظهر غير المريحة يكون على ثلاث دفعات حسب فراغ الدارسين وبسبب ضيق المكان .

ولا يظن ظان أن الدراسة هنا كالدراسة النظامية ، وإنما هي كالدراسة في الكتاتيب التي يتفقه فيها المرء في دينه حسب استعداده ودرجة تحصيله .

ولكن ذلك لا ينقص من قدرها ، ولا ينبغي أن يغض من شأنها . ذلك بأنها تكاد تكون هي الدراسة الإسلامية الوحيدة فهي وأمثالها التي كانت سببًا في حفظ الثقافة الإسلامية من الضياع في الماضي ، وهي تؤدي في الحاضر دورًا مهمًا ، وتتغلغل في القرى والأماكن البعيدة وهي بقلة تكاليفها المادية والمالية سهلة الإنتشار .

وبعد هذا الاطلاع المحزن الذي لا يخلو حزنه من سرور مبعثه أننا تحققنا من صبر هؤلاء الأخوة ومصابرتهم في تعليم أمور دينهم رغم ضعف الوسائل المادية . كان هناك اجتماع مع الأهالي في ظل شجرة كبيرة كانوا قد وضعوا تحتها عدة كراسٍ أجلسونا عليها مع علية القوم أما البقية فإنهم واقفون وفيهم شيوخ طاعنون في السن وشبان يظهر عليهم أنهم ممن حصلوا على قسط من التعليم المدني والثقافة العصرية.

فتكلم الحاج موسى ماني رئيس فرِع الجمعية في هذه القرية وقال إنهم قد حصلوا على قطعة أرض من زعيم القبيلة في هذه الناحية وأنهم الآن يبنون عليها بناء أحسن من هذه وأنهم سيطلعوننا عليها بعد ذلك .

وزعيم القبيلة هو من قبيلة (ماندنكا) التي لها الأغلبية في هذه المنطقة .

وقد ألقى رئيس الفرع كلمة تفيض بالابتهاج . قال فيها : إن هذه الفرصة الثمينة بلْ هذه الغنيمة هي أمر أدركه حظنا الحسن ولم يحصل لأسلافنا

من قبل . فاسلافنا كانوا يشتاقون إلى رؤية المسلمين من سكان الحرمين الشريفين ولا يحصل ذلك الشرف إلاَّ لمن استطاعوا منهم أن يذهبوا حجاجًا إلى هناك وذلك لا يتيسر إلا لقلة منهم . أما نحن فإن هذا الحظ الحسن قد جاء إلينا في قريتنا فحمدًا لله على ذلك وشكرًا لكم على هذه الفرصة الطيبة .

ثم قال مشيرًا إلى وجود زميلنا في الوفد الشيخ عبد العزيز الربيعان الذي هو إمام في مسجد قباء في المدينة المنورة : إنه أيضًا كان من الحظ الحسن للحاج وزائر المدينة المنورة أن يصلي ركعتين في مسجد قباء وأما الآن فإن إمام مسجد قباء بنفسه بيننا . فرد عليه الشيخ عبد العزيز بكلمة مناسبة .

مظاهرة في شوارع القرية :

بعد أن انفض هذا الاجتماع أخبرونا أن الأرض في ناحية قريبة من القرية فركب زميلاي في السيارة واخترت أن أسير في شوارع القرية فكنت أسير بلباسي العربي ومعي إخواني المسلمون من جميع الأعمار الذين اعتبروا زيارتنا فرصة قلما يسمح الدهر بتكرارها . مع أنهم لم يسمعوا شيئًا عن مساعدات مادية أو ثقافية . وإنما اعتبروا أن مجرد وجود إخوانهم معهم هو في حد ذاته مغنم عظيم .

وكان السير في شوارع القرية المتربة التي تثير أقدام هذا الحشد من الناس ثائرة التراب بعيد العهد بالمطر من تحت أقدامهم فتطلب ملجأ لها في الأنوف والعيون ولكنني أحس بها كالذرور الشافي باذن الله .

كان يسير معي ممن يتحدثون العربية الأستاذ محمد إبراهيم جادهي سكرتير لجنة المدرسة ومن المدرسين فيها ، والأخ موسى سيسي .

وكانت المظاهرة كلما توغلت في شارع القرية انضم إليها منظمون جدد حتى دجاج القرية لم يكن يظل جامدًا بل إنه يتحرك فيخيل إليَّ أنه ينضم إلى

المظاهرة أيضًا . وأما الأطفال الذين لم يكونوا في المدرسة فإنهم أيضًا يكثرون سواد هؤلاء السائرين في هذه المظاهرة مع أخيهم القادم من المملكة العربية السعودية التي فيها الديار الإسلامية المقدسة .

وليس المراد بتكثير سوادهم تكثير سواد لونهم. وإنما المراد تكثير جمعهم وشموله مختلف الأعمار .

ومررنا بشجرة لها طلع غريب لم أشاهده من قبل فهو في حجم كرة القدم الكبيرة وفي هيئتها ، فسألت عنه مرافقي فلم تسعفهم عربيتهم إلا بقولهم : إنها شجرة الإناء بمعنى أن هذه الثمرة تستعمل بمثابة الإناء .

وسألتهم عن نسبة المسلمين في هذه القرية فكأنهم استنكروا السؤال وقالوا : إنهم كلهم مسلمون ولا يوجد بينهم إلا ١ ٪ أو إثنان في المائة من المسيحيين .

ووصل الجميع إلى سوق القرية وهو جزء من شارعها العام فإذا فيه (بسطات) قليلة لعدد قليل من النساء تشبه بسطات نساء التكارنة في الحجاز .

وحتى الحوانيت القليلة في هذا السوق رأينا البائعات فيها من النساء .

المسجد أحسن بنـاء :

ورأيت المسجد ودخلته ولم ألبث فيه لأن إخوتي ينتظرون مع بعض أهل القرية في الأرض الجديدة المعدة للمدرسة فرأيته حسن البناء ، جميل الطلاء ، أبيض لا يخالط بياضه إلا قليل من اللون الأزرق في حواشيه .

وهو قوي البناء ، قد بني بلبن الأسمنت الجيد ، وسقف بالصاج الجيد أيضًا ، وله منارة غير مرتفعة ، ولكنها جميلة .

فتلفت أقارن ما بين بنائه وبين البيوت في القرية فوجدته أحسن بناء موجود في القرية على الاطلاق فعرفت أن القوم قد آثروا المسجد على بيوتهم بهذه

العناية وما كان قد لزم لها من نفقة ، ذلك بأنهم ولا بد قد تعبوا حتى جمعوا له ما بني به من مال ومن مواد فالحكومة لا تبني المساجد ، والمتبرعون من الخارج لا تصل تبرعاتهم إلى هذه الأماكن الريفية التي لا يعتبرونها مهمة .

وبيوت القرية كلها مبنية بالطين ومسقفة بالصاج أو القش ، وهي كلها ذات أحواش إلا أن حيطان أحواشها ليست بشيء من ذلك وإنما هي من الأعواد المتلاصقة أو من القش.

ووجدنا إخواننا في الأرض الجديدة المعدة للمدرسة وقد قام فيها بناء من الطين ، مؤلف من خمس من الغرف ، في صف واحد وقالوا إنهم بعد الطين يطلون الحيطان بالجص ويسقفونها بالصاج فتصبح بناء جيدًا من بين أنواع البناء عندهم .

أما الأرض فإنها واسعة وفيها أشجار ضخمة جدًا من أشجار العمبة (المانقو) التي بدأ طلعها الجديد في أوله صغيرًا لا يكاد يميز . وقد عاذ معظم الموجودين بظلال هذه الأشجار الكثيفة من هذه الشمس الاستوائية الحارة وإن كانت حرارتها لا تقارن بحرارة الشمس في بلادنا التي هي بعيدة عن خط الاستواء ، وذلك لأن أبخرة مياه المحيط تلطف من حرارة الشمس وإن لم تكثف الرطوبة المؤذية .

وإلى جانب هذه الأشجار الضخمة من العمبة (المانقو) كانت هناك أشجار ضخمة من أشجار البرتقال المعروفة في هذه البلاد وسألتهم قائلاً :

من أين تشرب هذه الأشجار ؟

فأجابوا إنها تشرب بعروقها من الأرض فالماء في سطح الأرض غير موجود بسبب الجفاف والناس أضعف في الإمكانات من أن يستطيعوا الحصول على آبار ارتوازية تسقي أشجارهم وتزرع لهم أرضهم في زمن الجفاف .

وكان الوداع الحافل لأهل هذه القرية من ريف (غامبيا) على ساحل المحيط الأطلسي هو دعاء تلاه زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق وتابعه الجميع بالتأمين وهم متأثرون وللإستجابة مؤملون .

في أعماق الريف الغامبي :

سارت السيارة مع طريق ترابي أيضًا ما لبث أن أفضى إلى طريق معبد ولكنه غير مسفلت وإنما وضعوا عليه حجارة حمراء رخوة كالطين الصلب كانوا قد جاؤا بها من مكان بعيد لأنه لا توجد جبال قريبة من العاصمة .

وقال الشيخ حطاب : إن هذا الطريق متعب قليلاً ، وكان مزعجًا بالفعل إذْ يتطاير الغبار الأحمر الذي تثيره سيارتنا فيدخل إلى داخلها دون استئذان ولا يخرج إلا بعد أن يصافح الثياب والابدان . واصطبغت بعض الثياب البيض بالحمرة منه ، وكنا قد أظهرنا أي : دخلنا في وقت الظهر فلم يكن من السهل والشمس حارة أن نغلق زجاج السيارة كله .

وكان الريف الذي نسير فيه خاليًا من المزروعات وإنما هي الحشائش الكثيفة الجافة ، وأشجار كثيرة من شجر الدوم الذي نعهده في بلادنا ليس له من الثمر إلا المقل قال الشيخ حطاب : إن له ثمرًا نافعًا هنا بالإضافة إلى كون خشبه نافعًا تسقف به البيوت .

ومع أشجار الدوم كانت هناك أشجار أخرى ليست بعيدة من الدوم والنارجيل بل هي بينهما في الشكل ويسمونها في الهند (تار) ويستخرجون منها هناك وجلهم من الكفار خمرًا وقال رفقاؤنا : إنها أيضًا قد يستخرج منها هنا الخمر .

قرية جانبــور :

وقطع الطريق المعبد المغبر أسفلت أسود ناعم ففرحت بذلك ظنًا مني أن

الغبار ينتهي ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك وإنما هي عادة رأيناها في عدد من القرى هنا هي أن الطريق غير المسفلت عندما يوشك على الدخول في القرية يسفلتونه ويمتد كذلك مسفلتًا مادام داخلها في شارع عام واحد حتى إذا فارقها انقطع الاسفلت وعاد الطريق سيرته الأولى مغبرًا خشنًا .

وقفنا في ميدان يتوسط القرية التي هي إفريقية خالصة في مظهرها ومخبرها

ذات بيوت ريفية من الطين والقش أو من القش والصفيح اكثر البيوت فيها هرمية الشكل على مثال البيوت الإفريقية القديمة وهي ذات أحواش حيطانها من الأعواد أو الأخشاب الخشنة وتحيط بهذا الميدان الأكواخ من كل الجهات وتتوسطه بئر مطوية بالأسمنت بعيدة القعر أظن أن قعرها يبلغ ثلاثين مترًا ، وعجبت من هذا البعد الشديد لماء الشرب على رغم كون المطر كان وفيرًا ذا فصل طويل .

بئر في غامبيا تستقي منه النساء

وهذه البئر تستعمل لماء الشرب وينتفع منها أهل القرية لهذا الغرض .

وفي الركن الشمالي الشرقي من هذا الميدان يوجد مسجد القرية وهو ذو محراب واسع على عادتهم في جعل المحراب واسعًا جدًّا . سألت الشيخ حطاب شريف عن السبب في ذلك فأجاب بجواب لم يقنعني وهو قوله : إن هذا من أجل توسعة المكان للإمام لأن له مكانة كبيرة في نفوسهم ، وفي هذا المحراب ثلاث نوافذ وليست نافذة واحدة كالتي رأيناها أمس في محراب (سيركندا).

الطبل ويده في المسجد :

رأينا في هذا المسجد أشياء مميزة من أظهرها طبل كبير موضوع في ركن منه ، وبجانبه ثلاثة مضارب له أي للطبل وهي شبيهة بالعصي الغليظة غير أنها من الجلد المحشو بالحشيش اليابس .

وقال الشيخ حطاب عندما سألناه عن الغرض من وجود هذا الطبل في المسجد : إن الغرض منه هو أن يكون بمثابة الدعوة إلى الاجتماع إذا حصل أمر هام يستدعي ذلك مثل حصول حريق أو الحاجة إلى اجتماع عام.

فقلت له : إذًا لن أجرب قرعه إذْ أنني أخشى أن ينفر إلينا أهل القرية إذا سمعوه .

وفي محراب هذا المسجد بقايا شمعة توقد في الليل لأنه لا توجد كهرباء في القرية بل في المنطقة . ومحارتان كبيرتان هما بمثابة سلتين للمهملات ولكننا وجدنا في كل واحدة منها عددًا كثيرًا من الودع الصغير ، ولم نعرف الغرض من ذلك .

وهناك منبر ذو درجتين يخطب عليه إمام المسجد خطبة الجمعة وفوقه عصا غليظة جدًا يستعملها في الخطبة ، وقد لفوها بلفافة من القماش أخفت شكلها .

ولم نجد في المسجد أحدًا رغم أن الشيخ أخبرنا أن جمعية المدرسة تجتمع فيه . وقال إنهم استبطأونا فخرجوا .

والمسجد مبني بلبن الإسمنت مسقف بالصاج على شكل السنام وهو ليس جيد المظهر في البناء إلا أنه أحسن من غيره من البيوت والمنازل .

وعلى المسجد لافتة مكتوبة بالعربية قالوا لنا : إن الغرض منها ليس مجرد قراءتها ولكن وجود الكتابة العربية هو في حد ذاته بمثابة التعريف بطبيعة هذا المحل .

واجلت بصري في هذا الميدان فرأيت صورًا إفريقية خالصة من ذلك امرأة قد حملت طفلها خلف ظهرها كالمعتاد غير أن الذي ليس معتادًا أن ظهرها كان عاريًا تمامًا ، وبعض الشياه البيض التي لا أليات لها ، وكلب مكسور الرجل ويسير على ثلاث ، وكانت الشمس قد اشتدت حرارتها لأن الساعة قد

أصبحت الواحدة .

وجاء أحد الأشخاص فإذا به مدرس في المدرسة الإسلامية التي هي الكُتّاب الصغير لهذه القرية فقادنا إلى مكان مجاور للمسجد .

وقال : إن هذا المكان هو هبة من شخص واحد ابتغى بذلك وجه الله واسمه ـ أي واهب المكان ـ (سليمان بوجا) وقال : إننا نعلم الأطفال في الصباح ونعلم ربات البيوت في المساء . ولدينا الآن ٦٠ دارسة في الليل . أما الكبار من الرجال فإنه لا علم لنا بينهم الآن .

والمكان سيء البناء مثل أكثر الأبنية هنا .. أو هو كذلك بمقاييسنا وما نراه من ظاهر أمره . وبينما كنا نتفقد المكان لاحظت مجموعة من البيوت المتجاورة وإن كانت متفرقة ، إلا أنها يجمعها حوش واحد من الأعواد فسألت عن السبب في ذلك فقالوا : إنها تكون في العادة لأسرة واحدة مثلاً .

وفارقنا قرية (جانبور) آسفين على عدم الاجتماع بأهلها من اخواننا المسلمين عائدين إلى السير في ريف ذي طريق ترابي .

وقد أصبحت النباتات والحشائش شبه الجافة فيه أكثر كثافة ، ولذلك قطع الطريق أمامنا أكثر من مرة عدد من القرود .

وكما أصبح الغبار أكثر نعومة . وأكثر أيضًا تطفلاً على داخل سيارتنا ، حتى وصلنا :

جانبا نجـلى :

فوقفنا عند باب مدرستها التي هي كلها من القش جدرانها ـ إن صح هذا التعبير ـ وسقفها ، فهي ليست كسابقاتها مبنية بالطين ومسقفة بالصاج ، وإنما هي كلها كالعشة ، و(أثاث) المدرسة أيضًا مثل ذلك وإن كان من مادة مغايرة فقد جاؤوا بلبن من لبن الأسمنت غير الصالح للبناء على هيئة صف ووضعوا

مدرسة القش في جانبا نجلي في غامبيا

عليها (جنازير) خفيفة مخرقة ، وكنا نستعملها قبل سنين فنضعها أسفل عجلات السيارات عندما تغرز في الرمال . وقالوا لنا : إن الانكليز كانوا أحضروها لتهبط عليها الطائرات في الماضي . وقابلنا مدرسًا في المدرسة اسمه (الغوث سيدي كان) قال إن عدد المدرسين فيها ٣ والطلاب ١٧٠ وإن عددًا من الكبار من رجال ونساء يتعلمون فيها في الليل .

وفي هذه (العشة) سبورة فيها نص بالعربية بخط يقرب من المغربي ، وليس فيها من طلابها أحد .

وبجانب المدرسة سوق محلي صغير تحت مظلة من الصفيح ، رأينا من معروضاته صابونًا أسود اللون ، رخو الملمس من صنع محلي ، ومقادير قليلة من الفلفل الحار ، وشيئًا من الطماطم غير الجيدة ، وحلوى مغطاة بغطاء من اللدائن نظيف . وقليلاً من الملح الذي له مكانته في هذه البلاد ، وحزمة

حطب للوقود وعددًا من البصل الأخضر أي بورقه ، ورؤوسًا من البامية على هيئة مجموعات كل مجموعة من ثلاثة أو أربعة أصابع وهي كبيرة الحجم مما نعتبره غير صالح للأكل في بلادنا .

أما السمك المدخن فإنه عدة أنواع معروضة للبيع تسبق رائحتها إلى أنفك منظرها في عينك .

وأكثر الباعة في هذا السوق الصغير من النساء وقد تلطفت واحدة منهن فقالت وهي تغالب الحياء بالعربية : كيف حالك ؟ ثم غلبها الضحك فانفجرت تضحك وهي تخفي وجهها بيديها وتبتعد .

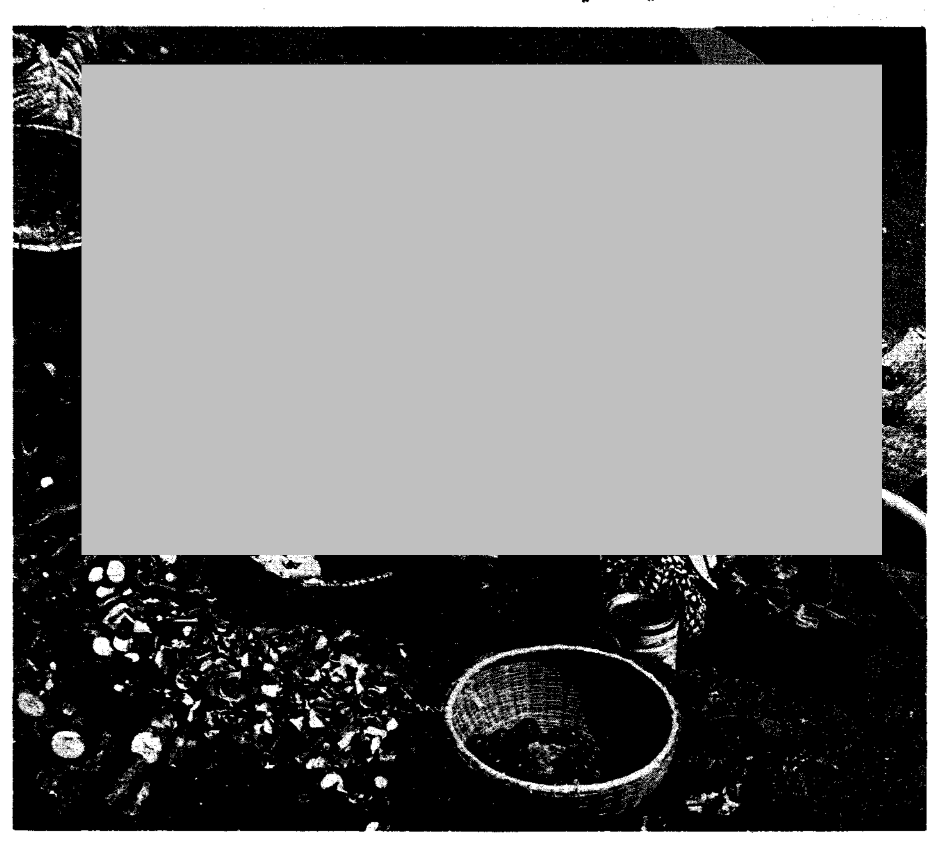

بائعة في سوق شعبي

وهناك في ناحية غير بعيدة حانوت فيه بضائع راقية غالية نوعًا ما يملكه موريتانيون رأيت منهم شابين اثنين فيه يتكلمان العربية بفصاحة فسألتهما : ألم تؤثر الإقامة في هذه البلاد على لغتكما العربية ؟ فقالا : إن أهلنا بعثونا ونحن صغار إلى موريتانيا للدراسة . وسألتهما عن التعامل مع هؤلاء الإخوة الإفريقيين ؟ فقالا : إنه ليس فيه أي شيء من المشكلات .

الموريتانيون في غامبيـا :

وبهذه المناسبة أذكر أنني كنت قد سألت طائفة ممن أثق بهم من أهل هذه البلاد عن العرب المقيمين فيها فقالوا : إنهم اللبنانيون في الدرجة الأولى وهم تجار كبار معظمهم من المسيحيين ومن أهل الشيعة ، وإنهم يبتعدون عن الاختلاط بالأهالي إلا للحاجة .

وأما الموريتانيون فإنه يوجد عدد لا بأس به منهم في هذه البلاد بعضهم يقول إنه يصل إلى أربعين ألفًا ويشتغلون بالتجارة أيضًا إلا أنهم مثلما يكونون في المدن يكونون في القرى والأرياف يفتحون الحانوت ، ويتفرغون للعمل فيه حتى ربما كان ذلك الحانوت في القرية هو كل شيء للتاجر حتى يكون له بمثابة المسكن .

وسألتهم عن مساهمتهم في إعانة الدعوة الإسلامية ؟

فقالوا : إن اشتغالهم بالتجارة يستغرق كل أوقاتهم في الغالب .

وبعد الحديث مع هذا التاجر الموريتاني عدنا إلى حيث موقف السيارة قرب المدرسة فتجمع أهالي القرية وفيهم شيخ عليه عباءة سعودية (مشلح) سألته من أين حصل عليه ؟ فأجاب : من مكة المكرمة ، ولفت نظري رجل قد علق في عنقه ما يشبه القلادة في أسفلها ثلاث حقائب صغيرة تشبه الأحراز أو التمائم . فسألت الشيخ حطاب عنه عندما تحركنا ؟

فقال : هذا لا أحبه ، إنه ساحر ، إنه من السحرة . فأسفت على كوننا فارقنا القرية قبل أن نعرف شيئًا من أمره ، وإن كنا لا نؤمن بسحره ، إذْ يقول الشيخ حطاب إنه يكسب أكثر ما يكسبه من النسوة اللاتي يأتين إليه يسألنه عن أمور غيبية قادمة أو أشياء عنهن خفية فيستغل عواطفهن . ويأخذ نقودهن .

من جانبا نجلي إلى كنجـور :

وكنجور لها علاقة وثيقة برفقاء هذه الرحلة فهي بلدة أخينا ومرافقنا الشيخ (حطاب شريف) .

إستأنفنا السير في هذا الطريق الريفي الترابي في مناظر لا تختلف كثيرًا عما سبقها ، وإن كانت أكثر قربًا من ساحل المحيط . ولكن المنطقة تعيش فترة من الجفاف .

ومررنا بأرض قال لنا الشيخ حطاب إن هذه الأرض يملكها والده وانها تزرع بالفول السوداني والدخن إذا سقط المطر .

وكما كان الأمر في القرى السابقة وصلنا على مشارفها إلى طريق اسفلتي عرفنا بعد ذلك أن فرحتنا به لن تطول لأن حدوده لا تتعدى حدود القرية يرجع الطريق بعدها إلى سابق عهده ترابيًا .

وكانت المناظر في مشارف قرية (كنجور) هي المناظر القروية المعتادة : كمنظر رجل يحمل على رأسه حزمة حطب ، ونسوة يحملن أمتعة فوق رؤوسهن .

في بلدة كنجـور :

وتبعد عن العاصمة (بانجول) حوالي ٧١ كيلا جهة الغرب وتقع غير بعيدة عن المحيط ومع ذلك لا أثر لرطوبة البحر في هوائها .

ودخل الأخ حطاب بالسيارة إلى حوش فيه مجموعة من البيوت أشار إلى أحدها وقال وهو يوقف السيارة : هذا بيتي .

دخلنا إلى البيت ولم نكد ندخل حتى وجدنا بيتًا نظيف الأثاث مجهزًا بأكثر ما يلزم البيوت المدنية المريحة من مقاعد خشبية ذات حشايا لينة ، وسرير للنوم يتسع لشخصين وخزانة كبيرة فيها تحف وأكواب مع أوانٍ أخرى من الخزف وفي الغرفة التي هي غرفة الاستقبال أو غرفة الجلوس وفي الوقت نفسه هي أول ما تطؤه قدم الداخل إلى البيت من الخارج فهي تفضي إلى الخارج إلا أنها مرفوعة عن الأرض باربع درجات مثل سائر البيت .

وفيها نوافذ في اتجاهين عليها ستائر نظيفة . وعلى الحيطان بعض المناظر البهيجة .

وأشار الأخ حطاب إلى بيوت أخرى يقول : هذه بيوت بقية الأقربين من الأسرة .

وكانت تحية الجلوس أنواعًا من الأشربة الغازية المعتادة من الكولا والفانتا كان بنا لها حاجة شديدة .

وبعدها جاء بعض أقاربه بالبرتقال مقشرًا وضعوه أمامنا . ثم جاؤا بثمار الباباي مقشرًا أيضًا معدًّا للأكل قال الشيخ حطاب : إنه من أرضنا ، إننا لم نشتره .

وكان نوعه جيدًا ، وطعمه لذيذًا .

وعندما شربنا وطعمنا من هذه الفاكهة كان :

المقيل في ظل ظليل :

كان الشيخ حطاب قد قال لنا : إنكم ستقضون القيلولة في بيتي .

وقضينا جزءًا من القيلولة بالفعل في بيته النظيف المرتب ، وكان ظليلاً من بنائه وكيفية ترتيبه ، وكان ظليلاً أيضًا لأنه يقع تحت أشجار ذات ظل من العمبة (المانقو) وغيرها .

وبعد راحة قصيرة كانت لها لذة الإغفاءة الحلوة وإن لم تكن اغفاءة احضروا الغداء على مائدة خشبية صقيلة في وسط الغرفة ، وقد أحضروه في إنائين كبيرين وأحضروا معهما عددًا من الأطباق الفارغة والملاعق .

وكان الغداء محليًا لذيذًا مؤلفًا من الأرز الذي أصله وفرعه من هذه المنطقة ، فهو مزروع في غامبيا ، وقد أكثروا فيه من زيت الفول السوداني الذي ينتجونه في أرضهم أيضًا ووضعوا معه لحم القماري الذي هو نوع من أنواع الحمام البري الكبير الموجود في بلادهم ، ويصطادونه في العادة من أماكن قرب المحيط الأطلسي .

وفي الإناء الكبير الآخر دجاج محلي أيضًا ودجاجهم كدجاجنا الأهلي القديم ، صغير الحجم ، وهو في مرق معه البصل وشيء من البهارات التي جعلته لذيذ الطعم ، وربما جعلته خفيف الهضم . ولم يجعلوا فيه من الفلفل الحار إلا قليلاً بمثابة البهار أو هو كان موجودًا مع البهار .

فأكلنا من هذا الطعام اللذيذ الذي لم يشاركنا في الأكل منه أحد حتى مضيفنا لم يأكل معنا حسب تقاليد الضيافة المحلية .

ولما دعوناه إلى الأكل معنا قال : إنه سيأكل مع طائفة من المدعوين رأيناهم خارج الغرفة يبلغ عددهم العشرين . وكلهم قد صنعوا لهم طعامًا .

وعندما حان وقت غسل الأيدي بعد الطعام جاءوا بإناء مليئ بالماء قد أسقطوا في أسفله قطعة من الصابون يفترضون أن يغسل الجميع أيديهم منه بدفع اليد فيه وتحريكها وسطه أو بمجرد لمس الصابونة فيه ، ولكننا رجوناهم أن يحضروا لنا ماء نغسل به أيدينا ينفرد كل واحد بإمساك الصابونة حتى يفرغ

وجاؤا بالماء من بئر قريبة ، وهي المصدر الوحيد للماء عندهم سواء منه ما كان للشرب وما كان لبقية الاستعمالات ، وأما الزراعة فإن مصدرها الوحيد هو ماء المطر .

وكنا نغسل أيدينا بعد الطعام والمؤذن يردد النداء الحبيب : الله أكبر .. الله أكبر، بصوت مهذب رقيق الطبقة إفريقي المخارج .

وأم الجميع في الصلاة زميلنا الشيخ عبد العزيز الربيعان وكان المؤذن يبلغ خلفه مع أن الجمع ليس بكثير ، ولكن ربما كانت هذه عادة عندهم .

المركز الإسلامي في كنجـور :

بعد الغداء ذهبنا مع مضيفنا وضيوفه إلى زيارة المركز الإسلامي في هذه البلدة وهو في الوقت نفسه مقر فرع جمعية التضامن الإسلامي فيها .

وقد انضم إلينا عدد كبير من أهل القرية من سائر الأعمار .

كان المركز يقع في ميدان صغير فيه شجرة ضخمة من أشجار العمبة (المانجو) تحتها عدة (براميل) وبقايا رماد كثير . وقال الشيخ حطاب إنهم هنا يستخرجون الزيت من ثمار نخيل الزيت وإن ذلك يحتاج إلى طبخ ومعالجة .

ومبنى المركز هو بالطين فوقه الصاج على شكل سنام متقن .

وفي سائر السبورات فيه كتابة باللغة العربية من نصوص وأدعية ، وكذلك برنامج الدراسة الأسبوعي . ووجدنا عددًا من الطلبة وغرفة فيها عدد من النساء وقـد قالوا إنهن ممن يتعلمن في هذا المركز وأعتقد أنهن جمعن جمعًا لهذه المناسبة وأن وقت تعليمهن يكون في الليل كما اخبرونا عن ذلك في عدد من القرى .

وقد وضعوا عددًا قليلاً من الكراسي في قاعة رئيسية في البناء أسموها قاعة

الاجتماعات . وجلس في الناحية الأخرى عدد من شيوخ القوم وأعيانهم على ألواح من الخشب .

وكانت تقابلني وأنا جالس لافتة مكتوبة بخط عربي غير جيد تقول بالحرف الواحد (أهلاً وسهلاً بجميع المسلمين) .

وقد أصبح الجو في هذا الظهر حارًا وإن لم يكن بالغ الحرارة ولكن ذلك يشعر بغلبة طبيعة الجو الجاف .

وقد تكلم في هذا الاجتماع رئيس الفرع هذا أي فرع جمعية التضامن الإسلامي (عثمان جابو) وسكرتير الفرع (إسماعيل مانجا) فكان مجمل كلامهما إظهار السرور لهذه الزيارة وطلب التعاون والتضامن بين المسلمين وما يحتاجونه من المساعدة على أمور المدرسة والمركز بصفة خاصة وعلى أمور المسلمين بصفة عامة .

فرد عليهما زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق بكلمة مناسبة .

أول مسجد في غامبيا :

في مقدمة جمع حاشد من أهل القرية ذهبنا على الأقدام لمشاهدة أول مسجد أنشيء في هذه البلدة بل في جميع أنحاء غامبيا كما أخبرونا بذلك .

ولذلك كان للقرية قرية (كنجور) ماضٍ إسلامي مشهور حتى أنهم رفضوا أن تقام عندهم مدرسة مسيحية بل رفضوا فيما قالوه لنا أي مشروع يقوم عليه المسيحيون . وقالوا : إن المسيحيين عمدوا إلى فتح عدة مدارس وإقامة مشروعات في القرى القريبة من قريتهم بمثابة ضرب حصار حولهم ومن تلك القرية قرية سنذهب إليها بعد الانتهاء من قرية (كنجور) مباشرة .

هذا المسجد هو الجامع في هذه البلدة وقد كتب عليه تاريخ بنائه الجديد في عام ١٩٧٣ م وذكروا أنه كان قد احترق مرة وأنه في مرة أخرى قديمة كانت

عمارته قد آلت إلى السقوط بسبب طول الزمن فهدم وبني .

قرابة ماسة .. أو تاريخ مضبوط :

كنا في هذا الحديث واقفين أمام المسجد وإذا بشيخ يندفع في الكلام ، وبحماس ظاهر عجيب ولما ترجموا لنا كلامه وكان لايزال متحمسًا رغم أنه ساكت إذْ لاتزال عضلات وجهه تختلج قالوا إنه يقول : هذا المسجد قديم جدًا ، أكثر مما تتصورون ، لقد بني في السنة التي ولدت فيها أمي ، وأنا الآن في سن السبعين ، فتصوروا عظم قدمه .

فقلت لهم مداعبًا : قولوا له : إن هذه تعتبر قرابة ماسة لك بالمسجد ويجب أن تعتني بـه .

فأخرج ويده ترتجف من الحماس والتأثر منديلاً كان في جيبه قد عقد في طرفه مفتاحًا وقال وهو يرفعه أمام وجهي : ها هو. إن مفتاح المسجد معي ، إنني أعنى به عناية كاملة .

وهنا وصل الأخ (سليمان دابو) وهو ذو مظهر مهيب وثياب خضر غالية . وعقلية متميزة فيما ظهر لي قالوا إنه محافظ المنطقة وعضو البرلمان ، وعلى رأسه طاقية ذات شكل هرمي مخطط بياضها بأزرق وأخضر. فقال : إن أجداده كانوا أول من وصل من المسلمين إلى هذه البلاد وإنهم الذين حاربوا أعداء الإسلام الذين أرادوا أن يمنعوهم من إقامة المسجد فأقاموا هذا المسجد وكان أول مسجد في كل أنحاء غامبيا .

أما بناء المسجد فإنه قوي جدًا بالنسبة إلى الأبنية الأخرى ذو أعمدة مربعة ضخمة تركبها سقوف خشبية من الدوم عليها خشب معترض ، وهو واسع المحراب على عادة أهل هذه البلاد في جعل المحراب واسعا جدًا .

وله ـ على صغره النسبي ـ عدة أبواب شارعة إلى أروقة تحيط به من

جهات ثلاث .

وعندما خرجت من داخل المسجد عدت إلى سؤال الأخ (سليمان دابو) عن الجهة التي جاء منها أجداده الأول الذين انشأوا هذا المسجد ؟

فأجاب : إنها جهة (ماندي) في مالي . و(ماندي) : اسم لمالي في لفظ بعض القبائل . وإنهم انطلقوا من هذا المكان إلى أماكن أخرى في غامبيا . وبين عواطف هؤلاء الأخوة التي هي عواطف محبة خالصة لوجه الله تعالى . كانت مغادرة بلدة (كنجور) .

وقد لمحت وأنا راكب شخصًا يشبه الساحر الذي رأيته في قرية (جانبا نجلي) قبل ذلك إلا أن هذا قد علق في رقبته مع ما علقه من حقائب جلدية صغيرة مرآة صغيرة قال لي الأخ الشيخ حطاب إنه يزعم للسذج والنساء أنه يرى الأشياء البعيدة والخفية في هذه المرآة الصغيرة .

إلى حدود السنغال :

تركنا بلدة (كنجور) متوجهين جهة الغرب الجنوبي مع طريق ريفي معتاد لا إسفلت فيه قاصدين بلدة (كارتون) الغامبية على حدود السنغال وتبعد أحد عشر كيلا من بلدة كنجور .

ومررنا بموضع هو أكثر أشجارًا من غيره إلا أنه يشارك سواه في الجفاف وقال الأخ حطاب : إن هذه غابات تركتها الحكومة لكي يشاهدها السياح على طبيعتها .

ولكن الشيء المفجع أننا رأينا آثار عدة حرائق فيها ، ورأينا واحدة لاتزال تشتعل فيها النار وليس حولها من يطفئها .

ووصلنا بلدة (كارتون) مع شارعها الرئيسي الذي فيه سوقها الصغير الفقير بمعروضاته وإن كان مليئًا بالحاجات الضرورية المحدودة اليومية لأهله مثل حزم

الحطب الذي يستعمل للوقود . وأكوام صغيرة من البرتقال الأخضر الذي يكثر في هذه البلاد . إلى جانب بعض الماعز السائبة التي أكثرها من النوع المنتشر في هذه المناطق وهو أبيض اللون ناصع البياض خلاف ألوان الناس ، وأقلها من النوع الأسود ـ قريب الشبه بالموجود في بلادنا .

ورأينا المركز الذي يراد به الكُتَّاب أو مدرسة الصغار ومكان تعليم الكبار في الليل فإذا به لا يختلف عن الأبنية الأخرى في هذه البلاد ، من الطين المسقف بالصاج .

والدارسون أو الطلاب يجلسون على الحصر ، وهناك عدد من جلود الضأن المدبوغة أخبرونا أنها تستعمل بمثابة سجاد الصلاة .

ومن هذا المركز خرجنا إلى منطقة الحدود فأشار الأخ الشيخ حطاب إلى بناء جيد المظهر محاط بحديقة قد أحاطت بها الزهور الأرجوانية اللون . وقال : هذا هو منزل القسيس الإنكليزي الذي أمضى في هذه المنطقة حتى الآن أكثر من ٣٠ سنة ليس له من عمل إلا خدمة دينه ، ومعاندة من يعملون على صد الهجمات الفكرية النصرانية .

وغير بعيد من منزله كانت هناك كنيسة مشرفة البناء زاهية المنظر ، وبجانبها قاعة للرقص أقاموها ليجتذبوا الأهالي إليهم بزعمهم .

ووقفنا عند الحدود وكان الوقت من الضيق بحيث لا يسمح لنا بأن ننفق منه كثيرًا في استجلاء المنطقة فقفلنا راجعين إلى وسط قرية (كارتون) وعدنا لرؤية المدرسة فإذا بها ليس فيها إلاَّ طلاب قليلو العدد ووجدنا المعلم فيها واسمه (عبدالله نيانج) وهو يتكلم العربية جيدًا قال إنه تعلمها في موريتانيا .

وقد ابتدأ الأطفال بنشيد عربي قصير يتضمن مديحًا نبويًا . ثم قرأ أحد الطلبة الصغار سورة البروج كاملة عن ظهر قلب وعمره ثمان سنوات . وقرأ طالب آخر حديث عمر بن الخطاب : (...إنما الأعمال بالنيات..الخ) حفظًا

وابتدأ بتفسيره باللغة المحلية فتركناه قبل أن يتمه قاصدين مسجد القرية وهو جيد المظهر جديد الطلاء متميز في الجودة عن بقية منازلها . وله محراب واسع فيه ـ مثل غيره من المساجد هنا ـ نافذة تفتح إلى جهة القبلة . وقابلنا إمامه فيه وقال إن اسمه (كنجورا ماني). واستأنفنا السير في طريق :

العودة إلى بانجـول :

وذلك في الرابعة والربع ظهرًا .

عدنا مع الطريق الذي جئنا منه أول الأمر وقد لاحظت أن مرور السيارات فيه قليل جدًا ، وهذا من لطف الله بنا إذْ مرت سيارة فجللت الأفق الذي نحن فيه بسحابة من غبار كثيف .

ثم تركنا الطريق الذي جئنا منه وهو الذي كان قد أوصلنا إلى بلدة (كنجور) آخذين ذات اليمين مع طريق آخر غير مسفلت أيضًا يسمى طريق (بريكاما) إضافة إلى بلدة كبيرة تسمى بهذا الاسم يمر بها هذا الطريق .

وكان الأحياء التي شاهدناها فيه عدا الريفيين الإفريقيين من رجال ونساء أعدادًا من الأبقار الكبيرة الحجم وعددًا من السناجيب التي كانت تتقافز إذا رأتنا ، وقردًا أو قردين وسألنا عن الحمير التي لم نر منها شيئًا في هذا الريف الحافل بالحشيش والعلف الذي تأكله الحمير وقال الأخ حطاب : إنها غير موجودة وإن الأهالي لا يعرفون اتخاذها .

ومررنا بقرية اسمها (سيفو) دون أن نقف فيها لضيق الوقت وكان أبرز ما فيها جامعها الذي يقع على الطريق العام ، وقطعة من الأسفلت في داخلها في الطريق العام كذلك .

وبعدها انقطع الإسفلت وعاد الغبار الأحمر يتراقص في الطريق ويدركه الإعياء فيقع في حضن سيارتنا ، وقد يغلبه الدلال فيقبل وجوهنا وعيوننا .

قرية كـتي :

قبل الوصول إليها كنا نسير في ريف فيه عدة حرائق مشتعلة في الأعشاب اليابسة ليس عندها من يحاول إطفائها إلَّا أنه من لطف الله أنه لا توجد الآن ريح تذكي أوارها .

ووقفنا عند المدرسة في قرية (كتي) وهي مبنية بالقش ، وذات مقاعد من ألواح مستطيلة من الأخشاب غير المهذبة ، كل خشبتين في صف .

مدرسة القش في قرية كتي في غامبيا.

ووجدناهم قد جمعوا الطالبات وجعلوهن مع عدد من الكبيرات ينشدن نشيدًا في مدح النبي ﷺ باللغة العربية بلحن لا بأس به .

ومن الطريف أن بعض هؤلاء المنشدات معهن أطفالهن على ظهورهن ، من دون أن يبدو أنهن يلقين إلى الأطفال بالاً ، والاطفال لم أرهم يصيحون

ولا يتحركون حركة مقلقة ، فكأن هذا النشيد المنسجم المقاطع يدهدههم ويجلب النوم إليهم .

وإلى جانب صف البنات والنساء كان هناك صفان من الأبناء والأطفال .

وكان موقع الاحتفال تحت ظل شجرة ضخمة من أشجار المانقو .

وكان على رأس المستقبلين مدير الفرع (شيخو سيدي) .

وفي نهاية الزيارة تقدم أحد الفلاحين بطبق فيه بيض نيء وقدمه هدية إلى ضيوفه قائلاً إنه من الدجاج في بيتي . وجاء آخر بمجموعة من ثمار البرتقال يهديها أيضًا .

وأخذ ذلك كله الشيخ حطاب شريف وهو من الشاكرين .

ويذكر هنا أنه رغم كون هذه البلاد بلادًا إسلامية فبعض القرى لا يوجد فيها مسيحي واحد ، وبعضها يكون المسيحيون فيها أقلية لاتذكر فإنه لا أثر فيها مطلقًا لتحجب النساء ، بل إنه لا أثر فيها مطلقًا لتستر النساء ولو دون الحجاب فأعلى الصدر والظهر مع العضدين يكون بارزًا غالبًا إن لم نقل دائمًا ورؤوس الشابات من سن الخامسة والعشرين تقريبًا فما دونها ليس عليها غطاء .

مدينة بريكامـا :

من المدن الهامة في (غامبيا) ذات سوق طويل حافل بالمتاجر التقليدية والدليل على أنه حافل بالأخذ والعطاء في التجارة أننا لمحنا فيه أعدادًا من إخواننا الموريتانيين بملابسهم الواسعة المميزة التي كنا نعرفها لهم في المدينة المنورة .

وعند المسجد الجامع في هذه المدينة أوقفنا السيارة فوجدناه مسجدًا يسر النفس مبنيًا بالإسمنت المسلح من طابقين أعلاهما فيه مدرسة إسلامية ، وفوق الطابقين توجد المنارة في أحد الأركان على هيئة صومعة فيها أكثر من طابق إلا

أنها لم يكتمل بناؤها حتى الآن .

أما الطابق الأسفل أو الأرضي من المسجد فإنه واسع بهيج المنظر فيه محراب واسع جدًا حتى إنه يشبه أن يكون مسجدًا صغيرًا وحده ، وفي هذا المحراب ثلاث نوافذ ويمكن أن يتسع المحراب لنحو أربعين مصليًا على هيئة ثلاثة صفوف .

المؤلف في محراب جامع مدينة بريكاما في غامبيا.

كان المؤذن يؤذن عندما وصلنا المسجد ولذلك لم نلبث فيه طويلاً لأن الوقت ضيق .

وبينما كنا واقفين بالسيارة رأيت أحد الصبية يأكل نوعًا محليًا من الفاكهة يسمى (مامباتو) فسألته عنه من باب الاستطلاع فكان أن اعطاني ما بقي منه معه وهو عدة حبات كل واحدة بقدر الليمونة من البنزهير إلا أن لونها أغبر .

وكان لابد من مقابلة هذا الكرم الإفريقي بكرم عربي وإن كان الفضل للمتقدم وهو من جهد المقل لهذا الصبي الأفريقي السمح فأعطيته (دالاسًا) واحدًا فشكر وذكر ثم ادبر يتبختر ولا أشك في أن هذا عنده شيء يؤثر .

وعلى ذكر هذه الحادثة التافهة أقول : إن الناس هنا في غاية من السماحة وهم بعيدون عن الشر والخصام حسبما رأيناه أو تراءى لنا من سجاياهم وأفعالهم .

المدرسة عاريـة :

تركنا الشارع العام في هذه المدينة المهمة إلى أحد أحيائها ولن أقول الوطنية أو الشعبية بما تدل عليه هذه الكلمة من معانٍ فهي كلها كذلك قاصدين المدرسة التي رأيناها في مكان مستعار هو عدة حجرات مبنية من الطين ليس لها سقف غير عدد من ظلال الأشجار ، ورأينا رجلاً قد أعطاهم حجرتين من بيته بصفة مؤقتة أسعفهم بها حتى يهيء الله لهم من أمرهم سعة .

ومع هذا الضيق في ذات اليد وفي المكان فإنهم اخبرونا أن عدد الدارسين من كبار وصغار في فصلي الليل والنهار يبلغ سبعمائة من العدد .

وأرونا مصحفًا بل مصاحف قد قطعوها اجزاء ، وفرقوها فصولاً ، وذلك لشح العدد من المصاحف عندهم ، إذْ لا يستطيعون أن يعطوا كل طالب أو كل دارس مصحفًا كاملاً فيعطونه جزءًا من المصحف يعيده إلى المدرسة بعد أن ينتهي من القراءة فيه .

كما شكوا أيضًا من قلة الكتب العربية لديهم . والمراد بها الكتب البسيطة التي تعلم مباديء القراءة والكتابة أو تشتمل على المباديء الإسلامية .

وفي هذه المدرسة المستعارة لعدم وجود الإمكانات عند أهل القرية لتشييد بناء خاص بها كانت هناك صورة كبيرة لعربي سعودي بملابسه السعودية الكاملة وهو ممسك بيده صقره العربي الذي يصيد به ، وكتب تحته (المملكة العربية السعودية) .

ثم كانت العودة إلى مدينة (بانجول) العاصمة قبل المغرب بقليل .

يوم الجمعة : ١٤٠١/٤/٢٣ هـ ١٩٨١/٢/٢٧ م

في بيت إمام المسلمين :

كانت زيارتنا الأولى هذا الصباح إلى الإمام (محمد الأمين باه) هكذا نعتوه بالإمام ولما سألتهم عن سبب هذا النعت أهو لكونه إمامًا في مسجد جامع أم لكونه قدوة في الدين ؟ أجابوا : بأنه للاثنين فهو إمام المسجد الجامع الرئيسي بل الوحيد في هذه العاصمة من عواصم المسلمين (بانجول) وهو إلى ذلك ذو مقام كبير كما اخبرونا به ، والدليل على ذلك أنه عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ممثلاً لغامبيا فيه .

وكدت ألا أذهب إليه فقلت لواضع البرنامج إن الإمام تمكن رؤيته في المسجد الجامع عند الصلاة ، ولكنهم قالوا : إن هذا صحيح غير أن له حقًا أكثر من ذلك ، وإنه ليس يستطيع الصلاة معه في المسجد الجامع غير شخص واحد من الوفد لأننا قد قررنا توزيعكم على الجوامع الرئيسية خارج العاصمة ليلقي كل واحد كلمة في الجامع الذي يصلي فيه ، وأخبرنا الناس بذلك . وأما الإمام هذا فإن محطة الإذاعة كانت قد أذاعت أمس فيما كانت أذاعته من أخباركم بأنكم ستزورونه في هذا الصباح .

توجهنا إليه من الفندق إلى حي غير بعيد في هذه العاصمة الإفريقية المتوسطة ، فوصلنا بيته المؤلف من طابقين على خلاف العادة وانتظرنا في غرفة للجلوس وكان معنا الشيخ محمد الأمين سيسي رئيس الاتحاد الإسلامي في غامبيا والشيخ أحمد درامي نائب رئيس الإتحاد المذكور ورئيس المعهد الإسلامي العالي .

وبعد قليل جاء الإمام بقامته الفارعة وجسمه الضخم . وفهمه الذي لا

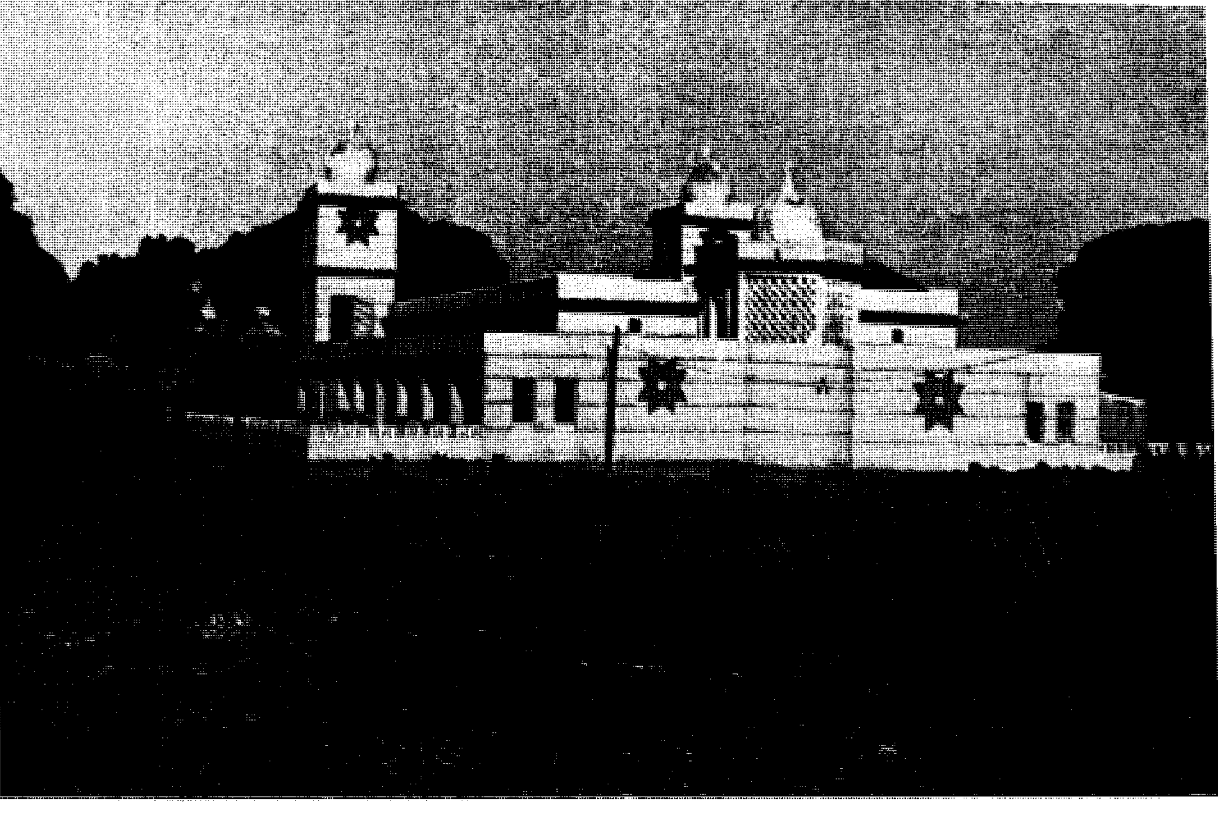

مسجد في غامبيا

يصل إلى أن يساوي ذلك ولو كان له من المقام ما ذكروه .

وبدأ بشيء من المزاح ، وعدم المبالاة بضيوفه قبل أن يتعرف عليهم .

ومن حسن حظنا أننا لن نتمكن من اللبث عنده أكثر من ربع ساعة لأن لنا موعدًا مع رئيس الجمهورية بالنيابة سيحين بعد قليل .

ولما أردنا توديعه كان يحدثنا وهو يضحك دون أن يكون هناك ما يدعو للضحك ، وقال إنه سيبني مدرسة في جانب من بيته وأرانا قائمة بأسماء ثلاثة من المتبرعين لهذا الغرض كما طاف بنا على كومتين من لبن الإسمنت قال إنه احضرهما للبناء . ولكن بعض الناس أخبرنا بعد ذلك أن هذا اللبن كان موجودًا على حالته منذ مدة طويلة .

مع رئيس الجمهورية بالنيابة :

رئيس جمهورية غامبيا (داود جاوارا) مسافر الآن للخارج بل هو في هذا اليوم الذي نحن فيه في بلاده موجود في بلادنا المملكة العربية السعودية وذلك لأنه عضو في هيئة المساعي الحميدة التي ألفها مؤتمر القمة الإسلامي لبذل مساعيها الحميدة في التوسط بين العراق وإيران بغية إنهاء الحرب الدائرة بينهما منذ أشهر.

ويقوم بعمله بالنيابة عنه نائب رئيس الجمهورية (حسن موسى كمارا) وكان الموعد معه في اللقاء الساعة التاسعة والنصف من صباح هذا اليوم في مكتبه في مقر رئاسة الجمهورية .

وصلنا إلى قصر الرئاسة قبل الموعد المحدد بثلاث دقائق إلاَّ أننا لبثنا واقفين فترة وكان معنا الحاج محمد الأمين سيسي الذي يشغل إلى جانب ما ذكرته من عمله منصب مستشار رئيس الجمهورية للشئون الإسلامية والشيخ أحمد درامي وهو متخرج من كلية اللغة العربية في مصر ويعمل أيضًا في الإذاعة وانضم إلينا (الحاج سليمان بيتي) في المراسم ، وهو مدير المراسم في رئاسة الجمهورية وكان عليه ثوب سعودي ونعلان سعوديان ليس غير ، وربما كان قد حصل عليهما أثناء سفره إلى المملكة مرافقًا لرئيس الجمهورية في سفره إلى مؤتمر القمة الإسلامية الذي عقد في الطائف منذ فترة قصيرة .

وقد فات الموعد المحدد دون أن يجلسونا حتى في مكتب عادي إلى أن اجلسونا بعد عشر دقائق في مكتب صغير يشغله الشيخ محمد الأمين سيسي وفي العاشرة إلا ربعًا قادونا إلى مكتب فيه سكرتيرة لنائب الرئيس .

ثم جاء رجل وقال تفضلوا : فدخلنا على رئيس الجمهورية بالنيابة (حسن موسى كمارا) فاستقبلنا استقبالاً حارًا ، وأبدى على رزانته وعقله وهدوء طبعه مشاعر الابتهاج بلقاء إخوة له في الإسلام .

ثم ترك مكتبه وجلس معنا على مقاعد في ركن من الغرفة وقد ألقيت كلمة ضافية بينت فيها الغرض من جولتنا في هذه الأقطار الإفريقية الغربية ، وبيان أثر الإسلام في سياسة المملكة العربية السعودية وعلاقتها بالإخوة المسلمين في العالم وما يجب أن تكون عليه العلاقات الأخوية بين المسلمين على اختلاف مراكزهم وأعمالهم . وأن الإسلام دين ودولة . وأوصيته في نهايتها بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلن .

فرد على ذلك بكلمة طويلة أيضًا بإحدى اللغات المحلية كان المترجم للكلمتين الشيخ أحمد درامي . ثم ودعناه منصرفين معجبين بعقله وتفكيره وقوة شخصيته .

وقد علمنا أنه كان من أبناء المسلمين الذين نصرهم المبشرون وعلموهم مثله في ذلك مثل رئيس الجمهورية ولكنهم عندما ملكوا أمرهم ، وعرفوا ما هم عليه عادوا إلى الإسلام ويقول العارفون بنائب الرئيس هذا إنه عندما عاد إلى الإسلام حسن إسلامه ، وترك ما كان عليه من قبل من محظورات كالخمر تركًا كاملاً وإنه الآن يواظب على الصلاة ، ويحرص على التمسك بالدين .

ومن مكتب رئاسة الجمهورية افترقنا إلى فريقين وعما قليل سنفترق إلى ثلاث فرق مع أننا ثلاثة فقط .

فقد كان ضيق الوقت وازدحام البرنامج يقضي أن نفترق لكي نقوم به كله .

فذهب زميلاي إلى الإذاعة لتسجيل محادثة كان من المقرر أن تكون لجميع أعضاء الوفد وذهبت أنا إلى البنك لأصرف مبالغ كبيرة من النقود لأن النقود التي يحملها الوفد باسمي أنا ولأن غدًا السبت وبعد غد الأحد يوما عطلة في هذه البلاد ونحن قد حجزنا لمغادرتها صباح بعد غد الأحد . وقد صرفت صكًا (شيكًا) كنت ظننت أنهم لا يصرفونه لأنه على بنك في نيويورك وليس لهذه

البلاد تعامل مع المملكة العربية السعودية ولكن الثقة بنا هي التي كانت السبب في قبوله .

ومن البنك كان نصيبي زيارة مسجد في (فاجي كندا) قرب بلدة (سيركنـدا) ثم إلقاء كلمة في المصلين في جامع سيركندا أما زميلاي فكل واحد منهما في مسجد جامع كبير احدهما في الجامع الرئيسي أو الوحيد في العاصمة والثاني في خارجها.

في فاجي كنــدا :

كنا قد توجهنا من بانجول إلى (سيركندا) ومن هناك سرنا غير بعيد إلى (فاجي كنـدا) لمشاهدة جامع فيها بديع البناء ، محكم الإنشاء وكان يرافقني الشيخ حطاب شريف والحاج أبو بكر فودي وهو مساعد مهندس حصل على شهادة أو تدريب في هذا الموضوع كما أخبرني من مصر ، وكان قد تزوج فيها ورزق بأولاد لايزالون مع أمهم هناك . وهو يشرف على تنفيذ العمل في هذا المسجد الذي وجدناه قليل النظير فيما رأيناه منهم من مساجد في هذه البلاد فهو مبني بالأسمنت المسلح جميعه على سعته وليس فيه من الطين ، أو غيره مما يشابهه شيء .

ووجدنا قواعده وحيطانه قائمة ظاهرة إلا أن النفقة قصرت بالقائم عليه عن مواصلة العمل وهو لم يدعه أو يوقف العمل فيه وإنما يجتهد في تحصيل ذلك والقائم عليه شخص واحد هو الحاج (أبو بكر فاتاجو) نائب مدير التعليم العربي في مدارس حكومة غامبيا ، ولم يكن موجودًا عندما أتينا المسجد وإنما وجدنا طائفة من أهل هذه القرية لأنه لا يوجد فيها لهم مسجد جامع يؤدون فيه صلاة الجمعة إضافة إلى أنه إذا تم على النحو المرسوم له في الخارطة والمخططات فإنه سيكون فريدًا في نوعه تقريبًا إذ اطلعونا على الخارطة فإذا به قد صمم على طراز عربي ظاهر فيه منارة بارزة وأربع قباب .

ورغم ما يتطلبه هذا العمل من نفقة هائلة في هذه البلاد فإن هذا الرجل المخلص الحاج أبو بكر فاتاجو قد نصب نفسه للعمل على إتمامه وما أنجزه من عمل فيه حتى الآن يبشر بأنه سينال أمله هذا العظيم .

وقد حصل على أرض المسجد بالمجان من شيخ القرية . كما وجد إمامًا له وقابلناه مع عدد من أعيان قرية (فاجي كندا) هذه واسمه (نبهان سيسي) .

ولم نتجول في هذه القرية الصغيرة ولكني لمحت فيها سوقًا صغيرًا تحت مظلة من الصاج ولم أَرَ فيه بضائع وإنما رأيت أمرأة قد نامت على وجهها فوق إحدى منصات عرض البضائع ربما كانت إحدى البائعات لم تجد ما تعرضه أو لمجرد الحصول على ظل مجاني مريح .

في جامع سيركندا :

وقد وصفته في يوم الإربعاء وعندما وصلنا إليه كان الناس يتوافدون عليه . ويدخلون إليه بكثرة طلبًا للصلاة ، وكان أكثرهم قد أخذوا زينتهم من اللباس وقد نظفوا أجسادهم فلا تكاد ترى فيها ما تستقذره العين ، ولا يحب البصر أن يعيد إليه النظر .

وعندما رآني إخواني من الذين سبقوني إلى المسجد داخلاً أرتدي ملابسي العربية كلها حتى العباءة (المشلح) الخفيف وكانوا قد ملأوا مقدمة المسجد اسرعوا يفسحون لي الطريق حتى وصلت إلى مقدمة المسجد . وكان رفيقي الشيخ حطاب شريف في هذه الأثناء قد أخذ مكبر الصوت بيده وجعل يتحدث بلغة القوم إن لم أقل بلغاتهم يخبرهم بقدومي وبأنني سأتحدث فيهم .

فصعدت إلى المنبر ، وجعلت أجيل البصر أعجب من كثرة الوافدين للصلاة حتى إن المسجد وهو ليس بالكبير قد ضاق بهم ثم ضاقت بهم أروقته ثم فرشوا في فنائه غير المسقوف وإن كانت تظلله اشجار باسقة ثم امتلأ الفناء

حتى صلى بعضهم في الرصيف الترابي الذي يلي المسجد من الشارع .

فالقيت فيهم كلمة تضمنت بيان قوة رابطة الإسلام وأنها أقوى من رابطة النسب وشرحت ذلك في مثل معروف هو بلال بن رباح الحبشي الذي هو من أفضل صحابة رسول الله ﷺ وليس بعربي ، بل هو إفريقي ، وفي أبي لهب عم رسول الله ﷺ عندما لم يؤمن بما جاء به الرسول وأنزل الله تعالى في حقه سورة تتلى إلى يوم القيامة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

وكان الشيخ حطاب يترجم كلامي إلى لغتين من لغات القوم وهما لغة (الماندنكا) ولغة (الولوف) فالمصلون في المسجد على صغره لا يتفقون على فهم لغة واحدة وإن كانوا من بلدة واحدة .

وكان الشيخ حطاب بطريقة إلقائه وفهمه العميق لهاتين اللغتين المحليتين خير مترجم لمعاني كلامي يبين ذلك واضحاً على وجوههم عندما يصل في ترجمته إلى معانٍ تثير الاهتمام وكنت ألقي الكلمة قبل الخطبة حسب اتفاق سابق ولذلك لم أطل فيها حذرًا من التثقيل على القوم فلم أزد على ٣٥ دقيقة غير أن الخطيب لم يدخل إلا بعد فراغي من الكلام وبعد فراغ الشيخ حطاب من القاء تعليق طويل على كلمتي تخلله سؤال من بعض الحاضرين .

وعندما انتهيت من إلقاء كلمتي وأردت النزول من المنبر لم أجد أي فرجة تتسع لجلوسي في الصفوف فقد كانت كلها مزدحمة متراصة لا مكان فيها لقدم ، ولم يكن من المستساغ عندي أن أتأخر بعد أن تقدمت كما أنه ليس من المستساغ أيضًا أن أجلس في مكان من قد يؤثرونني على أنفسهم إن فعلوا ذلك ولكنهم أشاروا إليَّ أن أتقدم نحو المحراب الواسع وأجلس فيه خلف مكان الإمام . وما لبثت بعد أن جلست أن جاء ثلاثة من علية القوم تدل على ذلك هيئاتهم ولباسهم فجلسوا بجانبي في صف مؤلف من أربعة أشخاص خلف مكان الإمام .

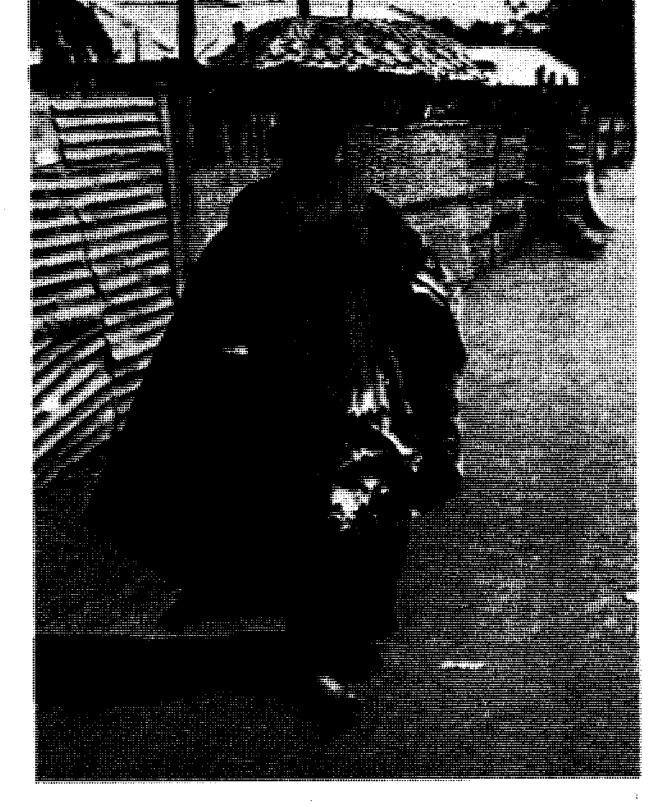

رجل ذاهب إلى صلاة الجمعة ومعه شمسيته.

وعرفت من ذلك بعض الحكمة من توسعة المحراب عندهم، وهي أن يكون فيه متسع لبعض ذوي الشأن من القوم في هذا المجتمع الذي لم يتخلص بعد من بقايا القبلية القديمة وقد دخل الخطيب بثياب فضفاضة وفوق كتفيه علاوة عليها ما يشبه المنديل الكبير وفوق رأسه عمامة مكومة.

فأخرج الخطبة أوراقًا بالعربية لا أشك في أنه لا يفهم من معانيها شيئًا فضلاً عن المصلين الذين لا يفهمون العربية بطبيعة الحال، وذلك لأن طريقة إلقائه لها غير متقنة وكانت قصيرة أعقبتها خطبة أخرى قصيرة كلتاهما بالعربية، بعدهما أقام المؤذن للصلاة.

وكان قد أذن أربعة أشخاص عند دخول الإمام ووصوله إلى المنبر إثنان منهم في مقدمة المسجد واثنان في مؤخرته أحدهما من اليمين والآخر من اليسار، وربما كان ذلك من أجل إبلاغ المصلين في القديم بقي عندهم من دون تغيير.

أما الإمام فإنه كان كبير الجسم فضلاً عما أضفته الملابس الكثيرة عليه من مظهر مهيب إضافي إلاَّ أن صوته دقيق بصفة ملفتة للنظر ولا أظن فيه فقهًا جيدًا بأحكام الصلاة إلا أنه قد يكون عنده من الإخلاص ما يفوق كثيراً مما عند بعض الفقهاء في بلادنا العربية والبلاد الإسلامية الأخرى .

طعام الأيتـــام :

كنت لاحظت والأمام يخطب أن أحدهم أحضر إناءً كبيرًا مليئًا بشيء وقد رأيته من خلال النافذة التي في المحراب وقد أنسيته إلا أنني عندما خرجت من المسجد رأيت بعض الصبيان والفتيان يلعقون أيديهم بعد تناول طعام فسألت عن ذلك الشيخ حطاب فقال : نعم ، إن الذي رأيته هو طعام أحضره أحدهم على رأسه كان قد صنعه في بيته وتلك عادة يقصد منها أن يأكل الأيتام من الأطفال طعامًا يوم الجمعة .

فقلت له : إنني لاحظت أنه لم يأكل منه إلا الصبيان والأطفال فهل هذا صحيح ؟ فقال : نعم لا يأكل من هذا الطعام في العادة إلا هؤلاء .

فقلت : والفقراء ، أليس لهم نصيب في الطعام ؟ فقال : بلى ، وقد جرت العادة أن يتخلفوا في المسجد بعد صلاة الجمعة ، وأن يبعث بعض أهل الخير لهم الطعام يتناولونه فيه بعد أن ينفض المصلون .

هذا وكنت عندما انقضت الصلاة وأردت الإنصراف أقبل عليَّ إخواني يصافحون ويسلمون وكان جمعهم كبيرًا ، وكانوا يتزاحمون على ذلك ويندفعون إليه بالمناكب فلما رأى الشيخ حطاب ومن معه من الإخوان كثرة الذين يبتغون مصافحتى أشاروا إليهم بالكف عن المصافحة وأشاروا إليَّ أن أخرج من الباب الأمامي المخصص لدخول الخطيب فقلت لهم : كيف يكون ذلك ؟ أيبتغي إخوان مسلمون أن يصافحوني فأمنعهم من ذلك ؟ فقالوا : وهم يجاهدون في إيقاف تزاحمهم عليَّ : إن عددهم كبير ، فقلت : حتى لو

كان أهل البلدة كلهم قد جـاؤا يبتغون مصافحتي لم أمنعهم من ذلك لأنني أنا الذي ينبغي أن أكون أحرص منهم على مصافحة إخوانه ، فأنا جئت إلى هذه البلاد لأجل العمل على ما يقوي أواصر المحبة والمودة فيهم ، وإنني أسعد بمصافحتهم كما أراهم يسعدون بمصافحتي وأمثالي .

فسكت إخواني وبدأت اصافحهم وأهدؤهم إلا أنني لاحظت أن بعضهم لا يرضى بالمصافحة مرة واحدة ، وإنما يعود مرة بعد أخرى ويزاحم الناس على ذلك فجزاهم الله خيرًا .

وعندما كنت في السيارة أتهيأ للعودة إلى مدينة بانجول إذا بشيخ كبير السن اظن أنه قد تجاوز الثمانين مديد القامة ، مهيب الطلعة قال لي فيما ترجمه لي إخواني من كلامه : مرحبًا بك في (سيركندا) إنها بلادنا وإنها في خدمتك ، فسألتهم عن اسمه وعن صفته التي جعلته يسرع بالترحيب وكأن مدينة سيركندا بيته الخاص . فقالوا : إنه من ذرية صاحب هذه المدينة الذي كان أول من أقام فيها وأنشأ مسكنًا له كان نواة هذه المدينة .

وقال الرجل : اسمي (الحسن جوب بن علي جوب) وجدي هو (سيرجوب) الذي سميت على اسمه هذه المدينة (سيركندا) .

الدين والسياسـة :

زارني في الفندق بعد مغرب هذا اليوم الأستاذ (إسماعيل عابدين) ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في غامبيا وهو يعامل هنا معاملة أعضاء السلك السياسي .

وكان يرافقه أحد الدعاة إلى الله من الفلسطينيين الذين أُرسلوا إلى هذه البلاد من دار الإفتاء في المملكة وهو الشيخ (عمر بن حسن خريس) .

وتطرق البحث إلى علاقة أهل هذه البلاد بما تصدره المنظمة من نشرات

وبيانات ومدى تأثيره على تفكيرهم فقال الأخ إسماعيل : إننا ـ في الحقيقة ـ نعمل بين إخواننا هؤلاء في السياسة من خلال الدين ، فنحن رغم كوننا سياسيين لا نستطيع أن نتخلى عن صفتنا الإسلامية ، إذا أردنا أن يكون عملنا هنا فعالاً ، لأننا إذا عملنا عملاً سياسيًا غير متصل بالدين لم يبالوا به ، فعلى سبيل المثال إذا شرحنا لهم قضية فلسطين من خلال المسجد الأقصى المبارك وكيف أحرق اليهود جزءاً منه واستولوا عليه . وطردوا إخوانهم من الفلسطينيين المسلمين فيه بل إن اليهود لاحقوهم بالأذى حتى بقنابل النابالم فإنهم يتأثرون من ذلك ، ويفهمون الأمر على الوجه الذي هو عليه في الحقيقة .

يوم السبت ١٤٠١/٤/٢٤ هـ ١٩٨١/٢/٢٨ م

جولة في بانجـول :

وهي جولة على القدمين جلت خلالها فيما حول فندقنا من هذا الحي التجاري الجيد في مدينة بانجول .

كان أول ما يلفت النظر أن المتاجر أكثرها بيد أناس ألوانهم ألوان العرب ، وهم بالفعل لبنانيون أو موريتانيون ولا يوجد في هذه الحوانيت الكبيرة من أهل البلاد إلا نسبة لا تصل إلى الربع على أن هناك بين العرب بعض الهنود وعددهم قليل جدًا .

ومما يلفت النظر بشكل حاد أن أهل هذه البلاد قد استعاضوا عن الحصى الذي يخلط بالاسفلت بنوع من أغلفة المحار أو القواقع التي تؤخذ من البحر ، فانت إذا سرت في الطريق خيل إليك أنهم قد قصدوا تزيين الإسمنت في الشارع بخلطه بقواقع جميلة أكثرها مخطط أو مبرقش بنقوش جميلة وأنهم فعلوا ذلك من أجل الزينة غير أن الحقيقة أنهم فعلوا ذلك بسبب عدم توفر الحصا الذي يخلط بالإسمنت في بلادهم إذْ ليس بقرب العاصمة (بانجول) جبال ، وإذا وجدت الحجارة في مكان بعيد فإن تكسيرها ونقلها يحتاج إلى جهد إضافي ومال زائد . بخلاف هذه القواقع التي توجد على ساحل المحيط يرمي بها البحر مع الموج ، وربما يكون منظرها غير مقبول فيما لو تركت في مكانها وبخاصة أنهم يعتبرون الشاطيء النظيف مصدر رزق لهم إذْ هو يجتذب السياح كما تقدم .

وقد رأيت في الشارع العام كومة من هذه القواقع الجميلة المنظر تقدر بحوالي حمولة سيارة نقل واحدة فسألت عن السر في وجودها هنا ؟ فقيل لي : إنها للبيع لتستعمل في خلط الأسمنت بدل الحصا .

التشهير بالسارق :

رأينا جماعة من الفتيان والصبيان لهم ضجة ظاهرة وهم يسيرون في الشارع كأنهم في مظاهرة . ولم يكن معهم من الرجال المسنين إلا عدد قليل فسألتهم عنهم وعما يقولونه فاخبروني أنهم يسيرون خلف سارق قبض عليه رجال ويريدون أن يسلموه إلى الشرطة وهذا الجمع الحاشد يتبعهم وهو يقول «السارق .. السارق» يعيرونه بذلك ، ويشهرون فعله ، وكلما ساروا انضم إليهم غيرهم حتى وصلوا إلى مركز الشرطة .

شارع في بانجول

وهناك أمر ملفت لنظري وأمثالي من الذين كانت له (هواية) شديدة بالصيد في الماضي ذلك هو : كثرة طيور القماري الذي هو نوع من أنواع الحمام البري . إلَّا أننا عندما رأيناه أنا وزميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان لم نكن

نصدق أنه هو مع أنه لم يختلف عنه لونًا ورسمًا ولكنه اختلف عن المعروف منه في بلادنا بالحجم فهو هنا كبير جدًا ، يبلغ حجم الواحدة حجم اثنتين ولا أبالغ إذا قلت إنه كالدجاجة المتوسطة أو الأوزة الصغيرة .

وهو يطير قريبًا من الناس ويسير في الأرصفة ، يلتقط ما قد يجد من غذاء ، ولا ينفر كثيرًا من الناس . وقالوا لنا إن السبب أن الحكومة قد حرمت صيده محافظة على الطبيعة العذراء ولأن ذلك مما يحبب السياح في البلاد . لذلك أصبح آمنًا نوعًا ما .

إن معظم الحوانيت التي رأيتها في شارع فندقنا وما اتصل به هي حوانيت كبيرة أو قل راقية معظم مالكيها والعاملين فيها من العرب ، إلاَّ أنك مع ذلك لن تعدم ما يذكرك بأنك في إفريقية ذلك هو أنه يوجد على الأرصفة بين الحوانيت أو ما بعد منها قليلاً نساء إفريقيات قد عرضن بضائعهن البسيطة على الأرض من فول سوداني لا يختلف عرضه ولا عارضته عما هو معهود في بلادنا . ومن الفاكهة المحلية التي أكثرها هنا البرتقال وبيعه بالواحدة ، ويعرض مقشراً . إذْ تقطع البائعة فراغها في تقشيره حيث يشتريه المشتري ويلتهمه دون تعب .

وهناك ما يسمى (المهوقو) وهو نوع من البطاطا أو الجزر اليماني الأبيض حلو الطعم ، تكون أصوله التي تؤكل تحت الأرض كالبطاطس ، إلا أنها مستطيلة ، كالعصى الغليظة غير المهذبة ، يباع هنا ويؤكل لحلاوته أو تصنع منه العصيدة .

الطبيعة السمحة :

مع ما يلاحظه الغريب فضلاً عن المقيم من كون التجارة في يد الأجانب أو على الأقل ما شاهدناه منها ، وأكثر هؤلاء الأجانب من العرب ، فإنك لا تحس بأن أهل البيت يكرهونهم أو يريدون الأذى لهم كما يفعل بعض

الإفريقيين الآخرين .

وأنت أيها الغريب ـ لا تحس في نظرات الناس إليك شيئًا من الكراهية أو الحقد أو إرادة الحاق الأذى بك .

وهذا من طبيعة هؤلاء الإخوة ذوي الأخلاق السمحة .

سرقة الصدقـة :

بعض المعاصي تكون مغلظة مثل المعصية في المسجد أو في الأشهر المفضلة كرمضان .

وربما يكون من السرقة المغلظة ما حدث في مساء هذا اليوم فقد كنا طلبنا من القائمين على المسجد الذي زرته قبل صلاة الجمعة من هذا اليوم في قرية (فاجي كندا) القريبة من بلدة (سيركندا) أن يحضروا إلينا وأن يكونوا ثلاثة على الأقل لكي نعطيهم بعض المساعدة المالية العاجلة .

وحضروا بالفعل إلى الفندق في العاشرة من مساء هذا اليوم وأعطيناهم المبلغ مناولين الأخ (أبو بكر فاتوجا) رئيس لجنة المسجد ففرحوا وشكروا وخرجوا من عندنا .

وبعد قليل حضر الأخ أبو بكر منفعلاً وقد جحظت عيناه ، وارتسم على وجهه علامات لم أرها فيه من قبل لأنني عرفته قبل ذلك سمح الطبع ، رضي النفس ، لايبين على وجهه أنه يغضب من بعض الأشياء التي تغضب غيره ، فقال وهو بهذه الحال :

سرقوهـــا !

فقلت : سرقوها ؟ ما هي ؟ فقال : المساعدة التي أخذناها منكم ، سرقوها ، لكننا قبضنا على السارق ورفيقه فر .

ولما أردت أن استوضحه الأمركان قد أبعد ، ولم أدر ما تفاصيل الحادثة إلاَّ أنني وزملائي انتابنا خوف شديد ، فإذا كان هذا من أهل البلد ، ومعه هذا المبلغ الضئيل قد سرق منه ، فكيف يكون أمرنا نحن الغرباء الذين نحمل مبالغ طائلة ، وقد أخذنا نبحث عن وجود شرطي أو حراس من الشرطة في فندقنا لنطمئن وهو أمر لم نلق له بالاً من قبل ، فلم نجد فيه أحدًا .

وأصابنا كرب عظيم . ولكن الله سلم . وقد عاد إلينا الأخوة الذين اعطيناهم التبرع فأخبرونا أن السارق انتهب النقود منهم انتهابًا ، فركضوا خلفه وأمسكوا به وهم ثلاثة إلا أنه رمى بها فأخذها شريك له وهرب ، فسلموا السارق الأصلي للشرطة ، إلا أنهم لم يستعيدوا النقود . ويأملون في استعادتها وإن كان بعضهم يخشى أنه إذا كان له شركاء فإنهم قد يؤثرون على الشرطة . هكذا يقولون . والله أعلم .

يوم الأحد : ١٤٠١/٤/٢٥ هـ ١٩٨١/٣/١ م

بدأنا مبكرين في توزيع بعض المبالغ المالية القليلة التي نحملها واعدين إخواننا بأننا سوف نعد تقارير نوصي فيها بمساعدة مؤسساتهم مساعدة مالية كافية . وإننا نرجو أن ييسر ذلك في المستقبل ، وبعد أن تجاوزت الساعة التاسعة غادرنا الفندق إلى مطار بانجول .

قبل مغادرة غامبيا

رأينا قبل مغادرة (غامبيا) أن نقدم للقارئ الكريم نبذة من المعلومات المجتمعة عن (غامبيا) بعد أن أعطيناه معلومات كثيرة متفرقة أثناء تجوالنا فيها :

تقع غامبيا على خط العرض الثالث والنصف شمال خط الاستواء .

فهي إذًا تعتبر بلادًا استوائية المناخ بما يعني هذا من رتابة في الطقس بحيث لا يكون فيه شتاء بارد ولا صيف حار ، ولا يطول فيه الليل على النهار كما لا ينقص فيه النهار عن الليل . وتحيط بها جمهورية السنغال من جهات ثلاث .

أما الجهة الرابعة وهي الغربية فإنها المحيط الاطلسي الذي يمتد ساحلها عليه حوالي خمسين كيلو مترًا ، نالت استقلالها من بريطانيا عام ١٩٦٢م بعد استعمار طويل .

وهي من الأقطار الصغيرة في إفريقية إذْ لا تزيد مساحتها على ١٠٣٦٧ كيلو متر مربع .

فهي بهذا تساوي مساحة لبنان تقريبًا .

ومع ذلك فإن فيها نهرًا كبيرًا هو نهر غامبيا الذي ينبع من جبال (فوتا جالو) في غينيا ويجري في اراضي غامبيا حوالي ٣٢٢ كيلومتر قبل أن يصب في المحيط الأطلسي .

وبعضهم يعتبره أجمل مجرى مائي في إفريقية الغربية ، وتمخر القوارب الصغيرة مياهه وترسو على جانبيه ويشاهد المرء منه أنواعًا عديدة من الحيوان منها : القرد والفهد وجاموس البحر والتماسيح والأسود كما توجد أنواع متعددة من الطيور من بينها طيور ملونة جميلة .

ويعتقد علماء التاريخ بأن شاطيء نهر غامبيا سكنه الإنسان المتحضر منذ عدة قرون إذ يوجد في شمال بكور وعلى بعد ١٩٠كم منها أعمدة يتراوح

ارتفاعها بين متر واحد وثلاثة امتار يحتمل أنها تدل على مدافن قديمة . كما هو الحال في السنغال .

والسكان الأوائل كانوا بلا ريب من المزارعين ولا شك في أن (غامبيا) كالسنغال ، كانت جزءًا من مملكة غانة القديمة التي استولت عليها سلطنة مالي أو سلطنة السودان كما يسميها المؤرخون من أسلافنا العرب ، ومع تقدم الحضارة في سلطنة مالي استوطن الوادي تجار من الماندانج في القرن الثالث عشر واصبحوا أصحاب النفوذ فيه لمدة ستة قرون تقريبًا وهم الذين أدخلوا الدين الإسلامي إلى المنطقة .

والماندانج أو المادنجو أو الماندنكا أو المادنكا فهذه الفاظ في عدة لهجات لمسمى واحد هم أقوام من سكان السودان الغربي القدماء الذين كانوا قد أسسوا إمبراطورية السودان أو سلطنة مالي وبلغت من الرقي والازدهار مبلغًا عظيمًا يكفي لمعرفته أن يقرأ المرء ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عنها عندما شاهدها في القرن الثامن الهجري .

العلاقـة بأوروبا :

في عام ١٤٥٥م صعد برتغاليون إلى نهر غامبيا وهم أول الأوروبيين الذين وصلوا إلى تلك المنطقة ولكنهم اضطروا لإلغاء الرحلة نظرًا للروح العدائية التي قوبلوا بها من أهالي المنطقة . ثم أعادوا الكرة في العام التالي وتمكنوا من إقامة علاقات تجارية مع أحد الزعماء الوطنيين . تلت ذلك رحلات متعددة بحيث أقيمت علاقات تجارية بينهم وبين الأهالي وبذلك أقام البرتغاليون على ضفتي نهر غامبيا ولكنهم لم يعثروا على الثروات المعدنية التي كانو يصبون إليها وكانوا قد سمعوا بها من خلال ما كتب عن سلطنة مالي الغنية بالذهب . واكتفوا بشراء صمغ النحل والجلود وكميات صغيرة من الذهب والعاج وبعد ذلك تحول اهتمامهم إلى تجارة الرقيق .

تبعهم المبشرون المسيحيون وفشلت مهمتهم تقريبًا لأن معظم السكان هم من المسلمين العريقين في الدين الإسلامي . ولهم مثل عليا وحضارة إسلامية راقية .

وفي القرن السادس عشر بدأت السفن الإنكليزية والفرنسية في الوصول إلى المنطقة حيث قاموا ببعض الصفقات التجارية مع رؤساء القبائل بدون أن يتمكنوا من إقامة مراكز تجارية في نهر غامبيا . وجاء دور ولاية كورلاند وهي من منطقة البلطيق لارسال حملة عام ١٦٥١م تمكنت بواسطتها من شراء حق امتلاك بنجول من رئيس كومبو وتلتها بجزيرة اخرى على مسافة ٢٦كم اطلق عليها اسم جزيرة القديس اندريه .

ثم أسس شارل الثاني ملك انجلترا «شركة المكتشفين الملكية لتجارة إفريقيا» .

وهدفها الرئيسي شراء العبيد لترحيلهم إلى مزارع جزر الأنتيل في البحر الكاريبي ما بين الأمريكيتين .

وفي سنة ١٦٦١م استولت الشركة على جزيرة القديس اندريه واطلقت عليها اسم القديس جيمس وأقامت حصنًا وكذلك أول مركز تجاري بريطاني على الساحل الغربي لأفريقية.

ثم انتقل احتكارها لتجارة العبيد على نهر غامبيا إلى شركة انكليزية أخرى هي «الشركة الملكية الأفريقية» وظل التنافس قائمًا لمدة مائتي عام بين الانكليز والفرنسيين الذين كانت لهم اليد العليا في السنغال والرأس الأخضر.

ولذلك أغار الفرنسيون وبعض القراصنة على حصن القديس جيمس ونهبوه عدة مرات خلال السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن الثامن عشر.

وخلال تلك الفترة اختلت الشركة الانكليزية المسماة بالشركة الملكية الأفريقية وتمت تصفيتها عام ١٧٥٢م لتحل محلها بناء على قانون صدر عام ١٧٥٠م . شركة جديدة اطلق عليها اسم : «شركة التجار مع افريقيا» واقتصر نشاطها على وضع القواعد اللازمة لتجارة الأفراد في المنطقة وفي تلك الفترة وصلت تجارة العبيد في غامبيا إلى الف عبد في العام الواحد .

وقد احتل الإنجليز أهم المراكز التجارية عام ١٧٥٨م في كل من السنغال وجزيرة (قوري) قرب مدينة داكار في الوقت الحاضر ، ولكن الفرنسيين قاموا بغارات مستمرة عليهم مما جعل البرلمان البريطاني يصدر قانونًا يجعل إدارة المنطقة الجديدة (سينيجامبي) (سنغال + جامبيا) تحت سلطة كل من دولتي انجلترا وفرنسا .

وبذلك عاد الفرنسيون إلى ممارسة تجارتهم على شواطيء النهر ثم احتلت قوة فرنسية سانت لويس وهدمت قلعة جيمس وبالتالي فقد انتهت دولة (سينيجامبي) عام ١٧٨٣م بعد عودة الفرنسيين إلى سانت لويس بناء على معاهدة فرساي التي اعترفت بحق بريطانيا في ضم غامبيا إليها .

وفي عام ١٨٠٧م اصدر البرلمان البريطاني قانونًا يحرم تجارة العبيد في إفريقية وللتأكد من انتهاء تلك التجارة في غامبيا وضعت إنجلترا قوة عسكرية لذلك الغرض .

وفي عام ١٨١٦م قامت انكلترا باحتلال جزيرة بانجول وأطلق على القاعدة التي اقيمت في الجزيرة اسم باتهورست وهو اسم وزير الدولة البريطاني للمستعمرات ثم تغير الاسم مرة أخرى إلى سانت ماري .

ووضعت جميع الحصون والمتاجر عام ١٨٢١م تحت سلطة حاكم سيراليون كما ظلت غامبيا تحت نفس السلطة حتى عام ١٨٨٨م ما عدا في الفترة بين عام ١٨٤٣ و١٨٦٦م .

وبناء على اتفاق جديد مع زعيم كومبو الوطني انضمت جزيرة سانت ماري إلى التاج البريطاني ثم الحقت بها فيما بعد مساحات أخرى من الأراضي بالاتفاق مع زعماء تلك المناطق كما يقول البريطانيون .

السكان :

يبلغ عدد سكان غامبيا حوالي سبعمائة ألف نسمة . أكثرهم ينتمون إلى الماندنجو أو حوالي نصف السكان .

والنصف الآخر من الولوف والفولا (الفولاني) أو الفلاتة كما نسميهم والجولا والسيراقولي الذين هم أيضًا كالماندنجو كانوا من سكان دولة السودان الإسلامية العظيمة التي كانت تحكم مالي والسنغال والنيجر وجنوب موريتانيا ، بل قال بعض المؤرخين من العرب : إن حدودها تمتد من البحر المحيط الأعظم (المحيط الأطلسي) إلى جهة الشرق مسافة أربعة أشهر .

وبذلك نعرف أن سكان تلك المنطقة ومنهم سكان (غامبيا) من المسلمين الذين هاجروا إليها من السنغال ومالي هم من المسلمين العريقين في الإسلام بل من ذوي الحضارة الإسلامية المتقدمة.

الديانة .

الديانة الغالبة في غامبيا هي الإسلام وتبلغ نسبة السملمين فيها ٩١ ٪ والبقية من المسيحيين .

هكذا تقول أكثر الإحصاءات الرسمية واحصاءآت الدولة المستعمرة السابقة . غير أن الذين يعرفون الأمر على حقيقته يقولون إن نسبة المسلمين في غامبيا ترتفع إلى أعلى من ذلك قليلاً .

البهائيــة :

لهذه الفرقة الكافرة صلة وثيقة بالاستعمار العالمي الكافر ، وبالصليبية الحاقدة على الإسلام .

وتركز هذه الفرقة على العمل بصورة فعالة في الأقطار الإفريقية .

وكانت قد دخلت غامبيا إبان الاستعمار الانكليزي ، واتخذت في العاصمة بانجول مركزًا رئيسيًا لدعوتهم الهدامة يقع في (شارع الاستقلال). ويتكون من مكتبة فيها الكثير من الكتب العربية والإنكليزية ومن قاعة الاجتماعات والاستراحة .

ويقومون بتوزيع الكتب التي (تبشر) بالبهائية على أبناء المسلمين في المدارس ويدعونهم إلى(البهائية) ، ويعملون في حرية تامة ، نظرًا لاعتراف الحكومة بحرية الأديان .

المسلمون في غامبيا والتحديات التي تواجههم :

قد ابتليت غامبيا بالاستعمار الإنكليزي الذي جثم على أنفاسها عدة قرون ، ولم يخرج منها إلا في الستينات . وقد فرض الاستعمار لغته وثقافته على المسلمين ، ومازالت اللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية في (غامبيا) ، وبالرغم من أن المسلمين هم الأكثرية بالنسبة لعدد السكان ، إلا أن هناك مشاكل وتحديات تواجههم ، وهذه التحديات والمشاكل قد خلفها الاستعمار بعد رحيله من هذه الديار المسلمة .

والتحديات التي تواجه المسلمين كثيرة منها : جمعيات الدعوة إلى النصرانية ، التي تعمل في غامبيا ليل نهار لنشر الديانة النصرانية ، وقد قام

هؤلاء الدعـاة ببناء مدارس مختلفة المراحل في مناطق من غامبيا وقد أوصدوا أبواب هذه المدارس أمام كل تلميذ ـ لايدين بدين النصرانية ـ أو على الأقل ليس لديه الاستعداد لتغيير اسمه الإسلامي واستبداله باسم نصراني في مرحلة من المراحل ، وقد ترتب على هذا العمل الخطير اعتناق عدد من أبناء المسلمين النصرانية في أوقات سابقة قبل الاستقلال ومنهم بعض رجال الدولة في الوقت الحاضر الذين عادوا إلى دينهم الأصلي الدين الإسلامي الحنيف وحسن إسلامهم ومنهم نائب رئيس الجمهورية الذي قابلناه في مكتبه .

وتهدف هذه المؤسسات التعليمية للمبشرين في الوقت الحاضر إلى تخريج جيل من أبناء المسلمين ـ لا يتمسك بالنصرانية ولكنه لا يتمسك بالإسلام ـ وهذا الجيل ينساق بالطبع إلى العلمانية والإلحاد .

وللجمعيات التبشيرية مدارس كثيرة في أنحاء غامبيا ، ففي العاصمة (بانجول) لهم مدرستان عاليتان هما (سان جوزيف هاي سكول) و(سان أغستين هاي سكول) ولهم مدرسة كبيرة داخلية في مدينة (فارافني) يقدم للطالب فيها الأكل والشرب مجاناً بالإضافة إلى مدرسة إعدادية وثانوية وحوالي ثلاث مدارس ابتدائية في (بانجول) ، وقد امتد نشاطهم داخل القرى البعيدة عن العاصمة ببناء المدارس ودور الحضانة لتعليم أبناء المسلمين النصرانية .

وتنفق هذه الجمعيات التبشيرية على هذه المدارس بسخاء ، فالتعليم في جميع المدارس بالمجان ، ولهم مزرعة كبيرة في مدينة (بريكاما) مساحتها سبعون (هكتار) بالإضافة إلى الشركات التجارية والتعاونية في جميع أنحاء غامبيا .

جهود الجمعيات الإسلامية :

تنبهت بعض الجمعيات الإسلامية لهذه الخطة فقامت على إنشاء مدارس وكتاتيب إسلامية وعربية لمواجهة المدارس التنصيرية وذلك بجهود متواضعة من الخيرين من أهل غامبيا ، وأكثرها مدارس ابتدائية ماعدا واحدة فهي

متوسطة ، إلا أن هذه المدارس الإسلامية تواجه مشكلات عدة تتمثل في نواقص كثيرة منها :

١ ـ قلة الكتب الإسلامية والعربية .

٢ ـ ضعف مناهجها لقلة المدرسين المؤهلين ولقلة أجور المدرسين حيث تعتمد هذه المدارس أساسًا على التبرعات والإعانات ولذلك لا تعترف الحكومة بمعادلة الشهادات منها بسبب ذلك .

٣ ـ صعوبة الوصول إلى بعض المدن والقرى التي توجد فيها بعض المدارس وبالتالي صعوبة التنقل بين المدن والقرى هناك نظرًا لضيق ذات اليد وعدم توفر المواصلات بينها .

وقد سبق أن وصفت بعضها في اليوميات .

ولابد للنهوض بها من الآتي :

١ ـ توفير الكتب الإسلامية والعربية للمرحلة الإبتدائية والمتوسطة ويمكن أن تسهم في ذلك الهيئات الإسلامية . وعلى رأسها الجامعات والمصالح الحكومية في المملكة العربية السعودية التي كانت قد أسهمت بالفعل في ذلك .

٢ ـ إقامة دورات تدريبية لمدرسي الدين الإسلامي واللغة العربية بغية تأهيلهم ولابد من منحهم الحوافز على ذلك .

٣ ـ زيادة المنح الدراسية في المجالات العلمية والعربية المخصصة لأبناء المسلمين في غامبيا ، وأن تسهم في ذلك الجامعات في البلدان الإسلامية وخاصة المملكة العربية السعودية . مع العلم بأنه يوجد الآن أعداد منهم في المملكة العربية السعودية ومصر .

٤ ـ إنتداب بعض المدرسين المؤهلين للتدريس داخل غامبيا ويمكن أن تسهم في ذلك وزارات التعليم في البلدان العربية .

٥ ـ دعم المعاهد الحكومية التي تعد المعلمين الذين يقومون بتدريس الموضوعات الإسلامية والعربية في مدارسها لأنها في أمس الحاجة إلى ذلك وأن يكون هذا على هيئة مساعدات مالية للمعامل ووسائل الإيضاح ، وبانتداب المدرسين المؤهلين للتعليم في تلك المعاهد .

٦ ـ إنشاء كلية إسلامية في غامبيا بمساعدة الحكومات الإسلامية .

القاديانية :

ظهرت الدعوى القاديانية في الهند إبان استقرار الإستعمار الانكليزي هناك . وصاحب هذه الدعوة الباطلة هو (مرزا غلام أحمد القادياني) فادعى أولاً أنه مجدد ومثيل للمسيح ثم ادعى أنه المهدي الموعود . وأنكر الجهاد في سبيل الله وأنكر عقيدة ختم النبوة ، وأن نبينا محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين . وأتباعه يسمون أنفسهم بـ(الأحمديين) ويسمون نحلتهم بالأحمدية وقد انتشرت هذه الفرقة الكافرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الإنكليزي ، نظرًا لمنحهم التسهيلات من الحكومة المذكورة .

وكان للقاديانية نشاط كبير في غامبيا ، مما يشكل خطرًا على الإسلام والمسلمين . حتى كان لهم نفوذ كبير على بعض رجال الدولة ، ومظاهر نشاطهم كالتالي :

أنشأوا مدرسة عليا في مدينة (سيركندا) وأطلقوا عليها اسم (نصرة هاي سكول) ونصرة هي : زوجة غلام أحمد إمام القاديانية ومدير هذه المدرسة باكستاني يسمى (عقيل) . والمنهج الدراسي في هذه المدرسة هو : دراسة العقيدة القاديانية لتخريج جيل من أبناء المسلمين يؤمن بهذه العقيدة الباطلة ، والدراسة في هذه المدرسة بـ(اللغة الإنكليزية) وفيها عدد من المدرسين الباكستانيين والهنود .

كما أنشأوا عددًا من المستوصفات يعمل فيها أطباء باكستانيون في مختلف التخصصات مثل : طبيب الأسنان وطبيب العيون وطبيب الأمراض الباطنية ، ويقومون برحلات داخل القرى لتقديم الدواء والعلاج للمسلمين ونشر عقيدتهم الباطلة .

إلى سيراليون

بلاد الأسود المزعومة

يوم الأحد ١٤٠١/٤/٢٥ هـ ١٩٨١/٣/١ م

غادرت الطائرة الغانيَّة بتشديد الياء بعد أن تكلمت غانية ـ بتخفيفها ـ كانت فيها بأن الرحلة من بانجول إلى (فريتاون) عاصمة سيراليون تبلغ خمسًا وخمسين دقيقة .

والطائرة من طراز دي سي٩ الذي كان عاملاً في بلادنا وترك منذ سنوات والطائرة الواحدة منه تحمل ١٠٤ ركاب .

كانت الدرجة الأولى في الطائرة مليئة بالركاب إلا أنها غير واسعة ، وليس فيها من الإفريقيين إلا شخصًا واحدًا وأما البقية فإنهم من الغربيين .

كانت خدمة الغانية (المضيفة) في هذه الطائرة الغانية ـ خطوط غانا ـ

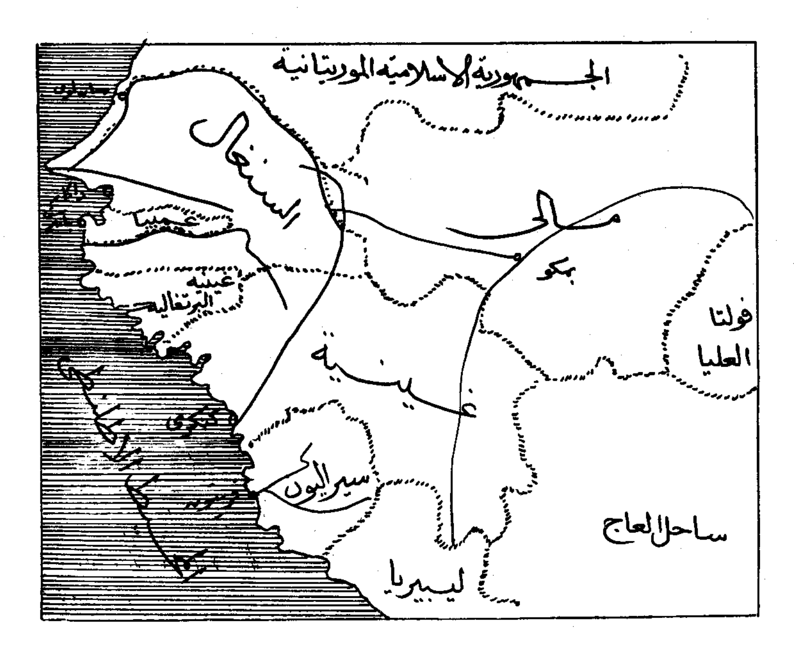

موقع سيراليون في غرب إفريقية

متوسطة بل رديئة . وكانت ضيافتها شطيرة غير جيدة وفنجانًا من القهوة معهما (تكشيرة) .

وأما الغانِيات الغانيَّات انفسهن فإنهن رشيقات الأجسام ، لطيفات الهندام ، أكثر ما في وجوههن بروزًا شفاههن.

وعندما بقي على موعد الوصول ثلث ساعة بدأت الطائرة في النزول فأبصرنا الأرض تحتنا خضراء خضرة كثيفة وليس كما هو عليه الحال في غامبيا أو السنغال .

ثم أبصرنا نهرًا غزير الماء مجراه ذو طيات متعددة .

وكانت متعة مشاهدة هذه الأرض التي لم أرها من قبل لا توصف وبخاصة أنني أؤمل أن أرى منها ما لم أره فهي من منطقة في غربي إفريقية أكثرها لم أزره ولم يكدر تلك المتعة إلا شيء كنا نحسه في آذاننا من أثر النزول مما يدل على أن الضغط داخل الطائرة ليس مكيفًا تكييفًا جيدًا .

وعندما قاربت الطائرة على النزول اتضحت أرض سيراليون ذات مظهر أخضر ندي ، وليس فيها أثر للجفاف السائد في دول الساحل الإفريقي الغربي وإذا فيها في بعض الأماكن غابات من الأشجار الكبيرة المختلفة والمنطقة التي حول المطار مزروعة معمورة تنتصب فيها نخيل الزيت وأشجار النارجيل بفروع ريانة .

في مطار لونقي :

نزلت الطائرة في مطار لونقي الذي هو مطار العاصمة ولكنه يقع في أرض تسمى (لونقي) بينها وبين العاصمة خليج من البحر وذلك بعد خمس وخمسين دقيقة بالضبط هي التي أخبرونا بها من قبل في مطار يبدو عليه القدم ، وعدم الإتساع ، وليس كما عليه الحال في غامبيا من حيث الحداثة والأناقة في المطار .

وبخاصة بناية المطار هنا فهي قديمة وصغيرة .

عندما وصلنا قاعة الدخول التي هي في الوقت نفسه قاعة العابرين والمغادرين إلى الخارج وزعوا علينا بطاقات الدخول ولم يكونوا أعطونا إياها في الطائرة من قبل ، كما كان عليه الحال في أكثر الطائرات .

وحضر إلينا موظف في المطار عندما رأى أننا أبطأنا لأن زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان لا يعرف الإنكليزية فأخذ يملأ بطاقته من جوازه ، ثم صحبنا في مكاتب المطار فكانت أول مشكلة أن موظفًا في مكتب الصحة قال : إن التلقيح عن الحمى الصفراء يحتاج إلى تجديد ، وبعد أخذ ورد سمح لنا بالدخول بدون تلقيح . وكنت أتأمل القاعة وهي صغيرة فإذا بها لوحة مكتوبة بالإنجليزية (مرحبًا بكم في سيراليون أرض الماس) .

وأما موظفو الجمرك ومراقبة النقد فلم يعملوا بنا أي عمل ولم يفتشوا حقائبنا على اعتبار أن جواز سفري سياسي وجواز زميلي الشيخ إسماعيل بن عتيق جواز خاص .

وقبل الخروج من بناية المطار صرفنا خمسين دولارًا باثنين وخمسين ليونا والليون هو العملة الوطنية هنا ويزيد الدولار عليه بنسة ٤ ٪ فقط .

وجاء صاحب سيارة أجرة بل أصحاب أجرة يسألون : أتريدون (تاكسيًا) ؟ قلنا لهم : لا إنما نريد الحافلة وكان أصحابنا في غامبيا قد قالوا لنا ذلك واعطونا عنوان فندق في فريتاون .

وأعطينا الرجل من الحلوان (البقشيش) ما أرضاه وكذلك أعطينا حاملين كانا يحملان أمتعتنا .

في سيراليون :

لا نستطيع أن نقول في (فريتاون) لأن مدينة فريتاون العاصمة ليست هي

التي فيها المطار بل المطار في أرض دولة سيراليون ولكنه خارج عن نطاق العاصمة وبينهما البحر يفصل مع ما كان يفصل بينهما من أمور كانت كثيرة في الماضي ، وقد قلت الآن بل تلاشت حتى كاد البحر يصبح هو الفاصل الوحيد العميق بينهما فقد كانت منطقة العاصمة أرضًا تملكتها بريطانيا فيما زعمته شراء من أحد شيوخ القبائل المحلية أو ملوكها كما يسمى في ذلك الوقت وأسكنت فيها العبيد المحررين وجعلتها وما قرب منها مستعمرة ثم ضمت إليها الأراضي الداخلية بمثابة المحميات .

وفي آخر الأمر كان للجميع نظام إداري موحد إلى أن تم توحيد ذلك كله تمهيدًا للاستقلال .

قطعنا تذاكر إلى فندق (بارا مونت) لكل شخص ست (ليونات) وربع أي ستة دولارات أمريكية في حافلة صغيرة لبثت قليلاً قبل أن تتحرك . وكان الجو خلالها رطبًا فيه ثقل على عكس ما كان عليه الحال في داكار وبانجول حيث الرطوبة تكاد تكون معدومة هناك وإن كانت المدينتان واقعتين على المحيط الأطلسي مثل هذه ، إلا أن الموقع الجغرافي يختلف هنا عنه في تينك المدينتين . إذْ توجد هنا تلال جبلية على الشاطيء تمنع طائفة من أبخرة المحيط من التسرب بعيدًا إلى الداخل فتبقى في الجو .

وبعد تلبث قليل سارت الحافلة الصغيرة وقد بقي فيها بعض المقاعد خاليًا وذلك في الساعة الثانية عشرة والربع ظهرًا مع طريق متوسط السعة جيد السفلتة ، يشق ريفًا أخضر نديًا لا ترى للجفاف فيه أثرًا فالغبار الذي كنا نشاهده عالقًا في أوراق الأشجار في غامبيا والسنغال غير موجود هنا وكذلك الحشائش الجافة في الأرض غير موجودة هنا أيضًا .

والأشجار البارزة في هذا الريف هي نخيل الزيت وابناء عمومتها المسماة النارجيل وإن شئت قلت : نخيل النارجيل فهي بتسمية النخلة جديرة .

وتتناثر المنازل في هذا الطريق وبخاصة ما كان على حواشيه مباشرة وهي منازل مبنية بلبن الإسمنت مسقفة بالصفيح على شكل سنام البعير ، في مظهر لا بأس به .

وهناك بعض الأشياء المعروضة للبيع تحت الأشجار فيها مثل حزم الحطب ، وعناقيد من الموز مما يدل على وفرته هنا خلاف ما عليه الحال في غامبيا كما أن فاكهة (الباباي) الاستوائية تشاهد فيها بكثرة .

وبعد مسافة ليست بالطويلة وصلنا إلى ميدان على ساحل البحر بمثابة الميناء تقف السيارات عند مدخله فينظر رجال من الشرطة في أوراقها ، فأذنوا لسيارتنا بالدخول مع الداخلين .

وفي هذا الميدان بائعات إفريقيات يعرضن بضائعهن القليلة وهن في أسفل الحيطان.

ثم رأينا عبَّارة أي سفينة كبيرة مخصصة لعبور هذا القسم من البحر ما بين (لونقي) التي فيها المطار وبين مدينة فريتاون . فكان ترتيب سيارتنا هو الحادي والعشرين منها . ثم صعد فيها معنا غيرها .

وفي العبَّارة غرف فيها مقاعد للعابرين ـ راكبي العبَّارة ـ من غير أهل السيارات وعندما استوت سيارتنا التي هي حافلة صغيرة براكبيها فوق ظهر العبَّارة نزل من أراد أن ينزل من ركابها إلى ظهر العبَّارة ليشتري شيئًا من بائعات فيها كثيرات اختلفت بضائعهن وتنوعت ، وبعضهم ـ نزل للتفرج برؤيتهن ، ورؤية بضائعهن . وكانت منها (الإربيان) أو الربيان كما يسمى عندنا الآن ويسمى في مصر الجمبري والسمك كثير عندهم بأنواع منه مختلفة ما بين طري ومملح ومدخن وهناك الكوسة والدجاج الحي .

لقد طال وقوف (العبَّارة) وانتظارها العابرين ، ولكني لم أمل من ذلك لأنني قطعته في تأمل هذا الشعب الذي أصل إلى بلاده لأول مرة .

وخُيِّل إليَّ أن هناك فروقًا كثيرة بينه وبين أهالي السنغال وغامبيا وربما يتطرق لها الحديث فيما بعد ولكن من الفروق الواضحة فارق اللغة فالناس هنا يتحدثون لغة تسمى (الكريول) وهي لغة انكليزية عامية محرفة أو متغيرة بسبب لهجات القوم . وهو أمر مستغرب على الأذن إذْ ألفنا الإفريقيين يتحدثون بلغاتهم إلا عند الحاجة فيتحدثون بالإنكليزية أو الفرنسية وبخاصة مع الأجانب . وبدأت العبارة مسيرتها في خليج بحري واسع تشاهد مدينة (فريتاون) منه على البعد جبلية خضراء .

هيئة أم صغيرة :

ليس هذا التعبير لي ، وإنما هو لمبشر أو على الأدق داعية من دعاة النصرانية في هذه البلاد ، فقد لاحظنا أنه قد ركب معنا بالحافلة فتاتان إفريقيتان مصابتان بالشلل ومعهما شخصان أوروبيان أحدهما رجل شاب عمره في حدود الأربعين والثاني إمرأة في حدود الخامسة والأربعين وكانا يظهران العناية والرعاية لهاتين الفتاتين وليس بينهما تناسب في سن أو مظهر من مظاهر العاطفة المعتادة .

ولكن عندما طال وقوف العَبَّارة وأخذ بعض الركاب ينزلون منها ثم يصعدون انطلقت ألسن البقية منهم وكان من بينهم فتاتان أفريقيتان عندما عرفتا أننا من العرب أخذتا تبسطان كَفَّي ايديهما وتسألان عما إذا كنت أحسن قراءة الكف . وهما تعملان مضيفتين أرضيتين في المطار .

وكان الرجل الأوروبي سريعًا في الكلام محبًا للتعارف فلما بدأنا بالسؤال عن بلادنا سألته عن عمله فقال : إنه مبشر أي داعية للنصرانية فقلت له : وهذه ؟ فقال : إنها مبشرة أيضًا تعمل هنا وأما أنا فإنني قادم من أستراليا وذاهب إلى النرويج ، ولكن عملي هو التفرغ لهذا الغرض .

ثم تكلم شخص آخر إفريقي فقال : إنه قادم لتوه من البرازيل . وآخر

قال : إنه من ليبريا وثالث من السنغال ، وهنا قال الأوروبي قولته التي هي عنوان هذا الفصل : إننا في هذه الحافلة الصغيرة هيئة أمم صغيرة .

وهذان الداعيان إلى النصرانية قد ترك كل واحد منهما بلده ، وهجر الملذات الجسدية فيها وجاء إلى هذه البلاد الإفريقية ليعيش فيها فترة من الوقت مع أن أكثر ما فيها مما لا يوافق أمثاله . وذلك من أجل فكرة آمن بها وهي الدعوة إلى الدين الذي يعتنقه وهو الدين المسيحي . فكم من بني قومنا من العرب الذين فعلوا مثل ذلك ؟

الجواب : إن العدد قليل بل نادر وقد انتشر الإسلام بسبب جهود فردية من أخوة لنا مسلمين من أهل هذه البلاد ومن أفراد آخرين من الجنود المجهولين الذين إن جهلهم الناس فإن ثوابهم وأجرهم سيكون عند الله جزيلاً ولئن لم يتعرف على فضلهم أهل هذا الجيل فإن الذين سيجيئون من بعدهم لن يفعلوا ذلك . والله أعلم بالقصد .

في فريتاون :

وصلت العبارة إلى الشاطيء ونزلت السيارة وركابها في وسطها ، وهنا تكرر منظر البائعات الإفريقيات وبضائعهن البسيطة ، وكان قد مضى علينا في الحافلة مند أن تحركت من المطار ساعة كاملة .

فرأينا مدينة (فريتاون) ذات موقع جميل أسفله البحر في خليج عميق . وأعلاه هضاب جبلية خضر وأرض معمورة وإذا بان شيء من ترابها وهو قلما يبين رأيته أحمر جميل المنظر إلا أن مناظر الناس الذين رأيناهم من السيارة تدل على أنها مدينة حارة رطبة إذْ يشاهد المرء بعض الناس وبخاصةالفقراء والعمال ليس على جلد الواحد منه إلا سراويل قصيرة أو (تبان) في الفصحى وقد مررنا على جسر فوق نهر منخفض المجرى جدًا ومياهه قليلة .

ثم مررنا بعدد من الشوارع والأسواق غير الواسعة إلا أنها ليست سيئة الرصف .

والازدحام بالبيوت وبالناس هو الظاهر والواضح. والحوانيت وأماكن البيع تبيع الفاكهة الإفريقية التقليدية التي هي الموز وجوز الهند إلى جانب السمك المختلف الأنواع .

ووقفت الحافلة عند الفندق الذي نقصده وهو فندق (بارامونت) وهو حكومي من الدرجة الأولى .

فوجدنا في الاستقبال فتاتين إفريقيتين عندما طلبت منهما ثلاث غرف لنا أجابتا : الغرف موجودة ولكن هل من تأمين ؟

فقلت لهما : إن التأمين لا يطلب من شخص يحمل جواز سفر سياسيًا .

فقالتا لنا : هذا أمر الحكومة فدفعنا تأمينًا قدره خمسون دولارًا أمريكيًا لكل شخص .

وأنزلونا في غرف في الطابق الأول كل غرفة فيها المرافق التي تكون عادة في غرف الفنادق من الدرجة الأولى ما عدا أن الغرف غير واسعة .

وقد طالعت إعلانًا في باب الغرفة يقول : إن أجرة الغرفة لشخص واحد أربعون ليونًا يضاف إليها العشر بمثابة خدمة ويضاف أيضًا نصف العشر أو ٥٪ ضريبة حكومية على كل قائمة حساب .

وبهذا تصبح الأجرة كلها (٤٦) ليونًا تساوي خمسة وأربعين دولارًا أمريكيًا .

يوم الأثنين : ١٤٠١/٤/٢٦ هـ ١٩٨١/٣/٢ م

جولة في مدينة فريتاون :

كانت هذه الجولة في المدينة مقصودًا بها المرور على المساجد والمدارس الإسلامية بالدرجة الأولى أكثر منها أن يكون مقصودًا بها زيارة معالم مدينة فريتاون ولذلك لم تشمل إلاَّ زيارة هذه المؤسسات الإسلامية .

إلَّا أن الجولة على المدارس ستكون بالنسبة للغرباء أمثالنا بطبيعتها جولة في المدينة ذلك بأن عين الغريب تلتقط الأشياء التي يراها لأول مرة بصورة تختلف عن التي تلتقطها بها عين المقيم في البلدة إن كانت تلتقط كل المناظر المألوفة .

المساجد والقبائل :

الحياة في معظم أنحاء إفريقية الخضراء المسماة عند الأوروبيين بالسوداء لا

أحد المساجد في مدينة بورت بوكو في المنطقة الشمالية.

تخلو من تأثير القبلية . فللقبيلة مكانة كبيرة فيها تختلف من حيث الأهمية في المدن عنها في الأرياف والأماكن البعيدة .

وقد كنت شهدت وبخاصة في أول عهدي بزيارة إفريقية كيف كانت بعض القبائل الإفريقية تؤلف الجمعيات الإسلامية على أساس قبلي فتكون هناك الجمعية الإسلامية لقبيلة كذا ، وقد حاولت أن أبين للذين قابلتهم أن الإسلام جاء بالأخوة بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وقبائلهم ، وأن كون العمل الإسلامي يتم على أساس قبلي مخالف لهذه الروح فكان بعض الإفريقيين يقولون مثلاً : إن إخواننا من مسلمي الهند هم أول من سبق لهذا الأمر وإن لم يكن على أساس قبلي فإنه على أساس طائفي فهناك الجمعية الإسلامية الهندية ، والجمعية الإسلامية الكجراتية الخ .

واليوم شهدت وجهًا آخر ولكنه وجه مشرق لعلاقة المؤسسات الإسلامية بالقبائل في هذه البلاد فقد رأيت كل قبيلة من القبائل ترى نفسها ملزمة بأن تبني مسجدًا جامعًا تجمع له التبرعات من بين أعضائها ، ثم تعمل على صيانته ، ولكنه يسمى باسم هذه القبيلة إلا أن هذا هو كل ما يكون من العلاقة بينه وبينها .

وهكذا قالوا لنا في أول الجولة هذا الصباح ، سوف نمر على مسجد قبيلة (تيمني) ولما استفسرت عن علاقة المسجد بالقبيلة أخبرونا بما ذكرته وأضافوا أنهم سيمرون بنا على مساجد جامعة لقبيلة (سوسو) وقبيلة (الهوسا) وقبيلة الفلاني الخ ..

مسجد قبيلة تيمني :

مبنى بالأسمنت المسلح الجيد ومسقف بالصاج النظيف على جمالون ، أو سنام وله منارة عريضة مربعة غير مرتفعة ليس لها شاهد في أعلاها ، وقد رسموا على مقدمته شعار المسلمين الهلال تتوسطه نجمة واسم المسجد (جامع حمد الله)

أحد المساجد في مدينة فريتاون العاصمة.

وهو مفروش بفراش نظيف جيد . وفي آخره قسم للنساء منفصل عن قسم الرجال مفروش أيضًا بفراش نظيف . وجميع نوافذ المسجد وأبوابه الداخلية من زجاج ملون جميل وفق ذوق رفيع . وقد كتبوا على المنبر الآية الكريمة ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾. وقابلنا المسئول عن المسجد واسمه (عبدالله بانقور) فقال إن المسجد يمتليء يوم الجمعة وأن بعض المصلين يصلون في الخارج .

وبجانب المسجد مدرسة كبيرة تسمى (مدرسة الأخوة الإسلامية الإبتدائية) لأن لهم مدرسة أخرى ثانوية ودخلنا إلى المدرسة من باب جانبي يصل ما بين المدرسة والمسجد وفي فراغ بينهما أشجار البابايي المحملة بالاعذاق وأشجار من الموز صغيرة .

وقال لنا المسئول عن المدرسة موجهًا كلامه إلى الشيخ جبريل سيسي : لماذا لم تخبرونا قبل ذلك حتى نستعد للزيارة ؟

قال ذلك وهو يذود الأطفال عن باحات المدرسة لأنهم كانوا في فترة استراحة بين درسين وأجابه الشيخ جبريل : بسبب ضيق الوقت ، ولأن هذه هي إرادة المشايخ .

والشيخ الحاج جبريل سيسي شخصية إسلامية إفريقية معروفة بل كان أول شخص إسلامي كبير عرفته من أهل سيراليون، فكان يأتي إلينا في الجامعة الإسلامية رئيساً لحجاج سيراليون ويسعى في إلحاق الطلبة من أهل تلك البلاد بالجامعة. ثم كان سفيراً لسيراليون في القاهرة عدة سنوات وهو يعرف العربية جيدًا.

ومن أجل جهوده التي لا تنكر في مجال الدعوة الإسلامية. ونشر الثقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد عينته رئاسة الافتاء في المملكة العربية السعودية داعية إلى الله تدفع له مرتباً شهرياً لهذا الغرض.

وكنا اتصلنا به الليلة البارحة فصحبنا في جولتنا هذا اليوم مع أن عمره يزيد على السبعين كما قال أما أنا فانني أعتقد أنه يقارب الثمانين وهو نشيط الجسم، سليم الحواس، وله أربع زوجات وعدد كبير من الأولاد ما بين ذكور وإناث.

جاء مدير المدرسة واسمه (محمد كمارا) وقال: إن عدد الطلاب في هذه المدرسة يزيد قليلاً على ثمانمائة ما بين طالب وطالبة. والحقيقة أننا عندما رأيناهم خيل إلينا أن عددهم أكثر من ذلك بكثير. وقد لاحظت أن عدداً من هيئة التدريس هن من النساء.

وعندما سألناهم عن الجهة التي تنفق على هذه المدرسة الكبيرة؟ أجابوا: إنّ ذلك من التبرعات. أما بناء المدرسة فهو بالاسمنت مؤلف من ثلاثة طوابق. في الطابق الأول الصغار من الطلاب من صبيان وبنات. وللمبنى نوافذ زجاجية جيدة.

قال لهم المدرس بالعربية: سلام، فقالوا بصوت واحد يشبه النشيد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكل السبورات في هذا الطابق مكتوبة باللغة العربية.

وفي الطابق الثاني رأينا قاعة كبيرة مليئة بالطلاب على هيئة مجموعات، كل مجموعة على مقاعد متقاربة وعند كل مجموعة مدرس أو مدرسة فقالوا: إن هذه فصول خمسة في هذه القاعة الواسعة التي لا تحتاج إلا إلى فواصل ولو خشبية لتصبح فصولاً منفردة.

وفي الطابق الثالث كانت الفصول الأعلى مستوى وقابلنا معلم اللغة العربية واسمه (سليمان أحمد قابو) تعلم العربية في هذه البلاد، وهو يتكلمها جيداً. وأمنيته أن يتم دراسته في أحد البلدان العربية.

وقد أخذ طلاب أحد الفصول العليا ينشدون بالعربية نشيداً منه: (نرحب بكم في كل مكان في مدرسة الأخوة الإسلامية) وبعد ذلك أنشدوا نشيداً يمدونه مداً ويرجعونه ترجيعاً يشبه التواشيح الصوفية، أو الترانيم المسيحية من حيث طريقة أدائه.

وفي غرفة المدير والمدرسين وهم في غرفة واحدة قال المدير: إننا نعاني نقصاً شديداً في الكتب العربية اللازمة للتعليم.

ويقع المسجد والمدرسة في حي اسمه (كروتاون) بيوته بالإسمنت ذوات سقوف مسنمة من الصفيح. وهذه السقوف المسنمة من الأدلة الواضحة على أن البلاد مطيرة وأن مطرها يستمر لفترة طويلة.

وبعض البيوت ذات أحواش حيطانها من الصفيح الرديء ولا شك أنهم اختاروه لكونه أرخص نفقة وأسهل عملاً من لبن الإسمنت أو أن للبن الإسمنت شروطاً في البناء أكثر صعوبة.

وفي هذا الحي كما في كثير من البلدان المطيرة من البلدان الاستوائية غير الراقية توجد قنوات وتعني مجاري المياه الضيقة على جانبي الشوارع تتسرب منها المياه المستعملة ومياه الأمطار إلى الأماكن المنخفضة وهي هنا مياه البحر لأن مدينة (فريتاون) تقع على شاطىء مرتفع من شاطىء البحر. إلا أنني لاحظت أن أهل المسجد قد سقفوا المجرى الذي يلي المسجد بسقف من الحجارة حتى تجاوز محاذاة المسجد.

مسجد قبيلة سوسو :

وينبغي أن ننوه هنا أن كون المسجد مضافاً إلى قبيلة بعينها كقبيلة (سوسو) هذه لا يعني أنه لا يصلي فيه إلا أهل تلك القبيلة بل الصحيح أنه مباح لجميع المسلمين ولكن نسبته إلى القبيلة بمعنى أنها هي التي أنفقت على بنائه، وهي التي تنفق على استمرار عمارته وصيانته والانتفاع به.

يقع في الحي نفسه المسمى (كروتاون) وهو حيّ مختلط السكان من المسيحيين والمسلمين في شارع غير واسع مسفلت، ولكن سفلتته رديئة فيها كثير من الحفر والنقر.

وجدنا فيه الإمام قال: إن اسمه (إسحاق قاسم) كما وجدنا فيه طلبة من أهل العلم يتدارسون كتاباً معهم. والمسجد من طابقين الأعلى للنساء وهو الأصغر والأسفل للرجال، وله أربع منارات أو على الأدق صوامع ـ جمع صومعة ـ لأنها مربعة قريبة الشبه بالمنارات الأندلسية التي يسميها أهل المغرب في الوقت الحاضر (الصومعة) وليس فيها شواهد أي أهلة أو نحوها تعلوها وإنما رأيتهم يجعلون شعار المسلمين وهو الهلال والنجمة على واجهة المسجد، وحيطانه الخارجية.

والمسجد مفروش كله بفراش جيد، وجميع أبوابه الداخلية ونوافذه وهي كبيرة واسعة من الزجاج الملون الجميل وقبته تذكرك بالطراز العربي القديم لولا

أن أعمدته تبدو كالمِحْقَن فهي عريضة الأسفل كلما ارتفعت دقت حتى تكاد تكون عند السقف نصف ضخامتها في الأسفل.

ومحرابه واسع سعة ملفتة للنظر كما عليه الحال بالنسبة إلى محاريب المساجد في غامبيا غير أنها هنا أفخم بناء وأغلى تكلفة وآنق منظراً وكذلك في المحراب كما في (غامبيا) نافذة مفتوحة الى القبلة ذات زجاج ملون جميل.

وبجانب المحراب منبر من الخشب المطلي بطلاء أحمر غامق حفرت فيه الشهادتان: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

مسجد قبيلة ليمبا :

وانتقلنا لمشاهدة مسجد قبيلة ليمبا وهي قبيلة صغيرة منها رئيس الجمهورية الحالي (إيساكا ستيفنس) وللمسجد منارة عالية تشاهد من بعيد بطلائها الأبيض الأنيق وقد كتب عليه اسمه بالعربية (جامع الأميني). وبجانبه مدرسة كتب عليها بالعربية أيضاً: (المدرسة الأمينية الإسلامية).

والمسجد طابقان الأسفل للرجال كما هو الحال في سابقه مسجد قبيلة سوسو وخلفه جزء منه طابقان أسفله للنساء وأعلاه فيه المدرسة الإسلامية. وعند مدخله كتبوا عليه كلمة: (الله أكبر).

وبناؤه بالمسلح، وله أروقة بالإسمنت المسلح أيضاً دائرة بدورانه والنوافذ ما بين المسجد وتلك الأروقة كلها نوافذ جيدة وذات زجاج ملون بشكل جميل متناسق.

وهو على طراز عربي خالص إذْ في وسطه قبة عربية كاملة الطراز ودائرة بالمسجد أقواس عربية أيضاً تحملها الأعمدة.

وله منبر على هيئة مصباح عربي من الخشب له قاعدة جميلة ويصعد إليه على أربع درجات خشبية.

أما المحراب فان فوقه قبة صغيرة وفيه نافذة بالزجاج الملون، وفي جهة منه خمسة صناديق صغيرة مثقوبة الأعلى كحصالات النقود أعدت لجمع التبرعات.

وعندما خرجنا من المسجد وجدناهم قد سقفوا مجرى المياه المستعملة الذي كان يجري قرب حائط البيوت في جانب الشارع حتى جاوز محاذاة المسجد فعاد كما هو مكشوفاً للنظر.

مسجد قبيلة مندي :

وهي قبيلة كبيرة يقول أفرادها إنها أكبر قبيلة في سيراليون التي يبلغ عدد القبائل فيها أربع عشرة ولكن جماعة من أفراد قبيلة (تميني) يقولون: إنهم هم القبيلة الأولى في البلاد من حيث العدد وان قبيلة مندي هي الثانية على أن الصحيح هو الأول.

وهو مسجد كبير ذو أربع صومعات أو منارات من دون شواهد في أعلاها، وله عدة قباب ولا يزالون يعملون فيه على ضخامته فقد رأينا أكواماً من الحصا والرمل معدة للعمل والعمل فيه جار بنشاط.

وقد أكملوا الطابق الأسفل منذ مدة وهم يصلون فيه.

وعند مدخل فنائه الخارجي رأيناهم أقاموا عشة لبعض العمال والحراس من خشب عليه سعف نخيل الزيت لا يشك فيها من عرف المعشاش الذي يصنعه الفلاحون في بلادنا من سعف النخيل بأنها هي أو مطابقة لها تماماً.

وفي هذه (العشة) الباردة من منتصف هذا النهار الحار رأينا أحد العاملين نائماً في سرير من قماش أو نسيج لا أدري ما هو ولكنه معلق بين السقف والأرض بحبلين وهو يغط في نوم عميق بحيث لم يشعر بوجودنا إلّا أنه من العجيب أن يستغرق في نومه مع أن جسمه مقوس فظهره نازل ورأسه ورجلاه مرتفعتان.

ويصعد إلى الطابق الأرضي من المسجد على درج واسع من الاسمنت المسلح الأنيق مع ثمان درجات فيدخل إليه الداخل مع باب حديدي جيد له أبواب حديدية أخرى مثله. وله نوافذ واسعة من الزجاج الملون.

وفي المسجد قسم خلفي مخصص للنساء محجوز عن قسم الرجال بجدار بعضه من الزجاج غير الشفاف (المثلج).

وقد حفروا على منبره الذي هو من الخشب الجيد الشهادتان والشعار الإسلامي حفراً.

أما المحراب فهو عجيب إذْ وجدناه مغلقاً بباب من الحديد الذي هو على هيئة قضبان عدة. لأنه واسع ولأن فيه أشياء ذات قيمة مثل مكبر الصوت، وسجادة فوق الفراش مخصصة للإمام.

وفي فناء المسجد الخارجي نخلة حقيقية في الشكل، إلا أنها عاقر لا تلد، ولا تثمر، وهذه هي عادة النخلة الوفاء لأهلها في بلادها فتضرب عن الإنجاب، وتضرب عن الإخصاب وكيف لا يكون الأمر بالنسبة لها كذلك، وهم قد وضعوها في هذا الجو الاستوائي الذي لا تعرف فيه النخلة شتاء من صيف ولا ربيعاً من خريف. فدهره كله واحد لا يتغير إلا بتغير الرطوبة إذا زاد المطر لطف الجو، وقل الحر، وإذا قل المطر كان الأمر عكس ذلك.

وربما كانوا قصدوا بالابقاء على هذه النخلة ما قصده غيرهم من المسلمين من التبرك بوجودها أو على الأقل الاستئناس بذلك لكون المدينة المنورة ذات نخل، وقد يكون أصلها نواة من تمرة من تمر المدينة ظن غارسوها او المتعهدون لها بأنها ستكون كأمها نخلة ذات رطب جني. مع أنه يمكنهم أن يغرسوا في مكانها من نخيلهم الذي يشبه نخلنا في الشكل، ويخالفه في الأُكُل من نخيل الزيت أونخيل النارجيل.

في مسجد الهوسا :

ذهبنا لزيارة هذا المسجد المضاف إلى قبيلة الهوسا وهي قبيلة كبيرة تسكن في أقطار عدة من إفريقية لعل أكبرها عدداً ذلك الموجود في نيجيريا وبخاصة في شمالها، وتسميتها بالقبيلة أمر فيه تجوّز لأنها تضم أقواماً لا يجمع بينهم إلا جامع اللغة الهوساوية.

وقد اخترقنا حيًّا شعبياً متوسط الجودة في أسفل حيطانه على الشارع بائعات عدة من بضائعهن الأرز والدخن والليمون وثمار صغيرة من المانقو، وصابون وفلفل أحمر وزيت من نخيل الزيت في زجاجات جعل لونها أحمر كلونه.

وبيوت هذا الحي متعددة الطوابق من طابقين إلى ثلاثة أغلبه بالأسمنت وفيه بعض البيوت مبني على تعدد طبقاته بالأخشاب وجميعه ذو أسقف مسنمة بالصفيح ليسمح بانزلاق مياه الأمطار عند نزولها.

أما المسجد فانه مثل غيره من المساجد هنا ذو منارات أربع بدون شواهد إلا أنها هنا عالية، جيدة المظهر من ناحية الارتفاع، أما من ناحية النظافة فإن هذا المسجد دون ما رأيناه من سائر المساجد في هذه المنطقة من حيث النظافة في داخله وخارجه فالحيطان الداخلية والعمد والأبواب، قد ركبتها الأوساخ في مظهر غير محبب للنظر رغم كون المسجد قد أنفقت في بنائه نفقات طائلة فيما يظهر من أمره. ومن ذلك أن نوافذه بالزجاج الملون.

ولمحرابه باب يفصله عن باقي المسجد.

شعب إفريقي :

وخرجنا منه إلى مسجد آخر ورأينا الشعب هنا على حقيقته فإذا به شعب إفريقي من البانتو أو من يسميهم الأوربيون الزنوج لهم جميع خصائص هؤلاء القوم المظهرية ما عدا شيئاً واحداً لم نلاحظه هنا وهو الرائحة المميزة لأجساد

الزنوج فلم ألاحظ وجودها هنا مع أن الجو حار نوعاً رطب قد يضاعف من ظهورها فيما لو كانت موجودة.

وأكثر الخصائص المذكورة هنا بروز الشفتين وأظهر ذلك عند النساء والأطفال أكثر من الرجال.

وهم بهذا يخالفون أهالي السنغال وغامبيا الذين هم مثلهم في اللون إلا أنهم ليسوا مثلهم في الخصائص الجسدية فيخيل إلينا أن السنغاليين لا جامع بينهم وبين هؤلاء إلا هذا الذي يكون في اللون، وإلا فإن بعض التقاسيم مختلفة.

ربما يقول قائل إن السبب هو قرب خط الاستواء من أهالي سيراليون وأضرابهم ممن تظهر فيهم الخصائص المميزة.

وهذه الأحياء الإفريقية المتوسطة في هذه المدينة هي أحياء تكاد تكون مكتملة المرافق فإشارات المرور الضوئية موجودة في أكثرها، والسيارات التي تسير في شوارعها سيارات نظيفة، وغالبها جديد، والقديم مطلي بطلاء بهيج مما يشعرك بأن هذه البلاد لم تدخلها الاشتراكية التي تفقر الغني، ولا تغني الفقير.

ولا يلاحظ المرء فيها شيئاً غير مألوف في الأحياء المتوسطة من المدن في البلاد الإستوائية والافريقية الأخرى إلّا ظاهرة مسايل المياه أو قل القنوات التي تجري فيها المياه المستعملة ومياه الأمطار عند نزولها فإنك تجد في كل شارع مجريين مكشوفين عميقين نوعاً ما قد وصلت بهما مجاري البيوت، ولكنك لا تجد لذلك رائحة عفنة مؤذية ربما كان سببه كثرة الأمطار أو وفرة المياه في البيوت، على أننا لم نلاحظ مبالغة منهم في الاستحمام في الشوارع والمحلات العامة كما يفعل الأندونيسيون والماليزيون مثلاً.

ولقد رأيت صنبوراً من صنابير المياه في أحد الشوارع فسألت عن وجوده هنا مع وفرة الماء، ودخوله إلى البيوت فأخبرني مرافقونا أن بعض الناس

يستثقل مصاريف إدخال الماء والإنفاق عليه، والا فالماء متيسر لكل من أراد إدخاله إلى بيته.

في سوق تجاري :

وامتد بنا السير إلى سوق تجاري مزدهر في حي جيد ويسمى (تايابون) وهو سوق ذو حوانيت ومتاجر كبيرة، ولكن ذلك لم يكف الناس بل امتدت (البسطات) المحمولة على العربات اليدوية على جانبيه تكاد تحول بين هذه الحوانيت الكبيرة وبين المتسوقين منها، وتمتد على امتداده، والسيارات الكبيرة مع أصوات الباعة تختلط فتحارب السكون.

اللغــات :

لا تكاد تسمع من اللغات هنا إلا (الكريول) وهي اللغة المختلطة أي الإنكليزية المختلطة بلغة عامية وكلمات محلية إن لم تكن تلك الكلمات كثيرة فإن تحريف النطق بالإنكليزية يجعلها كذلك.

و(الكريول) هذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الجميع في هذه البلاد بل هي التي تجمع بين طوائف السكان من قبائل مختلفة ومناطق متفرقة، ولولاها لما استطاع أفراد القبائل أن يتفاهموا مع أفراد القبائل الأخرى في البلاد لأن كل قبيلة لها لغة خاصة بها بل إن بعض القبائل مثل قبيلة ليمبا التي منها رئيس البلاد (إيساكا ستيفنس) لها لهجات تكاد تكون لغات منفردة.

ويبلغ عدد اللغات التي تذيع بها إذاعة الحكومة إحدى عشرة لغة، وليس معنى ذلك أنها تذيع بها في آن واحد لأنها تختلف من ناحية الأهمية وعدد المتكلمين بها، وإنما يعني ذلك أن الحكومة ترى أن الحاجة داعية إلى الإذاعة بهذه اللغات الإحدى عشرة ولو على فترات غير متساوية واللغة الأولى في

الإذاعة ـ بطبيعة الحال ـ هي لغة الكريول وبعدها في الأهمية لغة (مندي) و(تيمني).

استغفـر الله :

رأيت أحد الأشخاص حاسر الرأس، لا يبدو عليه أي مظهر من المظاهر التي قد تميز المسلمين في هذه البلاد من لبس طاقية أو قميص طويل.

ولم يسلم علينا، وإنما وقف ينظر إلينا، فسألته أأنت مسيحي؟ فقال بحدة وشدة: (أستغفر الله)، أنا مسلم.

فسررت لحدته وشدته واستنكاره أن يتهمه متهم لا يعرفه بأنه غير مسلم مع أنه ليس عليه من مظاهر المسلمين شيء.

مسجد الفلاتيين :

رأيناه على البعد رفيع المنائر، عالي الشعائر ذا قبة مرتفعة، مناراته الأربع طبقات فوق طبقات بيضاء الطلاء، ظاهرة الرواء، في حي جيد فيه متاجر جيدة وحركة للبيع والشراء كبيرة.

وكان ذلك قبل الظهر، فوجدنا بابه الخارجي مغلقاً بأبواب محكمة من الحديد، ومع ذلك كان قد جلس حوله طائفة من السائلين والمسترزقين الذين لا تبين المسكنة على وجوه بعضهم وإنما هي العادة في الاسترزاق عند أبواب المساجد.

وبينما كنا ننتظر مجيء الشخص الذي عنده المفاتيح كنت أتأمله فرأيت اسمه مكتوباً بالعربية (جامع الرحمة).

وظاهره نظيف جداً، وعندما جاء الحارس وفتح الباب الخارجي رأيت أفنيته الداخلية التي لم تكن بالغة السعة نظيفة جداً، وأنيقة قد طليت جدرانه

باللون الأبيض ووشحت بأوشحة زرقاء.

ولا يستطيع من يدخل إلى الفناء الداخلي أن يدخل إلى المسجد لأنه مغلق بأبواب حديدية إلا إذا فتح الباب الداخلي فكان أن رأينا المسجد من الداخل نظيفاً معتنى به ذا قبة عربية في وسط سقفه. وله منبر خشبي ذو درجتين قد حفروا عليه الشعار (الهلال الذي تتوسطه النجمة).

ويحيط بالمسجد الداخلي نوافذ واسعة مرتفعة كلها بالزجاج الملون المنسق الجميل..

وحالما فرغنا من مشاهدته أغلقه الحارس أو المسئول عنه.

ووقفت على حانوت أمامه يبيع جلود الحيوان النادرة مثل النمور والغزلان، والحيات الكبيرة ولكن الذي يظهر من أمرها أن دباغتها غير جيدة، وقد جربت مثلها ففسدت عندنا بعد زمن قصير.

سوق القورو :

القورو : معروف عندنا في الحجاز لأن أهالي غرب إفريقية يحضرونه بكثرة، وأذكر أن جماعة منهم كانوا يحضرونه لي هدية إذا حضروا من غربي إفريقية عندما كنت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهو ثمار شكلها شكل كلية الضأن إلا أنها أصغر من ذلك فهي في حجم الليمون (البنزهير) ولونها يختلف من الأورانجي إلى الأحمر وكلها فيه خط أرجواني اللون وبخاصة ما كان منها جيداً.

ويمضغه الناس هنا يستعملونه لما يستعمل الهنود له التانبول، أي: يقولون: إنه يشد اللثة ويفرح القلب. وأكله هنا شبيه بأكل القات في اليمن مع الفارق بينهما فليس في القورو من السيئات ما في القات.

ويتغالون هنا في استعماله حتى إن من يأتي إلى أمر هام كخطبة المرأة التي

يريد الزواج بها لا بد له من أن يحضر معه القورو.

دخلنا هذا السوق فوجدنا القورو أنواعاً منوّعة معروضاً في سلال من الخوص تحته وفوقه أوراق الموز الخضر. وذكرت باعة القات في الحبشة وإفريقية الشرقية حيث يلفونه بأوراق الموز ويعلقون على محلاتهم أوراق الموز علامة على وجود القات لديهم.

ورغم ما في السوق من القورو المتعدد الأحجام والمختلف من حيث الجودة والرداءة فإن فيه بضائع أخرى يقبل الناس على شرائها من ذلك زنجبيل طرىء أخذ لتوه من الأرض في عناقيد. و(موهوقو) وهو شيء كالبطاطس يستخرج من الأرض ويصنع منه الدقيق ومن دقيقه تصنع العصيدة والأقراص الغليظة وهو غذاء رئيسي لبعض الشعوب الإفريقية. وفول سوداني، وفلفل أحمر حار، وجوز الهند، وجلد من رأس البقر مطبوخ، وأكارع من البقر مطبوخة، وأوراق من الدخان (التبغ) المحلي، وبصل صغير غريب، وطماطم صغيرة، وأنواع من الفاكهة لم أعرفها إذ أسرع مرافقي وضاعوا في الزحام الشديد من المواطنين. وفاصوليا كبيرة الحجم جداً ملساء الحب، وأنواع من الدخن. وأوانٍ فخارية غير جيدة الصنع.

ورغم الازدحام في هذا السوق ومظهرنا المتميز الذي لا يمكن إخفاؤه لأنه ليس في هذا السوق من يخالف لونه لون أهل البلاد غيرنا، فإنني شاهدت حسن الأدب في الازدحام، وعدم مضايقة الغريب أو محاولة استغلاله والإلحاح عليه بالشراء، وإنما كان كل ما في الأمر أن الباعة وأكثرهم من النساء إذا رأينني أُحد النظر في سلعة من السلع ابتغاء معرفتها ابتسمن بلطف ومجاملة، وأخبرنني بما أريد معرفته من أمرها.

ولو كان مثل هذا الازدحام في بعض البلدان المتخلفة في الشرق الأوسط وجاء إليهم أجانب لكان من المحتمل أن يجعلوا منهم فرجة، وأن يتفننوا في

الضحك عليهم والاستهزاء بمظاهرهم. ومضايقتهم إذا لم يشتروا من بضائعهم بعد الإلحاح عليهم في عرض السلع.

سوق شعبي في فريتاون

مسجد قبيلة مادنكا :

وهذه القبيلة هي قبيلة هامة أيضاً وهي من القبائل المهمة التي جاءت من الشمال من مالي أو غينيا وهي عريقة في الإسلام وأدخلت الإسلام إلى أجزاء من هذا الركن من إفريقية، ويختلف النطق باسمها في بعض هذه الأقطار فهنا يسمونها (مادنقو) والفصحاء يقولون (مادنكا).

وقد كتبوا على الجامع اسمه الرسمي (جامع القدوس) وقالوا لنا: إن الذي يخطب فيه الأخ الذي أصبح شيخاً وهو صلاح جانيه من أبناء سيراليون الذين

سارعوا إلى الالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتخرجوا فيها ثم حصل على الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

والمسجد نظيف جداً مظهره وداخله يشبه المساجد العربية القديمة في مصر والشام التي استوحت طراز بنائها من طراز عصر المماليك أو التي بقيت من ذلك العصر إذْ تركبه قبة عربية وتحيط به نوافذ ذات زجاج ملون كامل التلوين.

ولكنه يخالف الطراز العربي في شيء واحد هام ألا وهو عمده فهي هنا قد بنيت على شكل يشبه الشكل الهرمي الحاد فأعلاها دقيق وأسفلها واسع ولكن ذلك يتدرج تدرجاً فنياً من دون أن يكون في شكلها نشاز.

ومنبره من الخشب الصقيل، وفيه قسم خلفي للنساء مفصول بينه وبين مصلى الرجال بجدار فيه نوافذ زجاجية وباب من الزجاج الملون، بل إنهم بالغوا في التأنق في صناعته حتى جعلوا على الباب قوساً كالهلال الواسع كله من الزجاج الملون فأصبح في النهار عندما رأيناه يضيء كأن فيه مصابيح ملونة مع أنه ليس فيه إلا النور الطبيعي فما بالك به إذا أضيء بأنوار حقيقية في الليل.

وقبته عربية عالية قد كتبوا على أركانها اسم الرسول ﷺ والخلفاء الأربعة كما كان الأتراك يفعلون في المساجد إظهاراً لمذهب أهل السنة الذي كان يقاوم الشيعة في تلك العصور.

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية ابتدائية تدرس العربية والإنكليزية وكان أطفالها في وقت الفراغ بين الحصص فرأيناهم يسرحون ويصرخون، ويتقافزون وعندما خرجنا من المسجد إلى الفناء الخارجي أحاطوا بنا حتى كنا منهم كأننا في خضم من المياه الزرقاء الرقيقة فهم على كونهم أطفالاً لا يميزون، مؤدبون مهذبون لا يلقى الغريب منهم إلا الابتسامة الجميلة أو الكلمة البريئة ولم أر منهم ولا من إخوان لهم طيلة هذه الرحلة أي كلمة نابية أو أي وجه مكفهر أو أية فعلة غير مستساغة.

وكنا نسلم عليهم ونمسح على رؤسهم فيتراكض الذين هم بعيدون يريدون القرب من هؤلاء الذين أخبرهم المخبرون بأنهم إخوان لهم مسلمون. وهم ينتهزون فرصة من مصافحة أو من محادثة ينقلون حديثها إلى أهليهم أو يتحفون بها ذويهم، وربما يجعلها أحدهم حديثاً يروي إلى أمد مديد.

وعدنا من حيث جئنا إلى السوق ورأينا طلاباً خارجين من مدرسة حكومية لباسهم كلهم الأخضر من قميص وسروال قصير. هذا للصبيان. وأما الصبايا أو البنات فان لباسهن قميص أو ما يسمى بالفستان قطعة خضراء قصيرة ذات أكمام تصل إلى العضدين.

جامع الجليل:

وهذا الجامع هو الذي يصلي فيه ويقوم على رعايته مرافقنا وصديقنا الشيخ جبريل سيسي بل إن لديه مكتباً دائماً فيه.

والشيخ جبريل سيسي هو من قبيلة (تيمني) التي هي إحدى القبائل الرئيسية في سيراليون.

ويقع في حي شعبي اسمه (كيتي رود) في هذا الحي بيوت من خشب أغلبها طابقان يركبهما سقف من الصاج وأحواشها من الصاج الرديء الذي هو صديء في أغلب الأحيان.

دخلنا الجامع فأعجبنا بساحاته الخارجية الواسعة على خلاف أكثر المساجد التي دخلناها هنا من قبل إذْ أكثرها ليس له ساحات خارجية واسعة بسبب وقوعها في أماكن سكنية مزدحمة.

وباحاته الخارجية كلها مفروشة بالبلاط الملون باللونين الأسود والأحمر. وطلاء جدرانه الخارجية بني فاتح.

أما من الداخل فإنه اللون الأرجواني.

وهو مفروش بالسجاد الموحد (الموكيت). وفيه العمد ـ جمع عمود ـ أو الاسطوانات ذات الشكل المميز في هذه البلاد وهي التي تكون مستديرة غليظة الأسافل دقيقة الأعالي إلا أن ذلك يتدرج بشكل فني متناسق.

وإمعاناً في التأنق سقفوا المسجد بسقف مستعار أو ما يسمى (أرمسترونج) على سعة المسجد وما يتطلبه ذلك من نفقة كبيرة.

وهو كغيره من الجوامع في هذه البلاد جميع نوافذه على كثرتها واتساعها مصنوعة من الزجاج الملون المتناسق الألوان.

وفيه قسم خلفي للنساء وفوق ذلك القسم طابق ثانٍ أُعِدَّ ليكون بمثابة مدرسة إسلامية لتعليم أمور الدين على شكل حلقة أو كتّاب صغير.

وليس على هيئة مدرسة نظامية لأن للشيخ جبريل سيسي مدرسة مقابلة للمسجد يفصل بينهما شارع أسماها مدرسة ابن باز على اسم الشيخ عبد العزيز ابن عبدالله بن باز لم يدعنا نتجاوزها حتى وعدناه بأن نزورها في وقت لاحق.

وقد أبدينا للشيخ جبريل اعتقادنا بسعة هذا الجزء المخصص للنساء من المسجد فقال: إن ذلك صحيح ولكنه على سعته يضيق بهن يوم الجمعة.

وبهذه المناسبة ولكون الشيخ جبريل سيسي من قبيلة تيمني قال لنا: إنه توجد في مدرسة (فريتاون) هذه عشرة مساجد لقبيلة (التمني) هذا أكبرها.

وهو محق في التنويه بأن هذا المسجد كبير فهو واسع عظيم فيه ملاحق وغرف من ذلك غرفة فيها مكتب الشيخ جبريل سيسي.

دخلنا إليها للاستراحة فيها لعدة دقائق فأبى الشيخ جبريل إلا أن أجلس على كرسي له مريح أمام مكتب نظيف.

وأول ما صنعه أن خلع طربوشاً أحمر اللون ثقيل الوزن كان لا يفارق رأسه منذ أن عرفته في المدينة المنورة قبل حوالي ثمانية عشر عاماً. فوضعه على

المكتب، وعجبت لصبر الشيخ على لبس هذا الطربوش الثقيل في هذا الجو الاستوائي الذي يكون حاراً في وسط النهار. ولكنني عندما تأملت ثياب الشيخ زال عجبي من تحمله الطربوش وزاد من تحمله بقية الملابس إذ هو يرتدي ثياباً طويلة معتادة داخلية فوقها حلة أو جبة من قماش أحمر سميك قد حلي صدرها (بزري) أي خيوط فضية اللون كثيرة. وهو يضع أيضاً إضافة إلى ذلك على كتفيه شالاً من القطن السميك برتقالي اللون.

وذلك لأن مقامه الديني والقبلي يفرض عليه أن يلبس هذا اللباس الثقيل لأن ذلك من لوازم الوقار وإظهاراً للمكانة الاجتماعية وقد لاحظت بعد ذلك أن الشيخ جبريل كان يأتي إلينا في كل يوم وهو لابس حلة ثقيلة غير التي كانت عليه بالأمس ـ فسألته ممازحاً عن السر في ذلك؟ فأجاب: إن لديَّ أربع زوجات وكل واحدة منهن تريد إذا خرجت من عندها أن يكون لباسي حسناً، وثيابي جيدة.

ضيافة صاحب المطعم:

كان موعد الغداء قد أزف فطلبنا من الشيخ جبريل سيسي أن يدلنا على مطعم وطني نظيف لنجرب الطعام الوطني، ولنغير من طعام فندقنا الذي يقدمه على الطريقة الأوروبية شحيح القدر غالي الثمن.

فاستجاب الشيخ لطلبنا غير أنه أراد شيئاً لم نرده، فبدلاً من أن يذهب بنا إلى المطعم الذي هو جزء من فندق ذهبنا من حيث لا نعلم إلى إدارة الفندق فسلم على مديره، وكلمه بلغة الكريول التي أفهم المقصود منها فرفع من قدرنا عند صاحبه، وقال إنهم من الشخصيات الكبيرة فما كان من صاحب الفندق والمطعم إلا أن صحبنا إلى المطعم، وأخذ يشرف على إعداد الطعام بنفسه، ويأتي بعدة أطباق ولما أردنا أن ندفع له القيمة أبى أن يأخذها، وقال: أنتم جئتم من البلاد العربية لتزونا نحن إخوانكم في هذه البلاد فماذا تكون قيمة ضيافتكم؟

ولم نستطع أن نجعله يعدل عن رأيه أو أن نفهمه أن المطعم فتح للكسب لا للضيافة.

وكان قبل ذلك قد حدثنا أنه قد أعطى أوامره للموظفين والعاملين ألا يمكنوا أي شخص يريد أن يفعل شيئاً محرماً في الفندق ولو أعطى عن اليوم الواحد ألف ليون. وقال: إنني لا أقدم في المطعم ولا في الفندق شيئاً حراماً من خمر أو نحوه.

وقال: إن اسمه (محمد خليفة دابو) وان خليفة هو اسم والده.

وخرجنا من عنده عائدين إلى الفندق فرأينا في طريقنا رجلاً يتبعه طائفة من الناس قد لبس جلد نمر، وعلق عليه عدة عقود من الودع قالوا لنا: إن هذا (عريس) أي رجل مقدم على الزواج وإن هذه طريقة من طرق الإعلان عن الزواج في هذه البلاد.

سوق العــرب:

وإن كانوا هنا لا يسمونهم العرب بحروف هذه الكلمة وإنما يسمونهم اللبنانيين فهذا سوق غاص بالمتاجر الكبيرة، وكلها تكاد تكون خالصة للبنانيين لا يشاركهم فيها أحد، حتى اللافتات كلها أسماء لبنانية.

وهو سوق ليس ببعيد عن فندقنا فندق (بارامونت) خرجت إليه في هذا الأصيل ماشياً بصحبة زميلي في الوفد الشيخ إسماعيل بن عتيق، وفوجئنا حين رأينا هذه المتاجر العربية تحمل أسماء عربية خالصة، وذلك في جزء جميل من هذه المدينة كل أبنيته بالإسمنت المسلح بل فيه عمارات شاهقة، ومصارف ومتاجر وفي أطرافه بعض الدوائر الحكومية الهامة.

ووقفنا عند حلاق قال: إنه من مدينة صور في لبنان. ولما سألناه عن الحوانيت هذه أخذ يشير إلى ما كان قريباً منه فيقول: هذا الدكان لابن عرب،

وذاك لابن عرب وهذا كله للبنانيين.

وقال: هذه المساكن الاسمنتية المسلحة فوق (الدكاكين) يسكن فيها لبنانيون.

ولما سألته عما إذا كانوا يجدون مضايقة من حكومة هذه البلاد بصفتهم أجانب؟ أجاب بالنفي.

وقال غيره بعد ذلك من أهل الحوانيت أنفسهم: إنهم لا يلاقون أية مضايقات من الحكومة ولذلك تتوسع تجارتهم، وإن كان بعضهم يخافون مما يأتي به الزمان من تغيّر في الحكم قد يكون معه تغير في السياسة.

يوم الثلاثاء : ١٤٠١/٤/٢٧ هـ ١٩٨١/٣/٣ م

كان صباح هذا اليوم صباحًا للدعاة فقد اجتمع لدينا منهم في الفندق عدد والمراد بهم الدعاة إلى الله الذين يتسلمون رواتب من الحكومة السعودية مقابل التفرغ للدعوة إلى الله تعالى عن طريق المحاضرات والتدريس وغير ذلك من أنواع الإرشاد الديني .

وبعد جلسة طيبة معهم في الفندق رؤي أن نفترق بسبب ازدحام البرنامج فكان من نصيبي زيارة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

صحبني إليه الأخ الشيخ عبد الحفيظ توري أحد السير الونيين المتخرجين من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأحد الدعاة إلى الله هنا ، ووعدنا الشيخ جبريل سيسي أن يوافينا هناك .

فذهبنا إلى المجلس في العاشرة والنصف من هذا الصباح وجلسنا في غرفة انتظار فيها مقاعد ننتظر أحدًا ممن يكونون فيه ، ولكن طال الانتظار دون أن يجيئ أحد .

وكنت أخرج إلى الشرفة – إذا مللت من الجلوس – استجلي المنطقة . فأجد أن المكان في حي فيه متاجر عليها لافتات تحمل أسماء إسلامية . معظم بيوته من طابقين أو ثلاثة مبنية بالأسمنت ومسقفة بالصاج على شكل سنام كما هي عادتهم في الأقطار المطيرة .

وقد لاحظت طائفة من الناس على رؤسهم (طواقي) جمع طاقية بمعنى قلنسوة فتيقنت أنهم من طلبة العلم إذْ الغالب أنهم هم الذين يتمسكون بهذا الشعار وأما عامة الناس من المسلمين فلا يبالون في ذلك على عكس الحال في شرقي إفريقية حيث يحرص المسلم المتمسك بدينه على لبس الطاقية فوق الرأس

إظهارًا لكونه مسلمًا .

وأسفل من البناء كانت نسوة يجلسن يبعن الدخن على المارة وأهم من كن يبعن عليه طالبات مدرسة ابتدائية حكومية صغيرات .

وكانت طالبات المدرسة بتصايحهن وأصواتهن يتظاهرن من حيث لا يشعرن مع أصوات أخرى مزعجة منبعثة من صوت بائع الإسطوانات الموسيقية يعلن عن بضاعته برفع صوت المسجل بالموسيقى .

وعندما رأيت هؤلاء البنات الصغيرات يتقافزن ويرقصن سألت مرافقي الشيخ عبد الحفيظ . وهو الذي عاش في البلدان العربية عدة سنوات عن أثر الجو في تلك البلاد على الصحة والفرق بينه وبين أثر الجو في هذه البلاد الإفريقية الإستوائية ؟

فأجاب بجواب غير شاف حيث قال : الناس هناك يعتنون بالصحة أكثر والمستشفيات تعالج الناس مجانًا ، والأدوية تصرف لك بدون مقابل . أما هنا فالدواء غالٍ وأجرة الطبيب مرتفعة جدًا .

وبينما كنت انتظر من يجيء من أهل المجلس الإسلامي وقد مللت الإنتظار دخل رجل اهتم به الشيخ عبد الحفيظ توري وقال وهو يسلم عليه : إنه (الحاج على جانيه) .

وسلم الحاج علي سلامًا فاترًا ثم انصرف دون أن يجلس أو يتكلم معي .

وقال الأخ عبد الحفيظ يعرفني به : إنه رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وإنه وزير سابق للشئون الاجتماعية .

وفسرت عدم احتفاله بي بأنه لكونه ينتظر حضور الشيخ جبريل سيسي .

وانتظرت حتى مللت فأخبرت مرافقي أنني سوف انصرف فانزعج واستدعى الشيخ جبريل سيسي بالهاتف فحضر ، وقال : وهو يقودني إلى مكتب في نفس

الشقة التي نحن فيها فيه مكتب أنيق وأثاث ثمين وعليه ذلك الرجل الذي لم يبال بي ، ولم يدعني إلى مكتبه رغم كونه لا يوجد عنده أحد . وكان مكتبه مكيف الهواء تكييفاً جيداً.

فأخذ الشيخ جبريل يقدمني إليه ـ ورفع من شأني عنده عرفت ذلك من فحوى كلامه لأنه يتكلم بلغة الكريول التي عمادها اللغة الإنكليزية .

ولكن هذا لم يحرك شيئًا من حل أسارير الرجل الذي كان مقطب الوجه فانطلق وهو على حالته تلك من الغضب واكفهرار الوجه بكلام طويل ملخصه :

إن رابطة العالم الإسلامي في مكة كانت قد أوعزت إليه أن يجمع اسماء أئمة المساجد لكي يجعلوا لهم مرتبات تصرف من الرابطة وأنه جمعهم لهذا الغرض وأخبرهم بذلك ولكن الرابطة لم تصرف لهم شيئًا .

ثم قال : إن الرابطة أرسلت (شيكًا) بمبلغ ثلاثين ألف جنيه استرليني لهم ، إلا أنه كان مكتوبًا بداخله إنه لجمعية المؤتمر الإسلامي في سيراليون وبعد المخاصمة مع الجمعية رؤي إعادة الشيك للرابطة في مكة حتى تصححه وتعيده فأعدنا الشيك إلى مكة ولكنه لم يعد إلينا من الرابطة حتى الآن رغم كوننا ارسلنا الشيخ شريف عباس كمارا إلى هناك على حساب المجلس .

وقال : إنه بعد ذلك جاء إلى سيراليون وفد من دار الافتاء في المملكة وإننا أنزلنا الوفد في فندق على حساب المجلس وعزمتهم أنا على الطعام ـ وكرر هذه الجملة أكثر من مرة ـ وأن الوفد قال لي إنهم قد خصصوا مبلغ خمسة ملايين ليرة استرلينية مساعدة لسيراليون وأخبرنا الناس بهذا الخبر ففرحوا إلا أنه لم يتحقق شيء من ذلك أبدًا .

وقال : لقد اخذ الناس يرمونني بالكذب بسبب هذه الأمور .

وهنا أردت أن أبدد شيئًا من التوتر في هذا الجو فقاطعته مداعبًا قائلاً : إننا

إذًا لن نعدكم بشيء حتى لا نحرجكم أو نحرج أنفسنا . فضحك الحاضرون ولم يأبه هو لذلك .

وإنما واصل كلامه قائلاً : إننا أنشأنا هذا المجلس الإسلامي الأعلى لأن هناك مجلسًا مسيحيًا أعلى ، وإننا هنا في سيراليون نحن الأغلبية والمسيحيون هم الأقلية . ولكن لديهم إمكانات أكثر من إمكاناتنا وقد اعترفت الحكومة بمجلسنا هذا .

وقال : إن نسبة المسلمين في سيراليون تبلغ ٨٠٪ وقال إننا نريد أن نقيم مشروعًا تكون فيه مكتبة وقاعة محاضرات بل من آمالنا أن نؤسس كلية إسلامية .

وقد أطال الكلام فرددت عليه بكلام مناسب ولكنه لم يقنعه ولم يخفف من غضبه مع أننا هنا لم نسكن على حسابه ولم يدعنا إلى طعام ، وإنما أخذنا بجريرة غيرنا ـ إن صح أن في الأمر جريرة ـ فودعته وهنا قال للشيخ جبريل وهو يشير إلى أعلى دعوهم يرون مقر المجلس . وإذا بي أفاجأ بأن الذي قيل لي إنه المجلس منذ أن وصلت إلى هذا البناء وأعتقدت أنه هو ، لم يكن بمقر المجلس الإسلامي ، وإنما هو مقر شركة تجارية يترأسها الحاج علي جانيه هذا الذي هو رئيس المجلس .

وإنما مقر المجلس في الطابق الثاني فلما وصلنا إليه لم يكن فيه أحد ، وأخذ الشيخ جبريل يقرع الباب بعصاه الغليظة حتى خفت على الباب أن ينكسر فقلت له : إنه ليس فيه أحد . فقال : لابد من أن يفتح .

وهنا ذهب الشيخ عبد الحفيظ مسرعًا واحضر شخصًا معه مفتاح ففتح باب المجلس الذي لم يكن فيه أحد بل ولا أثاث ظاهر إلا أن يكون ذلك في داخل الغرف المغلقة ، ووجدنا في قاعة الجلوس التي ليس فيها أثاث صورًا معلقة للملك فيصل رحمه الله ، وأخرى معلقة للعقيد القذافي وتحتها سطران

بالعربية هما من كلام لعبد الناصر يقول فيه للقذافي ما معناه : إنني إذ أضع بين يديك مستقبل القومية العربية فإنني أشعر أنني أضعها بين يدين أمينتين .

وإلى جانب الصورتين توجد صورة للشيخ علي جانيه هذا بالملابس العربية وكنت أنظر إلى الحائط وفد فطن الشيخ جبريل بسرعة إلى شيء اهتم به ألا وهو أنه لا توجد صورة للملك خالد معلقة في الحائط فأخذ يقول للرجل الذي هو الحارس أو فراش فيما يظهر أين صورة الملك خالد ؟ إن مكانها هنا . إن لدينا صورًا كثيرة . وذلك لأن الشيخ جبريل سيسي يعتبر مستشارًا في المجلس وكانت هذه قصتي في المجلس الإسلامي الأعلى للشئون الإسلامية في سيراليون ! ! !

مع رئيس جمعية الوحدة الإسلامية للرجال والنساء :

كان الانطلاق إليه في بيته على سيارة أجرة قبل غروب الشمس بقليل بصحبة الأخ الشيخ صلاح جانيه أحد ابنائنا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة . وكانت الأجرة (٣٠) سنتا وهي ثلاثون جزءًا من (الليون) عملة سيراليون الذي يساوي بالصرف الرسمي دولارًا واحدًا ولكنه ينقص عن ذلك في السوق الحرة ثلاثين في المائة .

وقد علمت أن هذا هو السعر الرسمي للركوب في سيارة أجرة للشخص الواحد وبالنسبة للسيارة كاملة إذا كانت ذات أربعة مقاعد فإن السعر لها (ليون) واحد .

وهي أجرة رخيصة جدًا إذا عرف المرء أن (جالون) الوقود من البنزين يساوي عندهم ثلاثة (ليونات) وثلثًا أي ما يساوي بالصرف الرسمي عشرة ريالات سعودية ، ويمكن تصوره إذا ذكرنا أن الجالون لدينا في المملكة يباع بأقل من ريال واحد .

لم يشأ مرافقي أن يثقل ميزانيتي باستئجار سيارة كاملة تأخذ مني ليونًا واحدًا

كاملاً فركبنا مع راكب آخر .

ومع ذلك عندما وصلنا إلى البيت الذي نقصده وكانت الشمس قد غابت لم يجد مع السائق صرفًا لورقة من فئة الليونات العشرة كنا نحملها معنا فسارعت ابنة صاحب البيت وأحضرت الأجرة من بيت أهلها واعطتها للسائق .

استقبلنا (الحاج إبراهيم توري) رئيس الجمعية في منزله في الطابق الثالث من عمارة يملكها مؤلفة من ثلاثة طوابق تقع على مرتفع من حي هو نفسه مرتفع عن وسط المدينة ولذلك كان الهواء في هذا الحي جافًا لذيذ الوقع علينا نحن الذين عشنا في جو جاف في بلادنا وشعرنا بثقل الجو ورطوبته في هذه المدينة (فريتاون) ويسمى الحي هذا (ستي) أي المدينة .

كان هاشًا باشًا مرحبًا من كل قلبه ، وقال من كلمة طويلة بليغة ليس في معانيها شيء من الفضول أو حشو الكلام : إنني أعرفك في المدينة المنورة وأذكر مكتبك فيها . ثم تكلم بعبارات مجاملة ، ثم قال : إن من أهداف جمعيتنا بناء المدارس والمساجد ورعاية الحجاج .

وقال إننا نساعد بقدر طاقتنا على إكمال المشروعات الإسلامية المذكورة . وقال : لكن أنتم العرب الذين أرسل الله نبيه ﷺ منكم عليكم واجب أكثر من غيركم في نشر الإسلام لأنكم انتم الذين أرسل الله هذه الهدية السماوية إلى البشرية بواسطتكم ، ونحن نعلم أن الإسلام ليس دين العرب وحدهم بل هو لجميع البشرية لكنكم أول من اهتدى به فيجب عليكم أن تساعدوا الآخرين على فهمه ، والحصول على النفع منه كما حصل لكم .

وقد رددت عليه بكلمة مناسبة .

وهنا كان موعد صلاة المغرب قد أزف ففرش مصلى كبيرًا من جلد أبيض ناعم ، في شرفة بيته العالية التي تطل على منظر جميل ، ويغسلها الهواء الجاف .

وطلب مني أن أؤمهم في الصلاة فامتنعت لكوني في بيته فأمنا هو وصلى صلاة خاشعة غير أن النطق بالحروف الحلقية والضاد تمامًا كان يستعصي على لسانه .

ثم عدنا إلى غرفة الجلوس في بيته وهي واسعة فيها رفوف عليها طائفة من التحف والمصنوعات الوطنية وعلى جدارانها لافتات باللغة العربية . وهناك عدة كتب بالعربية والإنكليزية .

وانقضت فترة من الحديث الممتع مع هذا الشخص العارف لظروف العمل الإسلامي في هذه البلاد ، وهو من الأشخاص العاملين في هذا الميدان . أما عمله الشخصي فإنه يشتغل في تجارة العقارات .

ثم توجهنا إلى مقر المدرسة الثانوية للبنات التي بنتها جمعيته وبنت معها بجانبها أبنية أخرى . ويسمونها معهد البنات الثانوي .

قالوا : إنه ديني مدني بمعنى أن فيه دروسًا إسلامية إلى جانب البرنامج العام لمدارس الحكومة . وإن الحكومة تعترف بشهادته بل إنها تدفع رواتب المدرسين فيه والهدف هو توفير فرص الدراسة العامة لبنات المسلمين خاصة فهم لا يقبلون فيه إلا المسلمات .

وقالوا : إن الدولة قدمت أرضًا في بداية الأمر ولكنها في لحف تلة صخرية فاستأجروا آلات قوية جرفت الحصى وسهلت الأرض حتى أوجدوا أمام هذه المدرسة ميدانًا من الأرض واسعًا يستعمله المسلمون في التجمعات الإسلامية العامة مثل العيدين .

وقالوا : إنهم يتقاضون من الطالبات رسمًا قليلاً مقابل الدراسة للاستعانة به على القيام بمصالح المدرسة .

وقد رأينا المعهد المذكور شامخ البناء واسع الافناء ، غرفه فسيحه ، وفيه

قاعة للمحاضرات فخمة ، وبناؤه جميل بل فاخر بالنسبة إلى المدارس الحكوميةالتي استأجرتها الدولة لمدارسها . وإن المرء يعجب من هؤلاء الأخوة الذين استطاعوا أن يقيموا هذا البناء الفخم بجمع التبرعات المتفرقة .

وهناك مشروع بناء مسجد قد بدؤا به وأقاموا حيطانه يقع إلى جانب المدرسة في ركن آخر من الأرض مطل على هذا الميدان الواسع ويرجون المساعدة على إتمام بنائه . كما أن هناك مشروع إقامة مقر حديث لمدرسة ابتدائية موجودة الآن في بناء قديم مستهلك .

وكانت أمسية جميلة ، ذات نسمات عليلة ، وقد فارقتها الشمس الإستوائية فسقطت في المحيط فكأنه بذلك قد غسل آثار أشعتها الملتهبة .

يوم الأربعاء : ١٤٠١/٤/٢٨ هـ ١٩٨١/٣/٤ م

كان رفقاء هذا الصباح الشيخ جبريل سيسي والأخ الشيخ صلاح جانيه والزميل الشيخ عبد العزيز الربيعان ، وأما السيارة فإنها سيارة أحد وزراء الدولة والسبب في وضعها تحت تصرفنا هو الشيخ جبريل سيسي لأن الوزير المذكور هو صهره أي هو زوج لإحدى بنات الشيخ جبريل .

افتتحت الجولة بالدخول إلى محل أحد اللبنانيين لالتقاط صورة للشيخ عبدالعزيز الربيعان طلبتها سفارة ليبيريا لتعطي تأشيرة الدخول إلى هناك فإذا بالمحل كأكثر محلات اللبنانيين هنا تجاري واسع فيه كثير من لوازم المكتبات وإذا هم قد اداروا مسجلاً للصوت يصدح بأغنية عربية إلا أن المحل يعطي انطباعًا أكده لنا إخواننا في هذه البلاد وهو أن اللبنانيين هنا ليس لهم هدف ولا عمل إلا الحصول على الربح المادي العاجل . وذلك أننا رأينا في المحل صورًا عارية أو شبه عارية قصد بها الاعلان عن بضائع معينة أو جذب المشترين أو المشاهدين .

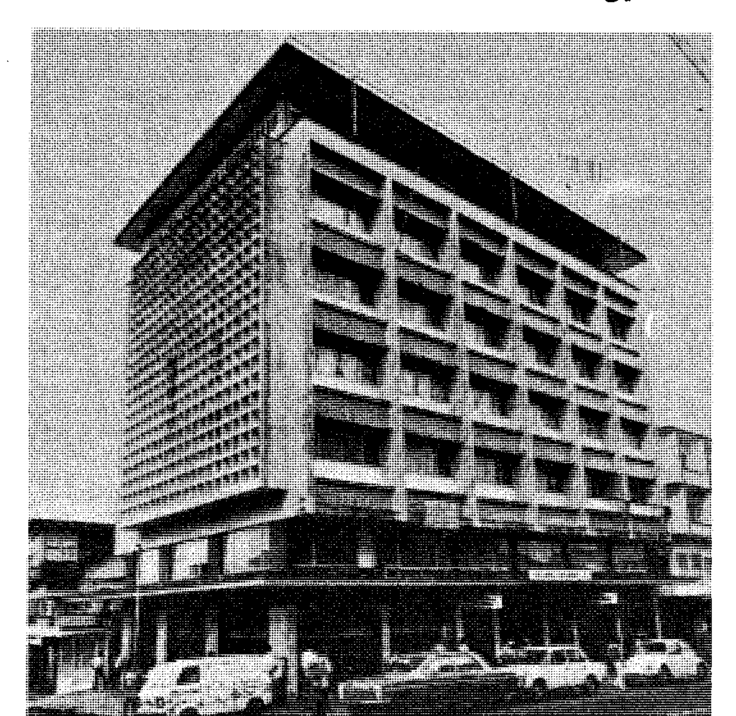

المبنى الرئيسي لخطوط سيراليون في فريتاون.

وكنا شاهدنا قبل أمس عند حلاق لبناني صورًا فظيعة عارية قد علقها في محله لكي يجتذب بها الزبائن .

واللبنانيون هنا لا يحتاج المرء أن يبحث عنهم في الأسواق الرئيسية التي تبيع البضائع الغالية فهم موجودون بكثرة وكثير منهم من أبناء الساحل الجنوبي للبنان من الشيعة .

في مقر الرابطة الإسلاميــة :

ومن هناك انتقلنا إلى مكتب كتب على مدخله بالعربية (رابطة المسلمين بسيراليون) .

فاستقبلنا فيه رئيس الرابطة الشيخ (الحاج مصطفى يعقوب) وهو شيخ مسن إلا أنه قوي الجسم بهي الطلعة ذو لحية وعارضين أبيضين زاد من بياضهما في عين رائيه أن الشمس الاستوائية قد فعلت فعلها في وجهه إلى جانب كونه إفريقيًا أصيلاً من قبيلة (مادنقو) وهو يلبس قميصًا عربيًا طويلاً وجبة . قال يحدثنا عن جمعيته :

إن القصد منها هو توحيد الجمعيات الإسلامية في جمعية واحدة ولذلك لا نقبل من الأعضاء إلا من كان رئيس جمعية معروفة ومعه نائبه أو الأمين العام للجمعية واثنان من أعضائها ليكون الجميع أربعة فقط .

وقال إنه قد انضم إلينا حتى الآن جمعيات كثيرة وإنه لم يبق من الجمعيات الرئيسية التي لم تنضم إلينا إلا اثنتان أحدهما المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وقال إن القصد من إنشاء جمعيتهم أن يتقدم المسلمون في هذه البلاد إلى المملكة العربية السعودية مثلاً بلسان جمعية واحدة لطلب المساعدة على المشروعات الإسلامية .

ويظهر من كلامه أن الجمعية لاتزال في بدء أعمالها وأنه ليس عند المسئولين

فيها البصيرة الكاملة ، ومما يلاحظ من الشواهد على اختلاط الأمور لديهم أننا وجدناهم قد وضعوا كتبًا بالعربية على مكتب عندهم وكلها كتب شيعية جاءتهم من الشيعة الموجودين في سيراليون فأفهمناهم أنه يجب عليهم أن يحاربوا تغلغل هذه الأفكار التي تفرق بين المسلمين في بلادهم لأنهم حتى الآن قد عافاهم الله من المذاهب المتفرقة فكلهم مسلمون سنيون على مذهب الإمام مالك . ويجب أن يحافظوا على ذلك .

ولكنهم قالوا : إنهم لا يفهمون إلا أنها كتب إسلامية عربية ، ولم يدركوا حقيقة ما ترمي إليه وأنهم يرجون أن تعوضهم المملكة العربية السعودية عنها إذا لم يقبلوها .

كما علمنا بعد ذلك أن القاديانيين قد اتصلوا بهم وحاولوا أن يجروهم إلى جانبهم وأنهم لم يستطيعوا الممانعة في ذلك .

وفي المكتب مقاعد لابأس بها ومكتب خشبي وآلة كاتبة ويقع في حي متوسط من المدينة اسمه (ايست استريت) فيه بعض اللبنانيين .

ومن هناك خرجنا إلى شوارع واسعة في القسم الحديث من المدينة وهي شوارع جيدة الرصف عليها أبنية متوسطة الارتفاع جيدة البناء لا أثر للبناء الإفريقي التقليدي فيها .

وفي هذه الشوارع وغيرها من شوارع هذه المدينة يشاهد المرء كثرة السيارات التي أغلبها جديد ، ويلاحظ أن السائقين يسرعون في السير ، وأن الجمهور يتجاوب معهم في الابتعاد عن وسط الطريق ، ولا يعبر الطريق إلا بعد أن يلتفت ، ويبذل أقصى جهده في الحذر .

أما السائقون فإنهم ماهرون في القيادة تساعدهم على ذلك سياراتهم الحديثة المرنة التي هي ليست كالسيارات في الهند صعبة الانحراف والقيادة ،

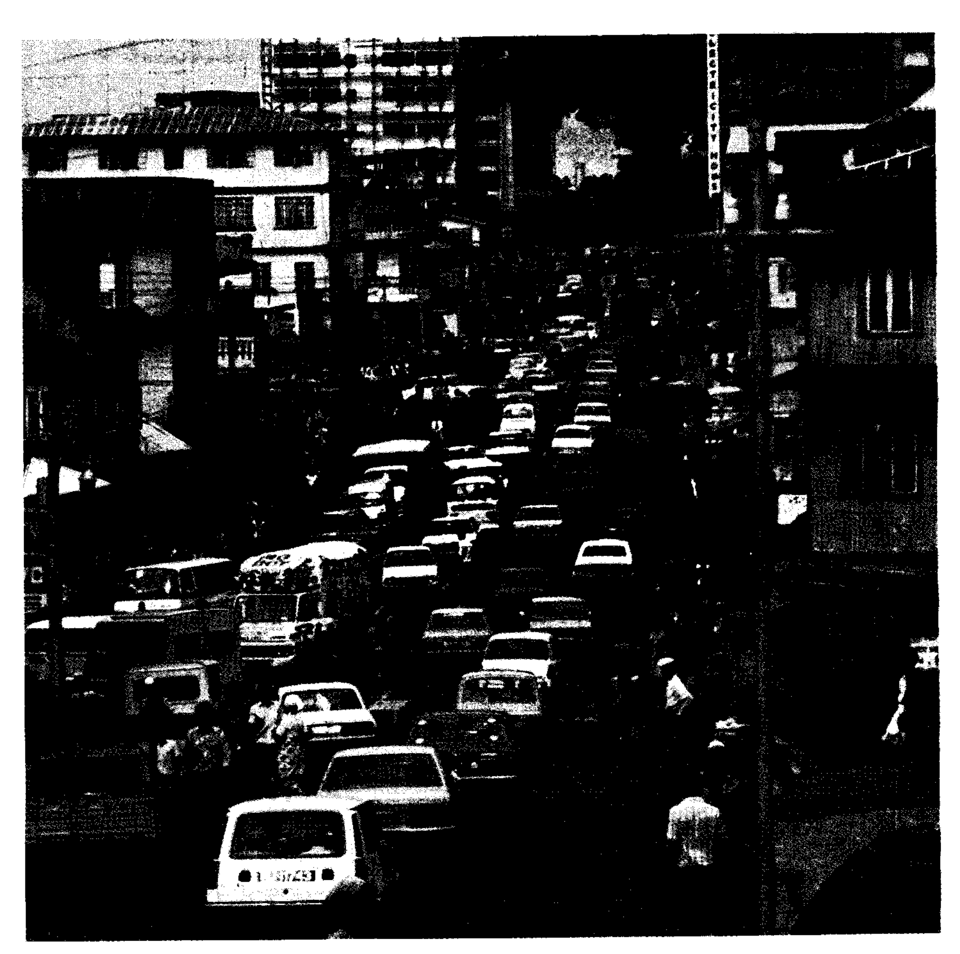

أحد الشوارع في مدينة فريتاون يغص بالسيارات

ولا يسمع المرء صوت مزمار السيارة إلا قليلاً مما يدل على ما قلناه من كثرة السيارات ، وتعود الجمهور عليها اللهم إلا عندما يقف أحد السائقين في موقف غير مناسب من الطريق أو في وسطه فيسد الطريق على من خلفه ، فإن هذا لا يمهله ، بل يلح عليه بنفير سيارته (مزمارها) وكأن السائق الخلفي قد فقد أعصابه مما يزعج السائق المخالف والراكبين معه .

في حي بروك فيل :

وهو حي مسيحي في هذه المدينة التي أصبحت في العهد الأخير إذا نظرنا

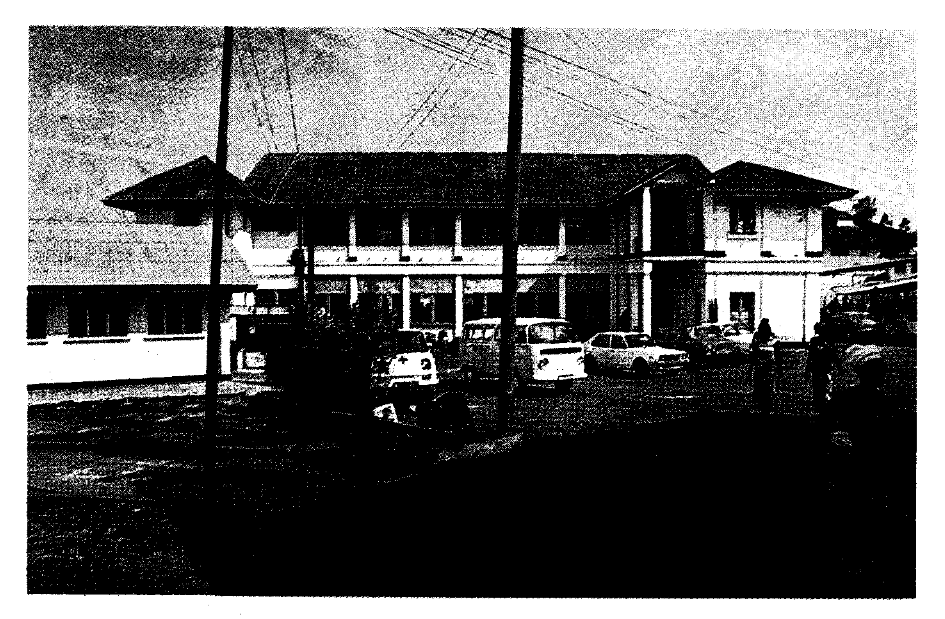

مستوصف في سيراليون.

إلى عدد سكانها من المدن الإسلامية لكون أغلبية سكانها من الناحية العددية من المسلمين .

وقفنا عند بيت في هذا الحي فرأينا فيه صبيًا فقال له الشيخ جبريل بلغة الكريول التي قلت إن الذي يعرف الانكليزية يعرف فحوى كلامها لأن أغلب كلماتها من اللغة الانكليزية .

أين أبوك ؟

فأجاب الفتى بما فهمت منه : ليس هنا .

فقال الشيخ جبريل : ناد أمك .

وجاءت أمه من البيت دون أن تلبس ثيابًا إضافية كما هي عادة النساء جميعًا هنا حتى المسلمات من كونهن لا يحتجبن عن الاجانب . فكلمها بشيء يتعلق بالمسجد وذلك لأن الشيخ جبريل هو الرئيس الفخري لجمعية المسجد في هذا الحي .

وهذا الحي أقل نظافة من غيره من الأحياء المختلطة من المسلمين والمسيحيين ، ومجاري المياه فيه مكتظة بالمياه القذرة . وقد شاهدنا امرأة فيه عريانة الأعلى ليس عليها إلا رداء قد أدارته حول وسطها .

ووقفت السيارة عند مسجد في الحي تحت الإنشاء قد انتهوا فيه من البناء إلى أعلى الحيطان وهو مبنى بالمسلح على الطراز المعتاد الجميل عندهم وله محراب واسع ذو ثلاث نوافذ ، إلا أن البناء فيه قد توقف بسبب نفاد النفقة وهم الآن يحاولون أن يجمعوا من التبرعات ما يستطيعون أن يواصلوا البناء به .

وبينما كنا نتفقد المسجد حضر إمامه واسمه (جيرنو عيسى اسحاقو) واخبرنا أن للمسجد جمعية تشرف عليه رئيسها اسمه (باي كمارا) .

القسيس الذي أصبح داعية للإسلام :

من هذا الحي المسيحي الذي يبنى فيه المسلمون جامعًا يكون لأقلية تسكن فيه من المسلمين ولمن يمر به من غيرهم انطلقنا إلى ضاحية خضراء تقع أسفل تلة جميلة المنظر تنتشر فيها الدارات (الفيلـلات) الأنيقة . ولا أثر فيها للمساكن الشعبية ، وليست متصلة المساكن فسرنا في طريق صعد أيمن التلة مع خط مسفلت جميل فيه خطوط مميزة للذاهب والآيب ، لا توجد في أكثر الطرق في هذه المدينة .

وكان القصد من ذلك هو الوصول إلى حي اسمه (كنتوكروت) يوجد فيه جامع الجهاد .

ولبناء هذا المسجد قصة من القصص التي تستحق أن تسجل وتروى في ميدان مسارعة إخواننا الأفارقة إلى الدين الإسلامي الحنيف .

قالوا : كان أحد القساوسة النصارى متمسكًا بنصرانيته إلى أن قرأ عن الإسلام شيئًا جعله يتأثر به ، ثم رأى رؤيا بأنه ينبغي أن يترك النصرانية ويدخل

في الإسلام .

فأسلم بالفعل . فناصبته أسرته المسيحية العداء ، وبخاصة أنهم قد اعتبروا أنه قد فقد كل ما كان له من مكانة وكذلك خسر مستقبله وعادوه حتى كادوا يقتلونه .

ولكنه لم يبال بذلك ، وإنما أصر على أن يكون داعية للإسلام ، وبنى هذا المسجد بنفسه من ماله الذي اكتسبه بعرقه وكده ولم يرض أن يشاركه في النفقة عليه أحد .

وقد سمى نفسه بعد إسلامه (عثمان كول) وعندما أدى فريضة الحج أصبح (الحاج عثمان كول) وقد ظل مجاهدًا في سبيل الله بالدعوة إليه حتى توفاه الله قبل سبع سنين من هذه السنة فيما أخبرونا .

ورأينا المسجد متوسط السعة كتب عليه اسمه بالعربية : جامع الجهاد ، وتاريخ بناءه بالانكليزية عام ١٣٧١ هـ .

وفي داخل المسجد كتبت على أكثر الفراغ في جدرانه آيات قرآنية كريمة وتحتها تفسير معانيها باللغة الإنكليزية حتى الشهادتان تحتهما تفسير معناهما بالإنكليزية وهذا أمر مهم جدًا حتى يفهمه من لا يعرف العربية وهم الأكثرون في هذه البلاد بطبيعة الحال .

وهو مثل غيره من المساجد ـ على صغره النسبي في جميع نوافذه زجاج ملون متناسب جميل وفي المحراب نافذة كبيرة إلى جهة القبلة فيها زجاج ملون متعدد الأجزاء .

وقد فرش المسجد بفراش صوف أسود اللون .

ومع صغر المسجد قد وضعوا في طائفة منه قسمًا للنساء مفروشاً بفراش متواضع

مواصلة الجولة :

وواصلنا جولتنا بالسيارة مخترقة حيًّا شبه ريفي في جانب العاصمة يسمى (ولكنسن) فيه أشجار كثيفة غُفْل أي غير مقصودة بالغرس وفيه دارات (فيللات) قليلة ، ومررنا بمدرسة حكومية قالوا : إنها لذوي العاهات الذين أخذ الناس يسمونهم بالعربية (المعاقين) .

وبعد ذلك وصلنا إلى منطقة قرب البحر واخترقنا مجرى ماء كبيراً أو نهر صغير في موضع يسمى (الملي) .

في معسكر جوبا :

واصلنا السير قاصدين معسكرًا للجيش اسمه (معسكر جوبا) ويقع في منطقة على البحر مباشرة في شاطيء غير جميل وغير معتنى به ودخلنا المعسكر بعد أن أفهمنا الجندي الذي كان واقفًا على البوابة الرئيسية فيه أننا نزور إمام المسجد وهو صديق لمرافقينا .

وهذا المعسكر يعيش فيه طائفة من العسكريين مع أسرهم وفيه المدارس وبيوت السكن وفيه مسجد للمسلمين ، إلا أن بيوته وأبنيته سيئة المظهر وأرضه مهملة . بل قد يصل وضع النظافة في باحاته إلى أن يعتبر سيئًا .

وقصد القوم بنا بيت الإمام فخرجت ابنته تخبر أنه غير موجود وأشارت إلى المسجد فوجدناه مبنيًا بلبن الإسمنت ومسقفاً بالصاج ، وليس في مستوى بناء الجوامع الجيدة أو الفاخرة التي قامت القبائل على بنائها كما سبق .

وفي آخره قسم للنساء مفصول بجدار قصير يصل في ارتفاعه إلى المتر ويستعمل بمثابة المدرسة في بعض الأحيان . إذْ رأينا فيه ثلاث سبورات معلقة في الحائط كل الكتابات التي فيها باللغة العربية .

وعجبت منا نحن العرب كيف يتنكر بعضنا لدينه الإسلامي الحنيف ، وهو

الذي بسببه تعلم المسلمون في أقاصي الأرض وأدانيها اللغة العربية ، وناهيك بهذا الشاهد في هذا المسجد الذي هو في معسكر للجيش منزوٍ في ركن قصي عن بلاد العرب تتعلم فيه العربية ونجدها اللغة الوحيدة المكتوبة في هذا المسجد رغم كوننا لم نخبر أهلها بأننا سنزوره .

طبلان في المسجـــد :

ووجدنا في المسجد طبلين أحمرين كبيرين مع مضربين لهما من الجلد المحشو وقال الشيخ جبريل سيسي : إنهما يستعملان في الأعياد الإسلامية لدعوة الناس للاجتماع .

وعندما خرجنا من المسجد مررنا بمدرسة ابتدائية في فناء لها محاط بالأسلاك التي لا تمنع النظر ، فسمعت الأطفال الصغار يتكلمون فيما بينهم بلغة الكربول المأخوذة من الانكليزية . وكان ذلك شيئًا غير مألوف إذْ المعتاد أن يتكلم الأفارقة فيما بينهم ومثل ذلك أطفالهم ونساؤهم بلغاتهم المحلية . إلا أن العجب يزول إذا عرف المرء كيفية نشأة هده المدينة (فريتاون) كما سيأتي .

وتابعنا السير مع طريق على شاطيء البحر سيء السفلتة مع أنه يقع على شاطيء ذى رمل أبيض جميل يتدرج عمق المياه فيه تدرجًا مناسبًا .

ثم دخلنا منطقة ذات غابات عذراء ليس فيها بيوت ، قال لنا إخواننا المرافقون : إن الحكومة تحمي هذه المنطقة من كل شيء فلا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها . ولذلك قد توجد فيها بعض الحيوانات الوحشية وإن لم يكن ذلك كثيرًا .

وانحدرنا مع إحدى التلال فقابلنا خط من خطوط أنابيب الماء يعمل فيه العمال فرأينا التربة هنا هي التربة الإفريقية الحمراء الجميلة التي كنت قد عهدت مثلها في عدد من الأقطار الإفريقية الاستوائية في شرقي إفريقية ووسطها .

ويشاهد المرء من هذا الطريق جبالاً وتلالاً خضراً كثيفة الخضرة بحيث لا

ترى من أرضها شيئًا ، والسبب في ذلك هو الحماية الكاملة لها من القطع والتخريب وكونها تنهض مباشرة من شاطيء البحر فتصيبها أبخرته الندية .

لنا مسجد وليس لهم كنيسة :

وصلنا إلى قرية (أوكوفام) لرؤية مسجدها ومدرستها وهي تقع في منطقة ذات طبيعة جميلة جدًا ولا عيب فيها إلا عدم العناية الحكومية بتجميلها .

أول ما وصلنا المسجد القائم فيها حاليًا رأيناهم كتبوا على خارجه بخط عربي جميل المثل المشهور : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

وفي هذا المسجد على صغره طبلان أحمران ومضربان لها .

وبجانبه مدرسة إسلامية رأيت فيها شيئًا عجيبًا لم أره في غيرها في العالم ذلك بأنهم أعدوا للبن الأسمنت الذي بنيت به قالبًا نقش عليه الشعار الإسلامي وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة ويستعمل في المناطق التي يوجد فيها مع المسلمين أديان أخرى ذات شعار مميز مثل شعار الصليب للمسيحيين .

وبنوا المدرسة بذلك اللبن من أسمنت أبيض فكنت إذا رأيتها خيل إليك أنها مبنية بحجارة محفور فيها هذا الشعار بشكل بارز . وذلك في كل لبنة من لبناتها .

وهي مدرسة صغيرة لأن القرية نفسها صغيرة والمسلمون يقدر عددهم فيها بنصف السكان أو يزيدون قليلاً .

ومع ذلك وجدنا أحد المدرسين وربما مدير المدرسة قد اتخذ من زاوية فيها ما يشبه الحانوت . إذْ وجدنا فيه بضائع مثل أقراص من البسكويت وعلب من الصلصة وشيء من الحلوى فظننت إنه يبيع ذلك .

وجاء معلم العربية في المدرسة يعدو فسلم وأحفى السؤال وقال : اسمي (عبدالله إبراهيم كمارا) وأنا أعلم اللغة العربية في هذه المدرسة وقد تعلمت

العربية في سيراليون لم أخرج منها واتمنى أن أخرج فأتعلم في أحد البلدان العربية .

ولم يقف طموح إخواننا المسلمين في هذه القرية على الحفاظ على هذا المسجد القديم بل بدؤا ببناء مسجد قوي واسع أقاموا الجزء الأكبر منه بالأسمنت المسلح ورفعوه عن الأرض رفعًا . ولكنهم وقفوا مؤقتًا عن البناء فيه حتى يستعيدوا نشاطهم ويكونوا قد جمعوا مبلغًا من المال يصلح لمواصلة النفقة عليه .

ويقع هذا المسجد الجديد الجيد البناء الحديث الطراز بالنسبة إلى المباني هنا في لحف جبل أخضر كثيف الخضرة ندي النبات والأشجار تحيط به الأشجار الاستوائية النافعة مثل الباباي الذي رأيناه محملاً بالثمار ينوْ بها قوامه . وشجرة أخرى ذات أوراق خضر كبيرة وذات ثمار في حجم رأس الطفل تسمى (برد فروت) أو فاكهة الخبز وذلك لأنها تخرج ثمارًا يكون داخلها أبيض كالخبز تطبخ وتؤكل. إلى جانب الشجر الأصيل في هذه الأجواء الاستوائية ألا وهو شجر النارجيل .

وأخبرونا أن الأرض قد أعطتهم الحكومة إياها منحة ليقيموا عليها هذا المسجد الجديد والمدرسة الإسلاميــة . وقالوا : إن رئيس هذا المشروع هو الحاج (أحمد منصري) .

وتجمع لدينا عدد من إخواننا المسلمين من أهل القرية يسلمون ويحيون فسألتهم عن نسبة المسلمين في هذه القرية فقالوا : ٥٥٪ أي حوالي النصف إذا لم يكونوا قد زادوا خمسة في المائة زيادة طبيعية . قالوا أما الباقون فهم مسيحيون . وقالوا : والفخر يملأ نفوسهم ولكن : (لنا مسجد وليس لهم كنيسة) فلم يستطيعوا هم أن يبنوا لهم كنيسة على حين أن المسلمين بنوا لهم مسجدًا وقلت لهم بل بنيتم أكثر من مسجد فهذا المسجد القديم الذي فيه

تصلون . وفي موقع أجمل من موقعه بدأتم ببناء مسجد آخر جميل واسع .

وسألتهم عن عدد سكان القرية ونحن نتأهب لركوب السيارة فأختلفوا ثم قالوا إنه مابين خمسمائة إلى ستمائة نسمة ولا أدري أقصدوا بهذا العدد المسلمين وحدهم أم جميع سكان القرية .

ثم واصلنا السير تاركين البحر على اليد اليمنى فمررنا بمستشفى للقلب قريب من البحر قال إخواننا إن إدارة المستشفى ترتب اجتماعًا للمشايخ المسلمين يوم الجمعة وللقسس من النصارى يوم الأحد وذلك لكي يلقوا مواعظ على المرضى ونصائح لمن يريد أن يستمع إليهم .

قريـة العاريـات :

قرية صغيرة مررنا بها بعد أن أوغلنا في غابة كثيفة غير مسكونة فرأينا جميع النساء اللاتي صادفناهن من أهلها نصفهن الأعلى عارٍ تمامًا وبصريح القول فإن المرأة كان كل جسمها عاريًا باستثناء فوطة لفتها على العورة المغلظة في وسطها .

وقد صادفنا إحداهن تحمل على رأسها حزمة من الحطب قد أقبلت به من الغابة وهي كذلك .

ولم أَرَ مثل هؤلاء النسوة إلا في قبائل القرياما في ساحل كينيا .

وعندما سمعنا إخواننا المرافقون نستفظع هذا الأمر بادروا يقولون : هؤلاء نصرانيات ، إنهن غير مسلمات . فقلت لهم : إنني لا أشك في كونهن غير مسلمات لأن المسلمة لا ترضى بذلك ولكن الذي أحب أن أتأكد منه ما إذا كن نصرانيات أو وثنيات .

هذا مع العلم بأن القرية ليست بعيدة من العاصمة (فريتاون) فهي لا تبعد عنها إلا بحوالي إثنين وعشرين كيلا ، ولكنها في مكان من الغابة مهجور لا

يصل إليه إلاَّ من يقصد السَدَّ الذي جئنا لرؤيته وهو سد (وادي قوما) أو (قوما فالي) كما يسمونه .

وطلبت من إخواني والسيارة توغل في الغابة قاصدة السـد أن أتأكد من هؤلاء القوم الذين نساؤهم على هذه الدرجة من العري عند العودة بسؤال أحد رجالهم عما إذا كانوا مسيحيين أو وثنيين .

على باب السَّد :

سارت السيارت مع غابة كثيفة الأشجار فوقفت على باب حديدي يعترض الطريق المسفلت مغلق جاء الرجل المسئول عنه يقول : إن الدخول إليه ممنوع على أي شخص .

فقال له الشيخ جبريل سيسي بلغة الكريول : إن هؤلاء (دبلوماسيون) من السعودية وهم ضيوف على هذه البلاد . وأنا كنت سفير سيراليون في القاهرة وهذا رقم هاتفي تستطيع أن تسأل من شئت عني فيخبرك ، ولكن الرجل لم يقتنع بذلك .

فطلبت من الشيخ جبريل ألا يلح في ذلك ولكنه استمر يتكلم مع الرجل بكلام هاديء لم يحتد أحدهما خلاله أخذ الرجل على أثره ورقة بمثابة الإذن واعطانا إياها وفتح الباب فدخلنا .

فسألت مرافقي عما جرى ؟ فأجابا : إنه طلب شيئًا فوافقنا عليه . ولم يكتف بذلك وإنما أعطانا هذه الورقة بمثابة الترخيص .

ودخلنا مع الباب سائرين على الطريق نفسه فوصلنا إلى بناء كتب عليه إنه لمعالجة الماء وتحليله وهو بناء جميل أمامه نافورة صغيرة منسقة لا يدخل إليه إلا المهندسون والعاملون فيه مثل الحراس ونحوهم .

ووقفنا لا ندري أين نذهب حتى أرشدونا إلى طريق يصعد إلى تلة جبلية

عالية تتخللها غابة عذراء كثيفة حتى إن المرء لا يكاد يرى الشمس داخلها مع اننا في الظهر وهذه الغابة تغطي أرضها الخضرة من حشائش قصيرة في الأرض إلى حشائش أطول منها إلى شجيرات صغيرة ثم أشجار من أشجار الغابة الوحشية ضخمة ، سامقة الارتفاع ، ولا يرىء المرء في هذا السكون أي أثر لأي حياة ما عدا عمالاً قليلي العدد يعملون في المكان بثيابهم القليلة التي لا تزيد على سروال قصير جدًا (تبان) وقد ظهر أثر هذا الجو الرطب الكثيف الرطوبة على أجسامهم فأصبحت تلمع .

وبعد قليل أخذ الطريق في الانحدار قليلاً فوجدناهم قد كتبوا على جذع أحدى الأشجار الضخمة (قوما دام) أي : سد قوما .

بعدها وصلنا إلى السَّد الذي يبدو كأنه بحيرة بين جبال خضر لا يطرقها أحد وهي ساكنة هادئة ، حتى الريح كانت ساجية .

وعجبت من قلة الحيوانات في هذه الأماكن التي يفترض أنها تتوفر فيها للحيوانات والطيور الحماية والغذاء ووجدناهم أقاموا بجانب هذه البحيرة مظلة على شكل كوخ إفريقي كالخيمة التي ليس لها رواق ولكنها مستديرة عظيمة الاستدارة في وسطها عمود ضخم أغلظ من جسد الإنسان الغليظ كله من خشبة واحدة من أخشاب الغابة وتحيط بهذا الكوخ أو المظلة أعمدة من الخشب الغليظ أيضًا عددها ستة عشر .

ونثروا موائد في داخله أمام مقاعد من الخشب وتلك الموائد عددها ٨ وهي على اتساعها قطعة واحدة من جذوع أشجار ضخمة .

جلسنا في هذا المجلس البديع في هواء نقي ، ومنظر عجيب . وقلت لزميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان ما أحلى القهوة العربية هنا . فقال أو قلت له : بشرط أن يكون معها طبق من تمر السكري . وقلنا جميعًا : أنى بأرضك ذلك .

وأخبرونا أن الماء ينبع من الأرض أو ينحدر إلى هذه البحيرة من الأماكن المرتفعة والهضاب الجبلية المحيطة بها .

ونحن نقول : الهضاب الجبلية لارتفاعها وإلا فإن المرء لا يمكن أن يرى من أرضها شيئًا يعرف منه ما إذا كانت هضابًا جبلية حقًّا أم تلالاً أخرى من غير الحجارة .

وبعد أخذ قسط من الراحة عدنا أدراجنا من حيث أتينا وطلبت من مرافقي أن نتوقف في القرية التي فيها النساء الشبيهات بالعاريات ، لنعرف ما إذا كن من المسيحيات أو الوثنيات ولكنهم لم يقفوا ونسوا أو تناسوا طلبي .

وكانت الساعة قد قاربت الثانية ظهرًا ولم نشرب شيئًا ولم نذق شيئًا . وخرجت فتاة إفريقية شابة من إحدى الغابات بيدها أعواد من شجر كأنه من شجر الصحراء لا أوراق فيه وعيدانه شبه جافة ليس فيها إلا ثمار تشبه بزر القرع إلا أن لونها أسود .

وهذه الفتاة يبين عليها التعب ، ويتصبب منها العرق فاشترى الشيخ ما معها ، وأخذ يأكل ويعطيني قسطًا منه وهو يقول : إنه نافع للمعدة ، إنه يقشر ويؤكل ، كله ولا تخف نحن نعرف ذلك من أمره .

وسألته عن اسمه أولاً . فقال : كل منه أولاً ولن يفوتك اسمه إن اسمه (بلاك تومبلا) وجعلت آكل منه وأمعن في الأكل محبة في الاطلاع ولأنني كنت أشعر بالجوع . وأتيت على ما كان اعطاني كله أتسلى بذلك فزادني وأكثر . وخفت أن أجد منه شيئًا لأنني لم أتعود عليه فلم أحسَّ بشيء غير معتاد .

عنده سدرة المنتهى :

كانت الساعة قاربت الثانية والنصف ، وكنا نحث مرافقينا على العودة إلى

الفندق بحجة أن مطعمه يغلق أبواب غدائه في الثانية والنصف ولكن الحقيقة أننا كنا بحاجة إلى الراحة غير أن أخانا الشيخ جبريل سيسي رعاه الله . ذهب بنا دون أن يخبرنا إلى دارة (فيلـلا) جميلة تحيط بها حديقة ويتمطى عند بابها الخارجي كلبان أليفان ، وفي مرآبها سيارتان واقفتان ، وفي فنائها عدد من الخدم . وكل هذه مظاهر من مظاهر اليسار أو علو المقام .

وسألت الشيخ جبريل : إلى أين نحن ذاهبون ، وخيل لي أنه قال : عند سدرة المنتهى ، وسار الشيخ جبريل دون أن يخبرنا بشيء وسرنا وراءه كالجنود المطيعين خلف قائدهم الحازم .

ودخلنا هذه الدارة المؤلفة من دورين صعدنا إلى الأعلى منهما وما كدنا نلج قاعة استقبال فاخرة فيها تحف ثمينة وكتب ، وكل ما فيها ينطق بالوجاهة ، وقد فرشت أرض الطابق كله بالسجاد الموحد (الموكيت) حتى برز شخص عليه علامات الثقافة ، وفي أصابع يديه وفي ساعده أو ساعديه ما يشير إلى ذلك من خاتم ثمين وساعة أثمن ، وقدمه الشيخ جبريل سيسي قائلاً : إنه (الحاج سرنو ماتو) وزير الدولة في مكتب نائب رئيس الجمهورية ورحب بنا ورحبنا به ، ثم دخلت بعد ذلك سيدة جميلة الثياب ، نظيفة الهندام تبين عليها النعمة أيضًا . وقال الشيخ جبريل يقدمها : إنها .. إنها (سدرة المنتهى) . ابنتي أنا اخترت لها هذا الاسم وهي زوجة هذا الشخص !

ولم أقل شيئًا لأنها كانت تصافح ضيوفها بحضور والدها وزوجها ولكن ما أن غابت قليلاً حتى عرف الشيخ صلاح جانيه أنني قد استغربت هذا الاسم ، فقال : إننا نسميها اختصارًا : (سدرة).

وذهبت (سدرة المنتهى) إلى داخل البيت الذي يغص بالخدم والحشم أو الأقارب لا أدري .

وابتدأ زوجها بالكلام فتكلم كلامًا طويلاً يدل على فهمه لمشكلات

المسلمين بعامة والمشكلات التي تواجه مسلمي سيراليون خاصة .

فكان مما قاله وهو شخص مسئول في حكومة سيراليون : إنه لا يشك في أنه يمكن تحويل إفريقيا إلى قارة إسلامية إلا أن العرب لا يسرعون إلى بذل الجهود التي يستطيعونها في هذا السبيل . وقال : إنه على سبيل المثال إذا مرض إبني وأنا مسلم فلابد من أن أذهب به إلى مستشفى فإذا لم أجد إلا مستشفى أقامه المبشرون أدخله فيه لأنه ليس من المعقول أن أتركه دون علاج . وكذلك إذا لم أجد إلا مدرسة نظامية مسيحية فإنني أدخل ابني فيها لأنني أريد له أن يتعلم تعليمًا نظاميًا ، ولكنني ـ بطبيعة الحال ـ إذا وجدت مستشفى للمسلمين أو مدرسة إسلامية نظامية فإنني لن أفكر أدنى تفكير في ألا ألحق ابني بها .

ثم استدرك قائلاً :

إنني أعرف أن تحويل إفريقيا إلى قارة إسلامية ليس بالأمر السهل ، ولكن إذا تعاونتم أنتم العرب مع إخوانكم المسلمين في هذه القارة فإن النتائج ستكون مضمونة بإذن الله .

وقال : إنه يجب علينا نحن المسلمين أن تتاح لنا فرصة المساواة بالنصارى من حيث التعليم وغيره حتى يرقى المسلمون .

وقال : نحن نعلم أن دول العالم تنظر إلى العالم العربي تريد التعاون معه ، وتنظر إلى مساعداته الاقتصادية حتى الدول الأوروبية تتطلع إلى الدول العربية ولكن ذلك لا ينبغي أن ينسيكم القارة الإفريقية .

ثم انتقل إلى الكلام على أوضاع المسلمين في سيراليون فقال : إننا نحن المسلمين في هذه البلاد لنا الأكثرية والمسيحيون أقلية ، ولكنهم أقلية قوية .

وقال : إن الإسلام قوي في هذه البلاد والدليل على ذلك أننا نحن السياسيين لا ننجح في الوصول إلى البرلمان إلا إذا ركزنا على إظهار عملنا

للإسلام فتنتخبنا الناس على فقرنا لأنه ليس لدينا أموال ننفقها في الانتخابات ويسقط المسيحيون وإن كان لديهم أموال ، لأنهم لا يطلبون من الناس أن ينتخبوهم على أساس أن يعملوا في نصرة الإسلام بطبيعة الحال .

وعندما كان في أخريات حديثه كانت (سدرة المنتهى) تأتي يحمل خادم لها أمامها زجاجات من الأشربة الغازية منها مألوف كالكوكالا والميراندا وشيء غير مألوف لنا مثل شراب يصنع في هذه البلاد من الزنجبيل ويسمونه (جنزبيه) وهو تحريف لكلمة زنجبيل العربية واخترته وإن كان لونه يشبه لون البيرة على البعد بعد أن تأكدت منهم أنه ليس فيه شبهة وذلك تذكرًا لقوله تعالى ﴿ ويشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا ﴾ وزاد التذكر أن كأس الزنجبيل قد سكبته لي (سدرة المنتهى) .

وقد رددت عليه بكلام أرضاه ، وغادرنا أرضه بعد أن عرفنا أن هذه الدارة وما يتبعها هي ملك للدولة قد أعطوه إياها وهو مستحق لها مادام في خدمة الدولة . أما إذا ترك الخدمة أو تركته فإنه سيترك هذه الدارة ولكنه لن يترك فيها (سدرة المنتهى) .

ولكننا نحن قد تركنا المنطقة كلها ولاتزال ترن في أذني كلمات عذبة ذات معان غريبة رأيتها حقائق ملموسة بعد أن كانت أمورًا غيبية إيمانية : (كأس كان مزاجها زنجبيلا) و(سدرة المنتهى). وجبريل ولكنه جبريل الأرض لا جبريل السماء ، وهو كما هو كذلك ، ولو كان اليوم يرتدي ثيابًا خضرًا ليست من سندسٍ .

وكنت مستغرقًا في هذه الأمور ناسيًا التعب والجوع . وآثار الشمس الإستوائية التي تستوي في كبد السماء في نحر الظهيرة . وإذا بجبريل : جبريل الأرض يقول لي :

سنمر بكم على قرية الوحدة الإفريقية والساعة تقارب الثالثة . ونحن لن

نصل إلى الفندق إلا بعد فترة فما نزال خارج مدينة فريتاون وإن لم نكن بعيدين عنها .

وقلت له متسائلاً لأنني كنت ذاهلاً . الوحدة الإفريقية ؟ وأين الوحدة الإفريقية ؟ أليس حظها في السوء كحظ الوحدة العربية ؟

وكنا في هذه الأثناء قد وصلنا :

قريــة الوحدة الإفريقيــة :

وهي مجموعة من الدارات (الفيلـلات) الحديثة البناء الرشيقة المنظر كلها من طابق واحد ذكروا أن حكومة سيراليون قد بنتها بمناسبة عقد اجتماع القمة لمنظمة الوحدة الإفريقية لتكون سكنًا لرؤساء الدول الذين قدموا إليها .

وتقع على تلة عالية خضراء خضرة ليست كثيفة تشرف على منطقة العاصمة (فريتاون) ولكن ليس فيها لإفريقية شيء غير الأسم فليست على طراز إفريقي عام ولا طراز سيراليوني خاص .

وانحدرنا منها قاصدين العاصمة فمررنا على :

ســتديوم :

ويريدون به ملعبًا رياضيًا كبيرًا أو ما يسمى باستادٍ رياضي أسموه (ملعب اسيا كا) على اسم رئيسهم القديم الحالي أو قل الرئيس المزمن اسيا كا ستيفنس.

وهو من أسرة إسلامية في الأصل فسيا كا كان أصلها الإسلامي اسحاقا .

ولذلك عندما أسلمت ابنته وهي ذاهبة إلى مكة المكرمة فأعلنت إسلامها هناك وسمت نفسها بعد إسلامها (عائشة) لم يلمها ، ولم يعنف عليها ، وإنما قال لها : لقد رجعت إلى دين أجدادك الدين الإسلامي يا ابنتي .

يوم الخميس : ١٤٠١/٤/٢٩ هـ ١٩٨١/٣/٥ م

كان هذا اليوم يوم المقابلات . فقد بدأ بمقابلات لبعض الدعاة ، ولمقابلة عدد من الأشخاص الذين يرغبون في الحصول على منح دراسية للدراسة في المملكة وكان عددهم كبيرًا .

مع وزير الشئون الاجتماعية :

قال لنا بعض إخواننا : إنه وزير الشئون الدينية ، وعرفنا بعد ذلك أنه وزير الشئون الاجتماعية ، وإن من اختصاص وزارته النظر في الأمور الدينية على اعتبار أنها من الاجتماعيات.

وأيًّا كان الأمر فقد ضربوا لي معه موعدًا كان الهدف منه اللقاء به نفسه واللقاء أيضًا بنائب رئيس الجمهورية وهو من المسلمين المهتمين بالقضايا الإسلامية كما أخبرونا .

وفي الساعة العاشرة إلا ربعًا مرّ عليَّ الأخ (الحاج إبراهيم توري) رئيس جمعية الوحدة الإسلامية ومعي الأخ صلاح جانيه ، فوصلنا وزارة الشئون الاجتماعية بسرعة لأنها تقع في حي غير بعيد من فندقنا وهو حي ليس بالفاخر . ولكن هان أمره عند أمرها ، إذْ رأيتها من طابقين وطابق أرضي على هيئة بيت من الخشب ، إذْ هي مبنية بالخشب بالفعل ، وقد استصغرتها أول الأمر ، إلا أن صاحبيَّ قالا إن الوزارة لا تشغل كل هذا البيت الخشبي ، وإنما أسفله مدرسة تبشيرية أي : مسيحية ، ولا يحتاج هذا إلى دليل لأن صياح الأطفال وضوضاءهم تكاد تصم الآذان إضافة إلى من كان يخرج منهم من الطابق الأرضي .

وصعدت مع سلم خشبي واقف ضيق وأنا معجب من صبر الوزير وموظفيه

على العمل فوق هذا البركان من أصوات الأطفال .

فوجدنا مقاعد خشبية في هذا البناء الخشبي للانتظار كلها مشغولة بنساء ، ولكن بعضهن عندما رأين ثيابي العربية وكنت أرتديها كاملة نهضن وآثرنني بأمكنتهن ، فشكرت لهن ذلك وامتنعت عن الجلوس .

وكان الأخ الحاج إبراهيم توري في هذه الأثناء يفسح الطريق ويقول : تفضل .

ودخلنا على الوزير في غرفة خشبية من هذا البناء الخشبي فوقف وهو خلف مكتب عريض عليه أوراق ليست بالكثيرة وبعض الشعارات الوطنية وجرتان من الزجاجات التي تحفظ المياه من صنع محلي أظنه من الفخار .

وكان ذا قامة مديدة وطلعة بهية ، ذو لحية خفيفة وينتمي إلى قبيلة (فولا) أي فلاني فهلاّ ورحب ثم تكلم بكلام مختصر مفيد منه قوله :

إنني أرحب بك في هذه البلاد التي هي تعتبر بأكثرية سكانها من البلاد الإسلامية .. إنني المختص في الحكومة فيما يتعلق بالأديان وإنني أكرس جهدي لخدمة الإسلام . وإن المسلمين ليسوا أكثرية فقط بل تبلغ نسبتهم ٨٥ ٪ وحتى المؤسسات الشعبية الرسمية لنا فيها الأكثرية فالبرلمان ٧٥ ٪ من أعضائه مسلمون .

لقد لمست في هذا الرجل الإخلاص الحقيقي للإسلام ولو كنت متمنيًا لتمنيت له أن يكون في وزارة أكبر وأن لا يكون في هذا المنزل الخشبي الذي تساكنه فيه مدرسة تبشيرية .

وخرجت من عنده معي مرافقاي الشيخ إبراهيم توري والشيخ صلاح جانيه أما زميلاي فلم يحضرا ، إذ تخلف الشيخ عبد العزيز الربيعان في الفندق للعمل في فحص أوراق المتقدمين لشغل المنح الدراسية وسافر الشيخ إسماعيل

ابن عتيق في صباح هذا اليوم إلى مدينة (كيمني) في شرق البلاد .

يتعلم العربية وهو يبيع للأجانب :

ذهبنا هذا اليوم مع الأخ صلاح جانيه إلى سوق يبيع التحف والمصنوعات الوطنية التي يشتريها السياح في العادة مثل جلود الحيات والقلائد والأساور الإفريقية ، والحقائب المصنوعة من جلود السباع .

وذلك في سوق ليس ببعيد من الفندق .

وكانت المفاجأة أن أحد الباعة لهذه الأشياء كان ممسكًا بيده مخطوطة عربية يقرأ فيها درسًا إذا ما خلا من الباعة وقد تأملتها فإذا بها كراريس من كتاب في مبادىء الدين يقرأ منها ويحفظ ، مكتوبة بخط يقرب من المغربي وهو الخط العربي المستعمل في هذه البلاد ، المعروف بالخط السوداني نسبة إلى السودان الغربي ، وأسفل كل سطر بخط صغير شرح لبعض معانيها . وهذا أمر عجب من أمر هؤلاء القوم .

أما المعروضات عندهم فهي ليست بالفاخرة ولا بالنادرة وأرخص ما فيها حقائب اليد من جلود السباع مثل الحقائب المصنوعة من جلود التماسيح ، والحيات .

وهناك أشياء مناسبة مثل أغطية للمائدة مستديرة أو مربعة مجموعة من جلود طائفة من الحيوانات الوحشية فترى قطعة من جلد الضبع الأشهب إلى جانبها قطعة من جلد ظبي أشعل فأخرى من جلد الثعلب . بحيث يكون هذا الجلد أنموذجًا للحيوانات وقد نسقت كلها تنسيقًا مناسبًا حتى لا يتنافر منظر بعضها مع الآخر .

يوم الجمعـة : ١٤٠١/٤/٣٠ هـ ١٩٨١/٣/٦ م

البحث عن مصرف :

معي مجموعة من الشيكات المعتادة مقسمة على مبالغ لا تزيد على خمسة آلاف دولار وهي من الشيكات التي تصرف في جميع أنحاء العالم لأنها على بنك عالمي في نيويورك . وصادرة من البنك الأهلي التجاري في جدة .

فذهبت اليوم مع الأخ شريف عباس كمارا أحد المتخرجين من الجامعة الإسلامية في المدينة ويعمل داعية إلى الله في هذه البلاد تدفع دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية راتبًا له ليتفرغ لهذا العمل . ذهبنا إلى بنك قالوا إنه يعمل فيه باكستانيون أو إن له صلات (بنكيَّة) وثيقة مع المصارف السعودية فلما رأى المسئول فيه وهو باكستاني هذا الشيك قال : هذا لا يمكن أن نصرفه . فقلت لماذا ؟ فقال : لأنه على نيويورك وليس علينا فعجبت من قلة فهمه لهذا الأمر وقلت : إنه شيك مفتوح منتهاه إلى نيويورك ولذا فإنه يصرف في كل مكان في العالم له معاملة مع (البنوك) الأمريكية . وقد صرفت مثله تمامًا في غامبيا . فإذا كنتم لا تصرفونه أرجو أن تخبروني عن البنك الذي يمكن أن يصرفه هنا .

فقال :
وهو يظهر التعاظم والتباهي وكأنه كان قد اكتشف شيئًا لا يعرفه إلا هو : هذا الشيك لا يصرف في هذه البلاد لأنه على نيويورك .

وخرجنا من عنده وقصدنا مصرفًا (بنكًا) سيراليونيا يسمى (ستاندارد بنك) كان من العاملين فيه صديق للشيخ شريف عباس كمارا فسلم عليه وأخذنا إلى المدير ثم عاد إلى مكتبه . أما المدير فإنه أخذ يتأمل الشيكين الذين سأصرفهما وهما من فئة خمسة آلاف دولار .

ثم تأمل جواز السفر الذي أحمله .

وبعد قليل ناداني وقال : إن هذين الشيكين يمثلان مبلغ عشرة آلاف دولار وهو مبلغ ليس بالقليل لذلك تجدني أدقق فيهما فأرجو المعذرة .

ثم أخرج من مكتبه دفترًا صادرًا من البنك الأهلي التجاري في المملكة يحمل نماذج لجميع المخولين بالتوقيع فيه وعليها أرقام صغيرة لم أكن قد فطننت إلى وجودها ثم قال : هذه التواقيع التي على الشيكين صحيحة ولكن لابد من شخص نراجعه هنا إذا احتاج الأمر إلى مراجعة فيهما فقال الشيخ شريف عباس : أنا ذلك الشخص ثم أعطاه عنوانه .

وصرف المبلغ أحد عشر ألفًا وخمسمائة (ليونا) سيرالونيًا عن عشرة آلاف دولار أمريكي .

وقلت للشيخ عباس : احذر وأنت تحمله من أن يراك أحد فيعتدي عليك فضحك وقال : لا يمكن هذا .

وأودعته حقيبتي في الفندق .

جمعة في سيراليـون :

كان الشيخ جبريل سيسي قد طلب مني والح في الطلب أن ألقي كلمة في مسجده المسمى جامع الجليل فأجبته إلى ذلك .

وخيرته بين أن تكون قبل الصلاة أو بعدها فاختار بعد الصلاة .

وقد حضرت مع بعض إخواني متأخرين إذْكان الإمام يخطب وكنا نتابع خطبته من مذياع السيارة ونحن نتجه إليه لأنها منقولة من الإذاعة حتى وصلنا المسجد وكان الخطيب يخطب بلغة التمني يفسر حديثًا نبويًا كريمًا .

كان المسجد قد امتلأ بالمصلين حتى لم يكن فيه موضع قدم فضلاً عن محل

للصلاة غير أنهم كانوا قد أوقفوا شخصًا عند الباب الخارجي ينتظر وصولنا فذهب بنا إلى الصف الثاني خلف الإمام .

وكان في الصف طائفة من العرب لم أدر إلى أي بلد ينتمون غير أنه عندما انتهت الصلاة نهض شخص مصري عليه قميص (جلابية) وطاقية واستأذن من الشيخ جبريل في الكلام .

ثم قام فقال : أيها الإخوان إننا نريد أن نصلي على شهداء المسلمين . شهداء مصر العربية وشهداء أفغانستان . وهذه فرصة طيبة إذ حضر الصلاة سفير جمهورية مصر العربية (فلان) وذكر اسمه.. قم يا سيادة السفير حتى يراك الناس فقام السفير ، ثم قال : وحضرها بعض موظفي سفارة مصر العربية ؛ كما حضرها بعض إخواننا العرب يشير إليَّ وإلى زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان . وكأنما كان حضور الصلاة عند هذا الرجل الذي قالوا لنا إن اسمه الشيخ محمد فرحات حدث عظيم ينبغي أن ينوه به .

ثم ذلك التطفل على مقام هؤلاء الأخوة المسلمين ، وأمرهم بأن يصلوا صلاة الغائب على شهداء مصر العربية ، ومصر العربية منذ ثلاث سنوات في سلم وأمان مع دولة اليهود أعداء الله وأعداء رسوله ، وأعداء المسلمين .

وأراد أن يبدأ بالصلاة فقال لي الشيخ جبريل تقدم ـ وكان قد أخبر بعض الناس أنني سأتكلم ـ ثم طلب من إمام المسجد الشيخ إبراهيم كابو أن يعطيني مكبر الصوت وأن يترجم كلامي للحاضرين .

فألقيت كلمة عن متانة العلاقة الإسلامية بين المسلمين وعما يجب أن يكون عليه المسلم الحق ، وأبلغتهم تحيات إخوانهم في المملكة العربية السعودية ، وفي البلاد العربية ومحبتهم لهم على بعد الديار.

وبعد ذلك تقدم ذلك الرجل المصري فصلى صلاة الغائب على من قال إنهم شهداء المسلمين من دون أن يعين منهم أحدًا ، أو أن يقول إنهم ممن قتلوا

في واقعة كذا أو في محل كذا .

مدرسة ابن باز :

هذه مدرسة قديمة كان قد أنشأها الشيخ جبريل سيسي في عام ١٩٦٣ م وقال : إنه سماها مدرسة ابن باز على اسم الشيخ عبد العزيز بن باز .

وهي مقابلة للمسجد يفصل بينهما الشارع ، وقد خرجنا من المسجد وسط جيش من المسلمين ــ بتشديد اللام ــ وكان سلامهم المصافحة .

فكان في الاستقبال عند باب المدرسة رئيس لجنة المدرسين فيها علي بدر كمارا ورجل قال الشيخ جبريل إنه الناظر ــ ناظر المدرسة ــ واسمه إمام سعيد كابو .

ولم نر في المدرسة طلابًا بسبب العطلة يوم الجمعة ، كما أخبرونا إلا أنهم قالوا : إن عدد طلابها ٧٥٨ طالبًا وأن المدرسين ١٧ وإن نفقات المدرسة تجمع من تبرعات المحسنين وإنها لا تأخذ رسومًا من الطلاب ، وإن مستواها ابتدائي وإعدادي .

وتقع في مقر من الخشب كله حتى سقوفه ودرجاته ومشروعاتهم فيما ذكروا لنا تغيير البناء الحالي ببناء إسمنتي قوي .

وغادرنا وما كدنا نستطيع أن نفعل لفرط الزحام .

المجنونــة والعاقلــة :

كنا في الطريق من (مدرسة ابن باز) إلى بيت الشيخ جبريل وذلك كله في أحياء متوسطة من مدينة فريتاون بمعنى أنها ليست المسماة بالأحياء الشعبية الرديئة ، وليست بالأحياء الراقية .

رأينا ونحن نسير بالسيارة سيرًا بطيئًا لأن الشارع فيه ضيق من أجل مجاري

المياه الصغيرة التي تحف به من اليمين واليسار ومن أجل وجود بعض المارة . وإذا بامرأة تقابل السيارة وهي تسير ليس على النصف الأعلى من جسمها شيء ، وقد بدا كل شيء في ذلك الجزء من جسمها إلا أنها كهلة في حدود الخامسة والأربعين وعندما عرف إخواننا أننا قد رأيناها سارعوا إلى قولهم : إنها مجنونة .. يعتذرون بذلك عن بروزها بهذا الشكل من عدم التستر.

وكدت اقتنع بذلك لأن مظهرها ليس بمظهر المرأة المتزنة في عقلها .

وواصلنا السير قاصدين بيت الشخ ، وإذا بنا نمر في شارع غير واسع أيضًا بإمرأة شابة عمرها في حدود العشرين وقد أبقت نصفها الأعلى كله عاريًا وهي شابة قد نهد ثدياها ، وكانت تهرس شيئًا في مهراس من الخشب أمام بيتها في الشارع وثدياها تتحركان بحركة جسمها مع كل مرة ترفع فيها المهراس أو تخفضه ، ولم يكن يبدو على مظهرها أنها غير متزنة ، ولذلك لم يقل أحد من إخواننا إنها مجنونة ، وربما كان ذلك لهذا السبب ، وربما كان لظنهم أنني لم ألاحظها لأنني لم أعلق على منظرها . أما الناس الذين في الشارع من رجال ونساء فإنني لم أرهم يهتمون بهذا المنظر ، ولا يكررون النظر إليه .

على مائدة جبريل :

دخلنا إلى بيت الشيخ جبريل في حي إفريقي أصيل ، ليس فيه من مظاهر بيوت الإفريقيين المتمسكين بافريقيتهم القديمة من الأكواخ شيء إلا القليل ، فبيوته جيدة وشوارعه على ضيقها مستقيمة أو شبه مستقيمة .

وكان الدخول إليه من حوش رأينا في ساحته جيشًا من الذكور والإناث والأطفال وكان في ذهني قول الشيخ جبريل عندما كان يحدثني عن نفسه منذ ثلاثة أيام أن لديه أربع زوجات وعددًا كبيرًا من البنين والبنات ، فسألت أحد الأخوان : أكل هؤلاء للشيخ جبريل ؟

فأجاب : لا ، إنه يؤجر بعض هذا البيت لأن فيه محلات بعضها منفصل عن بعض .

وأدخلنا إلى غرفة استقبال في الطابق الأرضي واسعة من الاسمنت المسلح في أعلى حوائطها تحت السقف مباشرة كتبوا أسماء الله الحسنى دائرة مع دوران الأركان الأربعة للغرفة .

وعلى حوائطها رسم لمساجد عدة قد رسمت باللونين الأخضر والترابي الباهت . وأرضها مفروشة بسجاد خفيف وفيها سبورة ثابتة في الجدار مكتوب عليها دعاء بحروف لاتينية . وهي تشعرك بكل ما فيها بأنك في جو إفريقي إسلامي خالص .

وقد اجتمع معنا بعض المدعوين بعد أن قام شخص وأبعد الذين كانوا مجتمعين في الحوش عن ذلك المكان .

ثم صعدنا إلى الطابق الأول مع درج إسمنتي مكشوف يصعد إليه من الحوش فدخلنا غرفة للجلوس فاخرة بكل ما فيها من أثاث ومحتويات .

وفيها تحف مختلفة ما بين إفريقية وإسلامية مثل صور المساجد المشهورة كتاج محل في الهند ولوحات عربية أنيقة قد عملت لها إطارات ثمينة وصور لأفراد الأسرة ما بين رجال ونساء ، وبعضها قد تأنق فيها صانعو إطاراتها .

وفيها أثاث حديث مثل المقاعد المريحة رغم كونها ليست بالغة السعة ولكنهم ألبسوا ذلك الأثاث لباسًا محليًّا نظيفًا فستروه بقماش يوافق الذوق الإفريقي ووضعوا على الأرض عدة وسائد نظيفة بل فاخرة .

وفيها مسجل وجهاز للمذياع وهاتف .

وكنا وجدناهم قد وضعوا الخوان ـ سماط الطعام ـ على الأرض ووضعوا فيه عدة صحون وملاعق وشوك نظيفة جدًا وربما كانت جديدة .

ثم أمرونا بالنزول عن المقاعد وقالوا : تفضلوا وجاءوا بالطعام أنواعًا منوعة ، إلا أنهم جاؤا قبله بإناء فيه ماء وضعوه في طرف (السماط) وأخذوا يغمسون أبديهم فيه واحدًا بعد الآخر يغسلونها فيه .

وكان هذا مما بقي من العادات القديمة التي لا تتناسب مع باقي المائدة .

كان الطعام منوعًا فيه الكسكس الذي كنا نعرفه خاصًا بالمغاربة أو المغاربة مختصون بصنعه إلا أنهم قالوا : إنه عندنا معروف مستعمل ، وفيه الأرز المعتاد ، وفيه مرق من الفول السوداني وهو لذيذ دسم . ودجاج بلدي كبير الحجم . وسلطة متنوعة .

هذا إلى جانب الأشربة الغازية المتنوعة مثل الكوكاكولا وأخواتها بشكل كثير . ولم ينسوا مناديل الورق لكل واحد .

وكانت مائدة شهية حضرها جمع كبير من إخواننا المسلمين في هذه البلاد ومن تلاميذ الشيخ جبريل وذوي العلاقة به ، وكنت مسرورًا بها لأنني اطلعت منها على ما لم أكن قد اطلعت عليه من قبل .

وكان حديث الشيخ جبريل وهو الذي يعرف العربية جيدًا وعمل في البلاد العربية عدة فترات منها (سفير سيراليون في مصر) مازاد المائدة بهجة .

يوم السبت : ١٤٠١/٥/١هـ ١٩٨١/٣/٧م

إلى يورك :

يورك: اسم مدوّ في عالم المدن ليس لكونه يسمى به عدة مدن بل لأن يورك الجديدة أو (نيويورك) في أمريكا هي من أشهر مدن العالم، وفيها مقر الأمم المتحدة ومن ذا الذي في العالم لم يسمع بنيويورك؟

لا شك في أن عددهم قليل، ولكن الذين عددهم كثير من سمعوا باسم (نيويورك) ولم يعلموا أنها تعني يورك الجديدة وأن يورك القديمة هي مدينة في انكلترا سميت هذه على اسمها كما سميت مدن أخرى في العالم باسم (يورك) حتى وصل هذا الاسم إلى إفريقية وإلى سيراليون بالذات. فقد عاد بعض الأرقاء المحررين من انكلترا بتشجيع من السلطات التي لا تريد أن يزيد عدد الإفريقيين في انكلترا في ذلك الوقت، وأسسوا قرية في سيراليون أسموها (يورك) على اسم مدينة يورك في إنكلترا.

ونحن لن نذهب إليها من أجل أن اسمها كذلك، ولكننا سنذهب في جولة لزيارة المساجد والمدارس في منطقة تنتهي بهذه المدينة (يورك).

وليس ذلك لأنها آخر مكان توجد فيه مدارس أو مساجد في تلك الناحية من سيراليون ولكن لأن وقتنا وجهدنا لا يتسع لغير ذلك.

غادرنا مدينة فريتاون في الساعة التاسعة من هذا الصباح على سيارة استأجرناها كل ساعة بثمانية ليونات أي: خمسة وعشرين ريالاً سعودياً.

وخرجنا من البلدة مع طريق في تلة عالية يدعونه (هل كت رود) أي: الطريق المقطوع في التلة وكان رفقاء الرحلة الشيخ (مصطفى كول) رئيس الرابطة الإسلامية في سيراليون والشيخ شريف عباس كمارا والزميل الشيخ

عبدالعزيز الربيعان.

وأول مكان توقفنا فيه هو:

قرية بندمبو:

أقبلنا إليها وأكثرها قد اختفى في الغابة لأنها داخلة عن الطريق فبيوتها من طابق واحد متطامن ولكنها واقعة بين أشجار عالية من المانقو والنارجيل وهناك عدة أعمدة من الدخان من أنحاء القرية تظل واقفة لمدة طويلة دون أن تتبدد لأن الرطوبة الشديدة في الجو تمنعها من ذلك.

والسبب في كونها كذلك أنها على البحر المحيط الذي رأيناه بعد حالة من المد شديد في هذه الناحية، وبعدها مباشرة تقع تلة عالية.

وقفنا عند مسجد لها مكتوب عليه بالعربية: (بعونه تعالى تم بناء مسجد الإمام موسى بن جعفر - بندمبو، سيراليون ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ على نفقة المحسنين الكريمين الأخوين خليل وعبدالله موسى أحمد المغتربين من بلدة حاريص في جنوب لبنان، والله يجزي أجر المحسنين).

وواضح أن الذين قاما على تعمير المسجد وتبرعا بذلك هما من الشيعة رغم أن هذه القرية ليس فيها شيعة من الوطنيين الإفريقيين.

والمسجد نظيف جداً، وبناؤه جميل رشيق ذو نوافذ زجاجية غير أنه ليس بالكبير وفي جهته الجنوبية محلات للوضوء وطبل كبير معلق عند أماكن الوضوء خارج المسجد.

وقد أخبرنا أهل القرية أن المتبرعين ببنائه سلموه بعد أن أكملوا ذلك إلى أهل القرية.

بلــدة قودريج:

بعد عود إلى الطريق الإسفلتي وسير غير طويل وصلنا هذه البلدة الصغيرة أو القرية الكبيرة.

وفي شارعها العام على الطريق الرئيسية مسجد مبني بالإسمنت المسلح ولكنه متروك دون تكميل وقال أحد إخواننا: إن الذين بنوه هم من الشيعة غير أنهم اختلفوا مع أهل القرية فتركوه دون إتمام مع أن البناء الرئيسي فيه قد انتهى. وذكروا أنهم يحتاجون إلى إكماله. كذا قالوا.

ولما سألتهم عن معنى اسم القرية أجابوا: إنه (فونكيا) وأن معناه (محل بيع المواشي) بلغة قبيلة شابرو الذين كانوا أول من نزل في هذه القرية ولكن القرية الآن يسكنها أناس من قبائل تمني وفولا ومادنقو ومندي.

ثم دخلنا من الشارع العام إلى داخل البلدة التي تتألف منازلها من أكواخ من الصفيح وفيها قليل بني بلبن الإسمنت.

كنا نسير مع سوق غير مستقيم بين منازل غير متراصة وهناك في المتسعات أكوام من حزم من الحطب المعد للوقود وذلك بكثرة ظاهرة.

وعرفنا سر تلك الكثرة وهي أن هذه القرية من القرى المشهورة بصيد السمك والتدخين عليه وتصديره إلى سائر أنحاء سيراليون بل إلى خارجها مثل غانا ونيجيريا.

وقد رأينا عدداً من سيارات الشحن واقفة مستعدة لشحن هذه الأسماك المدخنة الصفراء اللون وقد وضعوها في صناديق خشبية كبيرة.

مرافقنا الشيخ (مصطفى كول) من هذه القرية وله فيها بيوت ويذكر أن له أكثر من زوجة فكان يشرح لنا أحوال القرية شرح الخبير.

وقد مررنا بأطفال كثيرين في أزقة القرية وبين بيوتها، ولكنهم كانوا مؤدبين مهذبين فرغم الفارق ما بيننا وبينهم في الألوان واللباس لم أرهم يسيئون الأدب أو يأتون بما يتنافى مع الذوق في النظر إلى الأجانب.

كان من أهم ما في الطريق من الأشياء غير المريحة للسيارة ماء سائح في

الأرض وبط يسبح في ذلك الماء وحشرات على حشائش غير مرتبة وطبيعي أنه لا أثر للاسفلت في القرية ما عدا إسفلت الطريق العام الذي يمر بها.

جامع إسماعيل :

أول ما وقفنا عنده في هذه القرية مسجد يسمى (جامع إسماعيل) وهذا أقدم مسجد في هذه المنطقة إذْ كان بناؤه في عام ١٩٠٣م.

ومع أن بناءه قديم فإنهم لم يألوا جهداً في ترميمه وتنظيمه من ذلك أن نوافذه من الزجاج الملون. وبناؤه من لبن الاسمنت وسقفه من الصاج على شكل سنام. لأن المنطقة مطيرة والقرية نفسها تقع على شاطىء البحر الذي هو المحيط الأطلسي.

وقد ذكر لنا عدد من الأهالي الذين تجمهروا حولنا يحيون ويكرمون ـ جزاهم الله خيراً ـ أن جماعة من الشيعة عرضوا إعادة بناء هذا المسجد على أن يقيموا فيه مدرسة يتولون هم وضع مناهجها وتدريس الأولاد فيها فأبوا ذلك خشية منهم على أولادهم من أن يتأثر بعضهم بمذهب الشيعة. قالوا : وقد فعلنا ذلك رغم أنه يوجد في القرية ألف وخمسمائة ولد في سن التعليم وليس لهم مدرسة دينية نظامية.

وقد رأيتهم اعتنوا بالمسجد حتى أقاموا فيه محراباً من الخشب المنقوش مكتوبة عليه الآية الكريمة : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) فقلت في نفسي : ما أجدرنا بالأخذ بهذه الآية الكريمة وأن نتعاون مع إخواننا هؤلاء الكرام الأعزة فنعيد بناء المسجد وقبل ذلك نبني لهم مدرسة إسلامية تعلم أبناءهم وغيرهم.

وقد ضمنت ذلك تقريرنا ونسأل الله تعالى أن ييسره ويقدر إنفاذه.

وعندما خرجنا من المسجد مررنا بأحد إخواننا المسلمين الذي يعد من كبار

تجار السمك المدخن وهو حول مدخنة السمك ـ إن صح التعبير ـ يراقب العمال من رجال ونساء وهم يقومون بذلك العمل.

المدخنة على هيئة فرن كبير ذي غطاء حديدي مخرق يوضع فوقه السمك ويوقدون تحته ناراً على مسافة معينة لا تكون قريبة منه فتحرقه ولا تكون بعيدة عنه فلا ينضج ويتركونه وقتاً معيناً حتى يصفر لونه ويصبح كالمصهور وقد أكلنا منه وهو حار فوجدناه لذيذ الطعم قريباً من النضج إلا أنه ليس في درجة نضج السمك المشوي.

ولا بد من أن يكون على حجم معين فكبير الحجم من السمك يستبعدونه والصغير جداً منه كذلك.

يدرسون بالألواح :

بعد ذلك ذهبنا للاطلاع على (مدرسة) هناك فإذا بها ليست في بناية وإنما هي تحت شجرة ضخمة من أشجار (القورو) شجرة الكيف الإفريقية المشهورة وهي في ضخامتها وفي كثرة أغصانها تشابه شجرة العمبة (المانجو) الضخمة ولا يستعمل التلاميذ الكراسات والأوراق وإنما يستعملون الألواح من الخشب كما كنا نفعل في بلادنا قبل خمسين سنة.

فالأستاذ يكتب الدرس للتلميذ في لوحه الخشبي حتى إذا حفظه أو أجاد قراءته محاه ثم كتب له غيره.

وقد أخذت أحد الألواح من أحد الطلاب فوجدته مكتوباً فيه بخط مغربي إفريقي النصف الأول من سورة (إذا الشمس كورت).

ولما سألتهم عن السبب في كون المدرسة تحت الشجرة؟ أجابوا إن ذلك لعجزهم عن بناء مدرسة وعن الكتابة بالألواح؟ قالوا : إن ذلك أوفر من الدفاتر والكراريس.

ثم كانت استراحة على مقاعد مفردة محدودة العدد أمام بيت الشيخ (مصطفى كول) في بستان له يقع فيه بيته. ومن أبرز الأشجار المثمرة فيه (المانجو) والنارجيل.

وقد أمر الشيخ مصطفى أحد الشبان فصعد شجرة نارجيل وأخذ يقطف من ثمارها (جوز الهند) ويلقي بها في الأرض فلا يؤثر ذلك فيها لصلابتها فيأخذها رجل معه سكين كبيرة حادة يفلق بها رأس الجوزة ويعطيها أحد الضيوف ليشرب من مائها الصافي اللذيذ.

وكان الشيخ مصطفى قد أحضر أشربة غازية وبسكويتاً ففضلت شراب ثمار النارجيل على كل ذلك.

والحقيقة أن هذه القرية محظوظة فهي على شاطىء البحر في منطقة غنية بالأسماك الصغيرة ولكن ذلك لم يمنع من كونها غارقة في غابات كثيفة من الأشجار النافعة وذلك لأن أرضها مرتفعة عن الشاطىء ولأن البلاد مطيرة.

وبعد الاستراحة التي ألقيت فيها كلمة ذكرت فيها عمق العلاقة الإسلامية التي تربط بين المسلمين وبينت لهم أننا سوف نبلغ المسئولين في المملكة وبخاصة في رابطة العالم الإسلامي ورئاسة الافتاء والدعوة بحاجتهم إلى المدرسة وتعمير المسجد .

غادرنا المنطقة ولكن أخاً لنا اسمه (عثمان كنتي) سارع بإحضار مقدار كبير من السمك المدخن المعد للأكل هدية لزواره وذلك لأنه يتعاطى تدخين السمك وبيعه فشكرناه على ذلك وكان من نصيب السائق ومرافقنا الشيخ (شريف كمارا).

وبينما كنا نهم بركوب السيارة كان هناك منظران يسترعيان الانتباه أولهما: نسوة من أهل القرية وأطفالها يتفرجون على الضيوف من مسافة قريبة وبينهم فتاة عارية الصدر وثانيهما سيارات من سيارات النقل تحمل أكواماً من

السمك المدخن وأوراق الدخان وهذه من صادرات سيراليون إلى غانا ونيجيريا.

وكانت العودة إلى الطريق الإسفلتي العام فوقفنا عند قرية تسمى (ماي) ثم غادرناها مسرعين فمررنا بنهرٍ صغير صافي المياه لأنه يمر على أرض صخرية وكنا نرى في عدة أماكن حَطَّابات قد أحضرن الحطب على رؤوسهن من الغابات الجبلية المجاورة.

قرية بوبوه :

بوبوه: معناها الأطفال الصغار، وهي قرية فيها مسلمون كثيرون إذْ تبلغ نسبتهم فيها النصف من السكان والنصف الآخر مختلطون ما بين مسيحيين ووثنيين.

زرنا مسجداً فيها بسيط البناء بل رثّ البناء ليس لنوافذه أبواب وليس لمداخله أبواب وقد بني بلبن الإسمنت وسقف بالصفيح.

وذلك لأن أهل القرية لم يجدوا من يساعدهم على بنائه فبنوه من تبرعاتهم القليلة وهم فقراء.

وقد رصدنا له مساعدة قليلة ووعدناهم بأكثر منها في المستقبل.

وغادرناها وكان ما يلفت النظر عدد من الأطفال العراة تماماً، ومنازل إفريقية من القش.

واستأنفنا السير مع طريق يحف بجبل أخضر يرى فيه المرؤ عمال الزراعة والغابات قرب محطة حكومية. وامرأة عارية الأعلى. ونهر صغير، ومزارع وأشجار عن يمين الطريق ويساره أخبرونا أن هذا الطريق حد فاصل بين الأملاك الحكومية والأملاك الخاصة فما كان عن يمينه فهو خاص للأفراد وما كان يساره فهي مناطق وغابات حكومية.

وهذه الغابات الحكومية تجلل تلالاً صخرية ما لبثت أن صارت جبالاً عالية.

وقد أصبح الطريق ضيقاً تعترضه مجاري مياه عليها جسور يتسع الواحد منها لسيارة واحدة

قرية توكي :

عدلنا من الطريق الإسفلتي الرئيسي ذات اليمين قاصدين جهة شاطىء البحر فوجدناهم قد أحرقوا الغابات تمهيداً لزراعة الأرض زراعة حقلية وبأشجار نافعة.

ثم دخلنا غابة مظلمة أكثر أشجارها من أشجار الأخشاب ولكنها ليست واسعة إذْ رأينا أهل القرية يحرقون الحشائش الكثيفة والأشجار الوحشية الملتفة.

وعند الوصول إلى قرية (توكي) لم يعرف مرافقونا المسجد فكان الدليل صبياً نصف عار يحمل طفلة عارية تماماً إلا أن في عنقها قلادة مع شيء يشبه التميمة.

وقبل الوصول إلى المسجد رأينا أحد المنازل أمامه سرير معلق وهم يستعملونه للنوم من أجل اتقاء الحشرات الزاحفة وبجانبه قفص فيه طيور جميلة.

أما الدجاج فإنه سائب كثير فيما بين البيوت.

وأما المادة التي تقام منها البيوت فإنها الطين والأعواد، وهذه من الأشياء المألوفة في العديد من القرى الإفريقية، ولكن الشيء الذي كان مألوفاً وأصبح الآن في طريق الإنقراض أو هو قد أصبح نادراً بالنسبة لما كان عليه من قبل فهو منظر امرأة حول أحد البيوت ترضع ولدها وجميع نصفها الأعلى عارٍ

تماماً، ولم تحفل بنا عندما حاذيناها ولا الرجال الذين كانوا يسيرون على أقدامهم من المواطنين.

أما مسجد القرية فإنه مبني بالطين والأعواد مسقف بالصفيح على شكل السنام وفي داخله طبلان معلقان وقرب محرابه سراج من الصفيح لأن هذه القرية لم تصلها الكهرباء. وقد وضعوا خشبة على بابه لمنع الدواب لأنه ليس له باب يغلق وبلطوا أرضه بالإسمنت وفرشوه بفرش بسيطة.

وفي آخره قسم منفصل عن الرجال. وهذا لطيف في هذه القرية التي يوجد فيها عدد من النساء شبه العاريات.

وقد اجتمع حولنا عدد من إخواننا مسلمي القرية فألقيت فيهم كلمة شكرتهم فيها على هذه العناية بأمور دينهم وشجعتهم على المزيد من العمل الإسلامي وأخبرتهم أننا سنسهم في التبرع لمشروعاتهم الإسلامية الحالية والتي سيقيمونها في المستقبل.

وأرونا بعد ذلك كومة من لبن الإسمنت موضوعة على أرض خالية وقالوا: إن هذا الاسمنت هو ما جمعناه ننوي أن نبني به مدرسة إسلامية لتعليم أطفالنا.

ولقد اعتراني وأنا فرح بذلك شعور بالأسف ممزوجاً بشعور من احتقار النفس لأن هؤلاء الأخوة على ضيق ذات يدهم يجمعون ما يستطيعون ويواصلون ذلك حتى بنوا لهم مسجداً ويواصلون العمل من أجل أن يبنوا مدرسة تعلم أولادهم أمور دينهم.

عظمة هذا الدين وإخلاص الإفريقيين:

وهذا يدل على عظمة الدين الإسلامي وأنه دين الفطرة، وإلا فان هؤلاء الأخوة في مكان ناء عن البلدان الإسلامية، ولم تصلهم مساعدات مادية.

بل حتى دخولهم في الإسلام وثباتهم عليه هو في حد ذاته يكاد يكون من المعجزات، إذْ كان ذلك في زمن كان الاستعمار الأوروبي فيه في أوج قوته وجبروته، وكان دعاة التنصير يجدون الأبواب مفتوحة أمامهم في هذه البلاد الإفريقية وأمثالها ولديهم من الإمكانات المادية والثقافية ما يعجز عنه المسلمون في بلاد الأغلبيات الإسلامية.

ولكن إخواننا من جنود الله المجهولين عند الناس المقربين منه تعالى يتصدون لتلك الإمكانات الضخمة من مادية ومعنوية بإمكانات ضعيفة المقدار عند الناس ولكنها عظيمة الأثر في النفوس.

ولو قام المنصفون بعملية بسيطة لمعرفة النتائج لا بكثرة العمل والإمكانات لوجدوا أن جند الله هم المنصورون ولرأوا أنه في مقابل كل شخص ينصره أولئك الدعاة إلى النصرانية من الوثنيين يدخل في الإسلام أكثر من شخص وبخاصة في هذه البلاد سيراليون. ولوجدوا شيئاً أهم من ذلك وهو أنه في مقابل كل نصراني يدخل في الإسلام لا يوجد مسلم يدخل في النصرانية.

ولقد تذكرت ذلك فأجللت عمل إخواننا من الدعاة الأفارقة وإخلاصهم في الدعوة إلى الله فاحتقرت نفسي وقلت: ما هو عملنا مع الإمكانات المادية والتسهيلات التي تمنحها لنا حكومتنا إذا قيس بأعمالهم! والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وخرجنا من المسجد نتمشى بين بيوت هذه القرية قرية (توكي). فلما سألتهم ونحن كذلك عن معنىٰ اسمها هذا أجابوا: بأنه كان في الأصل: (أباتوكي) ومعناه: عطية الله بلغة قبيلة شيبرا. وهي قبيلة مسلمة.

وكنت أتأمل ما في القرية ونحن نسير عائدين إلى حيث تقف سيارتنا خارج القرية فأجد شجرة من شجر (الكروشو) وهو نُقْل شبيه باللوز يخرج في المناطق شبه الإستوائية ويؤكل قبل الشراب أو مثلما يؤكل الفستق. وكانت الشجرة

مثمرة غير أن الوقت ليس وقت نضجها. وهناك أشجار غير يانعة من أشجار النارجيل على أطرافها أعشاش للعصافير.

وبائع ثياب متجول لا شك في أنه جاء إلى القرية من خارجها وقد لبس ثيابه كاملة، وهو يعرض بضائعه على مجموعة من النساء جالسات في ظل أحد البيوت وكلهن شبه عاريات ليس على النصف الأعلى من أجسادهن شيء.

وأشجار (باباي) وهي الفاكهة الاستوائية الشبيهة بالشمام ولكن الأشجار قصيرة غير جيدة.

متى دخل الإسلام إلى هذه المنطقة؟

دخول الإسلام إلى سيراليون قديم ربما نأتي على ذكره وحتى في العاصمة (فريتاون) فهو أقدم مما كان يظنه من لا علم لهم بالأمور لأول وهلة.

ولكن الكلام هنا على هذه القرية وما حولها من القرى فهي وإن كانت لا تبعد في حساب المسافات المجردة كثيراً عن العاصمة إلا أنها في الواقع تبعد كثيراً من حيث التأثر بالعوامل المدنية وحتى من حيث المواصلات في الزمن السابق غير البعيد.

لقد كان أول ما تبادر إلى ذهني وأنا أرى هذه القرى التي يقطنها مسلمون وان لم يكونوا كل السكان فإنهم أكثرية في بعض هذه القرى وهم كثيرون في غيرها.

ولكن الذي يسترعي الانتباه أنه حتى في القرى التي تقطنها أكثرية مسلمة يرى المرء بعض النساء العاريات الصدور أو قل: العاريات إلا من ستر قليل على أوساطهن السفلى فيتساءل عما إذا كن من المسلمات؟ أم من غير المسلمات؟..

ويجزم أنه أياً كان الأمر فإنهن من الحديثات العهد بالمدنية وبالدين وإن هذه العادة هي بقية من عادات الحياة الفطرية القديمة قبل اعتناق الأديان السماوية.

فسألت مرافقيّ وهم من الخبراء في هذا الشأن لأنهم من العاملين في الحقل الإسلامي منذ سنين طويلة فأجابوا:

أولاً، فيما يختص بهؤلاء النسوة اللائي لا يسترن النصف الأعلى من الجسم أغلبهن من غير المسلمات وفيهن من المسلمات الجاهلات بالدين لأن قومهن دخلوا في الإسلام ولم يجدوا من يفقههم في أمور الدين التفصيلية من جهة، ولأن أهل البلاد لا يعتبرون ذلك أمراً مثيراً ولا مستحقاً للاهتمام حسبما ألفوه ونشأوا عليه في هذا الجو الاستوائي الذي لم يكن الإنسان فيه في القديم محتاجاً حاجة طبيعية للملابس، وإنما احتاج إليها حاجة اجتماعية بعد ذلك وصار ذلك يتدرج ببطإٍ.

وثانياً: فيما يختص بدخول الإسلام إلى هذه المنطقة الريفية. فإن ذلك ـ حسبما قالوه ـ كان قريباً جداً.

قالوا: إنه قبل عام ١٩٤٠م لم يكن هنا مسلمون وإنما كان السكان وثنيين فجعل دعاة الإسلام من إخواننا الافريقيين المخلصين جزاهم الله خيراً يتسابقون مع دعاة النصرانية والمبشرين بها إلى هؤلاء الوثنيين فكان من العجيب الغريب أنه لم تكد تمضي عشر سنين حتى كان المهتدون إلى الإسلام أكثر من المسيحيين وظل ذلك يزيد ويزيد حتى أصبح المسلمون هم الأكثرية يقول إخواننا ذلك وهم فرحون: إننا تسابقنا مع المبشرين فسبقناهم ولله الحمد وحق لهم أن يكونوا بذلك من الفخورين.

ومما يجدر ذكره أن هذه القرى لا تبعد عن العاصمة بأكثر من أربعين كيلو متراً ولكنها في منطقة غابات واقعة بين البحر والجبل.

بلدة يـورك:

هذه من بلدان (الكريول) في سيراليون والكريول كما سبق هم المختلطون

أي: غير المنتسبين إلى قبيلة معينة من القبائل الإفريقية.

هذا هو المعنى القريب لهذه الكلمة ولكن المعنى البعيد لها هو أن الكريول هم الذين جاؤا في الأصل إلى هذه المدينة أو غيرها مما يماثلها وكان مجيئهم من خارج سيراليون فأقاموا فيها ثم انضم إليهم أناس غيرهم من غير القبائل المعروفة.

ومجيء أوائلهم كان من بلدة (يورك) في انكلترا بعد تحرير العبيد وتحريم الرق هناك فساعدت انكلترا من يريد من الإفريقيين المستعبدين أن يعود إلى إفريقية بعد أن حصل على حريته فكان مجيء طائفة منهم من بلدة يورك ونزولهم في هذا المكان الذي سمي (يورك) أيضاً على اسم المدينة الانكليزية.

كان الذين عادوا من انكلترا وأسسوا هذه البلدة (يورك) من المسيحيين الذين لا يعرفون غير المسيحية ديناً لأنهم وان كانوا إفريقيين في الأصول فإنهم قد تربوا على أيدي الانكليز فأصبحوا مسيحيين. لذلك اعتبرت هذه البلدة مسيحية بسكانها فكانت فيها كنائس قديمة بلغ عددها الآن ثلاثاً.

ولذلك أيضاً كان جميع حكامها الإداريين من المسيحيين فقد رأينا في أصل إحدى البنايات على ميدان صغير حجراً تذكارياً يخلد أسماء حكام هذه البلدة من عام ١٨٠٩م وهو تاريخ كونها أصبحت بلدة حتى عام ١٩٦٨م تاريخ تلك الكتابة.

وهذا الحجر يذكر اسم حاكم المدينة وتاريخ ولايته وتاريخ وفاته. ومن الطريف أنهم كتبوا بعد ذكر الوفيات عبارة (كلنا في هذه الدنيا عابرو سبيل).

وذلك كله بطبيعة الحال باللغة الإنكليزية.

ومع أن هذه البلدة كانت ولاتزال تعتبر مسيحية بأغلبية سكانها، منذ بدء تأسيسها فإنها لم تخل من بيت من بيوت الله.

فقد وفد عليها جماعة من المسلمين ما لبثوا أن كونوا جمعية صغيرة بنت لهم

فيها مسجداً رغم غضب سكانها المسيحيين.

وكان بناء المسجد في عام ١٩٦٨م ولايزال هو المسجد الوحيد.

وقد قابلنا رئيس جمعية المسجد واسمه (الكالي سيسي) ومعنى الكالي: القاضي. وإمام المسجد (أبو بكر سلكوا).

وأخبرونا أن نسبة المسلمين تبلغ فيها الآن ١٥ ٪ جميعهم من الوافدين على المدينة وليسوا من سكانها الأصليين وبقدر ما فرحنا بإنشاء هذا المسجد حزنا لما أخبرونا به من أنه لا توجد فيها مدرسة إسلامية تعلم أولادهم. فشجعناهم على البدء فوراً في العمل على إنشاء مدرسة إسلامية وأخبرناهم أننا مستعدون لمساعدتهم على ذلك بمساعدة قليلة عاجلة، وأننا سوف نكتب إلى حكومتنا بمساعدتهم مساعدة جيدة في المستقبل.

أما بناء المسجد فإنه من لبن الإسمنت المسقف بالصفيح، وقد علقوا فيه مصباحاً غازياً بجانبه جرة فيها بعض الغاز للمصباح.

وليس في المسجد كهرباء ولا ماء للحمامات وإنما هناك صنابير ماء في الميادين القريبة لأنه في ضاحية من البلدة مثله في ذلك مثل البيوت القريبة منه.

خرجنا بعد ذلك نستجلي معالم هذه البلدة التي لا تشذ عن القاعدة الإفريقية في كثرة الأشجار واخضرار الأرض إلّا في وجود أشجار الظل الضخمة التي يتضح من مرآها أنها قد غرست في القديم ومنع منها القاطعون.

وأما الأشجار المثمرة فيها فإنها العمبة (المانقو) والنارجيل وفاكهة الخبز أو خبز الفاكهة (بردفروت) والموز وأشجار استوائية أخرى منها شجرة أحضروا منها ونحن ننظر فاكهة كنت قد شاهدتها في ماليزيا وهي من الفواكه الاستوائية حمراء اللون لا أتذكر اسمها.

وكنت استطبتها حينما جربتها في آسيا الاستوائية فأردت أكل ما أعطوني منها هنا غير أنهم كانوا يأكلونها من غير غسل وأنا لا أستسيغ ذلك فذهبت ويداي مملوءتان ألتمس صنبور ماء خيِّل إليّ أنني رأيته بين بيوت المواطنين فلما وصلته وجدته من وعاء كبير (برميل) فسارعت امرأة إفريقية كانت تغسل أوانيها منه إلى غرف الماء منه وهي تبتسم تريد أن تساعدني على الغسل فشكرتها وذهبت أبحث عن صنبور آخر حتى وجدته.

والناس هنا مؤدبون ومهذبون ولا يكرهون الغريب، ولا أحسّ بأنهم يحقدون على من يخالفونهم في اللون أو من يسمونهم البيض.

ويذكر أن بيوت القرية أغلبها من الخشب المؤسس فوق أصول من الحجارة تقيه الرطوبة وذلك أن القرية تقع في منطقة ذات طبيعة صخرية ولذلك نرى البنايات المعتنى بها مبنية بالحجارة.

وكان من المقرر أن نوغل في هذه الأرض (السيراليونية) لنرى المزيد من القرى المسلمة أو التي يقطنها مسلمون وأن نلتف حول الجبال التي تقع فيها العاصمة فنعود من طريق آخر غير الطريق الذي ذهبنا منه إلا أن الطريق طويل، والمسلمون كثير، والوقت أقصر من أن يتسع لذلك.

فعدنا من حيث جئنا إلى العاصمة (فريتاون).

ومضت بقية هذا اليوم في صرف المساعدات المالية للجمعيات والمؤسسات الإسلامية.

يوم الأحد : ١٤٠١/٥/٢ هـ ١٩٨١/٣/٨ م

كان أول النهار مخصصاً لإكمال توزيع المساعدات المالية على من لم يحضروا أمس.

وكان موعد الخروج إلى المطار في الساعة الثانية لأن الإقلاع في الخامسة والطريق يستغرق ساعتين على الأقل فطلبنا من إدارة الفندق أن يسمحوا ببقاءنا بعد الساعة الثانية عشرة قليلاً حتى نصلي ونغادر ولكنهم امتنعوا عن ذلك وقالوا: إذا جلستم بعد الثانية عشرة ربع ساعة حسبناها عليكم ليلة كاملة. فأنزلنا أمتعتنا في الأسفل ولبثنا في القاعة حتى حانت الصلاة.

السفر إلى المطار :

غادرنا الفندق في الثانية عشرة والنصف على حافلة صغيرة مخصصة للعمل ما بين الفندق والمطار وكنا ثلاثة أنا وزميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان والشيخ صلاح جانيه وكان بإمكاننا أن نستأجر سيارة خاصة غير أننا فضلنا ذلك جرياً على العادة في الاطلاع على أحوال الشعب في الركوب والنزول والتصرف مع الآخرين.

ولكننا قد ابتلينا إذْ تبين أن الذي يبيع التذاكر للحافلة قد قطع عدداً من التذاكر زائداً على مقاعد هذه الحافلة الصغيرة فلم نجد فيها مكاناً فوقفنا طول الطريق.

لم يكن الوقوف متعباً جداً إذْ كان عدد من الركاب واقفين وتخلله تصرفات لطيفة إذْ آثر بعضهم أن يقف هو وأجلس أنا في مكانه إلا أن المقعد يكون فيه في الغالب أكثر من واحد لأنها مقاعد متجاورة.

موكب الرئيس :

وصلنا خليج فريتاون وكان لا بد من ركوب العبَّارة كما هي العادة إلّا أننا منعنا من ذلك ولم نعرف السبب حتى مضت أكثر من نصف ساعة فحضر موكب الرئيس (إساكا ستيفنس) رئيس جمهورية سيراليون وركب العبارة أولاً ثم تلته بقية السيارات وكان موكبه مؤلفًا من ثلاث سيارات وسيارة شرطة ووقفت سيارتنا بجانبه وكنا قد ترجلنا من السيارات هربًا من الرطوبة والحر فوقفنا بجانب سيارته فكان تصرفه وتصرف المواطنين الذي رأوه (ديمقراطيًا) بل ربما مثاليًا فهم لم يتزاحموا على رؤيته وحرسه لم يصدوا الناس بغلظة أو يبعدوهم عن سيارته ، بل رأيت أحد المواطنين يحادثه كما يحادث الرجل عامة الناس ولا أدري عن رتبة هذا المواطن فربما كان ذا مقام مميز.

ولكن الواقع المؤكد أن موكبه يخلو من الأبهة والتعاظم كما أن حرسه لا يشكون في المواطنين كثيراً وإلا لبالغوا في حراسته .

أكل هذا من أجل رجل أبيض ؟

عندما طال الانتظار بالحافلة قبل الإذن بركوب العبَّارة وقبل ذلك كان وقوف بعض الركاب الذين لم يجدوا مقاعد في الحافلة تسلل أحد الركاب الأوروبيين نازلاً من السيارة كما نزل غيره ممن ذهبوا إلى أماكن أخرى في العبَّارة إلتماسًا للسعة في المكان ولو كانوا وقوفًا .

ولكن عندما وصلنا البر الذي فيه المطار وقفت السيارة تنتظر بقية الركاب فركبوا إلا ذلك الرجل الأوروبي .

وكان في الحافلة جابية أو عاملة إفريقية هي التي تأمر السائق بالسير أو الوقوف ، فلما أراد أن يسير أمرته بالوقوف وقالت له : الرجل الأبيض (وايت مان) لم يحضر.

فانتظر قليلاً ثم أراد السير فمنعته الجابية وقالت : لابد من انتظاره ونحن نفهم كلامهم لأنه بلغة الكريول التي هي انكليزية محرفة .

فغضب السائق وأراد السير فخاصمته الجابية ووقفنا ننتظر في الحر والزحام إضافة إلى الانتظار السابق .

فانفجرت نسوة من المواطنين وتكلمن بشدة على الجابية والسائق وقالت احداهن : أكل هذا العذاب والانتظار من أجل (وايت مان) أي رجل أبيض ؟ ونحن ما هي قيمتنا؟ ثم سارت الحافلة بدونه ، ولكنني رأيته في المطار قد نزل من سيارة أجرة وراح يتكلم بغلظة وخشونة على الموظفين ويقول لهم أنتم تعاملون الناس كالحيوانات ، انتم لا نظام عندكم .

وقد نسي أن قومه هم الذين كانوا يعاملون الناس معاملة الحيوانات وأنه إذا كان من الأقوام اللاتينية من البرتغال مثلاً كما يدل عليه مظهره فإن سجلهم لا يشرفه وأن الأفريقيين الذين لم نَرَ منهم إلا المعاملة الحسنة والصبر عليه وأمثاله هم أحسن معاملة له ولغيره مما توحي به روح الانتقام أو حتى معاملة المسيئين بالمثل .

حـول سيراليون

هذه بعض المعلومات التي تتناول بعض المعارف والحقائق عن سيراليون ربما يجدر بالقارىء الكريم أن يلم بها إذا أراد أن يكون فكرة سريعة مختصرة عن ماضي هذه البلاد ، وأن يعرف ما تخيله المؤلف عن مستقبل الإسلام فيها بناء على ما عرفه من حاضرها .

وقد قصدنا بذلك الإلمام ، والاعلام بأشياء يقتضي المقام ذكرها دون الدخول العميق في تاريخها السحيق ، أو حتى في حياتها الحاضرة ؛ فذلك له مكان غير هذا المكان. ومظان غير هذا الكتاب .

لأن كتابنا هذا هو كتاب رحلة واستطلاع عن حاضر هذه البلاد بعامة وأحوال المسلمين فيها بصفة خاصة .

تسميتها :

المعنى الحرفي لكلمة (سيراليون) هو : جبال الأسد .

وسبب التسمية أن الأوائل من المستكشفين البرتغاليين عندما نزلوا في الساحل المقابل لهذه البلاد سمعوا صوت الرعد من بعيد ينبعث من جبال لها شكل الأسد فظنوه زئير الأسود ، فقالوا : سيراليون : أي : جبال الأسد وسموا ذلك الموضع (سيراليون) فبقيت عليه التسمية .

ولم تكن قبل ذلك ذات اسم واحد يشمل بلاداً ذات حدود واضحة مميزة .

بل كان معظمها تقطنه قبائل مختلفة لها زعماؤها وسلاطينها وهي قبائل متعددة سيأتي الكلام عليها .

في عام ١٨٠٨ م عندما ألغت انجلترا تجارة العبيد أقامت قاعدة عسكرية

بحرية في مدينة فريتاون أي : مدينة الحرية . وبفضل رقابتها الصارمة أعادت ما يزيد عن أربعين ألفًا من هؤلاء العبيد المحررين إلى فريتاون حيث استوطنوا في البلدة منذ عام ١٨٥٠ م.

وفي عام ١٨٥٨م طلبت الدولة مساعدة بريطانيا وأصبحت بالتالي فريتاون مستعمرة ضمن التاج البريطاني في أوآخر القرن التاسع عشر فنشأت خلافات مع فرنسا حينئذ التي امتد نفوذها من قاعدتها في السنغال جنوبًا حتى ما يسمى حاليًا غينيا .

ولم يستتب الأمر نهائيًا في سيراليون إلا في عام ١٩١٧. وفي عام ١٩١٨ تكونت لجنة للمؤتمر الوطني لغرب إفريقية البريطاني الذي دعا إلى بطلان التفرقة العنصرية مع زيادة في عدد ممثلي الشعب .

وقد استقلت عن بريطانيا في عام ١٩٦١ م . وفي عام ١٩٧١ أصبحت سيراليون جمهورية وفي عام ١٩٧٧م طالب البرلمان بإنشاء حزب واحد فجاءت الموافقة على ذلك بنسبة ٩٧ ٪.

وتتكون دولة سيراليون من ١٢ ولاية ومساحتها ٢٧ ٩٢٥ ميلاً مربعًا أي ٣٢٦ ٧٣ كم٢ وعدد سكانها ٠٠٠ ٨٠٠٠ ٣ نسمة والكثافة السكانية تصل إلى ١٢٦ نسمة لكل ميل مربع .

العاصمة فريتاون :

رغم قربها من خط الاستواء ٥٥٠ ميل أو ٩٠٠كم فإن مناخها مختلف تمامًا . فالنهار يظل حارًا والأمسيات تصل حرارتها إلى ٣٤ درجة في الشمال مع انخفاض في نسبة الرطوبة .

والرياح الموسمية تهب عليها حاملة الأتربة حتى منتصف شهر فبراير ثم تبدأ فترات متعاقبة من الحرارة والرطوبة وقلة الأمطار حتى شهر أبريل حيث يبدا موسم الأمطار .

السكـان :

يتألف سكان سيراليون من مهاجرين جاءوا من الشمال والشرق والشمال الغربي والجنوب وأغلبهم ذوو صلة قرابة أو دم بفضل تزاوجهم منذ قرون عديدة .

أكبر قبيلتين هما : التمني والمندي وكل منهما تضم حوالي ٣٠ ٪ من تعداد الدولة . وقد استوطن المندي في المنطقة الشرقية ثم انتشروا في المنطقة الجنوبية من البلاد . أما قبيلة التمني فقد أقامت في شمال فريتاون ثم نزحت إلى وسط سيراليون والجنوب الغربي حيث تعتبر أكثرية السكان .

ثم تأتي قبيلة (ليمبا) التي ينتمي إليها رئيس الجمهورية وهي من القبائل القديمة في هذه البلاد ، بل إن بعضهم يزعم أنها أولى القبائل الحديثة التي استوطنت سيراليون.

وهناك قبائل أخرى مثل الكونو التي يسكن أفرادها مناطق المناجم . ثم قبائل وجماعات أخرى عديدة كالكورانكو والشربو والفولا والسوسو واللوكو والمادنقو والكيسي واليالونكا والكريم والفاي .

وهنالك الكريو وهم سلالة الكريول وهم من السود العائدين من انكلترا وأمريكا الشمالية والهند وقد أقاموا في المنطقة الوسطى بعد الغاء العبودية أو نجوا من سفن تجارة العبيد غير الشرعية المتجهة إلى أمريكا .

الكريول بمعنى المختلطين .

بدأت عودتهم واستيطانهم في (فريتاون) التي تعني مدينة الأحرار لكونهم عادوا إليها أحرارًا بعد أن كانوا مغادرين إفريقية أرقاء مستعبدين في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا .

وقيل إن أرض (فريتاون) اشترتها الحكومة البريطانية من أحد ملوك

(التمني) لتكون وطنًا لهؤلاء المحررين .

وذلك من باب التكفير عن الخطيئة أو إسكات الضمير في السكوت عن استرقاقهم في القديم .

على أن هناك تعليلاً آخر لهذه الخطوة أورده بعض المطلعين وهو تعليل وجيه يتمثل في أن البريطانيين خشوا من ازدياد نسبة السود في بلادهم فأرادوا بهذا الأمر أن يسهلوا عودة الموجودين منهم إلى إفريقية بطريقة مشرفة تظهرهم أحراراً مختارين لهم حريتهم الفردية في بلادهم الإفريقية.

ويمكن القول بأن الفرق بين الكريول وبين غيرهم من بقية السكان هو كون الكريول لا ينتمون إلى قبيلة معينة معروفة من القبائل التي كانت تسكن في البلاد عند عودتهم والتي كان النظام القبلي فيها هو السائد .

لأنهم عادوا إلى تلك المنطقة على أساس إفريقي محرر. وليس على أساس قبلي .

بل إنه من الجائز أن يكون بعض (الكريول) هؤلاء ليسوا من أهل سيراليون الأصليين وإنما هم من أماكن أخرى في إفريقية وسرقوا أو سرق أباؤهم ليباعوا عبيدًا للمستعمرين أو المعمرين في الأمريكتين أو البحر الكاريبي وقد انضم إليهم أيضًا اناس قليلو العدد من الكريول أي المخلطين الذين حصل لهم الاختلاط في البلاد نفسها .

ونظرًا لانعزال (الكريول) أو المختلطين عن التأثير القبلي وتحررهم من التقاليد القبلية فقد ركز دعاة النصرانية ، والإرساليات الأجنبية على تثقيفهم ثقافة غربية . مما أوجد لهم طابعًا خاصًا في أول الوقت وجعلهم يتمتعون بمهارات وشهادات دراسية أكثر من غيرهم من السكان في داخل البلاد .

بل حتى في داخل مدينة فريتاون بين أكثرية سكانها الوافدين من الداخل

فقد أصبح الكريول بحكم تعليمهم ومهاراتهم المكتسبة يشغلون وظائف في الإدارة أكثر من نسبتهم العددية .

وقد أخذ الأمر هذا يقل أو لنقل يتلاشى لأن كثيرًا من أبناء القبائل الذين سكنوا في العاصمة (فريتاون) قد أصبحوا من حيث يريدون ، أو لا يريدون يقتربون من الكريول بحكم حياة التمدن وأخذوا يختلطون بالزواج وغيره من هؤلاء (الكريول) ومن غيرهم والأمل أنه لم يمض وقت طويل حتى تكون الصفة المميزة للكريول قد تلاشت أهميتها وأصبحوا مثل غيرهم من بقية السكان ولكن لاتزال تسمية المدينة (فريتاون) مدينة الحرية تدل على حالة سكانها الأولين من الكريول عندما استوطنوها في أول الأمر .

ولغة الكريول تسمى (الكريول) على اسمهم وقد يسميها بعضهم (الكريو) بدون لام وهي لغة انكليزية في الأصل دخلتها كلمات وجمل من عدة لغات إفريقية منها ما هو من اللغات القبلية في داخل سيراليون . ومنها ما هو من خارجها فقد كان الكريول الأوائل يتكلمون الإنكليزية ولكنهم ليسوا من أصل واحد بل هم مختلطون كما يدل عليه اسمهم .

ولذلك كان بعضهم يتكلم إلى جانب الانكليزية بقايا من لغات محلية أخرى .

لهذا نشأت هذه اللغة المختلطة . إلا أن اختلاطها لا يبعدها كثيرًا عن الإنكليزية .

وقد أصبحت لغة الكريول هي لغة التفاهم بين الجميع في العاصمة (فريتاون) وفي أماكن أخرى غيرها من البلاد لأنه لا توجد لغة عامة تحل محلها . وإنما هناك لغات متعددة للقبائل كلها لغات محلية في الأصل .

ولذلك صارت لغة الكريول لغة لغير (الكريول) أيضًا اللهم إلا إذا جعلنا التسمية (الكربول) بمعنى المختلط تطـرد فنقول : إن اختلاط (الكريول)

يآخرين ينتسبون إلى قبائل معروفة وتكلم الجميع بهذه اللغة يصح أن يجعلها لغة المختلطين وإن كان ذلك على هيئة اختلاط أوسع من الاختلاط الذي استوحي منه اسمها واسم المتكلمين الأوائل بها .

على أنه مما خفف من أثر المشكلة اللغوية الناشئة ما بين لغة (الكريول) ولغات القبائل المحلية المتعددة أن لغة التدريس والثقافة في عموم البلاد هي اللغة الانكليزية وهي اللغة الرسمية للدولة بسبب كون البلاد كانت مستعمرة إنكليزية .

فاللغة الانكليزية ليست بعيدة من الكريول أو لنقل إن الكريول ليست ببعيدة عن الانكليزية في كثير من جملها وتعبيراتها الكلامية لأن عمادها الانكليزية كما سبق .

والمعتقد أن هذه المشكلة ستخف على الزمن كما خفت مشكلة وجود الأقلية (الكريول) الذين لا ينتمون إلى قبيلة معينة إلى جانب وجود الأكثرية من المواطنين الذين ينتمون إلى القبائل المعروفة في البلاد .

الإسلام في سيراليون :

أقام وفدنا في سيراليون ثمانية أيام أنفقها في زيارة المدارس والجمعيات الأخرى كما سافر أحد أعضاء الوفد إلى مدينة كنما ومدينة بو أكبر مدينتين بعد فريتاون الأولى تبعد مئتي ميل والأخرى مائة وخمسة عشر ميلاً.

كانت جولة الوفد في سيراليون جولة موفقة فقد سر الوفد بما شاهده من تنافس القبائل على عمارة المساجد وكل قبيلة تحاول أن تكون أسبق من الأخرى في رفع بناء المسجد ومناراته لذا كانت المساجد في سيراليون مثالاً للجودة في التصميم وارتفاع المنارات وتوفير ما للمسجد من ملحقات.

كما أن بعض الجمعيات تعطي مثالاً حسناً في تنظيم الدراسة للمراحل

الثلاث نخص منها جمعية الأخوة الإسلامية وجمعية الشبان المسلمين.

أما مدينة (كنما) فيكثر فيها المسلمون وفيها نشاط بارز في عمارة المساجد وكراهية للقاديانيين ومقاومة للدعاة للنصرانية.

وفي مدينة (بو) تبرز جمعية اتحاد الطلبة المسلمين حيث ذكر رئيس الاتحاد الحاج قالون أنه يتبع هذا الاتحاد أكثر من ستة وثلاثين ألفاً كلهم على فكرة واحدة وهي إعلان صلاحية الإسلام للتطبيق العملي عقيدة وشريعة ونظاماً وحكماً.

وقد اتصل الوفد ببعض أُمراء القبائل ويدعون بالسلاطين وجرت المحادثة معهم عن أوضاع المسلمين من الناحيتين الاقتصادية والسياسية حيث يسيطر النصارى على القسم الأكبر من الوظائف مع أن نسبة المسلمين حوالي ٨٠٪.

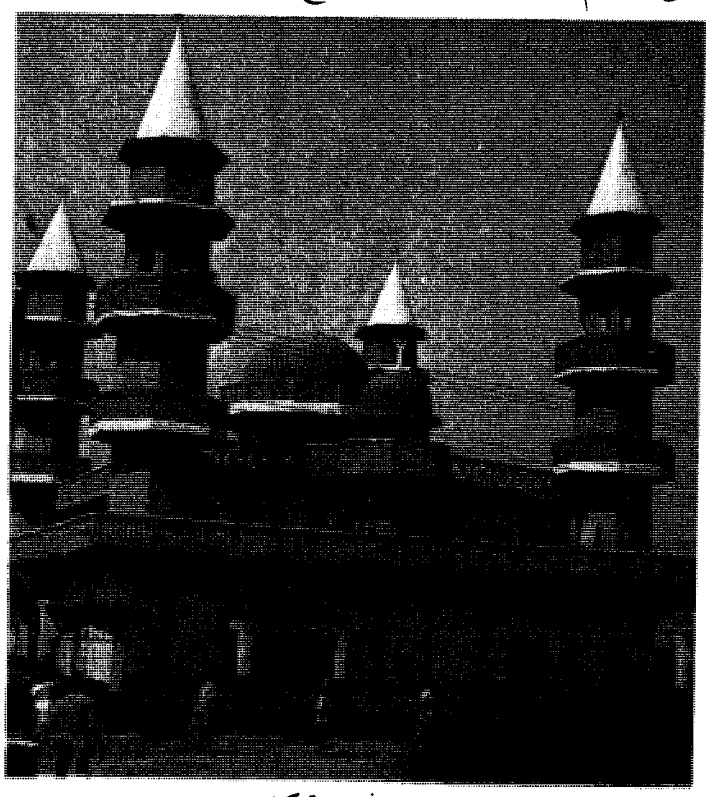

مسجد في مدينة كونو

فلمس الوفد حماس الأمراء في بناء المساجد فكأنها ظاهرة عامة وقناعة من مسلمي سيراليون بأن بناء المسجد هو رمز القوة ورفع الصيت ويمكن بواسطته تحقيق الأهداف الإسلامية الأخرى مثل تدريس العلوم الإسلامية والتشاور في أمور المسلمين.

وفيما يلي بعض الهيئات والجمعيات الإسلامية التي زارها الوفد أو بعض أعضائه .

والجمعيات والهيئات التي تم صرف مساعدة لها في سيراليون

اسم الجهـة

١ المجلس الأعلى للأئمة ـ الحاج شيخ جبريل سيسي.
٢ مجلس مسلمي سيراليون لطلاب المدارس الثانوية ـ رشيسه الحاج مصطفى.
٣ المنظمة الثقافية لشباب سيراليون ـ الحاج حسن عبدالله جلس.
٤ رابطة الشباب المسلم الوطنية في سيراليون ـ رئيسه الحاج س.ب. كالون
٥ الجمعية الثقافية الإسلامية ـ عبدالله كوياتي.
٦ الاتحاد الإسلامي في سيراليون ـ الأمين العام يونس آلامن ساسي.
٧ اتحاد مسلمي سيراليون ـ الحاج م. ماري.
٨ رابطة الشباب الإسلامي ـ السيد ك. دين.
٩ المجلس الإسلامي الأعلى ـ الحاج ما. تراسيد تراويكبن.
١٠ بعثة نور الإسلام ـ دي. أم. كابيا.
١١ جانيه ـ السيد جبريل سيزاي.
١٢ مدرسة الأخوة الإسلامية الثانوية
١٣ مدرسة جماعة المسلمين.
١٤ مدرسة سليمانية الإسلامية.
١٥ مدرسة الثانوي لأولاد هيئات رسمية المسلم
١٦ مدرسة الشباب المسلمين الابتدائية.
١٧ جمعية أنصار الإسلام.
١٨ منظمة الشباب والشابات المسلمين.
١٩ مدرسية تحفيظ القرآن والدراسات الإسلامية.
٢٠ مدرسة بنغور الإسلامية الابتدائية.
٢١ جمعية شباب المسلمين الوطنية.
٢٢ اتحاد الجمعيات الإسلامية.

٢٣ ـ مدرسة الشيخ ابن باز.
٢٤ ـ جمعية الأخوة الإسلامية.
٢٥ ـ المدرسة المتوسطة الخاصة.
٢٦ ـ الشبان المسلمون.
٢٧ ـ مسجد بروكفل.
٢٨ ـ مسجد أكوفام.
٢٩ ـ مسجد قود ريج.
٣٠ ـ جامع إسماعيل.
٣١ ـ اتحاد الجمعيات الإسلامية.
٣٢ ـ مسجد قرية بوبوة.
٣٣ ـ مسجد قرية توكي.
٣٤ ـ مسجد قرية يورك.

وفي خارج العاصمة:

أولاً: المنطقة الشرقية وهي تحتوي على ثلاث محافظات كما يلي:

١ ـ محافظة كايلاهون: في هذه المحافظة مدارس إسلامية وجوامع في المدن التالية:

(أ) مدينة كايلاهون وهي مركز المحافظة وتوجد فيها أربع مدارس ابتدائية إسلامية ومدرسة ثانوية إسلامية واحدة وبها مسجدان وجامع مركزي كما توجد بالقرى المجاورة مدارس ابتدائية عديدة ومساجد.

(ب) مدينة كويدو: تقع هذه المدينة في أقصى شرق سيراليون وتحدها جنوباً وشرقاً جمهورية ليبيريا وشمالاً جمهورية غينيا وتقع في ملتقى الدولتين المذكورتين وهي من أكبر المراكز التجارية في سيراليون ويبلغ عدد سكانها حوالي خمسين ألف نسمة ومعظمهم من الجالية الغينية استوطنوها لهدف التجارة وتبلغ نسبة المسلمين من هذا العدد الخمسة والتسعين في المائة ومعظمهم من القبيلتين (فولاتة) و(مادنغو) وهاتان القبيلتان تقومان بأعمال جليلة تعود على الإسلام والمسلمين بفائدة كبيرة، وهناك مدارس إسلامية ومساجد جوامع بنوها من مجهودهم الذاتي.

وقد بنى السيد سليمان كروما من زعماء الماندنغو ومن التجار مدرسة إسلامية من نفقته الخاصة وسلمها للأستاذ الحاج صديق كونيه الذي تعلم في البلاد العربية.

(جـ) مدينة سيبويما: تحتوي هذه المدينة بضواحيها على خمس مدارس إسلامية وخمسة جوامع.

٢ ـ محافظة أو مدينة كينما:

وهي مركز المحافظات الشرقية وتحتوي على جمعيات إسلامية كثيرة وهدفها انتشار الدعوة الإسلامية وأهم هذه الجمعيات:

(أ) جمعية القومية الإسلامية وتحت رعايتها: المدرسة الثانوية الإسلامية ومعهد جبريل الإسلامي والمدرسة الابتدائية الإسلامية في قلب مدينة (كينما) ورئيس هذه الجمعية (الشيخ جبريل سعيد كمارا) مؤسس المعهد المذكور.

(ب) جمعية القبيلة الفلاتية الإسلامية وتحت رعايتها: المسجد الجامع الضخم والمدارس الإسلامية وأهم هذه المدارس: المدرسة الإعدادية الإسلامية يبلغ عدد تلاميذها (١٠٠٠) ألف تلميذ وتلميذة تقريباً وكلهم في مدينة كينما أما المدارس الأخرى فهي متفرقة في المحافظة ومدير هذه المدارس الحاج يونس باه.

(جـ) جمعية قبيلة مادنغو الإسلامية وتحت رعايتها: المدرسة الابتدائية الإسلامية ويبلغ عدد طلابها سبعمائة طالب والمسجد الجامع في مدينة كينما يستوعب خمسمائة مصلٍّ، ورئيس هذه الجمعية الحاج شيخ سيسي.

(د) جمعية الشباب المسلمين: وتحت رعايتها مدرستان إبتدائية وإعدادية والمسجد الجامع .

٣ ـ محافظة بوجيهون جنوب شرق سيراليون:

مدينة بوجيهون وهي مركز المحافظة توجد فيها مدرسة إسلامية واحدة ومسجد جامع وفيها الحاج أحمد جالو ونائبه الحاج محمد شريف.

٤ ـ محافظة بونت جنوب سيراليون:

مدينة بونت وهي مركز المحافظة فيها ثلاثة مساجد ومدرسة إسلامية ورئيس الجمعية الإسلامية في محافظة بونت هو الشيخ حسن الشريف.

وصول الإسلام إلى سيراليون

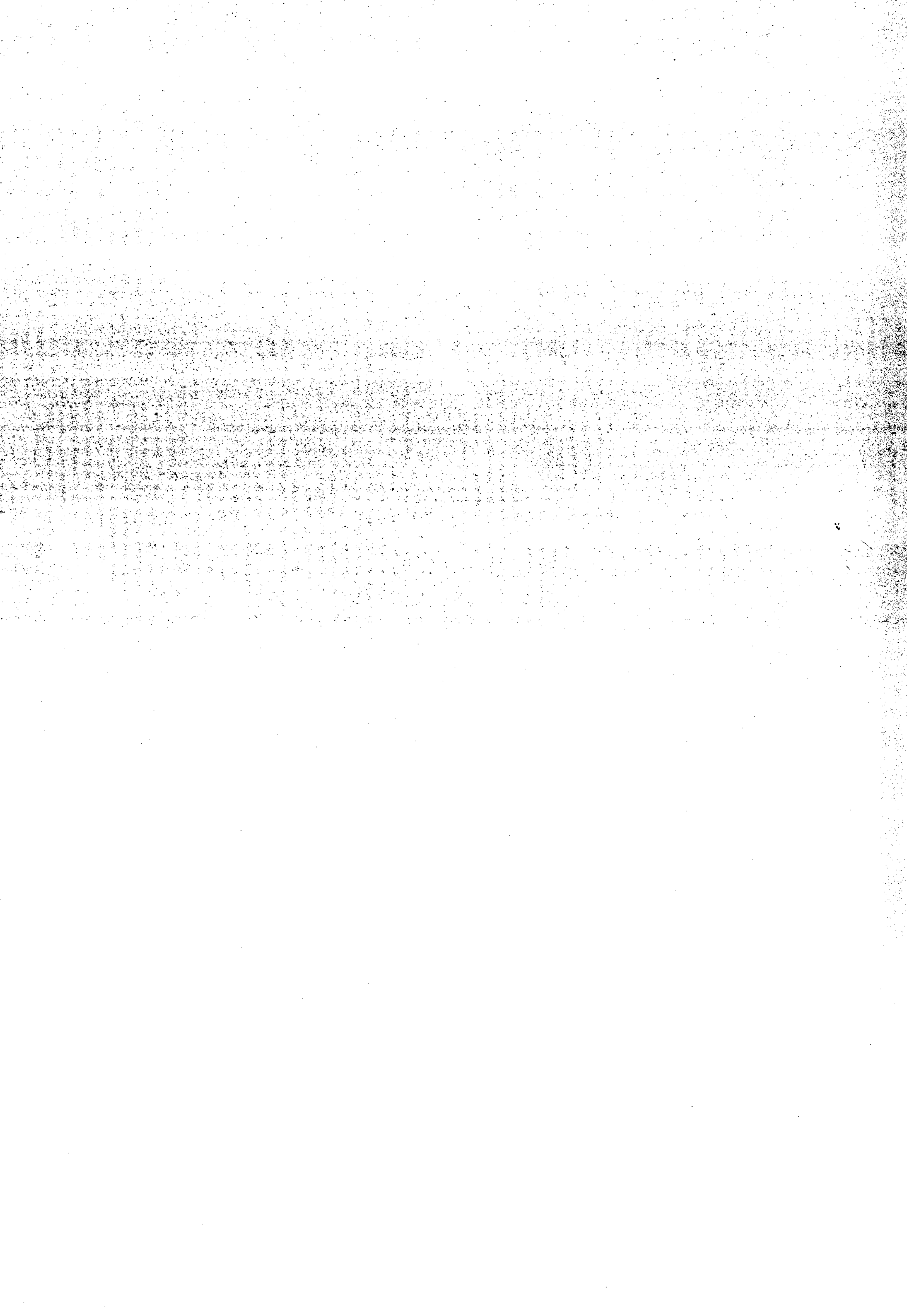

وصل الإسلام إلى سيراليون منذ القرن الحادي عشر عن طريق التجار والفوات وهم جمع الفا وأصلها العربي الفاهم وهم من رجال الدين الذين وفدوا من الشمال، وكان السكان الأصليون لا يزالون يدينون بديانات لهم وثنية قديمة ثم قدم بعض الفولا والمندنكا في القرن الخامس عشر وتاجروا مع البرتغاليين، وعندما استقروا أقاموا لهم قرى على أطراف المدينة وسموها فُولَاتُوْن ـ ومَاقَازِنْكُوتْ وهي حالياً من الأحياء الإسلامية في مدينة فريتاون.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام قد سبق النصرانية في الدخول إلى المنطقة إلا أن المد الإسلامي لم يتابعه تعليم ودعوة منظمة، فبقي مدة تناوئه الوثنية ثم النصرانية.

وظلت قبائل سيراليون الأصلية بعيدة عن النطاق الإسلامي الشامل حتى القرن السابع عشر عندما بدأ مسلمو الفولا الاستيطان في منطقة (فوتوجالو) الجبلية إلى الشمال الشرقي من سيراليون (غينيا الحالية).

أما النصارى فقد غزوا سيراليون من أول دخول الاستعمار البريطاني بطريقة منظمة متواصلة مع تأسيس المؤسسات التعليمية والدينية. وكانت من أولى الجمعيات:

١ ـ الجمعية الانجيلية
أسست في انكلترا عام ١٧٠١م.

٢ ـ جمعية تبشيرية مؤسسة من قبل ويسلي وايت فيلد المعروفة بالطائفة النظامية وصلت البلاد في عام ١٧٩٥م وفي عام ١٨١١م تم تمركزهم في البلاد وذلك بعد وصول الداعي للنصرانية جورج وارين.

٣ ـ وفي العام ١٨٠٦م وصلت جالية تبشيرية أخرى باسم الجمعية

الكنسية التبشيرية.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية من الجمعيات التبشيرية ذات الشأن وصلت إلى البلاد عام ١٨٥٢م.

ولقد شعرت الجاليات التبشيرية بالنصرانية بأن نجاحها متوقف على النشاط في نشر التعليم في المستعمرة الجديدة ففي عام ١٨٤١م قامت الجمعية الكنسية التبشيرية بإدارة إحدى وعشرين مدرسة ابتدائية ثم في عام ١٨٤٥م فتحت الجمعية نفسها أول مدرسة ثانوية للبنين ثم أخرى للبنات في ١٨٤٩م. وهذه المدارس التبشيرية هي التي تطورت فيما بعد حتى أنتجت جامعة سيراليون وهي من أقدم الجامعات في غرب إفريقية، إذْ أسست في عام ١٨٧٦م وانتسبت إلى جامعة (دروم) في بريطانيا ثم استقلت عنها في عام ١٩٦١م.

وأما في الصعيد الإسلامي حوالي ١٧٢٥م فقد اشترك الفولا مع المادنكا في حرب مقدسة ضد القبائل غير المسلمة، وفي نهاية القرن الثامن عشر أصبحت (فوتا جالو) دولة إسلامية ودان معظم السومرو والبالونكا بالإسلام.

ثم جال تجار القبائل المسلمة في سيراليون ونشروا الدين حيثما ذهبوا وأصبح بعض السلاطين منهم وخاصة في المناطق الشمالية وزاد انتشار الإسلام على مر القرون: الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين.

عهد الاستقلال :

انتشر الإسلام بسرعة فائقة بعد الاستقلال عام ١٩٦١م وانفتاح سيراليون على العالم العربي ووصول بعثات الطلاب من أبناء سيراليون إلى مصر للدراسة في الأزهر، وإيفاد بعثات تعليمية من مصر إلى سيراليون.

وكذا فتحت المملكة العربية السعودية مؤسساتها التعليمية من شعبة تعليم اللغة العربية إلى المرحلة الجامعية في وجه الشباب المسلم الطموح من أبناء

سيراليون وحالياً تحتضن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أكبر مجموعة من هؤلاء الطلبة وكما تقوم كل من رابطة العالم الإسلامي ورئاسة الافتاء والدعوة بإيفاد دعاة من قبلها يقومون بنشر الوعي الإسلامي متعاونين مع مشايخ البلاد على البر والتقوى.

وقد كان التعليم الإسلامي قبل أن تفتح الدول العربية أبوابها التعليمية في سيراليون قاصراً على ما يطلق عليه اسم المدارس القرآنية وهي أشبه بكتاتيب تكتفي بتحفيظ الصبية والفتيات القرآن الكريم ومنهم من وفق بحفظ القرآن كله مع دراسة ما أمكن في الفقه المالكي وإلى هؤلاء المشايخ يرجع فضل حفظ شعلة الإيمان في نفوس الناشئة من أبناء المسلمين.

فلقد اعتصم المسلمون بهذه المدارس (الكتاتيب) في عهد الاحتلال البريطاني من دون أن يدخلوا أبناءهم في المدارس التبشيرية النصرانية المضللة.

وقد واصل الإسلام انتشاره في سيراليون وأصبح هو الدين السائد في المحافظة الشمالية ومنها انتشر في بقية البلاد. وقد وصف المستشرق تارمنجهام انتشار الإسلام بأنه كان مدهشاً حتى في المناطق التي كانت تسود بها عبادة أرواح السلف أو التي كانت مفتوحة لانتشار المسيحية فقد دانت بالإسلام.

وهو يرى أن الإسلام استطاع أن يكسب نصف قبيلة التمني ونصف قبيلة المندي وهما القبيلتان الكبيرتان في سيراليون، والحقيقة أن هذه النسبة التي ذكرها تارمنجهام ناقصة جداً.

فالإسلام هو الدين السائد بين التمني، وهو دين الأغلبية بين المندى حيث استطاعت الجماعات التبشيرية أن تنصر بعض السكان وهناك أيضاً نسبة عالية من المسلمين في القبائل الأخرى.

ويمكن أن تعتبر الفترة التي تلت الاستقلال في سيراليون بالعهد الجديد،

ويتميز بخروج عدد كبير من الشباب المسلم لطلب العلم في دول العالم الإسلامي.

وتتميز هذه الفترة كذلك ببناء منشآت إسلامية عديدة مثل المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية مع تجديد وتعمير مساجد جديدة في مدن كثيرة، وكل هذه وتلك أهلية من قبل أفراد أو جمعيات إسلامية.

وهذه الفترة شهدت أيضاً قيام جمعيات إسلامية بغية توحيد صفوف المسلمين وبث روح التعاون بينها فيما يقوم به المسلمون من نشاط إسلامي لإثبات الشخصية الإسلامية علمياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بين المواطنين الآخرين. وقد أتينا على ذكر بعضها في اليوميات.

وكلها تهتم بالنشاط التعليمي ـ تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي ـ وتشرف على عدة مدارس تضم في مجموعها آلافاً من الطلاب والطالبات.

وأهم متطلبات هذه المدارس :

(أ) منح دراسية، وأن تشمل الفتيات، لأن البلاد تحتاج إلى عدد من الفتيات المثقفات اللائي يتولين تعليم بنات المسلمين بالثقافة الإسلامية.

(ب) تزويد المدارس بعدد من المدرسين المؤهلين.

(جـ) كتب دراسية باللغتين العربية والانكليزية.

وجمهور المسلمين في سيراليون من أهل السنة أتباع المذهب المالكي. وهناك بعض الشيعة من أعضاء الجالية اللبنانية في سيراليون، وقد عملوا في توزيع الكتب والمنشورات في الآونة الأخيرة وفتحوا مركزاً ثقافياً لهم في العاصمة ويبلغ عددهم ثلاثين ألفاً.

القاديانيــة :

وصلت إلى سيراليون جماعة باكستانية وهندية تنسب نفسها إلى الإسلام

وهي جماعة الأحمدية (القاديانية) وقد وصلوا إلى سيراليون في ظل الاحتلال البريطاني وظلوا ينشرون دعوتهم ويفتتحون المدارس الابتدائية ثم الثانوية، ووزعوا تراجم لمعاني القرآن الكريم ولهم نشرات دورية ومستوصفات صحية ونشاطهم يشبه إلى حد كبير نشاط بعض الجماعات التبشيرية، إلا أن اتباعهم قليل وليس لهم كبير وزن هنا.

عدد المسلمين في سيراليون:

يمكن القول بكل اطمئنان: إن عدد المسلمين في سيراليون لا يقل عن ٧٥٪ من مجموع السكان، لأن السكان أخذوا بعد الاستقلال ـ خاصة ـ يتدافعون إلى الدخول في الإسلام، لأنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وهو الدين الخالي من التعقيد الذي يساوي بين الناس في الحقوق والواجبات ويتسم بالعدل وعدم التمييز بينهم الا على أساس العمل الصالح ـ ثم إنه لا يحتاج دخوله إلى مراسم معقدة لا يقوم بها إلا رجال مخصصون لهذا الغرض كما هو عليه الحال في بعض الديانات الأخرى.

ولسبب مهم آخر وهو أن الدعاة إليه من أفراد المسلمين ومن أهل الدين هم في أنفسهم يكونون في الغالب قدوة حسنة لغيرهم لما يتسمون به من حب للخير، وبعد عن المظاهر الدنيوية المعقدة.

المستقبل للإسلام:

كل ما سبق وما رأيناه ولاحظناه وغيره يجعلنا نجزم بأن المستقبل سيكون بإذن الله للدين الإسلامي في هذه البلاد الطيبة (سيراليون) ذلك بأن الحاضر يدل عليه.

من الشواهد على ذلك أن ٧٠٪ من أعضاء (البرلمان) الحالي هم من المسلمين وأن أحد أعضاء البرلمان أخبرني بأن المرشحين لعضوية (البرلمان) إذا لم

يظهروا في دعايتهم الانتخابية بأنهم سيقومون بتأييد المسلمين وبتشجيع الدعاة للإسلام فأنهم لا يرجون الفوز.

قال: ولذلك كان بعض المرشحين يتظاهر بذلك وإن لم يكن متديناً في نفسه.

كما أن الأغلبية الساحقة من أعضاء مجلس الوزراء الحالي هم من المسلمين. والراغبون في الدخول إلى الإسلام كثر لا يحد من دخولهم الفعلي إلا قلة الدعاة بالنسبة إلى عدد الراغبين، وقلة المؤسسات التي ترعى المسلمين الجدد.

وحتى المسلمون بالفعل سواء منهم من أسلموا حديثاً أو من ولدوا مسلمين لديهم رغبة شديدة في التفقه في الدين.

وقد أخبرني زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق الذي سافر ممثلاً للوفد إلى المدينتين الرئيسيتين في سيراليون بعد العاصمة وهما مدينة (كينما) ومدينة (بو) أنه شاهد الناس خلال سفره بطريق السيارات وكثير منهم قد أوقدوا النيران في الليل في الأرياف وخارج القرى ومعهم المصاحف والألواح يتدارسون فيها القرآن. وذلك لكون الكهرباء لم تصل إلى تلك القرى.

مما لا يكاد المرء يجد له نظيراً في غير هذه البلاد.

ولايزال بعض المسلمين رغم قلة الإمكانات وكثرة المعوقات يجاهدون في الحصول على المعرفة بالإسلام حتى إن بعضهم لايزالون يستعملون الألواح الخشبية القديمة التي نسيناها في البلاد العربية يكتبون عليها الدروس ثم إذا حفظوها محوا الكتابة وكتبوا على اللوح غيرها.

وبعض القرى الفقيرة يظل أهلها سنين طوالاً يجمعون النقود حتى يشيدوا لهم مسجداً في حين أن المسيحيين من أهل قريتهم لم يستطيعوا أن يبنوا لهم كنيسة رغم الإمكانات المادية لدى الدعاة إلى المسيحية التي تفوقهم في ذلك كما سبق ذكر شواهد لذلك في اليوميات.

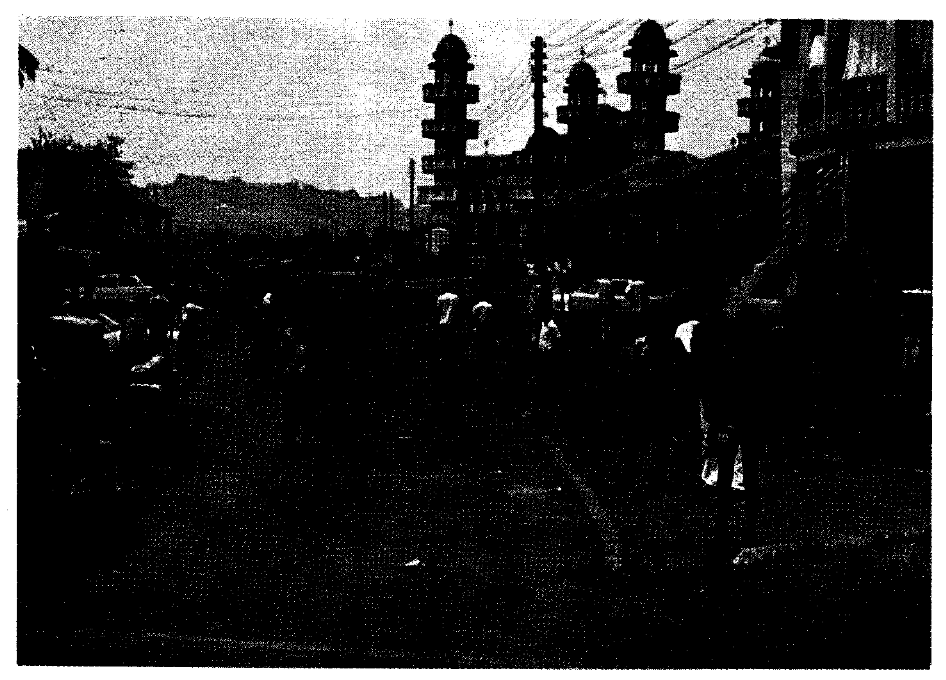

مسجد كبير في مدينة مساكيني بالمنطقة الشمالية

المعـوقات :

من الطبيعي أن يكون لكل عمل جليل معوقات تحدِ من انطلاقه، وتحاول أن تعرقل مسيرته. أو لنقل بلغة هذا العصر إنها تحديات للتوسع الإسلامي في سيراليون.

ومن أهمها: ضعف الإمكانات المادية الذي يحد من انتشار المدارس في القرى الصغيرة وفي الأحياء المختلفة من المدن الكبيرة.

ومن ذلك: ضعف الثقافة الإسلامية فالبلاد بعيدة عن المراكز العلمية والجامعات في البلدان الإسلامية.

وكثير من الدعاة إلى الله فيها لديهم الكثير من العمل والعظيم من الرغبة في الدعوة، لكن ليس لديهم من العلم بالإسلام مثل ذلك القدر.

كما أن من أعظم التحديات: وجود بعض الخلافات بين الدعاة والجمعيات الإسلامية إما لسبب اختلاف المفاهيم أو لسبب حب الزعامة والرئاسة مما قد يكون له وجود في أماكن أخرى كثيرة من العالم.

ومن ذلك أيضاً: وجود بعض الهيئات والجماعات المنحرفة التي تعمل وتحاول أن تحقق النجاح في عملها بين المسلمين مثل طائفة (القاديانية) الخارجة عن الإسلام.

بل إن الشيعة يحاولون أن ينشروا مذهبهم في سيراليون وأهم ما يعتمدون في ذلك هو توزيع الكتب والمنشورات التي تأتي إليهم من لبنان وإيران.

وهذا أمر يخشاه المفكرون والزعماء المسلمون في سيراليون أشد الخشية.

ذلك بأن المسلمين من أهل البلاد كلهم من أهل السنة الذين يتمذهبون في الفروع بمذهب الإمام مالك ـ رحمه الله.

ووجود طائفة شيعية منهم تسبب الانشقاق والاختلاف كما حدث في بعض البلدان الإسلامية الشرقية.

وعلى أية حال فإن القافلة الإسلامية في سيراليون سائرة ولله الحمد رغم المعوقات التي لم تستطع أن توقفها وإن كانت قد تستطيع لفترة من الفترات أن تعيق سير بعض أفرادها.

ولنا في غيرة أهل سيراليون الكرام من مشايخ وزعماء وكبراء بل وساسة مسلمين، ما يجعلنا نطمئن إلى أن تلك المعوقات ستجد من يكافحها منهم بل وان يبطل مفعولها بإذن الله.

فى ليبيريا
أقدم الدول الإفريقية إستقلالاً

يوم الأحد ١٤٠١/٥/٢هـ ـ ١٩٨١/٣/٨م :

من فريتاون إلى منروفيا :

قامت طائرة الخطوط النيجيرية (نيجيريا أيرويز) من طراز بوينج ٧٣٧ في الساعة السادسة تماماً من بعد العصر.

وأعلن المضيف النيجيري بأن الطيران من فريتاون عاصمة سيراليون إلى منروفيا عاصمة ليبيريا سيستغرق أربعين دقيقة.

وقد ارتفعت الطائرة فوق مياه المحيط الأطلسي الذي تقع عليه العاصمتان كلتاهما فلم نعد نرى شيئاً.

كان المضيفون في هذه الطائرة النيجيرية فتاتين وفتى، ولم يكن فيها درجة أولى بل مقاعد الطائرة كلها من الدرجة السياحية، وخدمة المضيفين جيدة إلا

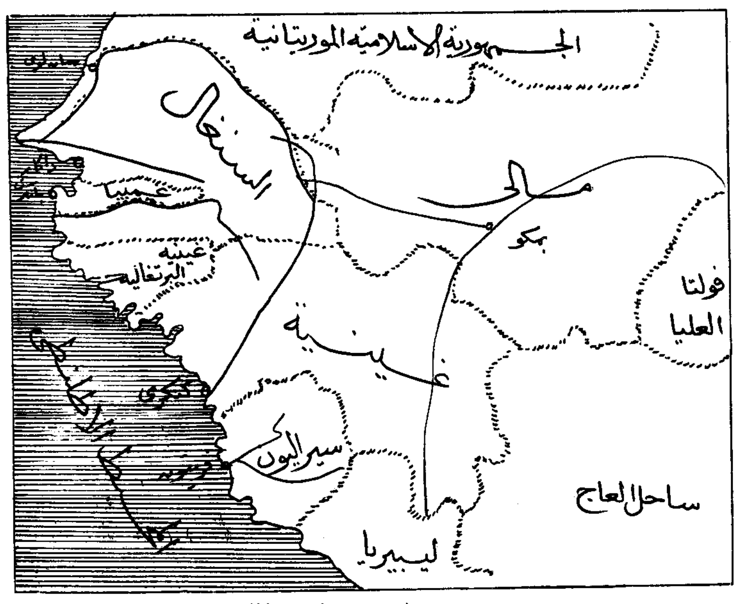

موقع ليبيريا في غرب القارة الإفريقية

أن تطبيق التعليمات المعتادة عند الإقلاع والهبوط مثل ربط أحزمة المقاعد، ووضع الحقائب اليدوية تحت المقاعد لم يكن يبالي به أو يتأكد من تطبيقه أحد منهم.

وكانت ضيافتهم (ساندويتشاً) ونصف زجاجة من شراب الكوكاكولا وهذا معقول بسبب قصر الرحلة.

وعندما كانت الطائرة تقترب من الأرض في الموعد المحدد كنا نرى شاطىء المحيط الذي تقع بقربه العاصمة ذا رمل أحمر جميل، إلا أنه توجد في البر غير بعيد من الشواطىء مستنقعات من المياه عدة عليها أشجار كثيفة.

في مطار منروفيا :

أو على الأدق (في مطار ليبيريا الدولي). وقد كتب عليه (مطار روبرت الدولي).

كنا من أوائل النازلين من الطائرة فرأينا اثنين من إخواننا المسلمين في ساحة المطار الخارجية فسلما وأحفيا السؤال وصحبانا إلى مدخل قاعة العابرين وإذا بعشرة من إخواننا المسلمين بثيابهم الوطنية الفضفاضة، وبعضهم يلبس قميصاً كالقميص العربي، إذا بهم في هذا المكان الذي لا يدخله إلّا السياسيون أو المأذون لهم باستقبال الزائرين الذين تحتفي بهم الدولة في العادة. وأخذوا يستقبلوننا بالتقبيل والاحتضان. والسؤال عن الأحوال وإظهار الابتهاج بهذا الاستقبال.

وأخذ آخذون منهم جوازاتنا وأجلسنا البقية في قاعة استقبال الضيوف أو ما يسمى بصالون الشرف في المطار.

وقام الأخ الحسين كمارا الأمين العام للمجلس القومي الليبيري الإسلامي خطيباً، وكان في تصرفاته عجيباً، إذ هو نشيط جم النشاط، وهو يستقبلنا كما

يستقبل الضيوف الرسميون وأخذ يقدم الحاضرين واحداً واحداً يذكر اسم كل شخص ومقامه في الحركة الإسلامية في هذه البلاد ثم عمله الشخصي.

وبعد أن فرغ من ذلك قال : إنني آسف على كونكم لم تجدوا في استقبالكم في المطار إلا هذا العدد القليل من المستقبلين فقد كان هناك خطأ في البرقية التي أرسلت من فريتاون إذ كان مكتوباً فيها أن وصولكم سيكون على خطوط غانا الجوية وهي تصل في الواحدة فخرج حوالي الخمسين من المسلمين لاستقبالكم وقطعوا المسافة الطويلة التي تفصل بين العاصمة (منروفيا) وبين هذا المطار الدولي وتبلغ اثنين وستين كيلاً.

أما نحن فاننا انتظرنا وصولكم على طائرة نيجيريا هذه من باب الاحتياط.

ثم أخذ يكرر ويعيد عبارات الترحيب وقوله: إن زيارتكم هذه ترفع من معنويات إخوانكم المسلمين في هذه البلاد..

ولما انتهى من كلامه سألتهم عما إذا كان فيهم من يحسن اللغة العربية؟

فأجابوا: إنه لا يوجد بينهم من يفهم العربية فضلاً عن أن يحسن التكلم بها.

فرددت على الخطيب بكلمة بالانكليزية شكرتهم فيها على ما أبدوه من الترحيب، وأبديت أسفي على ما تجشموه من تعب الاستقبال الذي لم أقصده عندما وافقت على طلب إخواني في فريتاون بأن يبرقوا إلى منروفيا لاستقبالنا.

وأخبرتهم عن مهمتنا التي جئنا من أجلها.

وقد كنت حاولت أن يكون الكلام بالعربية على عادتي ألا أتكلم بالانكليزية إذا كان يمكن الكلام بالعربية، ولأن زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان لا يفهم الانكليزية أما زميلنا في الوفد الشيخ إسماعيل بن عتيق فكنا تركناه في سيراليون وسوف يواصل سفره منها إلى غانا وتواعدنا أن نجتمع هناك وذلك بسبب صعوبات في جوازه.

الصلاة في قاعة المسافرين :

كان وقت صلاة المغرب قد حان ولم تنته إجراءات الإفراج عن الحقائب بعد، والعاصمة بعيدة لذا أشاروا إلينا بالخروج من غرفة الاستقبال الخاصة (صالون الشرف) إلى القاعة الرئيسية للركاب التي تتناثر فيها المقاعد وقصدوا ركناً فيها عارياً من الفراش وصلوا فيه صلاة المغرب، وأم الجميع زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان وكنت قد أخبرتهم بأنه إمام في مسجد قبا أول مسجد أسس على التقوى.

وهنا كانوا قد أنهوا لنا كل شيء، وأركبونا في سيارات أمريكية واسعة لم يكن يوجد مثلها في سيراليون التي معظم السيارات فيها من صنع ياباني ضيق.

وابتدأنا السير إلى المدينة في هذا الطريق الطويل. الذي يزيد قليلاً على الستين من الكيلات، إلا أنه كان لحديث أخوين كريمين ركبا معنا في السيارة أحدهما صاحب السيارة وسائقها ما جعلنا نشعر بأنه قصير جداً.

السيارة مكيفة الهواء واسعة. وكانت هذه فرصة ثمينة لأستزيد في معرفة أحوال المسلمين في هذه البلاد.

وسألتهم عن السبب في البعد الشاسع لهذا المطار؟ فأجابوا: لأنه المطار الدولي وهناك مطار محلي قريب من العاصمة، وقالوا: إن هذا المطار الدولي الذي يسمى (مطار روبرت الدولي) كان قد أنشيء في عام ١٩٤٥م أثناء الحرب العالمية الثانية، ووضع بعيداً قصداً لحماية العاصمة من أخطار الحرب المحتملة، وذلك لأن هذه البلاد كانت تعتبر قاعدة أمريكية في إفريقية الاستوائية الغربية.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره :

عندما قطعنا مرحلة من الطريق الذي لم نكن نتبين من معالمه شيئاً بسبب

الظلام كنا نمر ببعض الأشياء الملفتة للنظر فكانوا يخبرونني بها لما لمسوه لدي من محبة للمعلومات واستيضاح عن كثير من الأشياء.

فمررنا بمعسكر للجيش فقالوا: إن البلاد الآن هادئة، وليس فيها اضطرابات. وإنه لم تبق ذيول للانقلاب الذي كان حصل ضد رئيس الدولة السابق وأتباعه وهو الانقلاب الذي ربما أتحدث عنه فيما بعد.

ثم مررنا بمكان قالوا: إنه محطة إذاعة للمبشرين أي الدعاة إلى النصرانية وقالوا إنهم يملكون مستشفيات ومدارس وملاجىء وإنا نحن المسلمين لا نملك مثل ذلك.

فقلت: إنه يجب على إخوانكم المسلمين في الخارج أن يتعاونوا معكم في هذا السبيل. ولكنني أريد أن أعرف منكم حقيقة أرجو ألا تزيدوا في الإخبار عنها ولا تنقصوا لأنكم من المهتمين بالعمل الإسلامي في هذه البلاد ومن الذين يطلعون على هذه الأمور. وهي:

هل الذين يتركون المسيحية ويدخلون في الإسلام أكثر أم العكس؟

فلما سمعوا هذا الكلام أظهروا أصوات الاستغراب الشديد وقالوا: باستنكار: كلا إن الذين يتركون المسيحية ويدخلون في الإسلام هم الأكثر، بل هي القاعدة، وما من يوم من أيام الجمع إلّا ويعلن فيه إسلام أناس من المسيحيين.

ثم أخذا بعد ذلك يشرحان ما كنا نمر به من أطراف العاصمة التي بدت وجيهة واسعة الشوارع جيدة الطرق، عريضة الأرصفة. أحسن في هذا الأمر من جارتها (فريتاون).

ووصلنا إلى فندق (أنتركونتننتال) ويسمونه (دوكر هوتيل أنتركونتننتال) وهو من سلسلة فنادق أمريكية الإدارة موجودة في أكثر أنحاء العالم، ولم أكن أرغب السكنى فيها إذا وجدت غيرها من فنادق الدرجة الأولى. ولكنني

وجدتهم قد حجزوا لي فيها غرفة كبيرة وأخرى صغيرة لزميلي ولما أخبرتهم أول الأمر أننا نرغب في أن نسكن في غرفتين عاديتين أجابوا بأنك ستستقبل أعدادًا كثيرة من إخوانك المسلمين وتحتاج إلى غرفة تتسع لذلك وأننا قد حجزنا تلك الغرفة لهذا الغرض. فلم أشأ أن أخالفهم أو أقول لهم إن الغرفة جعلت للراحة والنوم وليست للاجتماعات واستقبال الزوار وإنما يكون ذلك في المكان المخصص له من الفندق.

ولكنني عندما صعدت إلى غرفتي وصعدوا كلهم معي، وانضم إليهم غيرهم ثم جلسوا يتحدثون في الغرفة ينتظرون أحد الدعاة المبعوثين من دار الإفتاء الذي كان من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عرفت سبب اختيارهم للغرفة إذْ كان قد تجمع فيها بضعة عشر رجلاً منهم حتى إن الكراسي الموجودة فيها لم تكتف لنصفهم فجلسنا جميعاً على الأرض.

يوم الاثنين : ١٤٠١/٥/٣هـ - ١٩٨١/٣/٩م:

قلت: إنني لم أحمد هذه السلسلة من فنادق (أنتركونتننتال) لأنها تسرف في الاعتناء بمظهر الفندق وأبهائه، ومرافقه، ولكنها في الوقت نفسه تزيد السعر مقابل ذلك زيادة فاحشة، وتبخل فيما تقدمه من طعام وشراب.

ومن ذلك أننا تناولنا عشاء خفيفاً مؤلفاً من الشواء من لحم البقر فقط فحسبوه بستة وعشرين دولاراً للاثنين مع أنه قليل غير كافٍ.

وفي الصباح نزلنا لتناول الإفطار في الفندق في الطابق الأول فوجدناهم قد أعدوا طعام الإفطار على الطريقة الأمريكية وهي طريقة جيدة يعرضون فيه الأطعمة بين يديك تأخذ منها ما تشاء. إلا أنهم لا يقدمون البيض وإنما يقدمون بدلاً منه لحم الخنزير معروضاً على المائدة جاهزاً للأكل ولم يعرضو بديلاً عنه لمن لا يريده كما يفعل غيرهم من المطاعم فكان إفطارهم خفيفاً جداً وحسبوه بستة دولارات لكل شخص.

جولة في مدينة منروفيا :

منروفيا سميت على اسم (جيمس منرو) أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية لأنها أسست في زمنه عام ١٨٢٢م ويبلغ عدد سكانها مائتين واثنين وخمسين ألفاً ذكر لي إخواني المسلمون أن نسبة المسلمين في سكانها هي ٣٠٪. وتشمل الجولة كالعادة بعض نواحي المدينة وما فيها من مؤسسات إسلامية كالمساجد والمدارس الإسلامية.

بدأت في التاسعة والربع بصحبة عدد من إخواننا المسلمين الذين كانوا قد جاؤوا بسياراتهم إلى فندقنا وقلت لـلأخ (سليمان سعيد منصري) وهو داعية إلى الله في هذه البلاد مبعوث من دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية ممن

أكملوا دراستهم في المملكة: إن هؤلاء الأخوة كثيرو العدد ويمكن أن يقتصر الأمر عليك وعلى واحد منهم أو اثنين. والباقون يذهبون إلى أعمالهم.

فقال: إنهم كلهم معهم سيارات، وهم يريدون ذلك، ثم ألم تر كيف أنهم تسابقوا إلى إركابكم، كل يريد أن يركبكم معه بسيارته.

وركبت مع الأخ (الحاج محمد سيلا) وهو تاجر ورجل أعمال ثري محسن يتبرع للمشروعات الإسلامية تبرعات متصلة قالوا: إن من تجارته التجارة بالماس.

وفي سيارة أمريكية فخمة من طراز (بيوك) مكيفة الهواء يقودها بنفسه.

وركبنا السيارات في جو مثقل بالرطوبة إذْكان ذلك بعد ليلة ماطرة رفعت من مستوى الرطوبة في هذا الفصل الصيفي في هذه البلاد كما أخبرونا مع أن الفصل الصيفي هو الذي لا يكون فيه مطر. وإلا فإن المنطقة الاستوائية لا شتاء فيها ولا صيف.

وحالما تحركت السيارات أشاروا إلى بناء كبير ولكنه قديم في مكان غير بعيد من الفندق وقالوا: هذا هو المحفل الماسوني في هذه البلاد، إنه كان له شأن كبير قبل الانقلاب الأخير ولكن سلطانه الآن قد تأخر وتقهقر في ظل هذه الحكومة التي جاء بها الانقلاب وهي حكومة الأغلبية من السكان الأصليين ضد الأقلية من الذين كانوا من المغتربين بين العائدين حتى إن المحفل قد كاد أن يخرب.

يقع الفندق في تلة مرتفعة على ما يشبه الرأس من الأرض المشرف على البحر فانحدرنا منه إلى المدينة مع شارع واسع ذي اتجاهين كل اتجاه فيه موقفان للسيارات على يمين الشارع وشماله.

وهذا الشارع يعطي صورة واضحة عن الفرق بين هذه العاصمة وبين عواصم بعض الدول الإفريقية التي زرناها مثلاً وأقربها مدينة (فريتاون) فهو هنا

أوسع وأكثر عناية. والمدينة أحسن تنظيماً وتخطيطاً، والشارع يحاكي شوارع بعض المدن الأمريكية المتوسطة، وإن لم يكن ذلك من كل وجه بطبيعة الحال.

على أن هذا ليس مستغرباً إذا نظرنا إلى أن الذين أسسوا هذه المدينة بل هذه الدولة (ليبيريا) هم كانوا من الإفريقيين الأمريكيين المحررين من الرق كما سيأتي فيما يأتي من حديث عن هذه البلاد في ختام الكلام عليها.

ويقع على هذا الشارع عدد من الوزارات منها وزارات التربية والتعليم والمالية والعدل. ويسمى شارع برود أو (برود ستريت).

وأول ما يلاحظه المرء هنا من الفروق بين المارة في الشوارع التجارية في هذه المدينة وبينهم في شوارع عدد من الدول الإفريقية الخالصة أن نسبة المارة من البيض أكثر هنا من غيرها من الدول التي مررنا بها.

وأكثر الذين لمحناهم هم من الغربيين كالأوروبيين والأمريكيين ومن اللبنانيين.

ثم تركنا هذا الشارع الرئيسي التجاري إلى شارع آخر عليه مجلس الأمة (البرلمان) وقصر الرئاسة. ولاحظنا أن الحشائش التي جعلوها في الرصيف الذي يفصل بين الذاهب والآيب منه هي ليست كثيفة وليست معتنى بها كما ينبغي.

ثم أشاروا إلى بناء على اليد اليمنى قالوا: إنه وزارة الخارجية.

وبينما كنا نسير في هذا الشارع إذا بشرطي يشير إلى سيارتنا بعنجهية ظاهرة ويوقفها بشدة على جانب الرصيف، وحاول أخونا صاحب السيارة وسائقها الأخ (الحاج محمد سيلا) أن يكلمه ربما يقول له: إن معي ضيوفاً أجانب ولكنه لم يستمع إلى كلمة واحدة منه. ولم يعطه فرصة للحديث وجاء ضابط بعد ذلك ألين منه خلقاً فكلمه من حيث لا نسمع، وإلا فإنني إذا سمعت

كلامهم فهمته لأنهم يتحدثون في أغلب الأحيان بالإنكليزية التي هي اللغة الرسمية في هذه البلاد وهي تكاد تكون اللغة الوحيدة المفهومة بينهم، أما إذا كان شخصان من قبيلة واحدة فإنهما يمكن أن يتحدثا بإحدى اللغات المحلية السائدة في هذه البلاد وعددها ثمان عشرة لغة رغم عدد سكان ليبيريا الضئيل الذي يقولون إنه لا يتجاوز مليونين إلا بقليل.

وجاء الأخ محمد سيلا يقول: لقد سمح الضابط لي بمواصلة السير، وكان الضابط يحمل معه كيساً فيه عدة من مفاتيح السيارات التي كان قد أوقفها.

قالوا: إنهم كانوا قد أعلنوا أنه يجب على كل سيارة أن تحصل على ورقة من المرور يلصقها السائق في زجاج السيارة الأمامي حتى يسهل على رجال المرور التعرف على السيارة التي أدت ما يجب عليها من ضريبة واستكملت الإجراءات القانونية.

ولاحظت ونحن واقفون أن مرور السيارات كان كثيفاً، وأن نسبة منها هي من السيارات الأمريكية.

في حي سنكور:

عدلنا من الشارع الرئيسي مع شارع فرعي غير واسع عليه طائفة من المساكن وسط فراغ من الأرض بمثابة الحديقة، إلا أن الأشجار هنا غير كثيفة. لأنها قد هذبت فهم لا يتركون الشجر الوحشي الذي لا فائدة منه كما في بعض البلدان الإفريقية الأخرى.

وذلك لزيارة بناء لمدرسة إسلامية كبيرة يشرف عليها المجلس القومي لمسلمي ليبيريا وهي هيئة عليا تجمع أكثر المنظمات والهيئات الإسلامية في هذه البلاد بغية التنسيق في العمل والظهور بمظهر واحد أمام الحكومة المسيحية. وتسمى (مدرسة المجلس الإسلامي الوطني).

وجدنا فيه المقاول وهو لبناني قال: إن اسمه (بشير عثمان) وهذا البناء قوي متين واسع يتألف القسم المبنى من المدرسة من ثلاثة طوابق أنهوا منها طابقين بناء دون الطلاء والنوافذ والأبواب ومساحة كل طابق ألف ومائتا متر فيكون المبنى منها حتى الآن ألفين وأربعمائة متر مربع.

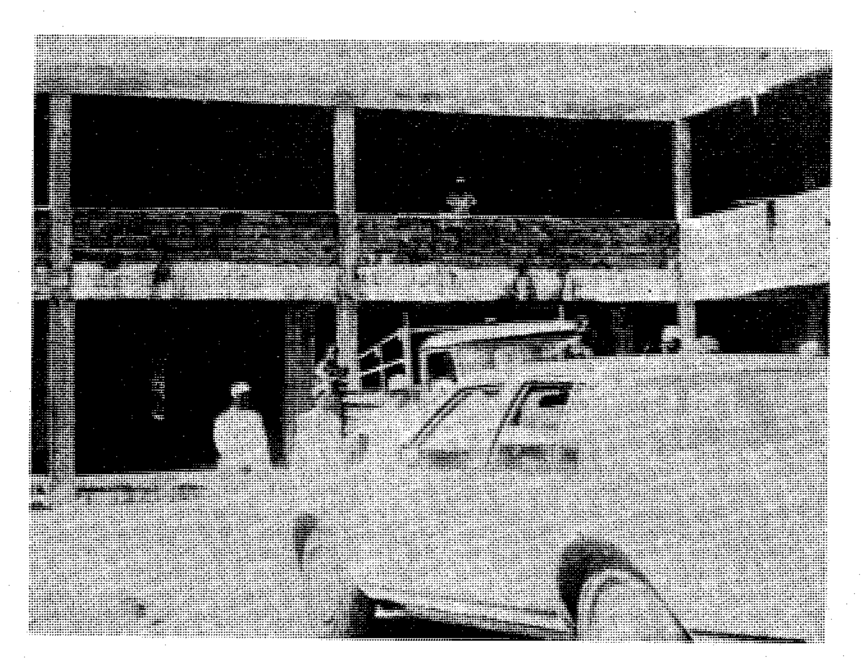

مدرسة المجلس الإسلامي الوطني الليبيري في حي سنكور في منروفيا العاصمة وهي تحت البناء.

وهذا بخلاف الأفنية والأرض الباقية التي يبلغ مجموع مساحتها خمسة آلاف متر مربع وهي كلها تبرع بها شخص واحد هو الحاج (فامويا شريف) من المسلمين المحبين للخير في هذه البلاد، قالوا: إن قيمتها تقدر بخمسة وثلاثين ألف دولار مع أنها في حي جيد وعلى شارع فرعي واسع ولا تبعد عن الشارع العام أكثر من مائتي متر، ولكن النقود هنا صعبة المنال بالنسبة إليها في البلدان العربية، وإن كانت الحالة الاقتصادية في هذه البلاد خاصة (ليبيريا) أحسن من بعض البلدان الإفريقية الأخرى.

الوفد مع المقاول اللبناني للمدرسة الثانوية للمجلس القومي الإسلامي الليبيري (تحت الإنشاء).

وهذا الرجل الحاج (فامويا شريف) هو واحد من عدة جنود مجهولين عاملين في نشر الدعوة الإسلامية وهم مجهولون من قومنا في البلدان العربية والا فهم ليسوا مجهولين من المسلمين في هذه البلاد. وبسببهم صارت مقاومة إغراءات المبشرين بالدعوة النصرانية ممكنة.

وقد صعدنا إلى الطابق الأعلى من البناء وكان الجو حاراً رطباً والمنظر ليس بديعاً لأن ما يرى من الأرض من خلال الأعشاب في الأراضي الفضاء بين البيوت أصفر اللون. والمكان قد بدأت به العمارة منذ زمن طويل، لذلك زالت عنه الخضرة الطبيعية.

وقال لنا إخواننا ومنهم بعض الشيوخ الذي يتعبهم التجول، ولكنهم أبوا إلا مصاحبة إخوانهم القادمين من المملكة إننا في سباق مع الدعاة إلى النصرانية، وإننا إذا نظرنا إلى النتائج فإننا نعرف أننا قد سبقناهم ولله الحمد.

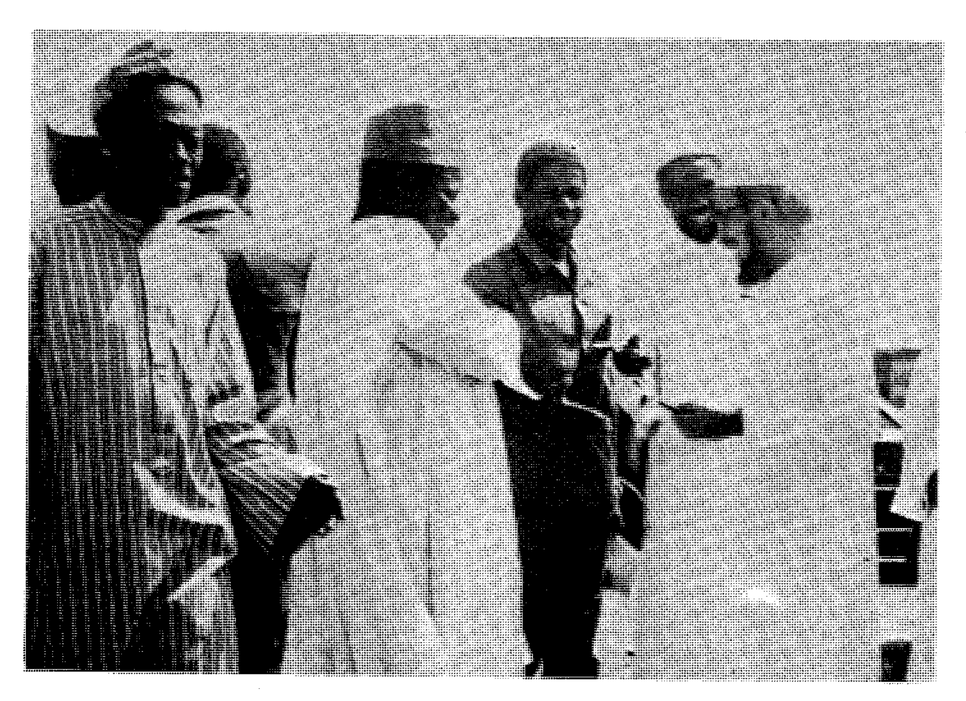

في حي سنكور المؤلف في يمين الصورة بجانبه الشيخ سليمان منصري مبعوث رئاسة الإفتاء إلى ليبيريا ثم الأخ مومو شريف الأمين العام لجمعية الرابطة الإسلامية في ليبيريا، فالشيخ سيكو بليتي فالأخ الحافظ فافني كمارا.

مدرسة فوفان الإسلامية الإنكليزية :

قد يبدو هذا العنوان مستغرباً، ولكن هذا هو الذي وجدناه مكتوباً بالعربية على المدرسة بدون زيادة أو نقص.

وليس معناه أن هذه المدرسة إسلامية تدرس كل شيء بالإنكليزية أو لا تدرس العربية، بل هم يريدون بذلك أنها تدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية إلى جانب المواد الأخرى باللغة الإنكليزية.

بل إننا وجدنا فيها ظاهرة تكاد تكون مميزة عن المدارس الأخرى التي لا تنوه بأنها تدرس الإنكليزية وإنما تذكر ـ فقط ـ أنها مدرسة إسلامية، وذلك في اللافتات والإعلانات الموجودة فيها فهي كلها مكتوبة باللغة العربية وفي أكثر الأحيان تحتها اللغة الانكليزية التي هي اللغة الرسمية في البلاد.

سميت هذه الأرض باسم فوفانا لأن (الحاج محمد عثمان فوفانا) هو الذي أنشأ المدرسة بأن وهب أرضها التي كان يملكها لله، وأقام عليها هذه المدرسة، ولم يقف عند هذا الحد وإنما أخذ على نفسه العمل على استمرار قيامها بواجبها الإسلامي بدفع رواتب المدرسين.

ومن آخر عمله أنه اشترى حديثاً أرضاً إضافية بجانبها وألحقها بالمدرسة وقفاً لله تعالى.

دخلنا الفصل السادس فإذا بالسبورة فيه مكتوبة باللغة العربية بخط جميل جداً قالوا إنه خط مدير المدرسة (موسى محمد كابا) وهو يتكلم العربية بطلاقة رغم كونه تعلمها في ليبيريا ولم يغادرها إلى أي بلد عربي كما أخبرنا، ولكنه كما عرفته ذكي نبيه.

وكان الموضوع المكتوب عليه هو التوحيد (أنواع التوحيد الثلاثة) ثم (نواقض الإسلام).

أمام السبورة التي كتب عليها الدرس بالعربية (نواقض الإسلام) في مدرسة فوفانا الإسلامية الإنكليزية.

وقال المدير: إننا تلقينا المقررات الدراسية من المملكة العربية السعودية وإننا نطبق في الدراسة العربية منهجًا مستوحى منها.

ولاحظت الطلاب وانا أراهم في الفصول في المدرسة أنهم كلهم يرتدون ملابس نظيفة جداً، وأن صحتهم جيدة وتغذيتهم طيبة وأبدانهم نظيفة.

وفي الفصل السادس الذي هو أرقى فصل في المدرسة تقدم أحد الطلبة وسأل الإذن بإلقاء كلمة باللغة العربية كانت مكتوبة. وكانوا قد أعدوها من قبل ولكنهم جعلوا مكان أسمائنا فيها بياضاً ملأوه عند حضورنا فألقاها إلقاءً جيدًا بلغة عربية سليمة.

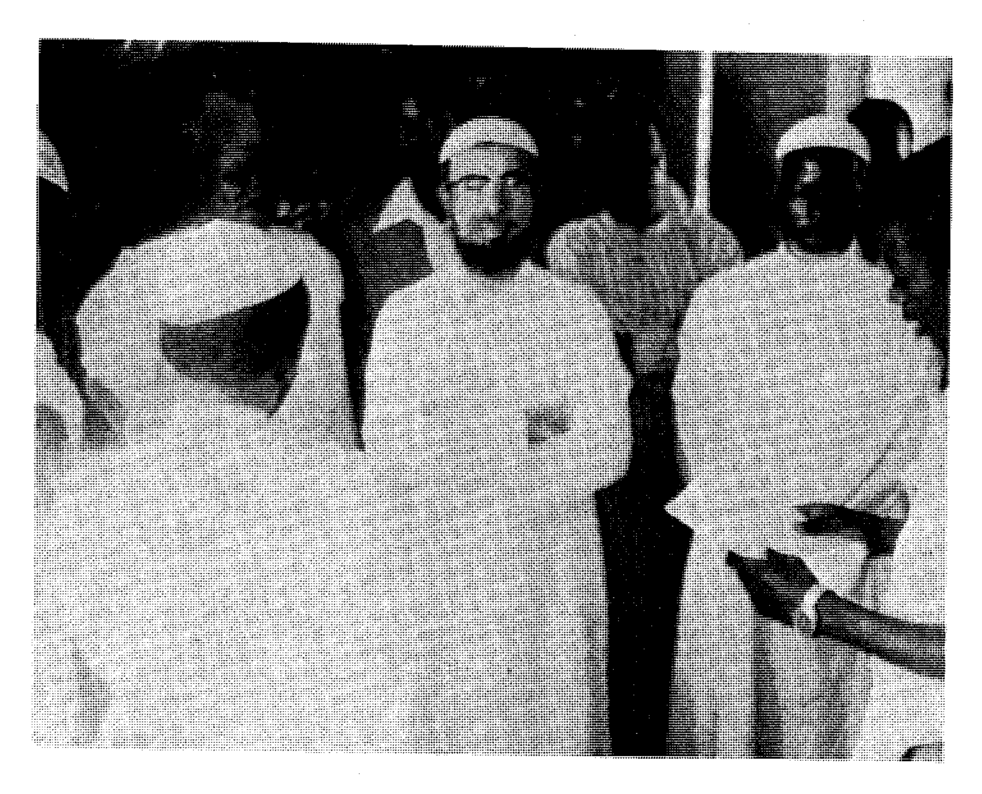

الطالب عثمان محمد فوفانا يلقي كلمة الترحيب بالوفد في مدرسة فوفانا الإسلامية في سنكور منروفيا ويرى المؤلف واقفاً في الوسط ينصت للكلمة.

قادنا المدير (موسى محمد كابا) الذي قال إن (كابا) هي اسم القبيلة التي ينتسب إليها عندما سألته عن معناه إلى مكتبه وقال: إن عدد طلاب المدرسة زهاء أربعمائة من بنين وبنات كما شاهدناهم وإن عدد المدرسين فيها اثنا عشر مدرساً تدفع الحكومة رواتب اثنين منهم من مدرسي الانكليزية ويدفع مؤسس المدرسة (الحاج محمد عثمان فوفانا) رواتب عشرة مدرسين، وإنهم يحصلون على رسوم ضئيلة من بعض الطلاب غير كافية لمصاريف المدرسة إلا أنها قد تساعد على ذلك والمكتب نظيف وان كان صغير المساحة وفيه آلة كاتبة عربية اشتروها من ألمانيا وصندوق للإسعافات الأولية وعدة صور لبعض الذين تركوا المدرسة يقول المدير: إننا وضعنا صورهم هنا لعلهم يشتاقون للعودة إلى المدرسة. كذا قال.

مدير مدرسة فوفانا الإسلامية موسى محمد كابا وبجانبه الشيخ سليمان منصاري مبعوث الرئاسة فالشيخ الربيعان في مكتب المدير.

كان (الحاج محمد عثمان فوفانا) معنا في هذه الجولة بطبيعة الحال، بل كان في موكبنا بسيارته الأمريكية منذ الصباح فقال وهو يقودنا إلى بناءين صغيرين في المدرسة لا يفصل بينهما وبين المدرسة فاصل: هذا وأشار إلى بناء منهما هو المسجد، إنه صغير جداً لا يكفي للطلاب والمدرسين ولكنني بنيته بقدر استطاعتي. وهذا وأشار إلى الآخر هو البيت الذي أسكن فيه مع أسرتي.

كأنه بهذا يعتبر أن المدرسة كلها بمثابة بيته الحقيقي وان كان أوقفها فإنه مستمر في رعايتها.

ودخلنا المسجد فإذا به صغير لا يكفي. وقال إنه يخطط لشراء أرض تحول بين المسجد والشارع عسى أن يستطيع شراءها ليبني المسجد واسعاً يكفي للصلاة للمنتسبين إلى المدرسة وهو يومىء لطلب المساعدة على ذلك.

ولم يرنا بيته مع أنه فيما يظهر لي صغير، إلا أنه لم يطلب المساعدة على ذلك بطبيعة الحال، ولم أره يخطط لتوسعته وإنما كل همه أن يوسع هذه المؤسسات الإسلامية التي فيها نفع للمسلمين.

ثم أكملنا جولتنا في جميع الفصول، وقابلنا بعض مدرسي اللغة العربية وهم يحسنون الكلام بقدر منها على خلاف أهل الهند الذين أكثر مدرسي اللغة العربية فيهم يحسنون فهم العربية قراءة ولكنهم لا يستطيعون التحدث بها مطلقاً أو لا يستطيعون ذلك إلا بصعوبة.

ومن اللطيف أنهم وضعوا في بعض الفصول الدنيا في المدرسة لوحات تحت السقف دائرة مداره على الفصل ترسم الحروف العربية بوسائل الإيضاح الحديثة وهي مرفوعة حتى تظل مقروءةً مدة طويلة دون أن يستطيع الطلاب مسها.

وهذا أمر لم أره في غير هذه المدرسة.

وهناك أمر مشترك في هذه الفصول وقد رأيناه أيضاً في بقية المدارس وكذلك في بعض المدارس في سيراليون. وهو أنه إذا دخل الضيف المحتفى به إلى الفصل أمر الأستاذ طلابه بأن يسلموا عليه.

فقالوا كلهم بلسان واحد، وبصوت منغم متناسق: (السلام عليكم ورحمة الله) مع أن المفروض أنه هو الذي يسلم وأنهم يردُّون عليه السلام، وقد لاحظت أن بعض الفصول الصغيرة تقول في بعض المدارس السلامٌ عليكمُ بتنوين الميم من كلمة السلام مع وجود الـ.. التعريفية.

أنا (وايت) مادنقو:

وايت في الإنكليزية هي التي معناها أبيض. وأما (مادنقو) فإنها قبيلة مشهورة في عدة بلدان من غربي إفريقية ويلفظ باسمها هنا في ليبيريا وفي سيراليون وغيرها مادنقو أما في السنغال وغامبيا فيقال (ماندنكا) (أو مادنكا).

وأصلها كان من مالي وهي عريقة في الإسلام وقد هاجر أفراد من أهلها إلى هذه البلاد الإستوائية الغربية منذ قديم الزمان وأدخلوا الإسلام هنا. وكان من أسلافهم من أسسوا أمبراطورية مالي الإسلامية العظيمة.

وأما مناسبة الحديث عنها فهي أن سائق السيارةالتي تحملنا هو أخونا (الحاج

محمد سيلا) وهو يلبس ثوباً كثوبي تماماً وعليه طاقية مثل طاقيتي. وكنت أظن أنه متأثر في ذلك من كونه حج أكثر من مرة فأعجبته الملابس العربية غير أن طائفة غيره من الناس في شوارع منروفيا عليهم هذا القميص العربي السعودي وفوق الرأس طاقية سعودية أيضاً أو شبيهة بالسعودية فلما سألت عن السبب في كثرة هذه الملابس التي تشبه الملابس العربية؟ أجابوا: بأنها الملابس التي يلبسها أفراد قبيلة (مادنقو) وأنها لهذا تسمى بملابس مادنقو. وأن بعضهم لهذا السبب إذا رآك قال: هذا (وايت) مادنقو : أي هذا مادنقو أبيض وهو أمر مستغرب عندهم.

وعرفت بهذه المناسبة السبب في كون الناس هنا ينظرون إليّ نظرة استغراب شديد كنت لا أفهم سببها مع أن هذا اللباس موجود بكثرة في هذه البلاد، ولكن تبين أن سببها أن مثلي ممن يسمونهم البيض يرونهم يلبسون هذا اللباس الذي لا يلبسه في العادة التي ألفوها إلا السود أما كونهم ينسبونني إلى هذه القبيلة فإنني لو سمعت أحدهم يقول ذلك لعلقت على قوله فقلت: إنه يشرفني أن أنسب إلى قبيلة كان لها فضل نشر الإسلام في عدد من الأصقاع الإفريقية. وفيها حتى الآن رجال أعمال ومفكرون ألا وهي قبيلة (مادنقو).

وواصلنا السير في الشوارع في هذه المدينة الإفريقية التي لا ترى للباس الإفريقي الأصيل فيها أي أثر، وإنما ترى أفارقة يشبهون من حيث اللباس سكان مدينة نيروبي من الإفريقيين من حيث أن البستهم ومظاهرهم هي تقليد لألبسة الغربيين وليس فيها شيء إفريقي.

ثم اخترقنا شارعاً تجارياً اسمه (بنسون ستريت) أهم المتاجر التي فيه يملكها لبنانيون، وتراهم هنا بشكل ظاهر في هذه المنطقة كما عليه الحال بالنسبة إلى فريتاون عاصمة سيراليون في الحي التجاري الراقي فيها.

مدرسة المؤتمر الإسلامي :

هذه مدرسة منسوبة إلى جمعية الكونغرس الإسلامي أو المؤتمر الإسلامي وهي مدرسة إسلامية مدنية أو عربية إنكليزية كما يعبرون عنها تكون الدراسة الصباحية فيها إنكليزية وتكون الدراسة المسائية عربية ولكل قسم منهما مدير خاص كما أخبرونا.

رافقنا في الجولة داخلها الحاج (صالحو يوسف) وهو من أهل ليبيريا يلبس ملابس فضفاضة كملابس النيجيريين، وكان معنا في المدرسة كما في باقي الجولة طائفة كبيرة من إخواننا المسلمين في هذه البلاد معهم عدة سيارات.

كان أول من قابلنا فيها مدير القسم العربي (محمد كابا) ومدرس اللغة العربية في المدرسة (عبدالله عالم شريف).

دخلت كل الفصول فيها تقريباً ولكنها تختلف عن مدرسة (فوفانا) الإسلامية من حيث العناية بالمظهر العربي فأكثر اللافتات فيها بالانكليزية، وقد قابلنا فيها بعض المدرسين المسيحيين الذين يدرسون اللغة الانكليزية أو المواد المدنية الأخرى.

الشيخ عبد العزيز الربيعان يسأل الأستاذ (أبو بكر فوفانا) المدرس في مدرسة المؤتمر الإسلامي منزوفيا عن المقررات الدراسية وعلى يساره الشيخ سلمان منصري والحاج محمد سيلا فالمدرس أبو بكر فوفانا.

كما أن القسم الانكليزي فيها مديرته امرأة مسيحية اسمها (ماري كروس كير).

وقد قالوا : إن مجموع طلاب المدرسة يبلغ ٦٧٥ طالباً ومدرسيها اثني عشر مدرساً. وأنهم تسلموا مقداراً من الكتب العربية من قطر.

وعندما خرجنا منها كان يخرج معنا طائفة من التلاميذ والتلميذات الذين أنهوا حصتهم مع بعض موظفي المدرسة وإخواننا الذين كانوا معنا فكان ذلك أشبه بمظاهرة ملفتة للنظر.

والمدرسة في الحقيقة قصد منها أن توفر الدراسة المتوسطة لأبناء المسلمين وبناتهم حتى يواصلوا دراستهم في مدارس الحكومة بعد أن يكونوا حصلوا على الدراسة وفق منهج الحكومة مضافاً إليها معرفة مبادىء الدين الإسلامي واللغة العربية.

ولذلك عندما طلبت منهم أن يعطونا اسم المدرسة كاملاً أعطونا ورقة من أوراقها الرسمية فيها عنوانها بالعربية والانكليزية يتوسطه شعار المسلمين (الهلال والنجمة الخماسية). ونص العنوان العربي بعد البسملة: «مدرسة وليم، ف، س. تابمان العربية الانكليزية الإعدادية»، التابعة للمؤتمر الإسلامي الليبيري، تأسست سنة ١٩٦٣م ص.ب: ٦٢١ منروفيا ليبيريا) وتابمان هو الرئيس السابق لليبيريا.

الجامع الكبير:

معظم المساجد الجامعة أي التي تصلى فيها الجمعة في منروفيا هي صغيرة نسبياً لأنها أسست قبل تكاثر المسلمين فيها الذي حدث في حدود عام ١٩٦٠م وما بعده. ولذلك يجد المرء أنها تمتلىء يوم الجمعة بالمصلين ويصلون في الرصيف.

وهذا حدا بجمعية المؤتمر الإسلامي في ليبيريا أن تبدأ العمل في أكبر جامع في هذه البلاد فبدأوا ببنائه منذ ست سنوات، ومايزال غير تام، ويقع على شارع هام من العاصمة. يسمى شارع (نيوبورت).

وقد بنوه بالاسمنت المسلح الجيد ورفعوا القسم الأمامي منه بما يعادل أعلى من طابقين عاليين. لأن القسم الخلفي قد جعلوه بالفعل طابقين وسقفه مساو لسقف القسم الأمامي وجعلوا له في وسطه قبة يفترض أن تكون عالية لأنها لم تبن بعد.

وكذلك بدأوا في بناء المنارة إلا أنهم يريدون أن يشرف على تنفيذها أو على الأقل يقوم بالتخطيط لها وفق هندسة إسلامية عربية مهندس عربي وقالوا: إنهم تقدموا إلى الحكومة المصرية طالبين إرسال مهندس مصري لهذا الغرض، ولكنهم لم يتلقوا رداً حتى الآن.

وإذا تم هذا المسجد وفق ما خططوا له فإنه سيكون مظهراً إسلامياً عربياً في هذه البلاد التي يتنافس المسلمون فيها على قلة إمكاناتهم مع المسيحيين على كثرة إمكاناتهم المادية كل يحاول أن يظهر لبقية أبناء الشعب بالمظهر الأفضل.

وليس ذلك لأنه مظهر إسلامي فقط، وإنما ذلك أيضاً لكون هندسته عربية ظاهرة.

والحي الذي فيه هذا المسجد مختلط السكان من مسلمين ومسيحيين.

ويقولون: إنه رغم سعته وكونه أكبر مسجد في العاصمة فإنهم واثقون بأنه سيضيق بالمصلين بعد إتمام العمل فيه لأن المسلمين يتكاثرون في العاصمة بصفة ملفتة للنظر.

ومن المؤسف أن العمل فيه واقف الآن بسبب العجز في النفقة ولكن هذه عادة لهم أن يعملوا إذا توفرت النفقة من التبرعات، فإذا نفدت وقفوا فترة

حتى يجمعوا ما يستطيعون أن يواصلوا به العمل.

ومن الطريف في الأمر أنهم عندما كثر حديثهم عن عجز النفقة وبعضهم أشار إلى طلب المساعدة استدركوا فقالوا: إننا قد فرحنا فرحاً عظيماً بقدومكم ورؤية مشروعاتنا الإسلامية بسبب محبتنا لكم، وليس بسبب طلب المساعدة المالية، فالمهم عندنا هو أنكم رأيتم جهود إخوانكم، وليس في أن نحصل على مساعدة مالية لهذا المشروع الجليل.

وهذا يدل على إخلاصهم، وبعدهم عن شبهات الانتفاع بالمساعدة المالية لأنفسهم.

وإذا كان هناك من شيء في هذا المشروع الجليل فهو كونه يقع في حي مزدحم بالمنازل الشعبية، وليس بجانبه باحات واسعة مناسبة أن يكون بقربها ما عدا الجهة التي هي على هذا الشارع الهام.

إلى مسجد قديم:

قالوا: إنه مسجد قديم في منروفيا العاصمة، وإنه جدد بناؤه أكثر من مرة وإنهم يعرفون أن بنائه الحالي هو من عام ١٩٥٢م. ولكنهم لم يعرفوا تاريخ بنائه أول مرة ولا على وجه التقريب مع أنهم عدد كبير من المثقفين والمهتمين بالشئون الإسلامية.

وقد حرصت على معرفة تاريخ بنائه أول مرة لأن ذلك قد يعطينا دليلاً على تاريخ استقرار بعض المصلين في هذه العاصمة التي كان عددهم فيها قليلاً أول الأمر. ولكنني لم أجد من يعطيني الدليل الشافي على ذلك.

ويلاحظ أن محرابه واسع كما هي العادة من سعة محاريب المساجد في غامبيا وسيراليون إلا أن النافذة التي تكون في مقدمة المحراب في هذه الأقطار في العادة لم يجعلوها هنا مفتوحة ذات باب يفتح ويغلق وإنما جعلوها عالية ذات

زجاج متحرك.

وعندما أصبح يضيق بالمصلين بنوا فوقه طابقاً ثانياً كاملاً ولكنه لم يستوعب المصلين فأصبح بعضهم يصلون الآن في الشارع.

ويقع على شارع (بنسون ستريت) وهو شارع تجاري مهم.

وتقوم على ملاحظته والانفاق عليه جماعة مسلمي ليبيريا أو (مسلم ليبريا كوميتي). وقد قابلنا إمامه الثالث واسمه (محمد هاشمي) وليس هو بالإمام الرئيسي لأن للمسجد أربعة أئمة.

وفي نهاية الجولة وفي وقفة في شرفة الطابق الثاني طلبوا أخذ صورة تذكارية لنا مع بعض هذا الجمع الحاشد من المسلمين فكان ذلك.

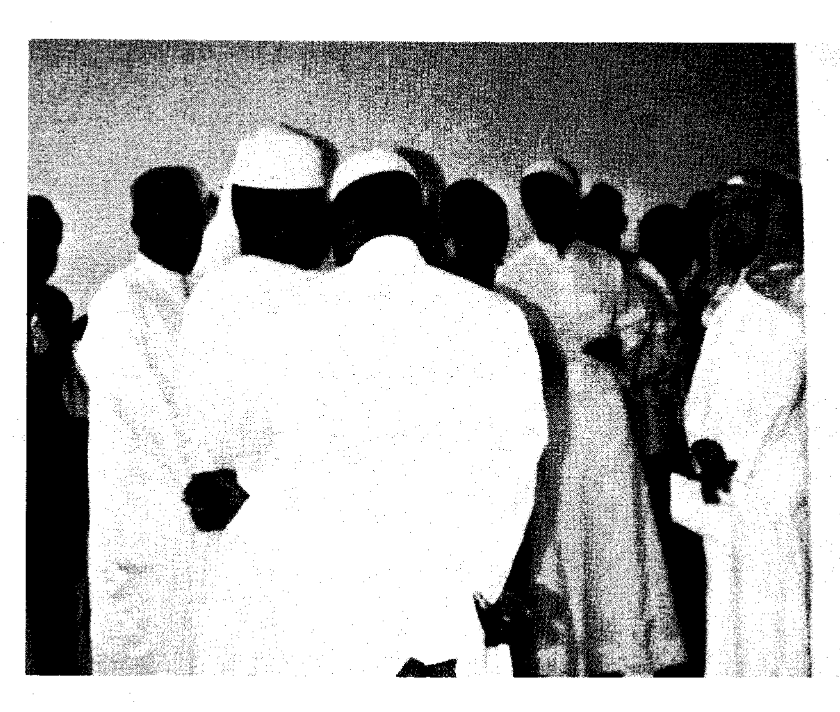

المؤلف في أيمن الصورة في مونروفيا في ليبيريا مع الأخوة المسلمين.

وعند الباب الخارجي قابلنا شخص بهي المظهر ، طويل القامة فقدموه لنا وقالوا: إنه أخ لنا مسلم كان مسيحياً فأسلم عام ١٩٧٥ م وقد سألته عن اسمه الإسلامي فقال: إنه (عيسى تراوري) وهو من المثقفين الذين تركوا المسيحية وأسلموا عن اقتناع منهم بذلك.

وهنا كانت الساعة قد بلغت الواحدة، وكانت حرارة الشمس قد اشتدت فطلبنا من إخواننا أن يؤجلوا بقية الجولة إلى العصر وقلنا لهم: إننا نبتغي الغداء في أحد المطاعم اللبنانية فذهبوا بنا إلى مطعم رجل لبناني مسلم اسمه (جميل عيد) واسم مطعمه مطعم (أستوريا) وهو تابع أيضاً لفندق له بهذا الاسم.

وعندما دخلناه كان مزدحماً لأنه ليس كبيراً وكان طعامه وافر الكم ، شهي المذاق.

جلسة مع زعماء المسلمين :

كان من المقرر أن نستأنف الجولة في الساعة الخامسة عصراً إلا أن إخواني المسلمين وأغلبهم من المسئولين في المجلس الوطني الإسلامي حضر منهم إلى الفندق ثمانية عشر رجلاً وعقدوا اجتماعاً سألونا فيه عما إذا كان من الممكن أن نقابل بعض المسئولين في حكومة ليبيريا وإن كانوا غير مسلمين؟ .

فقلت لهم: إننا جئنا في الأصل لرؤيتكم أنتم إخواننا المسلمين، ولكن إذا كنتم ترون أن مقابلتنا لأحد من المسئولين في هذه البلاد مفيدة لكم فنحن مستعدون لمقابلته سواء أكان عالي الرتبة والوظيفة أم دون ذلك.

فقالوا: إن مقابلتك لهم فيها مصلحة إسلامية لأنهم يعلمون في أكثر الأحيان عن المساعدات المالية التي تصلنا من المملكة ونريد أن يروكم ويتحدثوا إليكم ليتعرفوا عليكم.

فأجبتهم إلى أن يرتبوا المقابلة مع أي شخص يشاؤونه.

في مسجد السلفيين :

وكانت فاتحة الجولة بعد عصر هذا اليوم إلى مسجد السلفيين في منروفيا، ويقع في حي متوسط بمعنى أنه ليس شعبياً فقيراً، ولا ما يسمى بالحي الراقي.

استقبلنا إمام المسجد واسمه (الحاج محمد شريف) وسألناه عن معنى السلفيين في عرفهم؟ فأجاب: إن معناه البعيدون عن البدع.

والمسجد نظيف جداً ربما كان أنظف المساجد التي شاهدناها من حيث البناء والفراش له منبر من الخشب الصقيل محاط بزينة عربية.

وفي أعلاه طابق ثانٍ بدأوا بإقامته ليجعلوه مقراً للمدرسة السلفية الملحقة بالمسجد ولكن البناء فيه وقف لقلة النفقة.

ومن المصادفات أن هذا المسجد التابع للسلفيين يقع مع مدرسته في مكان مجاور لمدرسة نصرانية تتبع مؤسسة نصرانية ذات بناء مشرف. ولم يكن ذلك مقصوداً لهم فيما قالوا لي وإنما وقع بالمصادفة.

وقالوا: إن النصارى أقاموا مدرستهم هنا قبل (٣٠) سنة أما نحن المسلمين فقد بنينا هذا المسجد منذ عشر سنين أي عام١٩٧١م بالتحديد.

وقالوا: إن هذا الحي لم يكن فيه مسجد لأنه لم يكن يسكن فيه عدد من المسلمين يحتاجون إلى مسجد ولكن الأمر أخذ يختلف منذ سنوات عدة إذْ زاد المسلمون، وجعلوا يفدون من المناطق والمدن خارج العاصمة إضافة إلى الزيادة الطبيعية في المواليد، والزيادة النوعية في عدد من يدخلون في الإسلام.

والحي الذي فيه المسجد هو حي مسكون إلا أن المرء يشاهد بقايا من الأشجار الضخمة التي كانت موجودة فيه عندما كان غابة أو شبيهاَ بالغابة، وقبل أن يصبح حياً فقد رأيت بين البيوت بقايا جذع شجرة لا يصدق المرء بغلظه ويكفي أن أقول إن محيطه يساوي محيط عشرة رجال انضم بعضهم إلى

بعض وهم واقفون، وربما كان هذا هو السبب في كون الناس هنا لم يعملوا فيه شيئاً مثل أن يكسروه ويستعملوه حطباً للوقود.

إلى حي لوقان تاون :

تركنا جامع السلفيين إلى جهة الشمال الشرقي واجتزنا جسراً قديماً على خليج ضيق من مياه البحر يشبه مجرى النهر غير الواسع فوصلنا بعده إلى حي شعبي جيد يخترقه شارع واسع ذو اتجاهين، فيه بيوت من طابق واحد أغلب بيوته غير متلاصقة، وإنما يفصل بينها فراغ فيه بعض الأشجار المثمرة من شجر المناطق الاستوائية.

ومررنا بسوق شعبي راقٍ لم أستطع الوقوف فيه، لأنه لا توجد مواقف لسيارات الموكب التي ترافقنا من عدد من إخواننا المسلمين، ولكنني أبصرت معروضات كثيرة متنوعة من الفواكه الإستوائية كالباباي والأناناس والنارجيل إلى الدجاج وعلب (الصلصة).

وهذا السوق ومناظر البائعين والبائعات فيه يعطي صورة ظاهرة عن الفروق المادية بين أهل هذه البلاد (ليبيريا) وبين بعض جيرانهم من الأفارقة الذين مررنا بهم من حيث النظافة في الثياب، والقدرة على الإنفاق.

وتركنا الطريق العام المسفلت إلى زقاق غير مسفلت ينطلق منه جهة اليمين فأوقفنا السيارة فيه وأخذنا نسير في الأزقة التي ربما لا يصح أن تسمى بهذا لأنها غير مستقيمة، وغير متساوية الإتساع.

أما أرضها فإنها مكونة من رمل يضرب لونه إلى السواد، وهو من الأنواع القليلة من الرمال.

واخترقنا فناء أحد البيوت، وكان عليه لافتة صغيرة تقول: احذر من هذا الكلب فإنه سيء، تشير إلى كلبٍ رابض أسفل الإعلان مربوط وقد دميت

أذنه فذكرت القول المشهور عندنا أن الكلب إذا قطعت أذنه ثم أطعم لحمها صار من أشرس الكلاب.

حتى وصلنا إلى (صندقة) قال لنا أحد الأشخاص إنها.

مدرسة ابن باز:

وأنا صاحبها واسمي (أحمد شيخ دوري) وهو يعرف العربية. أما هذه المدرسة المسماة على اسم الشيخ الجليل عبد العزيز بن عبدالله بن باز فإنها ليست جديرة بحمل اسمه لأنها دون ذلك بكثير. إذ هي غرفة واحدة من الصفيح غير الجيد الصنعة بل هو مرفوع على أخشاب رثة وفوقه سقف من الصاج. وأرضها مفروشة بالرمل الذي يضرب لونه إلى السواد مثل الذي رأيناه في أزقة هذا الحي وليس فيها مقاعد، ولما سألناه عن الطلبة الذين لم نجد منهم أحداً قال إنهم ينهون اليوم الدراسي في الواحدة ظهراً وان عددهم مائة وعدد مدرسيها ثلاثة.

غير أن بعض الحاضرين قالوا: إن ذلك ليس دقيقاً.

ولما سألت الأخ (أحمد شيخ دوري) صاحب المدرسة عما إذا كان هذا البناء الصغير ملكاً له أو للمدرسة أجاب: إنه ملك له، ولكن الأرض غير مملوكة للمدرسة، وإنما منحنا إياها صاحب هذا البيت المجاور (محمد سيسي) لمدة عشر سنوات. أي: إنه سمح لهم بإقامة مدرسة على هذه الأرض الصغيرة لمدة عشر سنوات.

وهو أمر يشكر عليه غير أنه يمنع أهل المدرسة من البناء عليها فيما لو أرادوا ذلك واستطاعوه.

كانوا يحدثونني بذلك وأنا أنظر إلى مساحة صغيرة من الفراغ الواقع بين هذه المدرسة الصغيرة وبين بيت الأخ (محمد سيسي) فأجده مليئاً بالأشجار

النافعة المثمرة مثل الباباي، والموز الذي قد ناء بحمله، ونخيل الزيت، وشيء من نبات الطماطم.

وتركنا هذه المدرسة الصغيرة الفقيرة المؤقتة سائرين على الأقدام مخترقين بعض الأزقة في هذا الحي الشعبي الذي تسكنه أقلية عددية من المسلمين ورأينا أغلب أهله من المسيحيين ونساؤهم جالسات أمام بيوتهن على أشياء ترفعهن عن الأرض إذْ لم أرهم يفترشون التراب أسفل الحيطان كما يفعل كثير من الإفريقيين.

ويظهر عليهن التغذية الجيدة إلى جانب ما يلاحظ من مظاهرهن أنهن ممن تعاقبت عليهن أجيال من الاستقرار والتشبه بأهل الحضارة الغربية ويدل على ذلك أن ملابسهن كلهن هي الملابس الأوروبية المعتادة.

مسجد بالأجرة :

لم تكن أرض المدرسة الموهوبة لمدة عشر سنوات ببدع من الأمر، بل إننا عندما زرنا المسجد الوحيد في هذا الحي حي (لوقان تاون) أخبرونا أنه أقيم على أرض مستأجرة لمدة عشر سنوات وأنهم لذلك لا يستطيعون العمل على إصلاحه فضلاً عن إعادة بنائه على هذه الأرض ولذلك قلنا لهم: إنه لا يمكن النظر في مساعدة هذا المسجد وهو بهذه الصفة. وإنما الأفضل أن تتألف جمعية من أهل الحي، وتسعى في شراء أرض ثم تبدأ ببناء المسجد عليها مهما كان نوع الأبنية، ثم تطلب المساعدة على إتمامه من المسلمين في الخارج، وبخاصة من المملكة العربية السعودية.

فقالوا: إنهم قد سعوا في شراء الأرض ولكن الشخص المسئول عن هذا الأمر ليس موجوداً الآن.

وهذا المسجد المستؤجر هو صغير المساحة، قديم البناء يبدو عليه عدم

العناية، ومع ذلك وجدناه مغلقاً، ولكن نوافذه مفتوحة إلا أنه وضعت عليها قضبان من حديد لتمنع من يريد الدخول منها إلى المسجد.

ثم انتقلنا وسط بيوت شعبية جيدة سكانها أكثرهم من غير المسلمين تبين على أجسامهم التغذية الجيدة، وتبين على وجوه نسائهم أنهن لم يتعودن الحياء، فكن ينظرن إلينا نظرات متواصلة استغراباً للباسنا العربي المخفف الذي كان القميص مع الطاقية وهو لباس لم يعتد الناس أن يشاهدوه على من يسمونهم الرجال البيض.

ومع ذلك وجدنا شيئاً يذكرنا بأننا لا نزال في محيط إفريقي، وان بعد عهد أهله بالغابة، إذْ رأينا بعض الإفريقيات البائعات في (بسطات) تحت مظلات رديئة من الصاج يبعن بضائع بسيطة كالموجودة في أكثر البلدان الإفريقية التي لم يبعد عهدها بحياة الغابة، ومعيشة القرية الإفريقية، مثل الكومة القليلة من الفلفل الحار، وشيء من الفحم، وحبات من الطماطم غير الجيدة.

حتى وصلنا إلى:

حي فاي تاون:

وفاي: قبيلة من القبائل التي تعيش في ليبيريا ولها لغة خاصة معروفة بالفاي.

وذلك لرؤية مدرسة هناك يقولون: إنها أول مدرسة إسلامية في منروفيا، ولكنها الآن ليست أرقى مدرسة هناك فالدراسة فيها لا تتعدى أربع سنوات، وقد شاهدنا على سبوراتها كلها الكتابة العربية.

وتنفق عليها جماعة مسلمي ليبيريا وهي مبنية من الإسمنت في دور أرضي من بناء عالٍ نوعاً ما وليس لنوافذها أبواب تفتح أو تغلق، وإنما هم قد سدوها بلبن الجبس المحرق.

ومديرها يعرف قدراً من العربية قال: إنه كان قد تعلمه في دار الحديث في مكة المكرمة.

وبعدها أطلعونا على مكرمة لرجل معروف بالكرم والبذل في سبيل الله وهو (الحاج فامويا شريف) الذي وهب أرضاً قدرها خمسة آلاف متر في مكان ثمين من العاصمة لتقام عليها مدرسة للمسلمين في هذه البلاد.

وقال: إنني قد وهبت هذه الأرض التي ترونها لإخواني المسلمين، وأوقفها على أن يبنى فوقها مسجد.

وقال: إنكم تلاحظون أن هذه الأرض قرب خليج من البحر وأن مياه البحر كانت تصل إليها في بعض الأحيان فأنفقت على منع المياه عنها (٢٩) ألف دولار ولذلك أنا الآن لا أستطيع أن أبني عليها مسجداً. وتبلغ مساحتها (٢) إكر أو ٨٢٠٠ متر وقال: إن هذا الحي فيه مسلمون، ولكن ليس فيه مسجد فأرجو أن تعملوا على بناء مسجد لهم على هذه الأرض.

فشكرناه على تبرعه وشجعناه على فعل الخير، وقلنا له: إن هذا وأمثاله هو الذي يبقى أجره ويستمر لفاعله بعد موته بخلاف الأشياء المادية التي تفنى بفناء صاحبها، غير أن العادة جرت أن تساعد الحكومة السعودية على المشروعات التي بدء العمل فيها، وليس على التي لم يبدأ بها لأنه قد حصلت تجارب في بعض البلدان أن حصل ما منع الابتداء في المشروع الإسلامي فضاعت تلك المساعدة التي يمكن أن تنفع في مساعدة مشروع إسلامي آخر في مكان آخر من العالم.

وأخبرناهم أن المملكة العربية السعودية، بمثابة المركز الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين ولذلك تنهال طلبات المساعدة على المملكة من جميع القارات ومن القرى والأرياف في مختلف أنحاء العالم مما لا يتصوره إلا من يكون مثلنا قد رآه بل قد عايشه.

يوم الثلاثاء: ١٤٠١/٥/٤هـ ـ ١٩٨١/٣/١٠م:

المقابلة التي أفسدت البرنامج:

أخبرنا بعض إخواننا في الليلة الماضية أنهم قد حصلوا على موعد مقابلة مع وزير خارجية ليبيريا في الساعة التاسعة والنصف من هذا الصباح، وأنه لهذا السبب لا يمكن المضي في البرنامج المرسوم الذي منه أن يكون اليوم هو يوم الذهاب خارج العاصمة إلى إحدى المناطق التي فيها مسلمون.

ولكنني عدت من وزارة الخارجية بعد أن وصلتها إذْ وجدنا بعض الإخوان هناك فأخبرونا أن الموعد قد تأجل إلى الساعة الرابعة من عصر هذا اليوم.

وقد انقضى جزء من هذا النهار بعد ذلك في تغيير الفندق الذي لم يطب لنا طعامه ولا سعره فكنا نضطر إلى أن ننتظر أحد أخواننا ليأخذنا بسيارته إلى مطعم لبناني.

وعند محاسبة فندق (أنتركونتيننتال) ظهرت لنا سيئات له إضافية في نهب النزلاء من ذلك أننا وجدناه قد حسب الغرفة التي كنت فيها بأجرة غرفتين على اعتبار أنها (دبل) أو ذات سريرين مزدوجين مع أنه ليس فيها إلا سرير واحد يتسع لشخصين وذلك لا يخرجها من مسمى الغرفة المنفردة (سنقل) إلى المزدوجة (دبل)، وزاد تعليل ذلك بأنها أوسع من الأخرى، ولكنهم في مثل هذه الحالة يضيفون على قيمتها العشر أو الخمس لا أن يضاعفوا أجرتها فيما جربته من الفنادق العالمية.

وقد طلبوا أجرتها لليلة الواحدة مائة وسبعة دولارات وحسبوا الإفطار بستة دولارات ولذلك لم أر فيه من النزلاء عدداً يستحق الذكر.

وعندما تناولنا طعام الغداء هذا اليوم في المطعم اللبناني لاحظنا كما لاحظناه

من قبل أن كثيرين من الأفارقة يقبلون على تناول الطعام العربي إضافة إلى اللبنانيين الذين يعتبر ترددهم عليه أمراً طبيعياً، كما قابلنا فيه رجلاً موريتانياً قال إنه يعمل في تجارة الماس.

مقابلة وزير خارجية ليبيريا :

تمت هذه المقابلة ولم تكد تتم إذْ كان المقرر أن تكون في الرابعة ولكنني انتظرت في الفندق فلم يأت أحد من إخواني أرباب السيارات الذي كانوا يأتون في العادة ينقلوننا بسياراتهم وإنما جاء الشيخ (سليمان منصري) مبعوث دار الافتاء وأحد الدعاة إلى الله في ليبيريا وانتظرنا حتى فات الموعد. ثم جاء إخواننا يستعجلون المقابلة فلما أخبرناهم تخوفنا من ألا يستقبلنا الوزير لأن الوقت قد فات أجابوا: نعم، إن الوقت قد فات ولكن الوزير ينتظركم وهكذا تمت المقابلة في الخامسة والربع بدلاً من الرابعة.

جاء الوزير (جي باكوس ماتوس) لمقابلتنا، وكان يبدو أول الأمر أنه كالمستعجل أو غير الحافل بضيوفه فأسرع بإلقاء كلمة بالإنكليزية كان الشيخ سليمان منصري يترجمها للعربية قال: إن المسلمين أحرار في ممارسة شعائر دينهم في هذه البلاد. بل إننا قد قررنا أن تكون أعياد المسلمين عطلة كما أن أعياد المسيحيين عطلة فخصصنا يومين في السنة لهذا الغرض، وقد انتهى هذا الأمر ولم يبق إلا تصديقه من رئيس الجمهورية.

وقال: إننا نشجع الأديان كلها فالجميع من مسيحيين ومسلمين في هذا البلاد يعبدون إلهاً واحداً يسميه المسلمون (الله) ويسميه المسيحيون (قد) وهنا ظهرت من الحاضرين من زعماء المسلمين همهات الاستحسان.

ثم قال الوزير : إننا من هذا المنطلق نشكر الحكومة السعودية على تبرعها للمشروعات الإسلامية في هذه البلاد التي بلغ مقدارها حتى الآن مائتي ألف دولار وأشار إلى تعايش المسلمين والمسيحيين هنا دون متاعب.

فرددت عليه بكلمة مناسبة شكرته فيها على حسن المعاملة التي يلقاها المسلمون في هذه البلاد والتي لا تميز بينهم وبين غيرهم من المواطنين.

وقلت له فيما يتعلق بالمساعدة التي تقدمها المملكة للمسلمين: إن المملكة العربية السعودية لا تتدخل في الشئون الداخلية لأي بلد، وهي تقدم المساعدة على أساس ثقافي ديني إسلامي دون أن يعني ذلك إلحاق الضرر بغير المسلمين، بل إننا نعتبرهم أصدقاء ما داموا يتعاونون مع إخواننا المسلمين على ما فيه نفع الجميع.

وقلت له فيما يتعلق بتعايش المواطنين على اختلاف دينهم: إن هذا يدل على روح الحكمة والتسامح التي يتحلى بها الإفريقيون أكثر من غيرهم من كثير من الشعوب ويمكن مقارنة ذلك بما هو حادث الآن في إيرلندا حيث تقاتل الفريقان لكون أحدهما كاثوليكياً، والآخر بروتستانياً.

ثم قلت له: إنني سوف أبلغ الحكومة السعودية بما سمعته منكم اليوم – من هذا الكلام وأشكركم على السماح لي بهذه المقابلة رغم كوني لست من وزارة الخارجية، ولا مبعوثاً من وزير الخارجية.

فقال: إننا نتخذ الترتيبات الآن لنجعلكم تقابلون رئيس الدولة، وقد أخبرت الأخ (ابراهيم صالح دوكري) هذا أن يتفق مع المراسم في رئاسة الدولة على وقت تلك المقابلة ويخبركم. وإنني أخبركم باسم حكومة ليبيريا أنه يمكنكم أن تتجولوا في بلادنا كلها دون قيود وبغير حاجة إلى إذن مسبق.

ثم ختمت المقابلة بعبارات المجاملة.

وكان قد حضر المقابلة عدد من زعماء المسلمين وبخاصة من كان منهم عاملاً في المجلس الإسلامي وهم:

- سليمان سعيد منصري مبعوث الرئاسة.
- الحاج سيكو بلتي نائب رئيس المجلس القومي الإسلامي بليبيريا.

- محمد ثالث يوسف نائب ثالث للمجلس ورئيس جمعية المؤتمر الإسلامي.
- ابراهيم صالح دوكري موظف في وزارة الخارجية.
- الحسين كمارا الأمين العام للمجلس وموظف كبير في المالية.
- فافيني كمارا محافظ لقبيلة ماديكو.
- كافو مباكونيه الأمين العام لاتحاد مسلمي مقاطعة نمبا.
- مي فابا فوفانا رئيس جمعية شباب مسلمي كيدو بوني.
- محمد مختار جلو رئيس جمعية التربية الإسلامية.

فتكلم الأخ (الحسين كمارا) الأمين العام للمجلس القومي الإسلامي وأحد الموظفين الكبار في وزارة المالية مع الوزير كلاماً قصيراً يتعلق بالأمور التي تخص المسلمين في هذه البلاد.

ثم ودعنا الوزير (ج، باكوس ماتوس) وغادر مكان الاجتماع.

ولبثنا قليلاً في وزارة الخارجية مع إخواننا المسلمين نبحث برنامج اليوم التالي على ضوء ما أخبرنا به وزير الخارجية من أنهم يبحثون الآن في تخصيص وقت للقاء برئيس الجمهورية فعرفنا أن ذلك غير ممكن في الغد لأنه يوم عطلة رسمية في ليبيريا ويسمونه عيد الأموات أو يوم الأموات. يذهبون فيه إلى مقابر الأموات، وينظفونها ويضعون عليها الزهور.

وهذا تقليد غريب من تقاليد أهل هذه البلاد ليبيريا، يقولون إن أصله أنه عندما استقر العائدون المحررون من أمريكا فيها حاربهم بعض السكان من أهل البلاد الأصليين فقتل بعض أولئك العائدين من أمريكا، فكانت عادة زيارة قبورهم ثم استمرت، وأصبحت شاملة للجميع.

وتعطل الدوائر الحكومية والشركات أعمالها في هذا اليوم.

يوم الأربعاء ١٤٠١/٥/٥هـ ـ ١٩٨١/٣/١١م:

مع رئيس المجلس القومي لمسلمي ليبيريا :

كان النائب الأول لرئيس المجلس القومي لمسلمي ليبيريا (الحاج سيكو بيلتي) قد استقبلنا مع المستقبلين في المطار واعتذر عن الرئيس بأنه لم يستطع ذلك لمرضه.

ثم جاءنا ابنه يعتذر عن تخلف والده عن زيارتنا بسبب مرضه، وطلبنا زيارته فقيل لنا: إنه في مقاطعة (نمبا).

وجاء إلينا في هذا الصباح المبكر بعض إخواننا يخبرون بأنه وصل إلى منروفيا، وأنه يمكننا زيارته لأنه لا يستطيع أن يزورنا.

فذهبنا إليه في بيته في حي (فاي تاون) وأوقفنا السيارة في مدخل زقاق واسع عادل عن الشارع العام فأشار بعض مرافقينا إلى البيوت التي عن اليمين والشمال وقال: هذه كلها للحاج (فامويا كورنيه) رئيس المجلس القومي لمسلمي ليبيريا، وأضاف: إنه غني جداً.

كانت غرفة الجلوس في بيته تدل على ما ذكروه فهي مؤثثة بأثاث ثمين، وفيها كثير مما يكون في غرف الأغنياء مثل جهاز التلفزة ومراوح، ولوحات عربية.

رأيناه شيخاً كبيراً ولكنه قوي البنية سلم علينا بحفاوة، وأعرب عن سروره بزيارة الوفد. واعتذر عن عدم الاستقبال بمرضه.

ثم قدم لنا رجلين أحدهما أشيب الرأس وقال: هذا ابني. أما الآخر فهو الذي رأيتموه من قبل.

ثم قدمت زجاجات المشروبات الغازية وأطباق صغيرة فيها شيء من (البسكويت) والمكسرات التي تنتج في هذه البلاد أو بقربها ومنها الفول السوداني و(الكروشو) وهو كاللوز المقشر إلا أنه أبيض كثيراً ما يستعمله الأوربيون بمثابة النقل قبل الشراب.

إلى منطقة نمبا :

منطقة نمبا : إحدى المقاطعات العامة في ليبيريا وتقع مجاورة لحدود غينيا جهة الشمال الشرقي من العاصمة منروفيا.

ولا تبعد مدينة (سانقولي) عاصمة المقاطعة الا بمسافة (٣٨) كيلاً عن حدود غينيا.

تركنا منروفيا العاصمة في الساعة الحادية عشرة والثلث على سيارة أمريكية مكيفة الهواء من طراز (شيفروليه) يملكها (الحاج سيكو بيلتي) النائب الأول لرئيس المجلس الوطني لمسلمي ليبيريا. يتبعها موكب من ثلاث سيارات أخرى كلها أمريكية ما عدا واحدة.

أما رفقاء السيارة فهم زميلي في الوفد الشيخ عبد العزيز الربيعان والشيخ سليمان منصري مبعوث دار الافتاء والدعوة والإرشاد في ليبيريا وهو من سيراليون والأخ (كوفومبا كونيه) وهو نائب الأمين العام للمجلس الوطني الإسلامي في ليبيريا وكان موظفاً كبيراً في الحكومة السابقة. من ذلك أنه كان ممثلاً للحكومة في ناحية كانتا في مقاطعة نمبا مدة تسع سنوات.

وقد كان الأخ (كوفومبا) هذا نعم الرفيق في هذه السفرة إذْ كان مثقفاً واسع الثقافة، ملماً بتاريخ البلاد فكان يصبر على أسئلتي الكثيرة المتلاحقة ويجيب عليها إجابة الخبير.

سرنا مع طريق ريفي أشجاره من الأنواع النافعة المثمرة أي ليست من

أشجار الغابات المتروكة لمجرد الخضرة والإبقاء على الطبيعة.

أشجار المطاط :

ثم أوصلنا الطريق إلى أرض مزروعة بأشجار كثيفة منسقة من شجر المطاط وقد أسرعنا نحد النظر فيها ظناً منا أنها في مساحة محدودة وبخاصة عندما علمنا أن هذه المساحة من أشجار المطاط مملوكة لشركة أمريكية ليبيرية.

وأشجارها منسقة في صفوف منتظمة.

ثم مررنا على أيسارنا بكلية الزراعة في منطقة زراعية. ذات حقول قد قطعت من أكثرها أشجار الغابات الكثيفة فقلت لإخواني: لقد أحسنوا الاختيار في وضع كلية الزراعة في هذا الموضع الزراعي الأخضر. فسكتوا.

وقد عرفت بعد ذلك أن هذا التعليق مني يدل على السذاجة إذ تبيّن لي بعد ذلك أن البلاد كلها من حيث الخضرة والصلاحية مثل هذا الموضع أو قريب من مثله.

وقد استمرت الأشجار المنسقة النافعة ومن أهمها أشجار المطاط وهنا سألت القوم عن ملاك هذه الأراضي والأشجار أهم من الليبيريين؟ أم من الأجانب؟ وهل يجيز القانون لغير الليبيريين أن يمتلكوا الأراضي الزراعية في ليبيريا؟

فقالوا: إن هذه الممتلكات كلها لليبيريين فالقانون يقصر الملكية عليهم غير أنه يجيز لغيرهم من الأجانب أن يستأجروا الأراضي لمدة عشرين سنة: فيصلحوها ويستغلوها تلك المدة.

وقد عرفت سبب عدم وجود القرى في المنطقة، وهي كون هذه المساحات الكبيرة أملاكاً خاصة.

وقد أخذت أشجار المطاط تتكاثف حتى صار كثير من المساحات ليس

فيها الا أشجار المطاط وحدها إذْ أن هذه الأشجار من الأشجار التي لا تحب الإختلاط بالأشجار الأخرى.

ورأيناهم قد قطعوا أشجاراً ضخمة منها فسألناهم عن السبب؟ فقالوا: إن الشجرة إذا تطاول بها الوقت وشاخت قل إنتاجها، لذلك يقطعونها لأن ذلك في صالح غيرها من الشجر إلى أن يغرسوا بدلاً منه أشجاراً فتية.

المنظر الجميل:

وقد أصبح المنظر في الطريق جميلاً إذ تألف من ثلاثة ألوان لا رابع لها، لون الاسفلت أسود فاحم ولون التربة التي تحف به أحمر ذهبي، ولون الأشجار التي تحيط بهما أخضر شديد الاخضرار والطريق نفسه جيد السفلتة، مناسب السعة، تسير فيه السيارة بحرية فليس فيه عربات تجرها حيوانات كما في الهند أو آدميون كما في بعض البلدان الإفريقية الكثيرة السكان.

وليس فيه حتى من الحيوانات التي تكون في الريف مثل الأبقار، وقال لنا مرافقونا: إن ذلك هو بسبب كثرة الغابات وقلة المراعي المنبسطة التي تصلح لرعي الأبقار.

وحتى المنازل ليس عليه منها إلا قليل من الأكواخ المتباعدة تكون على شكل مجموعات قليلة العدد.

وشاقنا المنظر، وراق لنا الوقوف بجانب غابة مظلمة من أشجار المطاط قد علق في أفنان كل شجرة منها إناء يتسرب إليه منها سائل أبيض هو الذي يصبح بعد ذلك بالمعالجة والتصنيع مطاطاً تسير عليه السيارات وغيرها من المركبات. ويدخل في عدد كبير من الصناعات.

وأرونا خطوطاً دائرة في الشجرة على هيئة حزام يكشط لحاء الشجرة وقالوا: إن هذه تتم كل سنة وترفع إلى أعلى أي أنهم يستثمرون كل سنة حزاماً

واحداً منها يأخذون بواسطته المطاط من الشجرة يرتفعون بعدها فيكشطون في لحاء الشجرة أي: قشرها كشطاً آخر. وهكذا.

والتقطنا صورة وسط هذه الغابة.

صورة تذكارية من اليمين إلى اليسار الشيخ عبد العزيز الربيعان فالشيخ سلمان منصري فالأستاذ كوفومبا كونيه فالمؤلف بين أشجار المطاط في ليبيريا.

واستأنفنا السير فرأينا بعد قليل مجموعة من المنازل ذات السقوف من الصفيح التي هي الشكل الأغلب على البيوت في هذه البلاد وسألتهم عن اسمها؟ فأجابوا: إنه (رقم ٧). فسألتهم: لماذا كان كذلك؟

فقالوا: لأننا لا نزال في مساحة مزارع المطاط المملوكة لهذه الشركة العالمية وأنها قد أعدت هذه المنازل وأشباهها للعاملين فيها، وسمتها بأرقام متسلسلة.

وقلت لهم: مادام أن للمطاط هذه الأهمية في بلادكم فإنني أريد أن أعرف متى بدأت زراعته فيها.

فقالوا: إن ذلك كان في عام ١٩٢٦م.

واستمر السير في طريق مريح ومع ذلك يدخلون عليه بعض التحسينات، واستمرت معه غابات المطاط واستمر أيضاً عدم وجود القرى على الطريق حتى وصلنا منطقة قالوا: إنها منطقة أراضٍ حكومية فرأينا مجموعة كثيرة من (شتلات) صغيرة من نخيل الزيت يزرعونها أول الأمر لكي يغرسوها في أماكن وينقلوها إلى أماكنها الدائمة مما يدل على رغبة مستجدة في زراعة هذا النوع من الأشجار التي لا تكاد تجد فيها على البعد فرقاً عن نخيلنا التي تنتج تمراً. إلا أنها تنتج الزيت بديلاً من التمر.

وفي هذه الأرض معهد للتدريب الفني على عدد من الحرف . ووصلنا:

مدينة كاكاتا :

واسمها الغريب الخفيف مؤلف من كلمتين (كاكا) اسم رجل هو أول من ابتدأ سكناها فنسبت إليه. وتا معناها بلغة قبيلة فالي: بلدة. وتبعد عن العاصمة (منروفيا) (٧٢) كيلاً.

وقفنا فيها عند بيت من البيوت كبير ظنناه مسجداً أو مدرسة ولكنهم قالوا إنه بيت رئيس المسلمين فيها (الحاج محمد الحبيب شريف) (٩٠) سنة ولكنه قوي البدن بالنسبة إلى هذه السن، وهو مديد القامة، مهيب الطلعة.

ويقع بيته على متسع بين البيوت شبيه بميدان صغير ليس في أرضه شيء من النبات.

الحصباء بدلاً من العشب :

من هذا المكان ومن غيره مما شاهدناه وجدنا المثل الأعلى عندهم للميادين بين البيوت أو المساحات العامة أن تكون خالية من الخضرة مفروشة بالحصباء أو الرمل على قلة الرمل عندهم لأنهم يستخرجونه من قاع النهر.

فكأنهم هنا عكسوا ما هو عندنا وأمثالنا من الذين تكون خضرة الأعشاب عندهم هي المثل الأعلى لتجميل الأرض. وذلك لأن الخضرة هنا كثيفة بل هي مطبقة في بلادهم بحيث لا تكون مفرحة بل يكون استمرار رؤيتها قابضًا للنفس التي تمل مادام، وتتطلع إلى التغيير.

هذا مع أن الحصباء التي هي الحصا الصغار الذي يفرشون به هذه الميادين ليست جميلة بل هي دهماء أي بنية اللون.

وكان مع رئيس المسلمين في البلدة جماعة كبيرة من أهلها أحاطوا بنا يسلمون، وبعضهم يعانقون وخلفهم أناس من رجال ونساء وأطفال ينظرون ويتفرجون.

وسألتهم عن نسبة المسلمين في مدينة (كاكاتا) هذه فقالوا: إنها خمسون بالمائة، ولكن عندما سألتهم عن مجموع سكانها لم أجدهم يعرفون.

وأجلت بصري في الأماكن القريبة مني فوجدت بعض ما كانوا يستعملون: حزم من الحطب كثيرة قد أعدوها للبيع لأنها هي التي بها يوقدون.

أما البيوت فإنها من لبن الإسمنت أو مما طلي بالإسمنت فوقها (الجمالون) وهو شيء من الصفيح المسنم يسمى بهذا الاسم في الحجاز، وربما كان قد جلب هذه التسمية إليه قوم إفريقيون.

مدرسة حبيب الشريف :

وسار الموكب من هذه السيارات الأمريكية التي تحمل إلى هذه البلدة الإفريقية قوماً غرباء الوجوه والأيدي والألسنة إلا أنهم مسلمون وهم بذلك قريبون من نصف السكان ولذلك هم بهم يحتفون.

ورأينا أزقة هذه المدينة غير مستقيمة، وليس فيها إلا التراب الذي أفسده الماء المتسرب من بعض الصنابير الموجودة في الميادين وليس في البلدة مكان

الوفد محاط بالأهالي وبخاصة التلاميذ في قرية (كاكاتا).

مسفلت.

وكان يسبق الموكب ويلحقه جمع من سكان المدينة أو على الأدق من سكان هذا الجزء من المدينة لأنها ممتدة غير متلاصقة البيوت، ولم يكن مؤسسها يتصور فضلاً عن أن يحلم بأن ذلك سيكون. حتى وصلنا مدرسة (حبيب الشريف) وهو رئيس القرية وسميت باسمه لأنه هو الذي شجع على بنائها فأنفقت الجمعية الإسلامية هنا ما هو كثير جداً في هذه البلاد ولم يمض على إتمام إنشائها إلا أشهر معدودة حتى أرضها قالوا لنا وأكثر أهل البلدة يسمعون: إن الذي وهبها هو الحاج حبيب الشريف هذا الذي أولاده حاضرون. أما هو فقد بقي في بيته لا يستطيع التجول لأنه قد منعته من ذلك، تلك السنون التسعون.

وقالوا في تعريفها: إنها مدرسة عربية إسلامية إنكليزية بمعنى أنها تدرس الدين ومبادىء العربية إلى جانب تدريس اللغة الإنكليزية والمواد المدنية المقررة في مدارس الحكومة ولذلك تعترف الحكومة بشهاداتها وتقبل من يتخرجون منها إلى مراحل أعلى في مدارسها.

وقالوا: إن أهم ما تحتاج إليه المدرسة هو الكتب العربية ومدرسو اللغة العربية وان الدراسة فيها صباحية ومسائية.

وقد تجولنا فيها فإذا بهم قد كتبوا على غرفة المدير فيها وهي ليست كبيرة بلغة عربية واضحة (قسم الإدارة العامة).

أما البناء فهو جيد حديث حيطانه من لبن الإسمنت وسقفه الأعلى من الصفيح وفيه سقف سفلي مستعار من الخشب. ونوافذها من الإسمنت المخرق، أي: ليس لها أبواب تفتح وتغلق. وفيها مقاعد خشبية كافية وبعض الكتابة في سبوراتها بالعربية ولا أدري أكان هذا مقصوداً أم مصادفة.

وإنما المؤكد أنهم كتبوا عبارة عربية بهذه المناسبة تقول (أهلاً وسهلاً ومرحباً بالزائرين).

كما أنه من المؤكد أن الحديث الذي كتبوه على سبورة في قسم الروضة أي: ما تحت الابتدائي كان لهذه المناسبة أيضاً وهو حديث (إنما الاعمال بالنيات) إذْ لا يمكن لمن في الروضة أن يستوعبوا معناه، وقد كتبوا كلماته بطباشير ملون.

ولم نجد في المدرسة طلاباً، وقالوا إن السبب في ذلك هو العطلة العامة في هذا اليوم: يوم عيد الأموات.

ولمناسبة الحديث عن هؤلاء أقول: إننا رأينا طائفة غير كثيرة العدد من السكان وهم يعملون في تنظيف مقبرة في ناحية من البلدة. سارع إخواننا إلى القول بأن هؤلاء من غير المسلمين.

وودعنا إخواننا في هذا القسم من البلد الذي يقع في مكان مرتفع بعض الشيء منحدرين مع الطريق إلى مكان آخر.

ورأينا على أيماننا سرباً من الغرانيق وهي طيور مائية بيض نسميها في بلادنا بهذا الاسم وتأتي إلينا في العادة مهاجرة مرتين في العام واحدة في الربيع وثانية في الخريف.

وهي هنا قليلة لم أرها إلا مرة واحدة في هذا المكان.

وارتفعنا مع الطريق لتقف السيارات في فضاء متسع من الأرض وجدنا فيه جمعاً حاشداً من الناس على رأسهم رجل كنت قد عرفته منذ سنين بل ربما كان من أوائل الأشخاص الذين جاؤا إلينا في الجامعة الإسلامية طالبين منحاً دراسية وكتباً وهو الحاج (موسى قرسيا) رئيس جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيريا، وهي جمعية غير كبيرة إلَّا أنها تدعو إلى تنقية العقيدة من الخرافات. وقد تجمع القوم حول لافتة كبيرة مكتوبة بالعربية (مدرسة التربية الإسلامية العربية والانكليزية ص.ب. ٦ كاكاتا) وتحتها كتبوا ذلك بالإنكليزية.

مدرسة التربية الإسلامية في كاكاتا

في موكب استقبال الأهالي قرب مسجد كاكاتا في ليبيريا.

وكان الحاج موسى يرتدي الملابس العربية كاملة ما عدا العباءة فعلى رأسه (غترة) حمراء أي شماغ وفوقه عقال.

وبعد السلام والمصافحة، وبعض المعانقة قالوا لنا وهم يشيرون إلى مسجد بجانبهم: إلى الصلاة إن وقت الظهر قد حان، فقلت لهم: إنني أحتاج إلى وضوء. فأخذني الشيخ الحاج موسى إلى بيته ناحية من هذا المكان ودخل إلى بيته ثم أسرع بإبريق من المعدن قد ملأه ماءً وهو يشير إلى (صندقة) منفردة عن البيت، بل هي تقع بين عدد من البيوت ويقول كالمعتذر: نحن لسنا مثلكم نحن تنقصنا بعض الأشياء.

وكانت هذه فرصة للإطلاع على طريقة القوم في بناء هذا الأمر واستعماله لا تواتي إلا عند حاجة كهذه.

كان المكان على هيئة غرفة صغيرة مصنوعة من الصفيح رفعوا جانباً منها لهذا الغرض. وفي مكان آخر مكان متسع قد أعد للاستحمام، وفي (الصندقة) صابونة وإبريق قديم.

والمكان لم تدخله أنابيب الماء ومع ذلك هو نظيف نظافة ملفتة للنظر إلا أن المكان المرتفع تفوح منه رائحة شبيهة برائحة قد نسيناها وكنا نعرفها في بعض هذه الأماكن في البلاد العربية قبل وجود الطريقة الحديثة في البناء. وقبل دخول أنابيب المياه إلى البيوت.

ثم عدنا إلى المسجد وإذا بالقوم ينتظرون وقد كاد يكتظ بهم المسجد فأم الجميع لصلاة الظهر زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان، وقد عرَّفناهم بأنه إمام في مسجد قباء فكبروا لذلك وأعظموه.

وصلّت النساء خلف الرجال وهن متسترات تستراً ملفتاً للنظر.

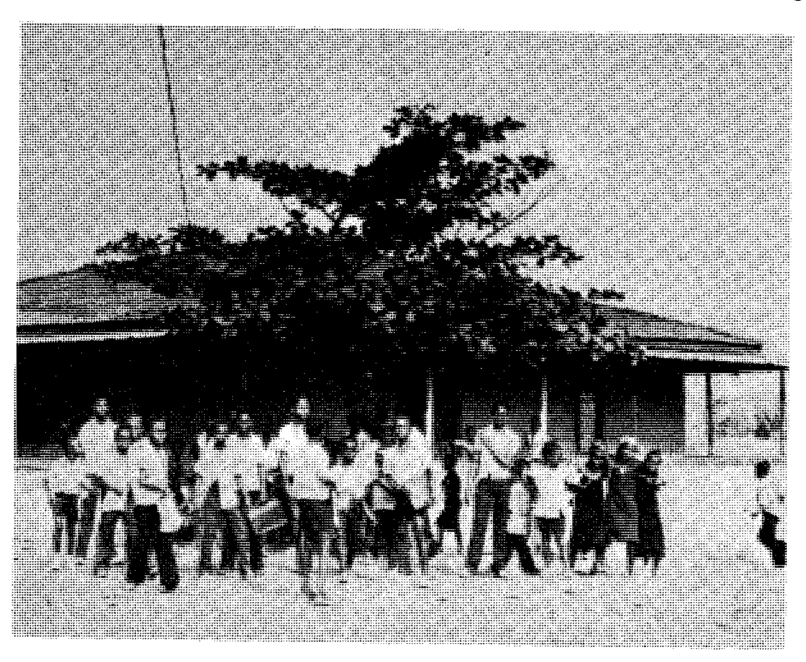

مسجد الجامع في كاكاتا ليبريا.

حفـل المدرسـة :

ثم كان الخروج من المسجد والسير بين صفين من طلاب المدرسة ما بين ذكور وإناث، وقد جعلوا الكبار في آخر الصفين والصغار في أولها، وهم في هذه الأثناء ينشدون من خلال مكبر للصوت يحمل في اليد نشيد: (طلع البدر علينا) الخ.

حتى فرغنا من الطواف ببناء المدرسة وغرفها وهي من الطين المطلي بالإسمنت يجللها سقف من الصاج ذو جوانب ضافية قصد منها أن تقي الحيطان من المطر.

ورأينا منهج الدراسة فيها مكتوباً بالعربية وحدها، وكذلك اللافتات على الفصول بغرفها الإعدادية والابتدائية.

وقد فعلوا شيئاً أرادوه حسناً. ولكن لم يكن كذلك من كل وجه وهو أنهم جددوا طلاء السبورات بصباغ أخضر إلا أنه لم يجف فكان على بعضنا أن يحذر بعضاً من الاقتراب منه لئلا يلطخ الثياب.

وكان بعض مدرسي اللغة العربية يشرحون لنا ما نريد معرفته من أمر المدرسة ومنهم (اسماعيل موسى صديق) مدرس النحو في المدرسة وعربيته قوية على خلاف من يكونون قد تعلموا العربية في هذه البلاد ولكنهم لم يتمرنوا على التحدث بها، فسألته عن المكان الذي تعلم فيه العربية؟ فقال: إنه الجزائر.

وكنا نتنقل في المدرسة ونحن لا نكاد نستطيع ذلك من شدة الازدحام علينا من الطلاب وغيرهم.

وقالوا لنا إن عدد طلاب المدرسة هو أربعمائة وخمسون، وإن عدد مدرسيها هو ١٦ وإن نفقاتها هي من تبرعات المحسنين ومن رسوم قدرها (٣٠) دولاراً في السنة يأخذونها من الطلاب القادرين. وإن شهاداتها مقبولة من الحكومة.

وفي نهاية ذلك طلبوا أن نجلس لنستمع إلى تلاوة قرآنية قصيرة من بعض الطلاب فقرأ الطالب (عبيدالله كروما) سورة الفاتحة قراءة جيدة إلا أنه لم يكن يخرج الحروف الحلقية من مخارجها الصحيحة، وقرأ بقراءة ورش التي يقرأون بها في أقطار المغرب الإسلامي.

ثم تلا أحد الطلاب أيضاً سورة العصر واسمه محمد كاكا كمارا تلاوة غير جيدة وأعقب ذلك بتفسير باللغة الانكليزية.

وقد لاحظت أنهم لا يعتنون بتلاوة القرآن كثيراً، أو هذا هو ما ظهر من تلاوة الطلبة الذين سمعتهم. ثم ألقى أحد الموظفين كلمة ترحيب بالعربية.

كما أن رئيس جمعية الدعوة الشيخ الحاج موسى قارسيا. قد أوضح بعض النتائج الطيبة حول انتشار المتخرجين من هذه المدرسة الذين يقومون الآن بالدعوة إلى الله تعالى في كلمة مكتوبة. وكان يقرأ وبعض الطلبة غيرمنضبطين، وطائفة من الناس يتحدثون ويزعجون مما يعني عدم السيطرة على الحفل.

وفي نهاية هذا الاحتفال القيت كلمة فيهم قاطعوها بالتكبير في كثير من الأحيان، والتقطوا صوراً تذكارية.

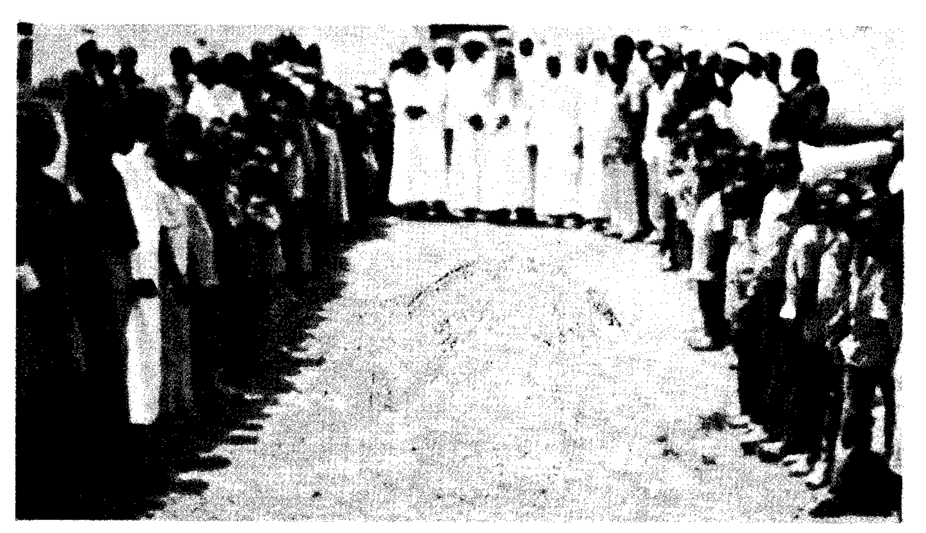

صورة تذكارية للوفد مع مدرسي مدرسة التربية الإسلامية وطلابها في كاكاتا.

مائدة إفريقية :

ومن حفل المدرسة انتقل الموكب راجلاً لأن الطريق ما بين المسجد وبيت الشيخ موسى قرسياً غير صالح لسير السيارات ؛ وإن كان فضاء واسعاً إلا أن فيه مرتفعات ومنخفضات ، وجانب منه أرض ذات حشائش طبيعية كثيفة.

وقال الشيخ موسى وهو يشير إلى هذا الفضاء المتسع من الأرض وإلى بيوت تطيف به من بينها بيته هو: إن هذه الأرض كلها لنا نحن المسلمين اشتريناها من الحاج (فامو يا) بعشرة آلاف دولار وهو الذي تبرع ببناء المسجد فيها ، وقد أقمنا بعض البيوت عليها نسكنها. وبقي منها هذا الفضاء الذي تراه.

كانت البيوت التي فيها بيوتاً إفريقية حقًّا مقامة من الأعواد التي أمسك ما بينها الطين ثم طليت حيطانها بالطين أيضاً وفوق ذلك السقف المسنم المعتاد من الصفيح.

ودخلنا إلى بيته ومعنا موكب كبير من المدعوين والمتطفلين والمتفرجين، وكانوا قد أوعزوا إلينا عندما أبدينا التمنع عن الذهاب إلى بيته بأن الغداء جاهز ، وأنه سيكون عنده.

فرأيناه بيتاً إفريقياً إلا أن تفصيله شبيه بتفصيل البيوت العربية إذْ يلج الداخل فيه إلى قاعة مسقوفة قد أحاطت بها الغرف وقد وضعت ستارة من القماش على باب إحدى الغرف وكتب فوقه بالعربية تحتها الانكليزية : (ممنوع دخول الرجال الأجانب إلى هذه الغرفة).

وقد فرشوا في ركن من القاعة حصيراً عليه حشايا ووسائد نظيفة مريحة أجلسونا عليها ومن اعتبروه كبيراً من قومهم ، وكان الطعام معداً على مائدة مرفوعة عن الأرض.

أتوا بالطعام في أوانٍ كبيرة وخيل إليَّ أنه لن يكفي ربع الموجودين وهذا

طبيعي إذ من ذا الذي يستطيع أن يستضيف هذا الجمع الحاشد ولكن الطعام حلت فيه البركة وكان مؤلفاً من نوعين رئيسيين يجمع بينهما جامع واحد، أحدهما فيه لحم دجاج محليٍّ قد قلي أو طبخ بالزيت والآخر بيض قد قلي أو طبخ بالزيت والزيت في كلا الإنائين كثير جداً بل إن الطعام يسبح فيه.

وجاؤا بخبز شامي قالوا: إن اللبنانيين أدخلوا صناعته إلى هذه البلاد، ومعه شيء من الخبز الإفرنجي ثم جاؤا بطبق واسع سكبوا الزيت الذي في أحد الإنائين فيه فكان العدد الكبير ممن تغدوا يأخذون القطعة من الخبز ويغمسونها في الزيت ويأكلون، وأما نحن ومن كانوا في مقدمة المائدة معنا فقد كان لنا النصيب الأكبر من اللحم والبيض والخبز اللبناني الأصيل بالطبع، وأكلت من البيض لأنني لست ممن يؤثرون لحم الدجاج على غيره. كما أنني من الموسوسين في نظافة الطعام وأوانيه.

وكان الزيت ذلك من الفول السوداني. وكان الشراب من ماء مجلوب من خارج البيت ومن زجاجات من الأشربة الغازية.

وكان الأغرب من ذلك بالنسبة لمن لا يعرفون العادات الإفريقية مثل الشيخ عبد العزيز الربيعان هو طريقة غسل الأيدي والأفواه بعد الطعام. وهي أن يأتوا بإناء فيه ماء يسقطون فيه قطعة من الصابون، ثم يأخذ كل واحد من القوم بلمس الصابونة وتحريكها في الماء ويغسل يديه ويمسح فمه بهما، ثم يعيد يديه يغسلها وسطه ويأتي ثانٍ ويفعل مثل فعلته أي: أنه في الحقيقة يغسل يديه بما سقط من يدي من سبقه وهكذا الثالث والرابع الخ.

وهذا أمر لا أستطيع أنا مشاهدته إلّا أن أقسر نفسي على ذلك من باب الإطلاع، واستعنت على تنظيف يدي وفمي بعد ذلك بالليمون البنزهير الموجود لديهم بكثرة، إذ لم أجد ماءً جارياً.

وانتقل هذا الجمع الكبير من بيت الشيخ موسى قرسيا وقد تغدى منهم من

تغدى من المدعوين أما الفضوليون فقد استعاضوا بالفرجة عن الطعام. وكان من نلمحه من النساء في هذا الجزء من البلدة من المتسترات، وليس معنى ذلك أنهن متحجبات فالحجاب هنا غير معروف.

وسار بجانبي مع الضيف رجل كهل قدمه الشيخ موسى قرسيا بقوله: إنه ابن الحاج حبيب شريف رئيس المسلمين في البلدة واسمه رشيد بن حبيب شريف وقال هو فيما ذكره من أمره: إنه تاجر الماس. وأنه إلى ذلك يملك أشجاراً من أشجار المطاط. وهو عضو في جمعية المؤتمر الإسلامي الليبيري وله عمل إسلامي آخر فهو المسئول عن العلاقة بين الطلبة وأساتذتهم في مدرسة والده حبيب الشريف.

واستأنفنا السير:

في الساعة الثالثة إلا ربعاً من بعد الظهر قاصدين جهة الشمال الشرقي من العاصمة. فكانت أشجار المطاط تسايرنا على طول الطريق، ولم يكن يختلط بها إلا شجيرات قليلة من الموز لا تكون بينها وإنما تكون في مساحات من الفراغ منها، ولم يكن المرء يرى كثير أناس إلا أن الذي يلفت النظر هو أن بعض الذين يراهم قد تخففوا من القميص في وسط هذا النهار، واقتصروا على السراويل فبدت أجسادهم الآبنوسية اللون مشدودة غير مرتخية ولا مترهلة.

ومررنا ببعض القرى الصغيرة ورأيناهم قد اتخذوا لهم بجانب البيوت المعتادة مظلات أو كالمظلات من القش هرمية الأعلى ليس لها حيطان فهي بهذا تشبه الخيمة والذي يكون فيها يكون قد اتقى الشمس من دون أن يحرم جسمه من الهواء.

والمعروف أن هذه كانت بيوت الإفريقيين في قديم الزمان.

نافلي:

وقفنا في قرية تسمى (نافلي) لمشاهدة مسجدها ومدرسة صغيرة قالوا إنها

موجودة فيها. فلم نر طلاباً في المدرسة، وإنما قابلنا شخصاً قال إنه مدرس اللغة العربية فيها اسمه (محمد عبد الوهاب كانيه) قال: إنه تعلم العربية في مدرسة إسلامية في سيراليون.

وأما المدرسة فاسمها (مدرسة فامويا الإسلامية) على اسم (الحاج فامويا) رئيس المجلس القومي لمسلمي ليبيريا لأنه الذي تبرع بها.

أما المسجد فإنه ليس بالكبير أرضه مبلطة ببلاط أبيض وأسود، وذلك أمر قليل في مساجد هذه القرى وإنما الغالب عليها أن يكون المسجد مبلطاً بالاسمنت. وفي محرابه كوة صغيرة إلى جهة القبلة وهو أمر اعتادوا عليه في هذه البلاد لم أعرف سببه.

ودخلنا بيتاً جيداً مؤثثاً تأثيثاً جيداً أيضاً ينطق بالثراء ولم نعجب لذلك عندما أخبرونا أنه للحاج فامويا المذكور. وقالوا: إن له فيه زوجة أيضاً.

وقد أخبرونا أن أهل هذه القرية أو هذا الحي منها كلهم مسلمون، لا أدري أي الأمرين قالوا.

وعدنا إلى السير مع طريق مسفلت سفلتة جيدة وذي سعة مناسبة لا يشتكي السائر عليه منه ضيقاً فكانت السيارتان تلتقيان فيه وهما مسرعتان دون أي خوف من الضيق. وهذا الطريق يستمر إلى حدود جمهورية غينيا مع ليبيريا.

صحراء من الغابات :

هذه الغابات الكثيفة الأشجار، المطبقة الخضرة، التي لا يمكنك أن ترى فيها لون التراب إلا إذا كان قد أثاره مثير، ذات الأشهر المطيرة، والمياه الكثيرة، والسكان القليلي العدد، والمساحة التي لا بأس بها في الاتساع هي في نتيجة الأمر بالنسبة إلى ما يحتاجونه من طعام وغذاء كالصحراء عندنا لا تنتج

من ذلك ما يكفيهم، ولا ما يقارب كفايتهم.

فهم يستوردون من جارتهم غينيا المسلمة حيوانات اللحم كالأبقار والأغنام. ويستوردون من غيرها من البلدان غذائهم الرئيسي (الأرز) . أما الخضار فليس عندهم منه إلا قليل من الفاصوليا، وإنما يعتمدون على الخضروات المعبأة في العلب المستوردة من الخارج.

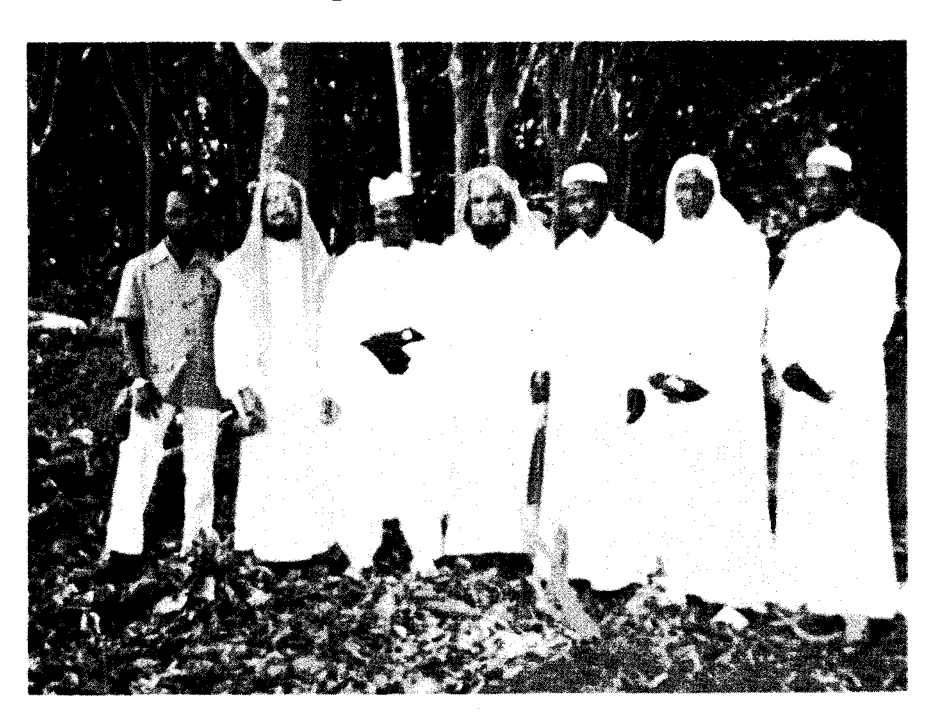

بين أشجار المطاط في ليبيريا الحاج سيكو بيلي نائب رئيس المجلس الإسلامي الثالث في اليسار على يمينه المؤلف وعلى يساره الشيخ الربيعان.

وتسأل عما تنتجه هذه الغابات الهائلة فيجيبونك بأنه المطاط والكاكاو وزيت النخيل ويقولون: إن هذه تأتي لهم بالنقود فيشترون بها ما يحتاجون إليه من لحوم وأرز و(خضروات) في هذا الجو الأخضر.

وتسألهم عن بقية هذا البحر الخضم من النباتات الخضراء؟ فيقولون: إنها حشائش وأعشاب مما تنبته الغابات.

وتقول لهم: لماذا لا تكثرون من تربية المواشي من الضأن والماعز والبقر التي تعيش على هذه النباتات؟ فيسكتون ولا يجيبون. فتتعجب أنت وتقول: (لله في خلقه شئون).

وكانت السيارات الأمريكية المكيفة الهواء التي يملكها الأغنياء من إخواننا المسلمين تمعن في السير في طريق مريح فمررنا بقرية فيها أشياء ملفتة للنظر منها منظر ملابس منشورة في الشمس على أرض ترابية ليس فيها من العشب شيء لأنهم قد أبعدوا الحشائش (المقرفة) في نظرهم عنها، وامرأة قد تركت نصفها الأعلى كله عارياً تماماً مع أنها شابة. وأكواخ إفريقية قليلة ذات شكل هرمي بين البيوت المعتادة الكثيرة ذات الأسقف المسنمة.

ومررنا بمكان قد قطعت منه أشجار المطاط فقال لي الأخ (كوفومبا كونيه) إن هذه مزرعة لزوجة رئيس ليبيريا السابق وإن هذه الأشجار المقطوعة يغرسون مكانها نخيل الزيت والموز لأنها تغل الآن أكثر مما تغله تلك بكثير.

ومررنا بقرية تسمى (توتوتا) تعتبر مركزاً تجارياً في تلك المنطقة. ورأينا فيها مما يلفت النظر لبناً ـ جمع لبنة ـ من الطين مضروباً ومتروكاً ليجف في الشمس مع أن هذا الجو استوائي رطب لا يصلح البناء فيه بالطين إلا أنهم يعالجون أمره بتسقيفه بالصفيح وجعل السقف أكبر من البيت حتى يقي الطين من المطر. وذلك أرخص لهم، وأسهل لديهم من لبن الإسمنت وان كان لبن الإسمنت أقوى وأطول عمراً.

ليس في (سواكوكو) كيف!

ووصلنا بلدة اسمها (سواكوكو) وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة فصلينا في مسجدها صلاة العصر. ووقف عندنا بعض أهلها وبخاصة من المسلمين وكلمنا شخصين أو ثلاثة فوجدناهم لا يعرفون اللغة الانكليزية اللغة الرسمية للبلاد، وإنما يعرفون لغة قبيلتهم (الماندنقو) فطلبنا فنجاناً سريعاً من القهوة أو

الشاي نشتريه فقالوا: إنه لا يوجد فيها مكان لبيع ذلك.

أما الفاكهة فذكروا أنه لا يوجد للبيع فيها إلا الموز، ولكن الموز الذي رأيناه عند امرأة بائعة لم يكن جيداً فتركناه وقال لنا إخواننا: إنه يمكننا أن نشتريه من إحدى القرى التي أمامنا وقالوا: إن المسلمين في هذه البلدة أكثر من المسيحيين ومن الوثنيين.

وازدادت أشجار المطاط كثافة وأصبحت هي الغالبة على الطريق إلا أننا لمحنا فرجة بين تلك الأشجار ذكروا أنه يوجد فيها أحواض صغيرة من الأرز. وأشجاراً من أشجار العمبة (المانقو).

ومررنا بقرية (كولي تاون) سميت بذلك لأن كولي وهو عسكري من عرض العسكر كان أول من سكن فيها فأضيفت إليه وسموها (تاون) بمعنى مدينة، وهي لا تصل إلى ذلك، ولكنني عرفت بعد ذلك أن معنى كلمة (تاون) لا يقتصر في لغتهم على معنى مدينة وإنما يشمل المكان الذي يسكن ولو كان صغيراً كالقرية.

ولم نقف فيها ولكنهم أشاروا إلى مستشفى فيها غير بعيد من الطريق قالوا: إنه مستشفى للنصارى أسسه الدعاة إلى النصرانية الذين يسميهم بعض الناس بالمبشرين.

وبعدها مررنا بقرية أخرى لم نقف فيها أيضاً تسمى (مليكي) أكثر ما فيها من الأشجار نخيل الزيت.

هذه بانقا:

وهي مدينة هامة إذْ هي عاصمة مقاطعة (بون):

وصلناها بعد أن قطعنا من (منروفيا) مسافة مائتين وخمسة كيلات ووجدنا في مدخلها حاجزاً من الجنود يوقفون الناس ويطلعون على جوازاتهم غير أنهم لم

يطلبوا جوازاتنا لأن (الحاج سيكو بيليتي) النائب الأول لرئيس المجلس القومي لمسلمي ليبيريا هو من أهل هذه المدينة أخبر الجنود بأننا وفد سعودي رسمي. ورأينا فيها قليلاً من زراعة الأرز وأشجاراً ضخمة من العمبة (المانقو).

ثم عطفنا مع ناحية ذاهبة إلى يسار الطريق المسفلت فأوقفنا موكب السّيارات، وجعلنا نتبع إخواننا وهم يخوضون في أعشاب وحشية ندية متشابكة في الأرض ذكروا أنها لا ينتفع بها حتى وصلنا إلى بناء اسمنتي واسع قد انتهى بناء الحيطان فيه، ولم يبق إلا أن يوضع عليه السقف، وقالوا: إن هذه هي مدرسة (بانقا) الإسلامية الانكليزية. بمعنى أنها فيها دراسة مدنية ودينية كما قدمنا ذلك في مثلها. وتسمى (مدرسة الشباب المسلم) لأن جمعية الشبان المسلمين تشرف عليها فيما قالوا لنا.

وقدموا رئيس جمعية بناء المدرسة من أهل البلدة واسمه (الحاج كلفاهو دونسون) من جمعية اتحاد المسلمين الليبيرية قال: إنهم حتى الآن صرفوا على بنائها بالضبط (٢٩) ألف دولار. وقلت أنا في نفسي: لو كان مثل هذا البناء في بلادنا لاحتجنا إلى أن نصرف عليه أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة.

وكان من بين الحاضرين المستقبلين (الحاج موسى كمارا) قالوا: إنه رئيس المسلمين في المقاطعة وقد ارتدى قميصًا عربياً أو على الأدق عندهم (مادنقويا) نسبة إلى قبيلة (مادنقو) وفوقه جبة حول جيبها زينة من خيوط من القماش لامعة، وقد وضع على كتفية (غترة) سعودية، وعلى رأسه طاقية ذات لون أرجواني فاقع.

سألناه عن نسبة المسلمين في هذه المنطقة والجميع يسمعون وقد يعلقون أو يعترضون ثم يسكتون فأجاب: إن نسبة المسلمين تبلغ حوالي ٤٨ ٪ وهذا يعني أن الأغلبية النسبية فيها لهم، وإنما المفاجأة أن الأغلبية بعدهم هي للوثنيين، وأن الأقلية فيها هم من المسيحيين.

وسألتهم عن المجموع الكلي لسكانها فلم أرهم يعرفون، بل لم أرهم بذلك يحفلون، لأن بعضهم أخذ يلتفت إلى بعض وهم يستفهمون. إلى أن أنقذ الموقف أحد المثقفين، وقال: إن لدي كتاباً يوضح كل ذلك وسوف أخبرك به في المستقبل، ولكنه لم يفعل.

أما المدرسة فإن ما تم من بنائها هو جيد وفصولها واسعة وتتبعها أرض فضاء. وتقدم أحد الأشخاص وقال إنني مدرس اللغة العربية في هذه المدرسة، وقال: إن اسمه ابراهيم شريف وإنه قد درس العربية في غينيا.

ثم أطلعونا على المخطط العام لبناء المدزسة وما يتبعها من المرافق، إلا أنهم قالوا: إن العمل فيها متوقف الآن لنفاد ما جمعوه لها من نقود.

وقالوا: إنهم كانوا قد تسلموا مبلغ ثلاثة آلاف دولار مساعدة من رئاسة الإفتاء والدعوة في المملكة بواسطة سفير المملكة في كوناكري في العام الماضي.. وكذلك خمسة الآف دولار من المؤتمر الإسلامي في جدة.

وسألتهم عن هذه الحشائش المشتبكة في الأرض أيستفيدون منها؟ فقالوا: إنهم لا يستفيدون، فقلت لهم: لماذا لا تربون عليها حيوانات للحم؟ فقالوا: إننا نستوردها من غينيا. قالوا ذلك وهم لا يبالون.

نصف المدرسة عارية :

وعارية: من الإعارة وليس من العري.

من هذا البناء الذي لم يتم، بل هو متوقف لعدم النقود التي يمكن بها مواصلة البناء انتقلنا إلى المدرسة العاملة أي: المدرسة التي يبنون لها هذا المقر الجديد. فإذا بها فوق تلة عالية، وليس فيها اليوم طلاب بسبب العطلة بمناسبة عيد الأموات، أو «يوم الأموات» وليس في المكان القريب منها أشجار من المطاط وإنما هم قد نظفوا ما قرب منها من الحشائش والأعشاب حتى غدا في

نظرنا أرضاً كئيبة المنظر وفي نظرهم نظيفاً بهيجاً وذلك بمقارنته بسائر أرضهم التي لا يستطيع السائر فيها أن يسير الا بصعوبة بسبب تشابك الأعشاب. وليس في الفناء إلا عدة أشجار صغيرة من المانقو.

وقالوا وهم يطوفون بنا أنحاء جزء من بناء المدرسة ونحن نريد ـ عفواً ـ أن نذهب إلى الجزء الآخر بعد أن انتهينا من الأول: إن هذا الجزء ليس لنا، إنه ليس تابعاً للمدرسة وسألتهم: كيف يكون نصف البناء للمدرسة ونصفه ليس لها؟

فأجابوا إن البناء كله مملوك للحكومة ولكنها أعارتهم نصفه يبقون فيه حتى ينتهي بناء مدرستهم التي بدأوا بها.

وقالوا: إن تلك العارية أيضاً مؤقتة، ولا نضمن ألا تحتاجها الحكومة فتخرجنا منها.

وهذا من عجائب هذه البلاد، وسبق ذكر مثله في المسجد الذي استؤجرت أرضه لمدة عشر سنوات والمدرسة التي أعطيت أرضها عارية لمدة عشر سنوات أيضاً.

وقدم لنا صاحبنا ومرافقنا (الحاج سيكو بيلتي) والده الحاج ابراهيم وقالوا: إن عمره الآن ٧٨ سنة ولكنه نشيط الجسم، جيد الصحة.

وتركنا منطقة المدرسة الإسلامية ما كان لها معاراً مؤقتاً. وما كان لها مبنياً وما كان لها مبنياً مؤقتاً.

وقالوا لنا: ونحن كذلك: إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قد اعترفت بشهادات هذه المدرسة وعادلتها ببعض المراحل قبل الجامعية فيها بعد أن اطلعت على مناهجها.

فمررنا بمستنقع صغير من الماء ولكنه نظيف قالوا: إنه ليس من المطر ولا من

الأوساخ وإنما هو من الأرض لأن مستوى الماء فيها قريب من سطح الأرض في الأماكن المنخفضة.

فقطعنا الطريق العام إلى قسم من البلدة واقع في أيمنه. فكان أول ما رأيناه منه منارة المسجد الجامع، وكانت أعلى بناء في القرية لأنها من ثلاثة أدوار متطابقة، ولأن بيوت البلدة في هذا الجزء كلها من دور واحد كما هي أغلب البيوت الإفريقية في الأرياف والقرى وخارج المدن.

وقرعوا الطبول :

رأينا الأهالي قد تجمهروا عند المسجد ينتظرون إخوانهم القادمين من المملكة العربية السعودية في أعداد كبيرة لم أكن أتصور أن البلدة تحفل بهم، وقد اجتمعوا رجالاً ونساءاً أغلبهن متسترات منفصلات عن الرجال لأنهن من المسلمات وفي مجتمع عام من أهل القرية، وبعضهن غير مباليات والظاهر أن هؤلاء هن من غير المسلمات.

وبينما كان الاستقبال على أشده والناس يكادون يقتتلون على مصافحتنا أخذ قارع يقرع الطبل فكان له صوت أفزعني لأنني لم أتعود عليه، ولم أعرف أن صوته يمكن أن يبلغ هذا المبلغ من القوة كأن أخواننا يريدون بذلك إظهار الابتهاج بهذا الاجتماع، ولكن متنطعاً من المتنطعين أسرع ينتهر قارعي الطبل بطريقة جافة وبصوت يحاول أن يجعله يعلو على صوت الطبل إلا أنه كان نشازاً ثقيلاً على السمع، وسكت قارع الطبل أو قارعوه مع طبلهم فلحق بنا المتنطع، فأعادوا القرع بصوت هائل فأسرع يوقفهم ويوبخهم، وربما ساعده غيره على ذلك فأوقفهم.

وأعجبني بناء المسجد في هذه الضاحية من البلدة فهو أحسن بناء فيها وقد جعلوا طلاءه أخضر ومنارته كذلك وكتبوا على أعلى المحراب الشهادتين والآية الكريمة (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وأما محرابه فإنه كبير واسع

فيه كوة في أمامه.

ومن الأشياء الملفتة للنظر أن المسجد قد علق في حائطه مجموعة من السبح ـ جمع سبحة ـ وسألت عمن بنى هذا المسجد؟ فقال أهل البلدة: إنه هذا الشخص الحاضر معكم (الحاج شيخو سواري) وصحح هو ذلك الأمر فقال: إننا جددنا بناءه والا فإنه كان يوجد في مكانه مسجد قديم احتاج إلى تغيير بنائه فأزلناه وبنينا هذا، وأنه قد ساعدني عليه مساعدون من أهل الخير، إلا أن بعضهم ومنهم مرافقنا الشيخ سليمان سعيد منصري مبعوث دار الافتاء قالوا: إنه هو الذي بناه وحده، ولكنه من باب التواضع وإخفاء العمل طلبًا للإخلاص قال إنه قد ساعده عليه غيره.

وقالوا: إن تاريخ بنائه كان عام ١٩٦٠م.

وسألتهم عما إذا كان يوجد غيره من المساجد في هذه البلدة فاختلفوا فبعضهم قال إنه المسجد الوحيد فيها وبعضهم قال إن عددها في البلدة ثلاثة حتى اختصم بعضهم مع بعض في هذا الأمر فما كان مني إلا أن سكتّ وانسحبت.

وفي خارج المسجد تجمع الأهالي يطلبون تعريفاً بضيوفهم السعوديين وتكفل الشيخ سليمان منصري بذلك فكان يتكلم بالعربية واحد الحاضرين يترجم ذلك إلى لغة المادنقو لغة الأغلبية، وهي اللغة الغالبة في هذه البلدة.

وعلقت على ذلك بكلمة قصيرة حييتهم فيها وبينت لهم الغرض من مجيئنا إلى هذه البلاد.

ثم التقط ملتقط منهم صورة تسجل هذا الاجتماع.

الوقود أغلا عندهم منا أكثر من عشرة أضعاف :

ووقفت السيارة عند محطة للوقود فسألتهم عن سعره فقالوا: إن (الجالون)

الواحد وجالونهم أمريكي يباع بدولارين و٩٥ سنتاً أي: بعشرة ريالات وإذا فالصفيحة تباع بخمسين ريالاً وهي في بلادنا تباع إذا كان من (البنزين) الممتاز بخمسة ريالات وربع وإذا كان من المعتاد كانت دون ذلك.

وليس العجيب في أمر البنزين هذا غلاؤه بالنسبة إلى بلادنا، ولكن العجيب هو أن المحطة هذه قد وجدناها في غرفة من الطين مغلقاً عليها بباب لا يفتح إلّا عند الطلب وذلك خوفاً ـ فيما يبدو ـ على هذا الشيء الثمين من الوقود.

وعاودنا السير مع الطريق الإسفلتي الجيد، وعادت ملاحظتنا على عدم وجود الحيوانات وبخاصة الأبقار فيه في هذا الجو الأخضر الشديد الاخضرار، وإنما رأينا بعض الماعز الصغير ودجاجات قليلة حتى الكلاب هي موجودة ولكنها قليلة أيضاً.

ووقفنا:

في قرية بالالا :

وهي قرية إفريقية أصيلة في إفريقيتها بدليل أننا وجدنا بعض النساء يطبخن عشاءهن خارج البيوت، وبعضهن يغسلن الأواني خارجها أيضاً. ولا أستطيع أن أقول في شوارعها لأنه ليس فيها شوارع بالمعنى المفهوم بل ربما لا يصح أن يقال أيضاً خارج أزقتها لأنه كذلك ليس لها أزقة، كما يكون للقرى والبلدان عندنا وإنما بيوتها قد نثرت نثراً على غير نظام فبعضها أمام بابه منزل آخر لا يفصل بينهما إلا ممر ضيق، وبعضها أمامه فراغ واسع وآخر أمامه زاوية من بيت غير مستقيم الزوايا.

وفيها أو لنقل بين بيوتها طائفة من الأطفال كثيرة يسرحون ويمرحون ولكنهم أمام ضيوفهم يكادون على هدوئهم يحافظون فليس هنالك إلا (البحلقة) من العيون التي هي شديدة بياض ما تحت الجفون.

وهم يتحلقون ويتابعون هذا الاجتماع ينظرون ويتعجبون، وربما كان أعظم ما يلاحظون ذلك اللون الذي يخالف ما كانوا يألفون، لأنهم لم يكن يأتيهم في قريتهم إلا الإفريقيون.

وفي أحد المتسعات، في هذه القرية ولك أن تسميه ميداناً إذا كنت لا يهمك أن تدقق في معاني الكلمات كل التدقيق رأينا شيئين من أشياء كثيرة ملفتة للنظر أولهما: منصة من الاسمنت على هيئة مائدة غير كبيرة وقد وضعوا فوقها طلعاً من طلع نخيل الزيت، ربما كانوا قد نشروه ليجف.

وثانيها: بيدر أي مكان مبلط بالطين وقد وضعوا عليه طائفة من شيء يسمونه (كسافا) وهو في شرقي إفريقية يسمى (موهوقو) وهو غير البطاطس فهذا يكون النافع منه في الأرض كالبطاطس، ولكنه لا يكون مكوراً أو قريباً من التكوير وإنما يكون مستطيلاً غير مستقيم كأنه جذوع الأشجار ويصنعون منه العصيدة، كما يصنعون منه إذا جففوه كما هنا دقيقاً يشبه دقيق القمح في كونه يعد ويخزن بعض الوقت للأكل.

ولاحظت أن أرضها والمتسعات بينها ليست كما ينبغي أن تكون عليه من النظافة

وقابلنا عدد من أهل القرية منهم إمام المسجد (محمد فوفانا).

وذهبوا بنا لمشاهدة المدرسة غير أننا وجدناها مغلقة، وعليها كتابة بالعربية بخط جميل: (مدرسة العربية والانكليزية ليوسف المتوفى) ولما سألتهم عن معنى ذلك قالوا: إن يوسف المتوفى هذا هو شخص كان له أثر كبير في إنشاء هذه المدرسة فسموها باسمه مدرسة يوسف ونظراً إلى أنه كان قد توفي أضافوا صفة (المتوفى) إلى اسمه الأول يوسف، وكأنهم لم يدركوا أن هذا الوصف ينطبق على ناس كثير يتوفون اللهم إلا إذا كان لا يوجد في قريتهم من اسمه يوسف وقد توفي. فكان هذا مما يميز ذلك الشخص عن غيره، وإذا كان الأمر

كذلك فماذا يكون الأمر بالنسبة لمن لا يعرفونه من غير أهل بلدتهم؟

وتحت هذه الكتابة العربية الجيدة كتابة رديئة بحروف كبيرة (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد).

وقالوا أيضاً: إن المدرسة قد أسست قبل ثلاث سنوات.

ومع هذه المظاهر التي هي أو بعضها موغلة في القدم فإن المرء لا يعدم شيئاً يذكره بالعصر الحاضر، وذلك في آلة وضعوها في حجرة وتقوم الآلة بتنقية الأرز من قشره، وتراهم قد جمعوا القش في ناحية ويضعونه في أكياس من الخيش والأرز الصافي كذلك، والأرز عندهم يشبه الأرز المصري من حيث شكل الحب قالوا: إن هذه الآلة (الماكينة) يملكها إمام المسجد.

أما مدرس العربي في المدرسة واسمه عثمان الحسن كوني، فإنه يعرف قدراً من العربية يمكنه أن يتحدث به.

وجاء رجل يسعى اسمه (سيكو كوني) قالوا لنا إنه رجل الفضل والإفضال فهو بنى المدرسة كلها من جيبه الخاص دون أن يساعده أحد، ولما سألتهم عن عمله أجابوا: إنه مزارع يملك أشجاراً من المطاط ونخيل الزيت والبرتقال والكاكاو.

أما رئيس القرية فهو الحاج (داود بيليتي) شقيق (الحاج سيكو بيليتي) نائب رئيس المجلس الإسلامي ومرافقنا في هذا الجزء من الرحلة.

شيء جميـل :

ومرة أخرى أقول مع هذا الذي ربما لا يبتهج له بعض الناس لكون أكثره متصلاً بالقديم فإني شعرت بالإرتياح شعوراً عجيباً، وهو ارتياح مبعثه الإعجاب بجهود هؤلاء الإخوة من المسلمين الذين لم نقم نحن بما يجب نحوهم من معونة إسلامية، وقد ساعدني على ذلك هذه العواطف الصادقة التي

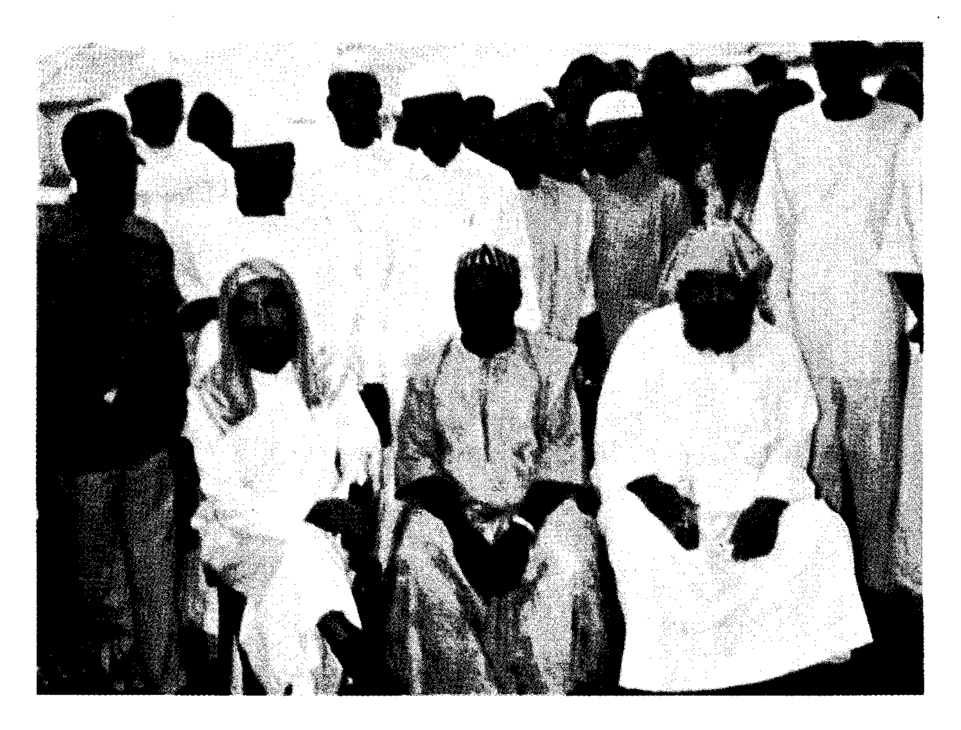

الأخ (سيكوكوني) الذي بنى المدرسة على يمينه المؤلف وعلى يساره الشيخ عبد العزيز الربيعان.

يبدونها لغير مصلحة دنيوية أو سياسية.

إضافة إلى الحب الغريزي في الإنسان لمعرفة ما هو جديد عليه. ورؤية الأشياء التي لم يألف النظر إليها.

وانتقلنا لمشاهدة مسجد القرية فكان من المناظر أثناء ذلك منظر نسوة من المسلمات متسترات بالنسبة إلى لباس غيرهن من الإفريقيات، وأعداد من البط تتبختر، وكأنها لم تأبه لحواجز الألوان في القارات فهي ذات لون واحد، ومنزل إفريقي بدأوا ببنائه بالأعواد وأكياس من الفحم معدة للبيع، وسمك مدخن أصفر اللون مع سواد معروض للبيع أيضاً، وملح غير نقي.

ووصلنا المسجد فقالوا لنا: إن الذي بناه هو (الحاج سيكوكوني) الذي بنى المدرسة بناه أيضاً من جيبه الخاص لم يشرك في بنائه أحداً.

ورأيناهم وسعوا محرابه كعادتهم بحيث يكون أوسع من المحاريب في مساجدنا أكثر من الضعفين. وكتبوا عليه الآية الكريمة (قد نرى تقلب وجهك في السماء) الآية.

وقد تجمهر حولنا جماعة من الأطفال أخذوا ينظرون إلينا بفضول وأخذت أنظر اليهم لأبحث عن أي أثر من آثار الأمراض التي قد تكون موجودة في هذا الجو الاستوائي الكثيف الأشجار فلم أر أيا من الآثار بل رأيت مظهرهم في صحة جيدة رغم كون النظافة في الأثواب والأبدان ليست لديهم هي الغالبة.

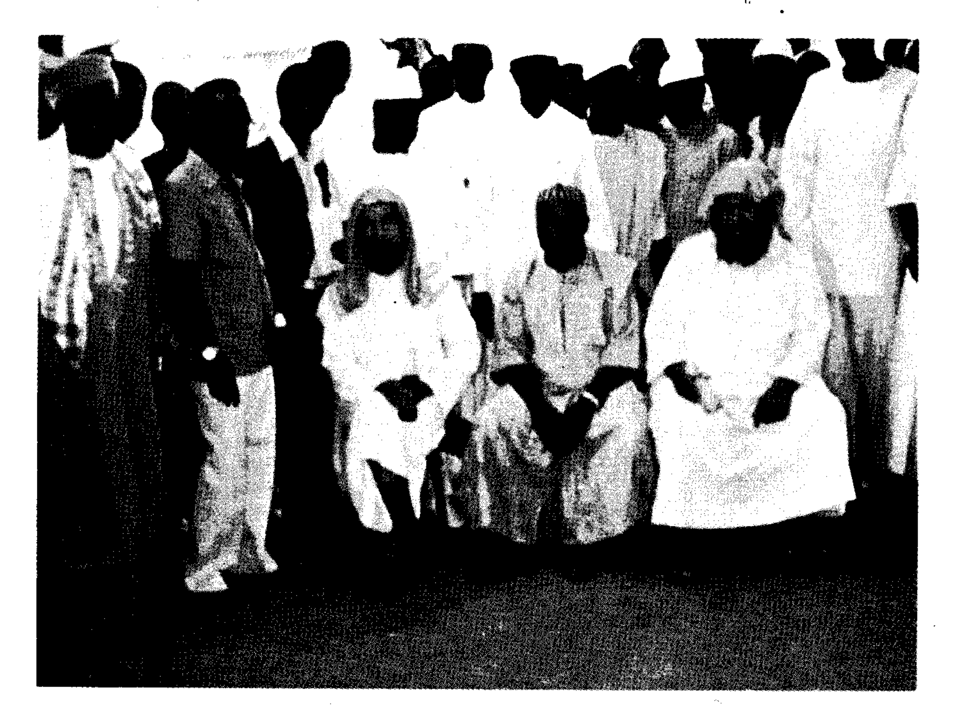

وفي هذه القرية (بالالا) جاء إلينا مستقبلون من سانقولي عاصمة مقاطعة (تمبا) فيهم رجل موريتاني اسمه (أحمد بن سيدي عثمان) قال: إنه يشتغل في تجارة الحجر، أي: الماس.

ثم عاودنا السير في هذا الطريق الجيد وعادت أشجار المطاط لمصاحبتنا على جانبيه غير أنهم هذه المرة قالوا إنها ملك لأخينا (الحاج سيكوكوني) الذي بنى مدرسة القرية ومسجدها.

ثم مررنا فوق جسر على نهر ليس بالكبير ولكن مياهه حمراء ملفتة للنظر فسألت عن السبب في كونها كذلك ؟ فقالوا: لكون شركة الحديد تستعمل مياهه في مصانعها. وهي تعمل في مقاطعة (نمبا) التي نحن متجهون إليها، وقالوا: إنها أكبر شركة في ليبيريا.

وقد رأينا شركة تعمل في إصلاح الطريق من بين العاملين فيها أناس من ذوي الأصل الشرقي الأقصى كالكوريين أو الفليبينين، وهم يعملون هنا كما يعملون عندنا.

كانتا أو كومبا :

هذه مدينة سألنا عن اسمها فأجاب أحد المرافقين في السيارة وهو الشيخ سليمان منصري مبعوث دار الإفتاء والدعوة إلى هذه البلاد بأنه (كانتا) وقال المرافق الآخر الأستاذ (كوفومبا كونيه) بأنه (كومبا) ولما استفسرت عن هذا الاختلاف في اسم هذه البلدة بل هذه المدينة أجاب الأخير بأن الصحيح هو الاسم الأخير لأنهم غيروا الأول إليه.

قصدنا إحدى ضواحي هذه المدينة وهي ضاحية أكثر أهلها مسلمون وقال لنا الأستاذ: (كونيه) وهو يشير إلى بيوت متفرقة: هؤلاء كلهم مسلمون.

كان وصولنا إليها مع غروب الشمس لذلك أسرعنا إلى رؤية المدرسة الإسلامية فيها، ويسمونها (مدرسة محمد دوما) ويشرف عليها إتحاد مسلمي ليبيريا وهي جمعية موجودة في مقاطعة (نمبا) يرأسها الحاج (محمد خير إبراهيم) وهو شاب نشيط يتكلم العربية ويفهمها جيداً.

وسألته وطائفة من أهل المدينة ووجهائها يسمعون عن نسبة المسلمين فيها؟ فأجاب: إنها ٥٧ ٪ يليهم في العدد الوثنيون إذ تبلغ نسبة المسيحيين فيها ١٥ ٪ والبقية هم من الوثنيين أو في التعبير الأدق في كلامهم هم من غير ذوي الأديان فهم لا يدينون بالإسلام ولا بالنصرانية.

وعندما وطئت أقدامنا أرض الضاحية هذه قرب المدرسة لفت نظري لون التربة فهي طينية كالغرين ولكنها صفراء كأنما صبغت بصباغ أصفر باهت.

واستقبلنا عند باب المدرسة نائب المدير وأحد المدرسين اسمه (محمود اسحاق تراولي) فبدأ بأن أرانا غرفة كبيرة قال إنها الفصلان الخامس والسادس وهما مجتمعان دون حاجز، إلا أنها غرفة واسعة.

في المسجد الجامع :

بعد الإنتهاء من تفقد المدرسة والتحدث مع بعض من كانوا فيها ركبنا السيارات عائدين إلى قرب الشارع الرئيسي قاصدين المسجد الجامع لأداء صلاة المغرب فوجدناهم قد انتهوا من الصلاة وقد كاد المسجد يضيق بهم وكانوا يخرجون إلا أنهم عندما رأونا عاد من كانوا قد خرجوا إلى الدخول.

وبعد أن انتهينا من الصلاة كان المسجد قد امتلأ بالحضور وربما كان غيرهم عند أبوابه ينصتون.

فقام الشيخ سليمان منصري يلقي فيهم تعريفاً بالعربية لأنه يريد أن يسمعنا ذلك، ولأنه لا يحسن لغة القوم وكان أحدهم يترجم كلامه إلى اللغة المحلية التي أظنها لغة مادنقو.

ثم ألقيت فيهم كلمة مختصرة مناسبة.

أما المسجد فقد كان مضاءاً بالكهرباء وليس فيه مراوح وكنا نشعر فيه بشيء من الحر والرطوبة لا سيما مع الزحام لكنه ليس كالحر في بلادنا الرطبة

مثل جدة أو الدمام، فحرها أكثر منه أضعافاً مضاعفة. ومع ذلك وزعوا علينا مراوح مصنوعة من السعف منقوشة نقشاً جميلاً، إلّا أنها ليست على هيئة مراوحنا بل بعضها مستدير، وليس له يد، وبعضها على هيئة رسم القلب فكنا نحركها فتبدد بعض الرطوبة.

والمسجد متوسط الفراش والنظافة قد علقوا في جوانبه بعض اللوحات العربية التي تتضمن بعض الآيات القرآنية، ولا شيء بغير العربية من اللغات.

وقد ألقى أحد مدرسي اللغة العربية في المدرسة كلمة طويلة بلغة عربية فصيحة كان من المقرر أن يلقيها في المدرسة غير أن ضيق الوقت منع من ذلك فألقاها في المسجد. وجاء فيها:

إن إخوانكم في هذه المنطقة، يرحبون بكم، ويعتبرون أن هذا اليوم من الأيام التاريخية في هذه المنطقة وإنكم لترون فرحتهم الغامرة بقدومكم في هذه الجموع الغفيرة منهم التي جاءت لتشترك في استقبالكم وتحيتكم.

وإننا لنرجو أن تطلعوا على المشروعات الإسلامية هنا المؤلفة من المساجد والمدارس الإسلامية وتروا حاجتها الماسة إلى المساعدة والمعاضدة على إكمالها فنحن نتجه بأنظارنا إليكم أيها الأخوة المسلمون في المملكة العربية السعودية لأن المسيحيين يجدون العون من أبناء دينهم على مشروعاتهم الدينية.

وقد رددت عليه بكلمة مناسبة أوضحت عمق الأخوة الإسلامية التي تربط بين المسلمين، وأنها أقوى من رابطة النسب، وأخبرتهم أننا لن نألوا جهداً في سبيل المشروعات الإسلامية، وأن حكومتنا تواصل تقديم المساعدات للمسلمين.

وخرجنا من المسجد وسط مظاهرة حاشدة اشترك فيها طائفة من أهل البلدة من جميع الأعمار.

وكانت العودة إلى المسير في الثامنة مساءً وكان الطريق هذه المرة غير

مسفلت إلا أنهم يعملون فيه سفلتة وإصلاحاً، وقد تركنا الجرارات الثقيلة وهي تعمل في سفلتة الشارع العام في هذه البلدة.

أما باقي الطريق فإنه طريق ممهد قد رصوا فيه الحجارة والأتربة القوية رصاً، ولكنه لم يكن بريئاً من الغبار والاضطرابات وطوله (٣٧) كيلاً.

وبعد ساعة كنا على مشارف :

مدينة سانقولي :

عاصمة مقاطعة نمبا وأوقفنا عند مدخلها حاجز للجوازات فيه عدد من الجنود اطلعوا على جوازاتنا ودخلنا المدينة في الساعة التاسعة.

وقصدنا أول ما قصدناه منها مسجدها الجامع وهو الجامع الوحيد فيها. إمامه الحاج سيمو جاذي. فوجدنا فيه طائفة من الإخوة المسلمين قد تحلقوا معهم المصاحف يتدارسون فيها القرآن وفرحوا بنا وانضم إليهم غيرهم، وكنا قد صلينا العشاء جمعاً مع صلاة المغرب في (كومبا).

فقام الشيخ سليمان منصري بالتعريف بنا أعقبه الرئيس محمد خير إبراهيم بكلمة مناسبة وقدم الأستاذ كونيه أعضاء الجمعية الإسلامية في هذه المنطقة إلينا. وعلقت على ذلك بكلمة مختصرة جداً وقد استغرق ذلك نصف ساعة انتقلنا بعدها إلى بيت في حي حديث من هذه المدينة الإفريقية التي تبعد عن العاصمة منروفيا بمسافة (٣٣٥) كيلاً.

فوجدناهم قد أعدوا فيه العشاء، وقال لنا (محمد خير إبراهيم) رئيس جمعية إتحاد المسلمين الليبيريين التي مقرها هذه المدينة (سانقولي) : أتريد العشاء قبل الاستحمام، أم الاستحمام قبل العشاء؟

واختار الجميع أن يكون الأول هو العشاء.

وكانت بنا حاجة إلى العشاء غير أنه كان إفريقياً دسماً ذكرنا بما كان العرب

يفعلونه فيما مضى من السنين إذْ كان من الأدلة الواضحة على تكريم الضيف عندهم أن يكثروا من الدسم في طعامه، بل كان يبلغ الأمر ببعضهم أن يصبوا السمن على الذبيحة ولو كانت كثيرة الشحم.

وهكذا كان الأمر مع إخواننا جزاهم الله خيراً فقد وجدناهم أحضروا طعاماً كثيراً يكفي لأكثر من عددنا أضعافاً وفيه اللحم نوعان ولكنهم أغرقوه بالزيت زيت الفول السوداني. وجعلوا معه من الفلفل الأحمر الحار الذي كانوا قد طبخوه معه ما جعله شهياً لا يكاد الآكل يشبع منه، ولكنه أيضاً يحتاج إلى طائفة من المناديل إذا أكله.

وأكلنا معهم هنيئاً فكان الطعام جيداً، وكان عماده الأرز واللحم والخبز.

وبعد الفراغ جاؤا بالإناء المعتاد لغسل الأيدي قد أسقطوا فيه قطعة من الصابون فأُسقط في يدي، ولم أرض أن أفعل ذلك على أنهم جزاهم الله خيراً قد بدؤا بي إلا أنني لم أفعل لأنني مثلما أنني لا أرضى أن ألوث يدي بماء غسل فيه الآخرون أيديهم وأفواههم فإنني لا أرضى أن أجعل من بعدي يفعلون ذلك بأنفسهم، ولو رضوا هم به.

وقمت عجلاً أبحث عن الحمام في هذا البيت الواسع الحديث فوجدته ووجدت الماء في أنابيبه ثجاجاً ثميراً فعدت مسرعاً قبل أن أغسل يدي كأنما قد اكتشفت سراً خافياً وأنا أقول لأحدهم: إن الماء موجود في الأنابيب، وإن (الحنفيات) تصب ماء يمكنكم أن تغسلوا أيديكم منه ولكنه تلقى ذلك بدون مبالاة، بل ربما بالرثاء لقلة إدراكي بأن ما فرحت به ليس اكتشافاً قد خفي عليهم، وإنما هو أمر عرفوا به قبل أن أعرفه، وأشار إلى الماء الذي في الإناء، والقوم يتعاقبون على استعماله قائلاً: غَسِّل، هذا الماء هنا.

ولم أعلق على قوله وإنما انطلقت أعدو إلى ماء الأنابيب، أخشى أن ينقطع قبل أن أستعمله، لأنني ظننت ـ خاطئاً ـ أنه ربما لم يكن حقيقة.

فوجدته وكأنني وقعت على كنز.

وقد أسعفني هذا الماء بالأنابيب مرة أخرى فقد كنت أشعر بالعطش وكانوا أكرمهم الله قد أحضروا زجاجات من المشروبات الغازية من الكوكاكولا والفانتا والميراندا وما يماثلها. فاكتفيت بذلك عن ماء الشرب لأن الذين يخدمون القوم كانوا يسكبون لهم الماء في كوب واحد أو كوبين للجميع وكانوا قبل ذلك يجربون درجة حرارته فيشربون منه بأفواههم عندما يخرجونه من الثلاجة قبل أن يقدموه لضيوفهم ورأيت أحدهم يحرك شيئاً فيه بأصابعه كأنه قطعة من الثلج.

وعدت أسأل عن هذا الماء الذي في الأنابيب من أين مصدره فلم يفهم مني ما أقصده أول سائل سألته، فطلبت ليموناً من البنزهير لأعصره فأزيل ما أشعر به من وسواس تجاه ماء الشرب، ولكنه قال: إنه لا يوجد إلا في السوق والسوق مغلق الآن فنحن فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة ليلاً. فلجأت إلى الأخ المثقف (كونيه) أسأله عما إذا كان هذا الماء صالحاً للشرب؟ فأجاب: إنه صالح لكل شيء لأنه من مصلحة المياه التي تعالجه ثم ترسله في الأنابيب إلى البيوت التي دخلها الماء.

ووجدناهم قد أعدوا لكل واحد منا غرفة واسعة فيها سرير مريح كل ما فيه من الأثاث جديد أو نظيف وكان للغرفة التي نمت فيها نافذتان كبيرتان قد سدتا بالأسلاك منعاً من دخول البعوض، وفي داخل الغرفة مصباح أزرق خافت الضوء لكي يجلب اليه البعوض إن تسرب إلى الغرفة.

ولم أشعر ببعوض يذكر، وتركت النافذتين مفتوحتين لأن الغرفة ليس فيها مروحة أو مكيف ومع ذلك كان الجو فيها مقبولاً لأن الهواء كان لطيفاً منعشاً إلا أنني في آخر الليل شعرت بالبرودة إذ نزلت زخة من المطر في منتصف الليل بردت الجو.

يوم الخميس: ١٤٠١/٥/٦هـ ـ ١٩٨١/٣/١٢م:

البرنامج يبدأ قبل صلاة الفجر:

تقرر أن يبدأ برنامجنا لهذا اليوم قبل صلاة الفجر إذ تتحرك السيارات إلى المسجد الجامع في سانقولي فيؤم زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان المصلين فيه صلاة الفجر، ويلقي بعد ذلك على المصلين فيه درساً في التوحيد وان تعقب ذلك كلمة مني قالوا: إنه ينبغي أن تكون بمثابة توجيه وكان ذلك وانقلب المجلس في المسجد بعد الدرس إلى برنامج خطابي كان مكبر الصوت يساعد على نقله فتكلمت بكلمة مبسوطة تضمنت تحية ووصية بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلانية.

وتكلم الأخ (الحاج محمد خير إبراهيم) رئيس جمعية اتحاد مسلمي ليبيريا في هذه المقاطعة بكلمة مطولة مكتوبة بالعربية. كما تكلم الأخ (كونيه) بكلمة مناسبة.

قبل طلوع الشمس:

وخرجنا من المسجد قبل طلوع الشمس لمباشرة الفقرة الثانية من البرنامج. وبينما كانوا يتهيئون للانتقال كنت أنظر فيما حول المسجد فأجد أناساً كثيرين يسيرون في الشارع بنشاط مما يدل على أنهم قد صحوا من نومهم مبكرين.

ومن ألطف ما في الأمر أنني رأيت أكثر من امرأة وهي تقف أمام بيتها وفي فمها (فرشاة) الأسنان تنظف بها أسنانها. وهو أمر شائع الاستعمال عندهم وربما كانوا رجالاً ونساء يستعملون تنظيف أسنانهم بالفرشاة أكثر منا نحن سكان الشرق الأوسط.

وسارت السيارات في هذا الصباح الندي اللطيف النسمات فالشمس حتى

الآن لم تعاود الظهور، قاصدين ضاحية في البلد تكاد تكون خالية من المساكن وذلك لمشاهدة بناء لمدرسة إسلامية ثانوية يسمونها (مسلم هاي سكول في سانقولي) فشاهدناه بناء جيداً محكماً بالاسمنت المسلح غير أنه متوقف منذ ثلاث سنوات لعدم وجود النفقة.

منظر المدرسة الثانوية غير المكتملة في سانقولي.

ويقولون: إنهم يحتاجون إلى المساعدة المالية من أجل إتمام بناء المدرسة هذه ومن أجل بناء مهاجع للطلبة من أبناء المسلمين الذين يوجدون في قرى أو أرياف بعيدة ولا يستطيعون التردد على المدرسة في كل يوم. وذلك على جزء من أرض واسعة مملوكة لجمعية المدرسة أرونا إياها.

وقالوا: إن هذه الأرض قد أعطتهم الحكومة إياها لهذا الغرض. وإن الحكومة تعطيهم أيضاً مساعدة مالية سنوية تعاونهم على القيام بشأن المدرسة

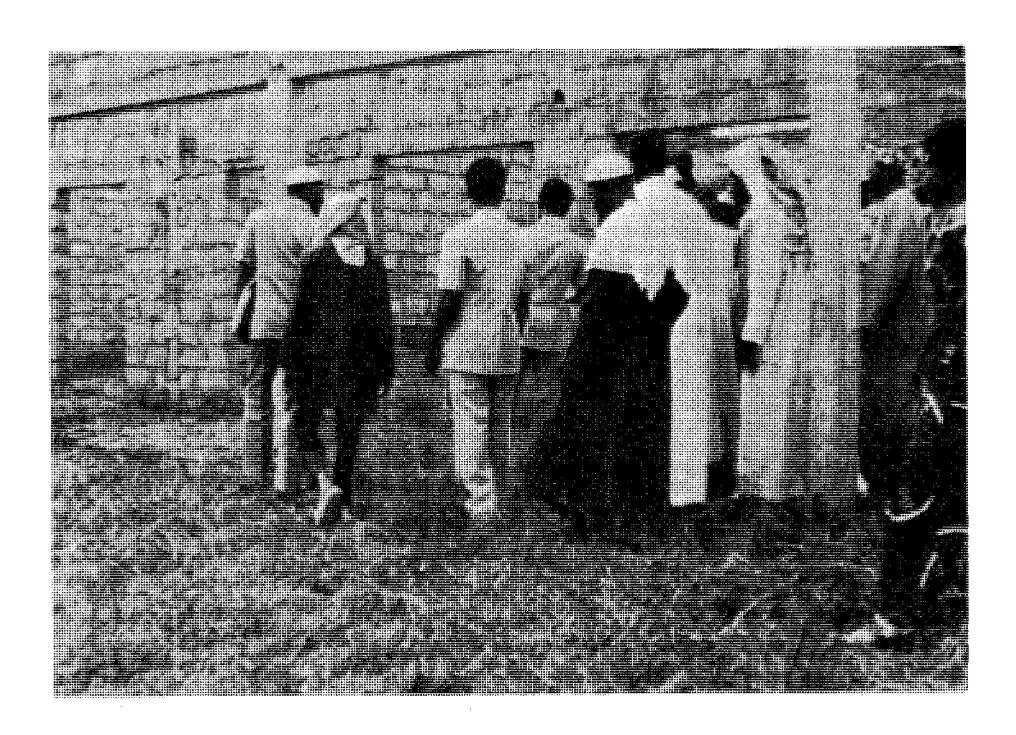

جانب من مبنى المدرسة الثانوية الجهة القريبة.

الموجودة حالياً وذلك لأنهم يقومون بجزء من واجب ملقى على عاتق الحكومة ألا وهو واجب تعليم أبنائها وهم يريدون ذلك لأنهم يدخلون الدراسة الإسلامية ومبادىء اللغة العربية على البرنامج العام ويختارون الأصلح من المدرسين لتدريس أبنائهم.

ذهبوا بنا إلى المدرسة التي تعمل الآن في مكان غير بعيد من هذا المكان وقالوا: إن عدد طلابها (٤٨٠) طالباً وإنها تضم الابتدائية والإعدادية و(١٤) مدرساً وفيها (١٤) فصلاً قد فصلوا بعضها عن بعض بجدار من الخشب المضغوط (الابلكاش).

ووجدناهم لم يكملوا بعض غرف القسم الابتدائي وذلك لقصور النفقة فمثلاً لم يركبوا حتى الآن نوافذها إلا أنهم بصدد ذلك وأرونا لبناً جمع لبنة

مبنى المدرسة الإعدادية لم يكمل

مخرقاً من الاسمنت قالوا: إنهم سيجعلونه في النوافذ ولما سألتهم عن السبب في اختيارهم هذا النوع للنوافذ مع أنه يدخل منه الغبار أجابوا بأن ذلك أكثر تحملاً من الأطفال لأنه لا ينكسر كالنوافذ الزجاجية والخشبية التي لا يستطيعون إلى شرائها سبيلاً لو أرادوه. أما الغبار فإنه يمكن تنظيفه في أوقات الجفاف التي قد تبلغ أربعة أشهر من السنة، وأما ما عدا ذلك من أيام فإنها أيام مطيرة أو شبه مطيرة لا يوجد فيها غبار.

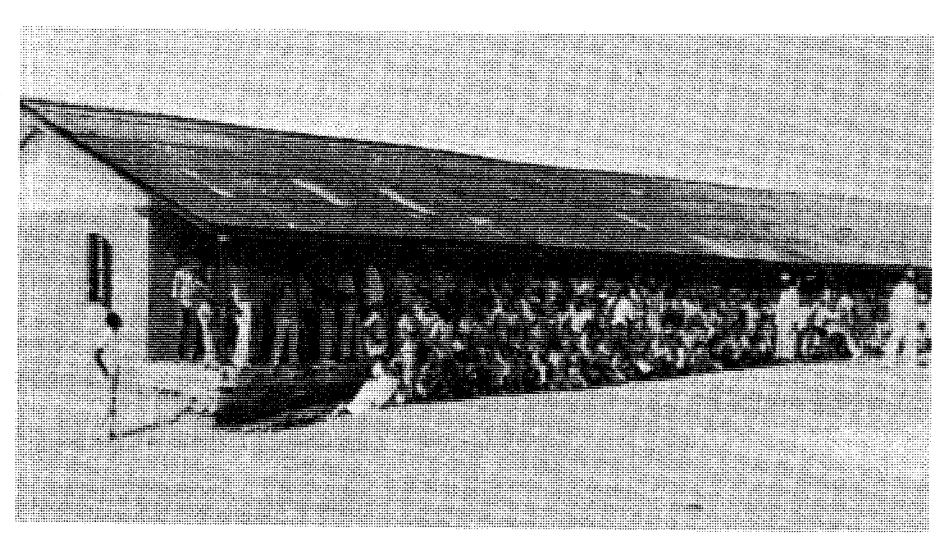

المدرسة الابتدائية والإعدادية في سانقولي

وأرونا ناحية من الأرض قالوا إنهم ينوون إقامة غرف للإدارة عليها. وأنهم سيقيمونها بلبن الاسمنت ويسقفونها بالصفيح.

وانتهينا من زيارة هذه المدرسة العاملة، ومشروع المدرسة الثانوية الذي قد وقف العمل فيه لقلة النفقة.

وكانت الشمس قد ارتفعت قليلاً، والغابات تسبح في غلائل من ضباب كثيف كان مصدره الرطوبة أو بقايا غيم منخفض من آخر الليل. وكان المرء لا يستطيع أن يسير إلا وهو يرفع طرف ثوبه عن الأرض لأنه يسبح في خضم من

منظر من الجولة في سانقولي

حشائش طبيعية ندية. إلا ما كان من الأماكن داخل باحات المدرسة أو ما قرب منها فقد كافحوا فيها الإخضرار إذ أحضروا إليها بعض الحصى والتراب حتى تكون في نظرهم جميلة وهذا من العجب العجاب.

إلى بلدة بابا :

كان موكب السيارات ينطلق في شوارع مدينة (سانقولي) للذهاب منها إلى قرية (بابا) وكان الطلاب والطالبات من أهلها يذهبون مبكرين إلى مدارسهم، وقد ارتدى كل واحد منهم زياً نظيفاً جداً، وهو في بدنه على غاية من النظافة ورأيت أكثر الألوان في ثيابهم هذه هو اللون الأزرق. واعتقد جازماً أن هؤلاء الطلبة يذهبون إلى مدارسهم وهم في ثياب وأبدان أنظف من نظرائهم في كثير من البلدان الآسيوية والإفريقية، وربما بعض البلدان العربية.

وخرجنا من مدينة (سانقولي) قاصدين قرية (بابا) لمشاهدة مسجد فيها جامع يقيمونه ومدرسة إسلامية فيها.

وتبعد عن (سانقولي) بمسافة خمسة وعشرين كيلاً مع طريق معبد. ولكنه غير مسفلت أي أنهم قد وضعوا فيه طيناً وحجارة مرصوصة ليس غير، فكان السير فيه صعباً على السيارة وراكبيها.

وتحف بهذا الطريق وتكاد تطبق عليه غابات من أشجار المطاط القديمة الغراس وأشجار من أشجار الكاكاو. وبعض نخيل الزيت.

وأخبرنا الأخ (كونيه) أن أشجار المطاط كانت الأشجار المفضلة في الغرس لأنها كانت تدر ربحاً أكثر من غيرها أما الآن فإن الناس أخذوا ينصرفون عن غرسها إلى أشجار أخرى أكثر عائدة، منها أشجار القهوة والكاكاو ونخيل الزيت.

وأوقف الموكب سياراته في قلب بلدة (بابا) في مكان قريب من المسجد الجامع الذي شرعوا في بنائه وكادوا يتمونه، إلا أنهم توقفوا عن العمل في انتظار جمع ما يمكن جمعه من التبرعات.

وكان وقوفه قريباً من هذا المسجد الذي نهض ببنائه المرتفع المشرف،

وبمكانه المناسب بناء رائعاً متميزاً في روعته وعظمته عن الأبنية التي شاهدناها من أبنية البلدة التي هي مبنية بالطين، ومسقفة بالزنك.

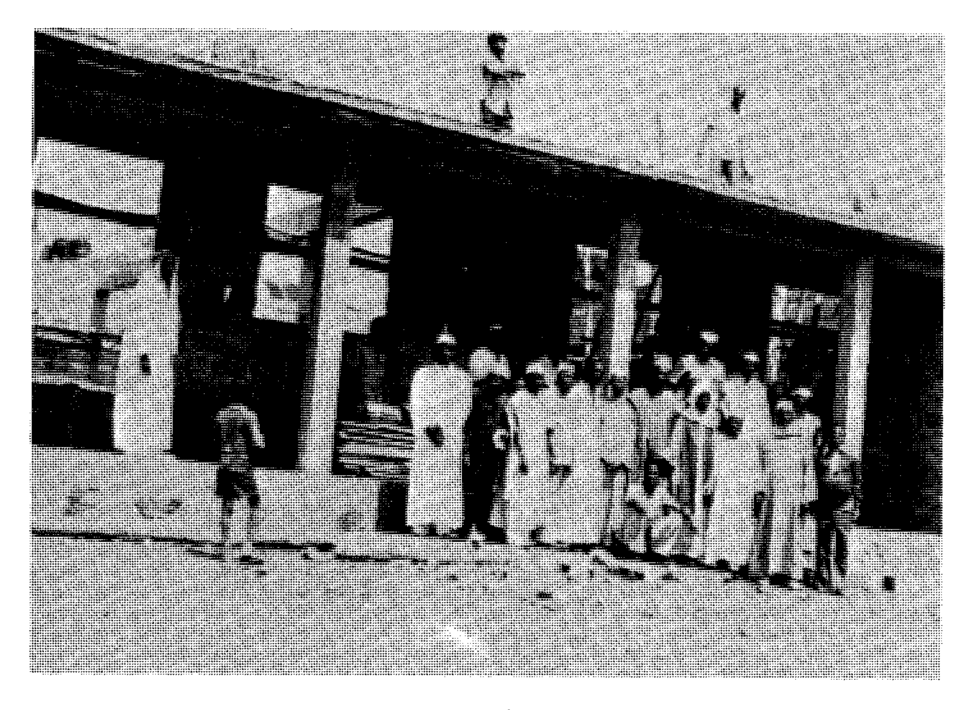

الجامع الكبير في (بابا)

وقد بنوه بناء قوياً متقناً تشرف عليه جمعية (اتحاد مسلمي ليبيريا) العاملة في مقاطعة (نمبا) وجاء إمامه (محمد صالح بريتي) يسلم مع المسلِّمين، وهو الآن إمام مسجد قديم متواضع البناء صغير المساحة لا يبعد كثيراً عن هذا المسجد الفخم البالغ الفخامة.

وسألتهم عن نسبة المسلمين في هذه البلدة فقالوا ـ والقول لعدد كثير منهم بحضور آخرين ـ: إنها تبلغ ٦٠٪ بالمائة وكان الغريب أن قالوا: إن نسبة المسيحيين فيها لا تزيد على ٣٪ والأغلبية الباقية بعد المسلمين هي من الوثنيين. مع أن دعاة المسيحية كانوا قد أجلبوا على هذه المنطقة بخيلهم ورجلهم بل تفردوا بذلك في وقت من الأوقات.

وبعد حديث ممتع مع إخواننا المسلمين الذين أخذتهم الدهشة والفرحة لزيارة إخوة لهم في الدين في بلدتهم هذه وزاد ذلك بهجة وحبوراً أن كان هذا الحديث في هذا الصرح الشامخ من بيوت الله.

وسرنا راجلين من المسجد إلى حيث المدرسة مع طرق هذه القرية الضيقة المتعرجة التي لا تستطيع أن تسميها شوارع ولا أزقة كما تقدم في مثيلاتها، وقد نثرت فيها البيوت نثراً وهي متقاربة جداً إلا أنها غير متلاصقة.

وفي بعض هذه الأزقة نساء مسلمات متسترات عددهن قليل، وفي بعضها نساء إفريقيات لا يبالين بما ظهر من أجسامهن لأن ذلك هو طبيعة حياتهن لا أنهن يردن أن يفتن به الرجال، لأن الرجال فيما أعتقد بمثله لا يفتنون لأنهم له آلفون، وهم مع النساء في الأفنية والغابات لا يكادون يفترقون.

ومن الأشياء الملفتة للنظر فيها الملابس المنشورة على الأرض خارج البيوت، ودجاج سارب ومهراس من الخشب تهرس إحداهن فيه شيئاً لا أعرفه وهو خارج البيت ربما كان مشتركاً بين أكثر من بيت. وأوانٍ من أواني الطعام معدة للغسل خارج البيت أيضاً، وماعز أسود اللون صغير، آذانه صغيرة جداً، وخراف لا شحم في ألياتها. ومع ذلك قميص عربي طويل كالقميص السعودي ويعتبرونه هنا لباس المادنقو من المسلمين، وان لم يكن يلبسه أكثر (المادنقويين).

واستقبلنا عند باب المدرسة المبنية من الطين المطلي بالاسمنت المسقف بالزنك أحد المدرسين فيها بل أستاذ اللغة العربية واسمه (اسماعيل جكتي) يعرف العربية قال: إنه تعلم ذلك في مالي.

والمدرسة مقسومة في بنائين منفصلين على جانبي ميدان صغير قد تأنقوا في تجميله فأزالوا الأعشاب الخضراء منه وأبدلوها بتراب غير ناعم.

والطلاب فيها من البنين والبنات كلهم عليهم ملابس زرقاء اللون،

وحقائبهم جميعاً من القش من أشجار بلادهم.

وكلما دخلنا الفصل من فصولها قال لنا الطلاب فيها ونحن القادمون عليهم بصوت واحد لا يخلو من التنغيم (السلام عليكم يا سيدي).

ولم نر الفصول مليئة بالطلاب فسألنا المدير بالعربية فقال: إن الطلاب لم يكتمل حضورهم فأنتم جئتم مبكرين.

وفي نهاية الزيارة تقدم المدير الذي يعرف قدراً من العربية وقال: أرجو أن تخبروني لماذا قدمتم إلى بلدتنا في هذا الوقت المبكر من الصباح؟

فأخبرته بالغرض من مجيئنا وأنه لرؤيته وأمثاله من إخواننا المسلمين، وما أقاموه من مؤسسات إسلامية في بلادهم.

العودة إلى سانقولي :

وعدنا من حيث جئنا إلى مدينة سانقولي وفي الطريق لاحظنا قوماً يعملون في شيء فقالوا: إنهم من الباحثين عن الماس الثمين، وسألناهم عن طريقة بحثهم عنه فقالوا: إنهم يحفرون عنه الأرض حفراً لعلهم يجدونه.

فسألناهم: إن الأرض واسعة والماس صغير فأية أرض يحفرون؟

فقالوا: إنهم بمنطقة وجوده عارفون، لأنهم مجربون، ولا يحفرون من الأرض إلا ما يظنون أنهم سيفوزون منها بما يطلبون.

ومررنا بأشخاص آخرين يعملون على ضفة نهر صغير فقالوا: إنهم يجمعون الرمل منه للبناء فقال قائل منا: رب رمل مضمون، خير من ماس مظنون.

ودخلنا مدينة سانقولي هذه المرة من ناحية أخرى لم نرها هذا الصباح قال مرافقنا وسائق سيارتنا الأستاذ (كونيه) إن السبب في ذلك أن اليوم في سانقولي هو يوم السوق يجتمع فيه ويأتي إليه أفواج من أهل القرى والأرياف ولكن

الوقت لايزال مبكراً من الصباح فلم نقف في السوق، الذي يقع قريباً منه مستنقع سيء من المياه ولكنه رغم ذلك قد نبتت على بعض الأماكن فيه زهيرات بيض.

وكان مقصدنا العودة إلى البيت الذي بتنا فيه منذ الليلة البارحة وذلك لتناول طعام الإفطار، وكان طعام إفطار شبيهاً بطعام غداء من حيث النوع والغلاء فهو دجاج سمين قد غرق في زيت دسم، وبيض قد وضع مسلوقا في بطون الدجاج وخبز من الخبز الإفرنجي الشائع ومع ذلك كانت القهوة أو الشاي، وكان بعضهم قد أحضر إليّ في هذا الصباح ما كنت طلبته البارحة فلم أظفر به من الليمون.

وخرجنا من هذا البيت الفسيح الجميل الذي فيه حوش تدخل فيه السيارات وفيه شجرتان لم أرهما هنا في غيره وهما من أشجار البلاد الجافة أو الشبيهة بالجافة وهما من الأثل الأمريكي أو ما يسمى (الجزورينا) في مصر. ولكن يبدو أنهما كالضيفين العربيين الذين باتا بقربهما البارحة غريبتان عن هذه البلاد غربتهما عنها أو أشد لأنهما مقيدتان بقيود من أربطة تحت الأرض تسمى الجذور غير أنهما لم تستسلما للقيود فرفضتا النماء والازدهار. لأنهما من أشجار ديار غير هذه الديار.

وسرنا في طريق لا ندري أول الأمر ما يفضي إليه فإخواننا لمحبتهم لنا يريدون منا أن نرى كل ما يتسع له النهار وساعاته ودقائقه من مرئيات من المؤسسات الإسلامية وكان الأخ (كونيه) يسوق بنا هذا الصباح سيارة يابانية صغيرة جيدة مكيفة الهواء لأنها أقدر من السيارات الأمريكية القريبة من الأرض على السير في الطرق غير المسفلتة، ولم يكن معنا في السيارة غير الشيخ سليمان منصري وهو داعية إلى الله في هذه البلاد خبير في شئون كثيرة من شئونها.

وكانت هذه مناسبة لكي نسأل الأخ كونيه وهو المثقف الخبير بتاريخ هذه البلاد الغابر وبحالها الحاضر. فسألته عن معنى كلمة (نمبا) التي سميت بها هذه المقاطعة؟

فقال: إن (نمبا) هو اسم جبل تعمل فيه الآن شركة الحديد الكبيرة لأنها وجدت فيه خاما من خامات الحديد وأنه كان إلـهًا معبودًا لقبيلة (ماتو) قبل دخول الإسلام والمسيحية إلى هذه البلاد، وان أفراد هذه القبيلة كانوا إذا أرادوا الدخول في حرب مع أعداء لهم من القبائل الأخرى جاءت القبيلة بكبش أبيض وقدمته إليه وقالت له: إذا أعنتنا ونصرتنا على أعدائنا فإننا سوف نقدم لك بنتاً جميلة فإذا انتصروا قدموا إليه بنتاً جميلة يقتلونها فيه ويقول له هذه بنتك فيم معناها بنت وبا اسم الجبل الذي كانوا يزعمونه إلهاً. فذلك يكون كلمة(بمبا) التي تطورت مع الزمن إلى كلمة (نمبا).

واتصل الطريق غير المسفلت على جانبيه الغابات الكثيفة، ومر بعدة قرى ليس فيها ما يستوقف النظر.

وعدنا إلى (كومبا) كما تسمى الآن أو (كونتا) كما كانت تسمى من قبل، ولكننا لم نقف فيها وإنما أخذنا منها ذات اليسار مع طريق لم نسلكه من قبل فيصبح اتجاه السير فيه جهة الشرق.

ووجدنا جمهوراً غفيراً من الشبان ومعهم طائفة يظهر أنهم من الطلاب وبعض الجنود بأسلحتهم معهم وقال الأخ (كوفومبا كونيه) إنهم يدربون الشباب للاحتفال بعيد البلاد الذي يحين بعد مدة.

ورأيت نباتاً يشبه نبات قصب السكر فسألت الأخ (كوفومبا) عن السكر أيزرع في هذه البلاد التي لا شك في أنها تصلح لزراعته؟ فقال: إن الوثنيين بالذات يزرعونه لأنهم يصنعون منه الخمر.

واستمرت الغابات الكثيفة من أشجار المطاط، وأشجار أخرى من أشجار

الغابات.

ووصل بنا الطريق إلى قرية تدعى (بلوم) رأينا فيه قليلاً من الماعز الصغيرات الأبدان القصيرات الأرجل والآذان. وشجيرات من الموز.

قريـة بلوم :

ولم نقف فيها وإنما لاحظنا فيها وجود عدد من الماعز وسيارات نقل صغيرة تنقل الركاب واشجارًا قليلة من الموز الذي يفترض أن يكون كثيرًا في مثل هذه المناطق .

ثم اعترض الطريق نهر يسمى (يا) عليه جسر خشبي تمر فوقه السيارات .

في بلدة سكاليبي :

تبعد هذه البلدة (٣٩) كيلو مترًا من مدينة (كومبا) ولزيارتها شيء من الاعتبار الشخصي أكثر من غيرها ففيها ولد مرافقنا المثقف السيد (كوفومبا كونيه) ولذلك أحببت الإنصات إلى كلامه عنها حين قال : إن الإسلام قد دخل هذه المنطقة لأول مرة عام ١٨٢٠ م وإن ذلك سابق على تأسيس دولة ليبيريا التي جاء دعاة المسيحية من أمريكا وأوروبا في ظلالها .

وقال : إن أغلبية سكان هذه البلدة مسلمون وأن نسبتهم تبلغ ٧٠ ٪ وأكثرهم قدماء عهد بالإسلام مثل أسرتنا . قال : وفيها من المسيحيين ٢٢ ٪ والبقية الباقية هم من الوثنيين . وهذا خلاف ما هو مألوف في بعض هذه القرى النائية من كون الوثنيين أكثر من المسيحيين .

وقال : إن القبيلة الرئيسية التي تسكن في هذه الناحية هي قبيلة (ماتو) .

وفي القرية شاهدنا غرفة منفردة مخروطية الشكل مصنوعة من القش على هيئة مظلة وهي خارج البيوت . وقال الأخ (كوفومبا) إنهم يصنعونها بمثابة مجلس لقضاء وقت من الراحة في الظل خارج البيت ولا يستطيع كل شخص

أن يتخذها وإنما يفعل ذلك القادرون .

قصدنا المسجد في هذه البلدة (ساكا ليبي) ويسمونه المسجد الكبير وليس فيها إلا مسجدان ويقع أمامه متسع من الأرض على هيئة ميدان فيه صنبور مياه يتزود منه من حوله من أهل المحلة .

والمسجد ليس كبيرًا مع أنه يسمى بالكبير وإنما الكبير والصغير هنا نسبي وهو مثل كثير من المساجد في هذه البلاد يحتاج إلى مساعدة على استكمال مرافقه وقابلنا إمامه (أبو بكر شيخو بريتي).

ومن المسجد انتقلنا إلى رؤية المدرسة الإسلامية وهي في بناء جيد نوافذ الغرف فيها من لبن الاسمنت المخرق قالوا : لأنها هي التي تصبر على عبث الطلبة لقوتها إضافة إلى رخصها بالنسبة إلى النوافذ الأخرى التي تصنع من الخشب أو الألمنيوم أو الزجاج .

والمشكلة التي تنشأ عنها وهي دخول الغبار ليس لها أهمية عندهم لأن البلاد مطيرة يقل فيها الغبار أو لأن الأيدي العاملة وبخاصة من النساء رخيصة . أخبرونا أنها تضم مائة طالب وأربعة مدرسين .

ويظهر أننا وصلنا مبكرين في تقديرهم فقد رأيناهم لم يستكملوا تنظيفها لأن الطلاب كانوا في إجازة كما اخبرونا وقالوا أيضًا : إنها عربية إنكليزية . أي إنها تدرس المواد الإسلامية واللغة الإنكليزية التي هي اللغة الرسمية في هذه البلاد وهي في الوقت نفسه لغة الثقافة العالمية كما هو معروف .

بلدة فان باو :

زيارة هذه البلدة مهمة لأن فيها مدرسة راقية ذات شهرة واسعة في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

لذلك كان بعض إخواننا ينتظروننا فيها ممن كانوا قد ذهبوا لها رأسًا من

سانقولي واسم هذه المدرسة (مدرسة الحاج توا ساما الإسلامية) قالوا : إنهم سموها بهذا الاسم لما لهذا الرجل من فضل في إنشاء هذه المدرسة وقيامه على استمرارها .

عندما وصلناها في ضاحية من البلدة وقفت السيارات في فناء مكشوف واسع أمام المدرسة فاستقبلنا مديرها ثم رافقنا في المرور بين صفين طويلين من الطلاب والمدرسين والأهالي الذين كانوا قد أخذوا زينتهم من الثياب التي أهمها وأكثرها ظهوراً الملابس العربية أو القريبة منها وأخذوا عندما رأونا يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل : الله أكبر الله أكبر .

وبعد هذا الصف الطويل كان قرب المدرسة صف متصل به من أهالي البلاد كل يحاول أن يسلم على إخوانه ويصافحهم ، ورأينا من عواطفهم الصادقة ما أعجبنا وأطربنا ورخصت الدنيا في عيني وقلت : أي قيمة للدنيا تساوي أمثال هذه العواطف إلا أنني فكرت في نفسي إنها عواطف مبعثها الإيمان بالله ، والأخوة الإسلامية وليس المال بدليل أننا لم نعطهم شيئًا من قبل . والمال لا يصنع مثل هذه العواطف القلبية الصادقة التي تنبعث من قلوب شيوخ كبار وشبان صغار وإناس ليس لهم علاقة بالمدرسة التي قد تأتيها معونة من المملكة .

لمسنا منهم أنهم كانوا قد أعدوا برنامج احتفال حافلاً غير اننا أخبرناهم أننا على غاية الاستعجال ، وأخبرهم مرافقونا أن لنا موعدًا مع الطائرة لا يمكن تأجيله وبعده برنامج آخر في هذا اليوم قبل العودة إلى منروفيا .

لذلك تجولنا في الروضة المخصصة للصغار ثم في القسم الإبتدائي من المدرسة وهو واسع الغرف ذو نوافذ باللبن المحرق وقد كتبوا عبارات ترحيب على السبورات .

وقد ارتدى المدرسون الملابس (الماندونقوية) التي هي قميص مماثل

للقميص العربي الطويل وطاقية . وأكثرهم يعرفون العربية أو قدرًا منها كانوا يتكلمون به معنا .

ومن مظاهر العناية في هذه المدرسة القوية آلة كاتبه عربية الحروف وسبورة في الحائط ثابتة قد ملأت واجهته .

ثم انتقلنا إلى القسم الإعدادي في بناء منفصل دون المبنى الرئيسي في الجودة .

ثم انتقلنا إلى غرفة واسعة قد نظموا فيها احتفالاً حضره وجهاء المنطقة من المسلمين وغيرهم من هؤلاء مفتش المعارف أو المسئول عن شئون المدارس الحكومية في المنطقة بمثابة مدير التعليم فيها .

بدأ حفل قصير بتلاوة آيات كريمة من سورة الرحمن . ثم تقدم أحدهم بكلمة معدة مكتوبة بالعربية فاختصروها ، ثم قدمنا الأخ الشيخ سليمان منصري إلى الحاضرين فدوت القاعة بالتكبير .

ثم ألقيت كلمة قصيرة ترجمها إلى لغة المادنقو أحد المرافقين .

وغادرنا الاحتفال مسرعين وإن كان مضيفونا غير مقتنعين فقالوا : إلى الطعام ، وكانت الساعة قد قاربت الثانية عشرة فتمنعنا إلا أن مرافقينا قالوا : إنهم قد تعبوا في إعداده فلتروه على الأقل فسمعنا وأطعنا .

ورحنا نسير على أقدامنا في الشارع ولاحظت شيئين لكل واحد منهما معنى ، أولهما أن زميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان قد ترك حقيبته في السيارة مفتوحة ظنا منه بأن السائق سيغلق عليها السيارة كالعادة ولكنه تركها مفتوحة ، فلم تمس بسوء مع أن الزحام كان شديدًا والجمع حول السيارة كان كبيرًا . وثانيهما : أن محطة بيع المحروقات كانت في وسط حجرة مغلقة حذرًا من أن يأتي أحد في غفلة من أهلها فيأخذ منها بدون علم .

ومررنا على مسجد البلدة ولم ندخله لضيق الوقت .

ثم دخلنا أزقة ضيقة كان فيها بيت قد أعدوا فيه مائدة حافلة بالطعام .

وقد أكلنا منه رغم تمنعنا فكان ذلك فرصة انتهزناها نفعتنا إذْ كان هو الطعام الذي لم نذق بعده شيئًا إلى صباح اليوم التالي مع أننا لم نأخذ كفايتنا منه وإلا فقد أعد إعدادًا جيدًا .

وأحضروا معه الليمون الذي كنا نحرص على عصره في الطعام .

وكان الحاج (محمد كاني) يرحب بنا وأخبرنا مرافقنا بعد ذلك أن الطعام أعد تحت إشرافه وأنه من جمعية المدرسة .

استئناف السير :

عدنا إلى السير وحدنا في هذه السيارة العالية التي ليس فيها غيرنا إلا الأخ (كوفومبا) والشيخ سليمان منصري .

أما الأخوة الباقون فقد تركناهم في بلدة (فان باو) هذه وقد تبين بعد ذلك أن معظمهم توجهوا إلى البلدة التي تنتظرنا فيها الطائرة لتنقلنا إلى مدينة (فونجاما) .

كان الطريق أيضًا معبدًا وليس مسفلتًا فمررنا بنهر فيه عمال يخرجون الرمل من قاعه .

ثم مررنا بقرية تسمى (فالا كيرى) منازلها أكواخ هرمية الشكل ذات أشكال تقليدية موغلة في القدم إلى جانب بعض البيوت الإفريقية المعتادة .

وأخبرونا أنها لقبيلة (كيو) وهي قرية صغيرة .

ولم نقف بها لضيق الوقت ، إذْ كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف ظهرًا عندما غادرنا بلدة (فان باو) مع أن هذا الموعد كان في الأصل

ـ حسبما سمعناه من إخواننا ـ هو موعد الصعود إلى الطائرة .

وفي خارج هذه القرية رأينا ترعة صغيرة فيها امرأة من قبيلة (كيو) تصيد السمك ونصفها الأعلى كله عارٍ لا يستره شيء مع أن الترعة على الطريق والمرأة شابة .

ثم مررنا بقرية أخرى اسمها (باين كلي) وهي أصغر من التي قبلها إلا أن الأكواخ المخروطة الشكل فيها مثل الأولى ولا غرو في ذلك لأن القريتين كلتيهما لقبيلة (كيو) .

وكنت قد استنكرت في نفسي منظر هذه التي تصيد السمك وهي نصف عارية . فلما وصلنا إلى قرية كبيرة اخترق الطريق شارعها الرئيسي رأينا إحدى النساء في الشارع أمام الناس ترضع ولدها وليس على نصفها الأعلى أي شيء من الستر .

وقال الأخ (كونيه) إن قبيلة (كيو) هذه التي منها هؤلاء النسوة يقطن بعضها في ليبيريا وبعضها في ساحل العاج .

وقال : إن أغلبية هذه القبيلة لا تزال على ديانتها الوثنية القديمة إلا أن أحد سلاطينها الكبار واسمه (اوتو منقلو) جعل أولاده مسلمين إذا انشأهم نشأة إسلامية على أيدي معلمين مسلمين واعتبرهم مسلمين دون أن يسلم هو ! !

وهذا من عجائب إفريقية الخضراء .. ثم وصل بنا الطريق إلى :

بلدة كام بلي :

وفيها مسجد واحد ومدرسة إسلامية صغيرة وأغلب سكانها من قبيلة (كيو) وفيها أقلية من المادنقو .

وكان فيها حاجز عنده جنود من الجيش يوقفون الناس ويتحققون من أشخاصهم ، فأوقفونا غير أن مرافقينا أخبروهم بحالنا فسمحوا لنا بالاستمرار

بالسير دون صعوبة .

ولم نتفقد القرية أو نَر منها إلا ما كان على الطريق العام الذي سلكناه .

كووي وكو ومبا وكيو :

كووي : قرية مررنا بها بعد (كام بلي) . و(كيو) اسم القبيلة التي تسكن القرية .

وأما (كو ومبا) فهو اسم قائد القوات المسلحة في ليبيريا وهو من قرية قرب (كووي) وامه من قرية (كووي) هذه وقد بنى هو بيتًا له في كووي .

وهو وثني الديانة رغم أنه دخل مدرسة مسيحية تعلم فيها لذلك أعطوه اسم توماس فأصبحت شهرته (توماس كوومبا) .

وهو من أبرز قادة الثورة الليبيرية التي سنذكر شيئًا من أمرها فيما بعد إن شاء الله .

كما أنه هو نفسه الذي أطلق النار على رئيس جمهورية ليبيريا السابق (تولبرت) فقتله أثناء الإنقلاب .

ولذلك تولى هذا المنصب الرفيع .

ورغم ذلك فإن عمره لا يزيد على سبع وعشرين مثل غيره من زعماء الثورة الذين لم يكن فيهم من كان عمره يبلغ الثلاثين عند القيام بذلك حتى زعيمهم (صمويل كوكاين دو) عمره تسع وعشرون سنة .

وإذا تركنا القرية وشأنها وهذا ما فعلناه بسرعة فإنها لا تتركنا من دون أن تعطينا ما يستحق الملاحظة عندنا من ذلك أننا رأينا طائفة من النساء الشابات بينهن واحدة ليس على نصفها الأعلى أي لباس . وهي تسير معهن وكأنها لم تفعل شيئًا .

كما أن هذه القرية اسلمتنا إلى قرية أخرى لها علاقة بثورة ليبريا أيضًا وهي قرية (سوتابا) لأنها التي ولد فيها (كوومبا) قائد القوات المسلحة الليبرية في الوقت الحاضر.

وهي لقبيلة (كيو) أيضًا.

وكما اسلمتنا قرية (كووي) إلى قرية (سوتابا) ارسلتنا هذه الأخيرة إلى منطقة يمر بها طريقنا غير المسفلت وسط غابات هائلة كثيفة. ولم يمر بقرى كثيرة إلا أننا مررنا بنهر صغير فيه عدد من النساء في النهر عاريات الأعالي وأما الأسافل فإنهن قد سترنها بستار من مياه النهر الكدرة أو هذا ما رأيناه والسيارة تسير.

وهن من قبيلة (كيو).

مطار شركة لامكو:

وصلنا بعد سير حثيث إلى مطار شركة لامكو حيث كانت تنتظرنا فيه طائرة

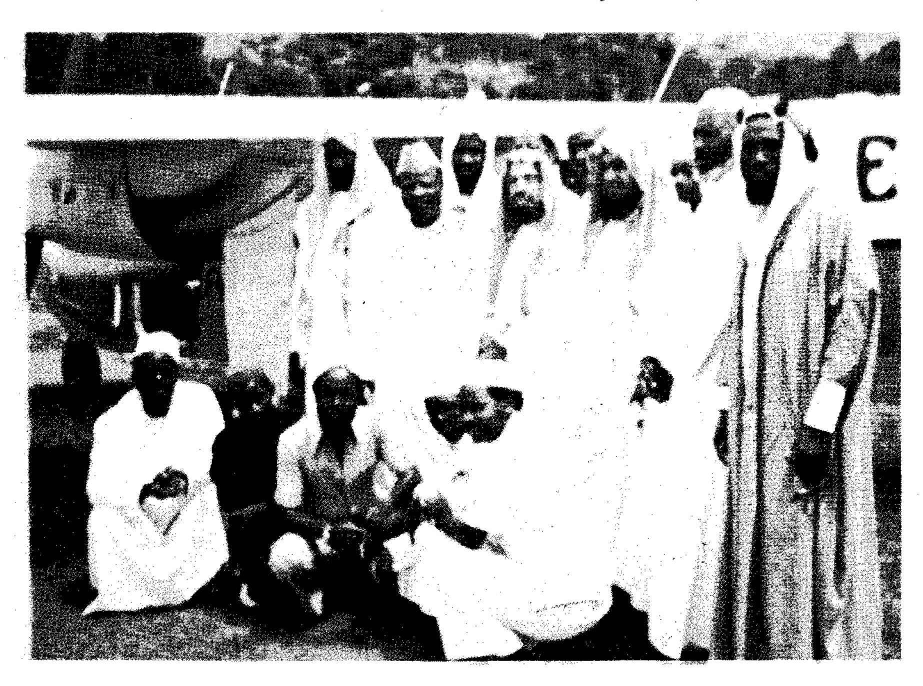

في مطار شركة لامكو الترابي قبل إقلاع الطائرة الخاصة.

خاصة ذات محركين لتقلنا إلى مدينة (فونجاما) وذلك في الساعة الثانية بعد الظهر .

ووجدنا بعض إخواننا عندها فأخبرونا أن الطائرة كانت تنتظرنا منذ الساعة الثانية عشرة .

واجتمع جمهور غفير حول الطائرة تألف من موكبنا المؤلف من ثلاث سيارات وأناس غيرهم من المنطقة .

وبعد أخذ الصور التذكارية معهم صعدنا إلى الطائرة بسرعة وكنا ستة : أنا وزميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان ونائب رئيس المجلس الوطني لمسلمي ليبريا (سيكو بيليتي) و(كوفومبا كونيه) والشيخ منصري ، ورجل آخر وفيها طياران مع أنها صغيرة وتذكرت مرات كثيرة ركبنا فيها طائرة صغيرة ليس فيها إلا طيار واحد وتخيلت ما إذا حصل له مكروه كيف نفعل . ومن ذلك الطائرة التي وضعتها حكومة تنزانيا تحت تصرفنا عندما زرناها زيارة رسمية لمدة عشرة أيام وذكرت حديثها في كتاب (صلة الحديث عن إفريقية) .

تحت جناح الطائرة في المهبط قبل الإقلاع والمؤلف في أيسر الصورة.

أرض المطار مكسوة بحشيش أخضر طبيعي وليس فيها إسفلت ولذلك كانت الطائرة تجاهد وهي تدرج فوقه ثم وهي تهم بالإقلاع .

من الطائرة .

كان أول منظر لمحناه بعد ارتفاع الطائرة نهرًا ذا مياه حمراء يجري بين غابات كثيفة ، وقرية صغيرة ذات بيوت تبدو لاطئة بالأرض ذات سقوف من الصفيح الصديء . والطريق فيما بينها أحمر قاني الحمرة لخلوه دون غيره من النبات فوق تربة حمراء .

ومن أكثر الأشياء ظهورًا في المنطقة ، وهي منطقة غابات كثيفة أعمدة من الدخان تظل قائمة في الجو مدة دون أن يتبدد الدخان بسبب رطوبة الجو في الغابات . وقال بعضهم ربما كان هذا الدخان من فعل الوثنيين لغرض من أغراض الدين عندهم .

ومن أكثر الأشياء تكرارًا كونهم ينظفون الأماكن المتسعة بين البيوت من الخضرة حتى تغدو وليس فيها شيء وذلك أمر غير مألوف في غيرها بل ربما كان غير ممكن لأن الأرض كلها خضراء فالجدب وعري الأرض من النبات يمتعهم ويجدون فيه جمالاً مثل ما يفعل غيرهم من غرس الحدائق وإيجاد الخضرة فيها للمتعة .

وقد ارتفعت الطائرة وتطامنت أشجار الغابة الضخمة التي كانت تكاد تحجب الشمس عن السائرين على الطرق الأرضية .

ورغم علو الطائرة فإن النهر ذي المياه الحمر يبدو أحمر واضح الحمرة متعرج المجرى .

وقد واجهتنا قطع من السحب مسرعة فتناطحت مع الطائرة التي هي تشبه القطعة الصغيرة من السحاب في هذا الجو الاستوائي الذي يشكو من كثرة السحب .

لكن هذه السحابة الصغيرة الطائرة قد هزمت السحابة الكبيرة فمزقتها إربًا . وكان ذلك بعد أن بذلت جهدًا ظهر واضحًا في ارتفاع صوتها واهتزاز كيانها كله .

إلا أن الكثرة تغلب الشجاعة فقد واجهنا بعد ذلك بمدة قصيرة سحابًا كثيفًا لم يخاطر الطيار في النفاذ وسطه وإنما نزل عن مستواه متفاديًا له فكان ذلك بمثابة الإنحناء للعاصفة .

ثم مررنا فوق قرية ذات أسقف من الصفيح اللامع ليس لأزقتها نظام وليس فيها شارع بطبيعة الحال وإنما هي مجرد ممرات ترابية بين البيوت . وقد فرشوا متسعًا فيها بتراب أصفر أظنه من رمل استخرجوه من قاع النهر ، إن لم تكن التربة في القرية صفراء بطبيعتها .

ولمحنا من بعد قرية في وسط الغابات ليس فيها أي طريق أو أثر لطريق سيارة من السيارات واصل إليها أو صادر منها فدل ذلك على أنها لم تعرف السيارات أصلاً . وإنما يذهب سكانها إلى قرى مجاورة مع أن المنطقة التي نراها محيطة بها كلها مغلقة بأشجار الغابات الكثيفة التي لا ترى من تربة الأرض فيها شيئًا بل لا ترى من وجه الأرض فيها أي شيء .

وكان طيران هذه الطائرة الصغيرة مريحًا بل كان من العجب أن (المطبات) الهوائية قليلة وإنما كان المزعج الوحيد فيها هو جلبة صوت محركيها .

ومن الغريب أننا مررنا بنهر مياهه سوداء خلاف النهر الأول الذي رأيناه ومياهه حمراء والظاهر إن ذلك بسبب التعدين فليبريا لها روابط بالولايات المتحدة الأمريكية قوية ولذلك تعمل فيها عدة شركات كبيرة وبعضها يستعمل مياه الأنهار الصغيرة بموجب عقد مع الحكومة ويرسل فيها ببعض النفايات . ومن الطريف منظر بيت واحد منفرد في وسط الغابة ليس حوله بيوت ولا تتصل به طرق مرئية . ولا أدري ما هو .

ولم أَرَ الطيار يتصل بأي برج للمراقبة ربما لبعد المطارات والطائرة نفسها ليست تابعة لشركة خطوط بمعنى أنها لا تسير في خط ذي رحلات منتظمة وإنما تملكها إحدى الشركات واستأجرها المجلس الإسلامي لنا فيما بلغنا بألف وستمائة دولار أمريكي لهذه الرحلة . ولذلك لبعد منطقة (فونجاما) .. وعدم وجود خط مسفلت يتصل بها .

ومع استمرار الطيران لم نلاحظ شيئًا إلا دخانًا كثيفًا يرى على البعد جهة اليمين ربما كان ناشئًا عن حريق وعمودًا من دخان اسفل الطائرة قد علا على الأشجار لأنه ليس هناك ريح تذهب به يمينًا أو شمالاً .

ثم بدت بعض التلال الجبلية كانت إحداها نصفها مكسوًّا بالأشجار ونصفها الآخر عاريًا ربما كان ذلك بسبب اتجاه الرياح أو عدم استقرار التربة أو انزلاق المطر عنه .

وقد تكرر منظر القرى الصغيرة التي أهم ما يميزها أنها كالرقعة في الغابة لعدم وجود الأشجار بينها وهي كالرقعة أيضًا لأنها ليس فيها شوارع ولا أزقة مستقيمة .

في مطار فونجاما :

أو على الأدق في مهبط (فونجاما) فليس هو بالمطار المعبد وإنما هو أرض ترابية ليس فيها حتى الحشائش المنسقة .

بعد طيران دام ساعة وربعًا كانت الطائرة تحوم فوق حقل من الأرز قرب المهبط .

لم يكن في المطار أحد عندما هبطنا فيه من موظفين ولا غيرهم ، وإنما لبثنا هنيهة جاءت بعدها سيارة (جيب) كان الإخوان الذين في هذه المدينة قد أعدوها لاستقبال الوفد .

وقد ذهب بعض الرفاق بعد الحبس في الطائرة وفي الاحتفال قبلها إلى الغابة لأنهم كانوا محتاجين إلى ذلك ولم يكن في هذا المطار موضع له .

وعندما نزلنا سارعت الطائرة إلى الذهاب إلى منروفيا وقالوا : إن ذهابها ليس بعده عودة لأننا كنا قد اتفقنا معها على أن نركب في الثانية عشرة ونبقى في هذه المدينة (فونجاما) ساعتين نغادرها بعدهما إلى (منروفيا) العاصمة وكانوا قد حجزوا ذلك من وقت الطائرة غير أن التأخر في الركوب فيها أفسد الاتفاق .

وقد أصبحنا الآن في مكان أبعد عن العاصمة من آخر نقطة وصلناها بالسيارة بمائتين وعشرة كيلات ولدينا عمل في صباح الغد هام ألا وهو صرف النقود من البنك ومن ثم توزيعها على الهيئات والمدارس والجمعيات الإسلامية التي شاهدنا نشاطها ، ونهار غد هو يوم الجمعة فإذا لم نتمكن من ذلك لم نتمكن إلا في يوم الاثنين لأن يومي السبت والأحد يوما عطلة . والطريق البري إلى العاصمة غير مسفلت إلا في نقطة بعد (بانقا) .

لذلك تكدرنا لهذا الأمر ، وعزمنا ألا نقيم في هذه المدينة .

وقد انطلقت هذه السيارة (الجيب) من المهبط إلى المدينة وسط ريف أخضر ولكن خضرته ليست في كثافة الأماكن التي مررنا بها وإنما أظهر ما فيه حيطان من أشجار نخيل الزيت إذ رأيتها خيل إليَّ أنها النخيل في القصيم ، وذكَّرنا ببلادنا أيضًا لبن مضروب متروك في الشمس ليجف . وبيوت القرويين من الطين المسقف بالقش وتكثر فيها الماعز الصغيرة الآذان القصيرة الأرجل .

والطريق ترابي إذا قابلتك فيه سيارة أغرقتك في بحر من الغبار الأحمر .

في مدينة فونجاما :

مدينة فونجاما هي عاصمة مقاطعة لوفا التي تقع في الشمال الغربي من ليبريا غير بعيدة من حدود جمهورية غينيا .

عند مدخلها كان حاجز يوقف السيارات ويتأكد من ركابها وكان فيه عسكري فوق سرير متحرك من الخشب لم يوقفنا وإنما أشار إلينا بالنفاذ .

وسلكت السيارة سوق البلدة وهو ضيق تحف به الحوانيت التي يحمل كثير منها اسماء إسلامية ، وليس في هذا السوق إسفلت رغم وجود سيارات نقل كبيرة وصغيرة تطير غبارًا إذا سارت ولذلك يلاحظ المرء أن نوافذ بعض البيوت يعلوها الغبار .

وتعتبر هذه المدينة إسلامية بأغلبية سكانها ، إذْ تبلغ نسبة المسلمين فيها ٦٥ ٪ ولا عجب في ذلك لأن الإسلام كان قد دخل إليها قديمًا بسبب قربها من الحدود الغينية .

في بيت السلطان :

قصد بنا مضيفونا بيتًا غير بعيد من السوق الرئيسية فدخلنا فيه دون أن يستقبلنا أحد ، بل كان مرافقونا هم الذين يرحبون بنا فيه ، فسألتهم : لمن هذا البيت ؟

فأجابوا : إنه بيت السلطان ! فقلت لهم : اين السطان ؟ فقالوا : إنه سيأتي .

كان البيت من الخارج ذا مظهر معتاد في هذه البلاد غير أن داخله كان فاخرًا ، إذْ اجلسونا في قاعة ذات رواق جانبي وأبواب من خشب صقيل جدًا وفيه أثاث راقٍ متنوع .

ثم جاء السلطان فارع القامة جسيمًا ، فسلَّم علينا بترفع وعدم مبالاة وإنما بدأ بالعتاب على تأخرنا وكان ذلك بطبيعة الحال باللغة المحلية التي لا نفهمها ولكن هكذا قال لنا إخواننا بعد ذلك ، وقد أخذوا يعتذرون وأخذ هو يرفض العذر فيما ظهر لنا .

اسمه (موسى كمارا) وهو سلطان المنطقة ورئيس (البرلمان) المحلي .

وتسميته بالسلطان مما يحرص الأهالي عليه تمسكًا باصطلاح لهم قديم عندما كانوا مستقلين في شئونهم قبل قيام الدولة الليبرية ووصول المدنية الغربية إلى بلادهم وافساد نظمهم .

الساعة الآن هي الرابعة بعد الظهر وقال الإخوان : ينبغي أن ننال قسطًا من الراحة فدلني على غرفة من بيته فيها مكيف لبثنا فيه قليلاً ثم طلبنا الأذن . وكان قد اجتمع في البيت جمع غفير من الناس لا أدري لِمَ جاؤا فلم يكن الوقت وقت غداء أو عشاء ولذلك لم يقدموا إلا المشروبات الغازية كالكوكا كولا .

جولة في فونجاما :

ركبنا مع السلطان في سيارة جديدة فاخرة يرفرف عليها العلم الحكومي ويقودها السلطان بنفسه .

فوقفنا عند المسجد الجامع في المدينة وكان المصلون قد فرغوا من صلاة العصر ولم يتفرقوا بعد وكان المسجد في السوق فاجتمع من هؤلاء ومن أهل السوق أعداد غفيرة ضاقت بهم الأزقة . وانضم إليهم من الأطفال والصبيان أعداد كثيرة وكثير من الأطفال ليس عليهم من اللباس إلا ما يستر العورة ونسبة منهم ذو سر متضخم لأنه لم يقطع سره عند ولادته قطعًا صحيحًا نظيفًا .

وكنا قد صلينا العصر والظهر جمعًا في بيت السلطان ظنًا منا أننا سنسافر مباشرة إلى منروفيا العاصمة فاقتصرنا على تفقد المسجد وسط جموع المصلين والمتفرجين الذين امتلأ بهم المسجد .

ويمتاز هذا المسجد بقبة ظاهرة تشبه صورة مصغرة لقبة المسجد النبوي الشريف فوقها شاهد (هلال ونجمة) .

وكان المسجد مليئًا بالرجال ونوافذه العريضة مزدحمة بوجوه نسوية كأنها كلها عيون تتفرج وشاء أحد الثقلاء أن يجاملنا يزعمه لأنه يعرف أن النساء في بلادنا لا يكن قريبات من الرجال فخرج من المسجد ينتهر هؤلاء النسوة الإفريقيات يبعدهن عن التطلع من نوافذ المسجد ولكنهن كن أقوى منه فلم يمتثلن أمره فعاد يعتذر منا عن عدم قيامه بعمل لم نطلب منه أن يقوم به .

وعند الخروج من المسجد لم نكد نشق طريقنا وسط إخواننا المسلمين وكان بعضهم يركض أمامنا بمسافة بعيدة حتى يضمن أن يرى إخوانه في الله ويصافحهم .

مدرسة التربية الإسلامية :

من المسجد انتقلنا بصحبة السلطان ، وبقية الإخوان إلى زيارة مدرسة إسلامية هناك ، فكان أول ما رأينا فيها لافتة مكتوبة بالعربية نصها (مدرسة التربية الإسلامية الانكليزية في مدينة فونجاما مديرية لوفا) .

وتحت ذلك العبارة نفسها بالانكليزية . وهي لافتة قديمة وهذه عادة إخواننا الافارقة هنا أن يعتبروا تعلم العربية من الدين وأن يظهروا الكتابة بالعربية كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بهذا القصد .

واستقبلنا الطلاب بنشيد من المكبر بصوت منغم .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وبصبحة مدير المدرسة الأخ (محمد عثمان توري) كانت الجولة فكنا نشق طريقنا بصعوبة بين الطلاب والطالبات ، إذْ المدرسة للجنسين وقد اختلط بهم الأهالي الذين حضروا بكثرة كاثرة .

وقال الأخ مدير المدرسة ، ونحن في مكتبه في المدرسة وهو صغير : إن المدرسة ابتدائية وإنها تنفق عليها الجمعية السلفية . وإن بناء المدرسة الحالي وهو

من لبن الاسمنت المسقف بالصفيح قد قام عليه الحاج (شيخو شريف) إذ بناها بنفقته جزاه الله خيرًا .

وقد حضر معنا وهو شيخ ذو لحية وعارضين أبيضين وعمله مزارع أي صاحب مزارع لأشجار القهوة والكاكاو ، فشكرته على صنعه وقلت له : إن هذا هو الذي يبقى له من العمل .

وتقع المدرسة بجانب مسجد يسمى (مسجد السلفيين) مبلط بالاسمنت ومفروش بفرش صغيرة خضر ، وقد تعرفنا فيه على إمامه (الحاج عثمان كمورو) .

وغضب السلطان !

قال السلطان بعد أن انتهت زيارة المدرسة ومسجد السلفيين : سوف نتوجه إلى مكان كذا على بعد ٧٠ كيلاً ، ثم إلى مكان كذا على بعد كذا .. لقد اخبرتهم بذلك على أمل أن ننتهي منهم قبل غروب الشمس ولكنكم تأخرتم وإذًا لابد من أن تبيتوا الليلة هنا ونزورهم غدًا .

فقلت له : إننا لا نستطيع أن نقضي هنا أي وقت خارج البلدة . إذْ أمامنا أكثر من ثمانمائة كيلو متر من الطريق أغلبها غير مسفلت للرجوع إلى منروفيا .

فغضب السلطان وقال مرافقونا ما معناه إن هذا يعتبر موقفًا غير مناسب بالنسبة إليه لأننا الآن في بلده .

فقلت لهم : أرجو أن تبسطوا له عذرنا وضيق وقتنا وأن الاتفاق الذي كان قد تم بيننا وبين إخواننا هو أن نعود إلى العاصمة (منروفيا) ظهر اليوم والآن الساعة تقارب الخامسة والمسافة طويلة .

فلم يقتنع السلطان وقال إخواننا : لابد إذًا من رؤية بناء مدرسة في هذه المدينة يشرف السلطان بنفسه على بنائها . فقلت : ليكن ذلك وسوف نخصص

لها مما معنا من النقود بعض الشيء العاجل ونضع في تقريرنا ما عسى أن يعاونهم على إكمالها في المستقبل .

وعدنا إلى سيارته فكان يقودها بسرعة فائقة مما جعلنا نشفق من أن يحدث لها مكروه وقد ضاق الطريق إلى مكان المدرسة الذي يقع خارج البلد فقابلنا سيارات فكان يضطرها إلى ترك الطريق له بخشونة على اعتبار أن مقامه أعلى من أصحابها .

وصلنا المدرسة في موضع يسمى (قاريبو) وقال : إن البناء توقف الآن بسبب نفاد النقود وبناؤها جيد إلا أنه وقف عند التسقيف مع أنها واسعة وقال : إنه كان قد تلقى ١٤ ألف دولار مساعدة من رابطة العالم الإسلامي على بنائها غير أنها لاتزال تحتاج إلى نفقة كثيرة .

ولما قلت له : إننا يجب أن نذهب كان لايزال غير مقتنع بعذرنا ، وكان يؤكد أن نبقى في هذه المقاطعة اليوم ونهار غد ونسافر في المساء بعد ذلك .

فقلت له : نحن إخوانك ونعلم أنك تود إكرامنا لكن في الأثر : «أكرم أخاك بما يحب» .

وهنا دخل في جدال لفظي حادّ مع بقية الإخوان الذين يريدون أن يقنعوه بالاذن لنا وهو لا يقتنع .

ثم عدنا بسيارته إلى بيته . فلما وقفنا عنده دخل من دون أن يدعونا فقال المرافقون : لندخل . فقلت : لا ، إنه لم يدعنا .

وبقينا خارج البيت واقفين أنا وزميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان والشيخ سليمان منصري وهم يتنازعون بشأننا داخل البيت فقلت للشيخ سليمان أخبرهم أننا الآن سوف نذهب إلى السوق ونستأجر سيارة خاصة ونسافر بها .

فجاؤا إليَّ وقالوا : هنالك مشكلة وهي أن الطريق طويل وغير مسفلت

فقلت لهم : إننا في بلادنا كنا نسافر ليلاً لمسافة أطول .

فقالوا : ومنع التجول يشمل البلاد كلها بعد الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل ونحن لا نستطيع أن نصل قبل هذا الموعد . فقلت لهم : إننا نستطيع أن نسير حتى ذلك الوقت وإذا حل موعد منع التجول نكون قرب العاصمة فننام في أي قرية حتى الصباح .

فلما يأسوا من ذلك جاء السلطان بسيارته إلينا في السوق ، وأستأجروا سيارة ركوب ذات أربع مراتب عالية من النوع الذي يعمل على الطرق غير المسفلتة وودعنا من موقف سيارات الأجرة فاعتذرت لهم ثانية .

عودة إلى منروفيا :

وعند مخرج المدينة أوقفنا حاجز للجيش ودقق في جوازاتنا ثم اركبوا معنا ثلاثة جنود قالوا إنهم يريدون الركوب معكم لبعض الطريق .

كان من حسن حظنا أن سائق السيارة وهي سيارة أجرة سائق ماهر مدرب فكان يسير بسرعة شديدة ربما كان السلطان قد أوصاه بذلك حتى نصل قبل موعد منع التجول .

وكان السائق لا يبالي بالحفر والنقر في الطريق وكنا لا نبالي بذلك أيضًا حرصًا على الوقت .

ومن الأشياء الملفتة للنظر أننا بينما كانت سيارتنا مسرعة رأينا غصنًا أخضر من شجرة ملقى في الطريق فعجبت من ذلك لأنه من أغصان أشجار الغابات الموجودة بكثرة ولذلك لاداعي لنقله وامثاله .

فتمهل السائق قليلاً ثم إذا بنا نرى بعد هنيهة غصنًا آخر ملقى على الطريق . وبعد ذلك رأينا سيارة متعطلة . وكان الظلام دامسًا ولولا هذه الأغصان لما عرفنا بوجود سيارة واقفة وسيارتنا تسير على أشد سرعاتها مع وجود

غبار تثيره السيارات المعاكسة في السير.

وقد أخبرني إخواننا أن هذه عادة متبعة عندهم للدلالة على وجود مثل هذه السيارة المتعطلة.

وفي الظلام الحالك .. ظلام الليل .. وظلمة الغابات .. والتحسب للمسافة الطويلة، كان الصمت هو الغالب. غير أن ذلك قطعه وصولنا إلى بلدة اسمها (صوصو) على مدخلها حاجز لجنود الجيش أوقفونا حتى تحققوا من جوازاتنا.

فواصلنا السير حتى وصلنا حدود مقاطعة (بون) فوجدنا هناك حاجزًا قويًا من جنود الجيش وضباطه أوقفونا أيضًا وحرصوا على أن يروا ما في سيارتنا بل أوكلوا بنا وهم ينظرون في الجوازات ويتراجعون فيما بينهم جنودًا يرصدون حركاتنا.

ومن ذلك أن الشيخ عبد العزيز الربيعان كان قد ترك في السيارة حقيبة صغيرة له فخشى عليها وكانوا قد طلبوا منا أن نكون بقربهم فذهب لإحضارها غير أن الجندي المكلف بحراستنا انزعج من ذلك وقال لي بانكليزية ضعيفة: اين سيذهب؟ قلت: إلى السيارة.

فقال لماذا؟ قلت: اسأله. وكان موقفًا طريفًا أن يحاول الجندي مخاطبة الشيخ الربيعان بانكليزية ضعيفة لشيخ لا يفهم منه لأنه لا يعرف الإنكليزية.

وأخيرًا وبعد مضي بعض الوقت أقنعهم إخواننا بأننا رسميون لأن على جوازاتنا تأشيرة رسمية من حكومة ليبيريا وقد قابلنا وزير الخارجية وإلا كانوا يفرضون إبقاءنا عندهم إلى الصباح ثم ارسالنا مخفورين إلى العاصمة.

ويسمى هذا المكان (بلات وي).

واستأنف السائق الماهر الذي لم أَرَ لمهارته مثيلا في طرق هذه الغابات غير

المسفلتة ، وغير المستقيمة إلا مهارة السائق الأعرابي في بلادنا إذا كان يسير ليلاً في أرض رملية صحراوية فيفرط في الاسراع باجتيار الرمال حذرًا من أن تمسك بعجلات سيارته .

وقد قابلنا في مرات قليلة مشاة في طرق هذه الغابات المظلمة فسألت عن الوحوش التي يمكن أن تضرهم فأجابوا : إنها قليلة وضررها على المشاة قليل الاحتمال ، ولكن المشكلة الكبيرة هي في الحيات التي توجد في هذه الطرق إذ تنساب من داخل الغابات في الليل ، ولا يستطيع الماشي أن يراها في الظلام .

فذكرت مرة أخرى خطورة السير في صحرائنا على المشاة في الأماكن النائية بسبب احتمال وجود الحيات .

ادفع واطلب :

لم يكن في طريق العودة جديد بعد ذلك فحواجز الجيش التي توقف السيارات وتتعرف على ركابها عديدة ولكنها كلها لم تتعبنا كما فعل المركز الواقع على حدود مقاطعة (بون) . وغير محطة لوقود السيارات (البنزين) وقف عندها سائق السيارة ليتزود منها فوجدناها في غرفة مغلقة وقد كتب عليها (ادفع واطلب) أي أن عليك أن تدفع قيمة ما تريد شراءه قبل أن تطلب من عامل المحطة أن يضع البنزين في سيارتك ، ولم أَرَ ذلك في غيرها وربما كان ذلك لكون الوقت متأخرًا في الليل .

وعندما وصلنا القسم المسفلت من الطريق كان السائق يسير بسرعة هائلة كأنه في سباق بحيث لم يترك سيارة كانت فيه إلا سبقها .

ولذلك وصلنا مشارف (منروفيا) في الساعة الواحدة أي ، مع حلول موعد منع التجول ، وكانت شوارعها خالية ، وقد بدت في هذه الساعة المتأخرة من الليل ذات أضواء جيدة وشوارع منسقة .

وفي الواحدة والثلث بعد منتصف الليل كانت السيارة تقف بنا عند الفندق .

يوم الجمعة : ١٤٠١/٥/٧ هـ ١٩٨١/٣/١٣ م .

في التاسعة كنا في مصرف (بنك) نغير الصكات (الشيكات) بدولارات نقدية لنوزعها على المشروعات والهيئات الإسلامية التي رأيناها واقتنعنا من استحقاقها المساعدة .

وقد استغرق ذلك منا وقتًا طويلاً إذ أخذ موظفو (البنك) يدققون في (الشيكات) لأنهم ليس لهم معاملة كبيرة مع بنوك المملكة العربية السعودية ، ولكن مرافقنا الأخ الوجيه الثري (محمد سيلا) أقنعهم بما يشبه الضمان قائلاً : إنني أتحمل للبنك كل ما يمكن أن يترتب عليها وذلك من حسابي لدى البنك.

ولم ننته من ذلك الا قرب الظهر ، وكان علينا أن نبدأ بعد ذلك فورًا في صرف النقود .

لذلك لم نأسف حين أخبرنا إخواننا أن خطوط غانا التي سنسافر معها إلى أكرا قد أبلغتهم أنه لن يكون هناك طيران اليوم إلى (أكرا) عاصمة غانا لأن الطائرة لم تقدم إلى منروفيا وإنه يمكن مراجعتهم في الغد .

من النافـذة :

في مساء هذا اليوم جلست على مكتب في غرفتي أسود أوراقي بما تقرأه الآن وكان هذا المكتب أمام نافذة زجاجية شفافة تحجب الحر ولا تحجب النظر .

والجو إذا ما تأخر المطر يومًا أو يومين يكون حارًا رطبًا وبعد نزول المطر يلطف ، إلا أنه سرعان ما يعود إلى حالته من الرطوبة والحرارة .

وكانت نافذتي تطل على مجموعة من المساكن الشعبية الإفريقية وكان

سكانها يقضون جزءًا من وقتهم خارج مساكنهم في أفنية مكشوفة بين المساكن .

فلاحظت أشياء من تصرفاتهم منها كثرة الاستحمام وتنظيف الجسم بالصابون ثم تنشيفه بالمناشف .

وكانت لمجموعة من هذه المساكن مرافق عامة أي : أن لكل خمسة أو ستة من البيوت دورة مياه واحدة ومكاناً واحداً للاستحمام فيه صنبور المياه .

لذلك كثيراً ما كنت أشاهد ربات البيوت يحملن الماء منه إلى بيوتهن ، ويغسلن منه ملابسهن أو أوانيهن وكثيرًا ما رأيتهم أطفالاً وبالغين يترددون على مكان الاستحمام يدخلون إليه ويخرجون منه وهم يحملون الصابون .

والمكان مسور وغير مسقوف ، ولكنه مستور لا يرى من في داخله .

وأعجب ما عجبت له كثرة غسلهم الثياب ، إذْ ترى الحبال التي تنشر عليها الملابس مثقلة دائمًا بالملابس المنشورة وترى النسوة والبنات يغسلن ملابس الأسرة باستمرار .

لذلك قل أن ترى على جيراني هؤلاء ثوبًا متسخًا أو قطعة من الملابس تؤذي النظر .

وكثيرًا ما رأيت النساء يغسلن اطفالهن بالصابون مرات بعد مرات .

والأعجب من ذلك أن جميع سكان البيوت من كبار وصغار واطفال مدركين تراهم ينظفون اسنانهم بالفرشاة ومعجون التنظيف كل يوم ويبالغون في ذلك مما يحمل على التأكد بأنهم ينظفون أسنانهم أكثر مما نفعل نحن في الشرق الأوسط مثلاً .

وليس ذلك وحده هو المظهر الوحيد من مظاهر النظافة في تلك البيوت . ولكن هناك كنس الأرض المكشوفة أمام البيت عدة مرات في اليوم الواحد .

يوم السبت : ١٤٠١/٥/٨ هـ ١٩٨١/٣/١٤ م

لم تقبل الشركة الغانية أن تحجز لنا مع أن موعد الطيران كان بالأمس وعرفنا السبب بعد ذلك وهو سقوط طائرة من طائراتها .

لذلك حجزنا مع شركة الطيران السويسرية غدًا من (منروفيا) إلى أبيجان عاصمة ساحل العاج ومن أبيجان إلى (أكرا) عاصمة غانا مع الخطوط الأثيوبية . وقامت موظفة الخطوط السويسرية بانجاز كل شيء . وقد اغتنمنا فرصة الاستقرار في العاصمة هذا اليوم بتحرير التقرير المتعلق بليبريا وبالاجتماع بكبار إخواننا المسلمين في هذه البلاد .

يوم الأحد : ١٤٠١/٥/٩ هـ ١٩٨١/٣/١٥ م

كان موعد السفر مع الخطوط السويسرية في الثامنة صباحًا ، وكانت الطائرة من طراز دي سي ١٠ الضخم ، وهي قادمة من أوروبا ولكنها تقف في عدة محطات قبل منروفيا .

وعندما دخلنا إلى الدرجة الأولى واستقبلنا المضيفون والمضيفات في الطائرة ثم اسرعوا في الخدمة وجعلوا يوزعون الابتسامات ومعها الهدايا والنشرات المتعلقة بهذه السفرة خاصة وبالسفر مع السويسرية عامة ، وذكرت الدرجة الأولى وخدمة المضيفين في بعض الطائرات الإفريقية فرثيت للافريقيين ، وقلت : إنه من غير العدل والانصاف أن تكون الأجرة في الطائرات المتباينة واحدة .

ثم عدت التمس العذر للإفريقيين بأنهم حدثاء عهد بهذه الأمور وإن السويسريين لهم خبرات عريقة في السياحة وتقديم الخدمات للسياح .

قامت الطائرة في موعدها المحدد وهو الثامنة صباحًا وأعلنت المضيفة أن الطيران إلى أبيجان عاصمة ساحل العاج سيستغرق ساعة واحدة .

وكانت الخدمة في غاية الامتياز والضيافة سخية نظيفة وقد دخلت الطائرة في غلائل من غيم رقيق منعنا مع ارتفاع الطائرة من رؤية الأرض.

إلا أننا قبل الوصول إلى ابيجان وعندما تدنت الطائرة قليلاً من الأرض رأينا مزارع منسقة على رواب خضر. وكان ما يبدو من التربة من خلال الخضرة أحمر جميل المنظر .

في مطار أبيجان :

وجدناه مطارًا منظمًا عامرًا بنزول الطائرات واقلاعها وكان معظم ركاب الطائرات التي تستعمله هم من الإفريقيين وفيهم بعض العرب ممن حادثناهم فيه ـ أي من الركاب الذين مروا به مرورًا عابرًا مثلنا ـ جماعة من الموريتانيين وآخرون من الجزائريين .

وكانت الإعلانات كلها باللغة الفرنسية .

وقد كنا نظن أننا سنتعب فيه إذْ قيل لنا : إن طائرتنا لن تغادره إلا في الساعة السابعة والربع مساءً غير أننا قطعنا أكثر الوقت بالكتابة والتحدث إلى بعض الركاب .

الإسلام في ليبيريا

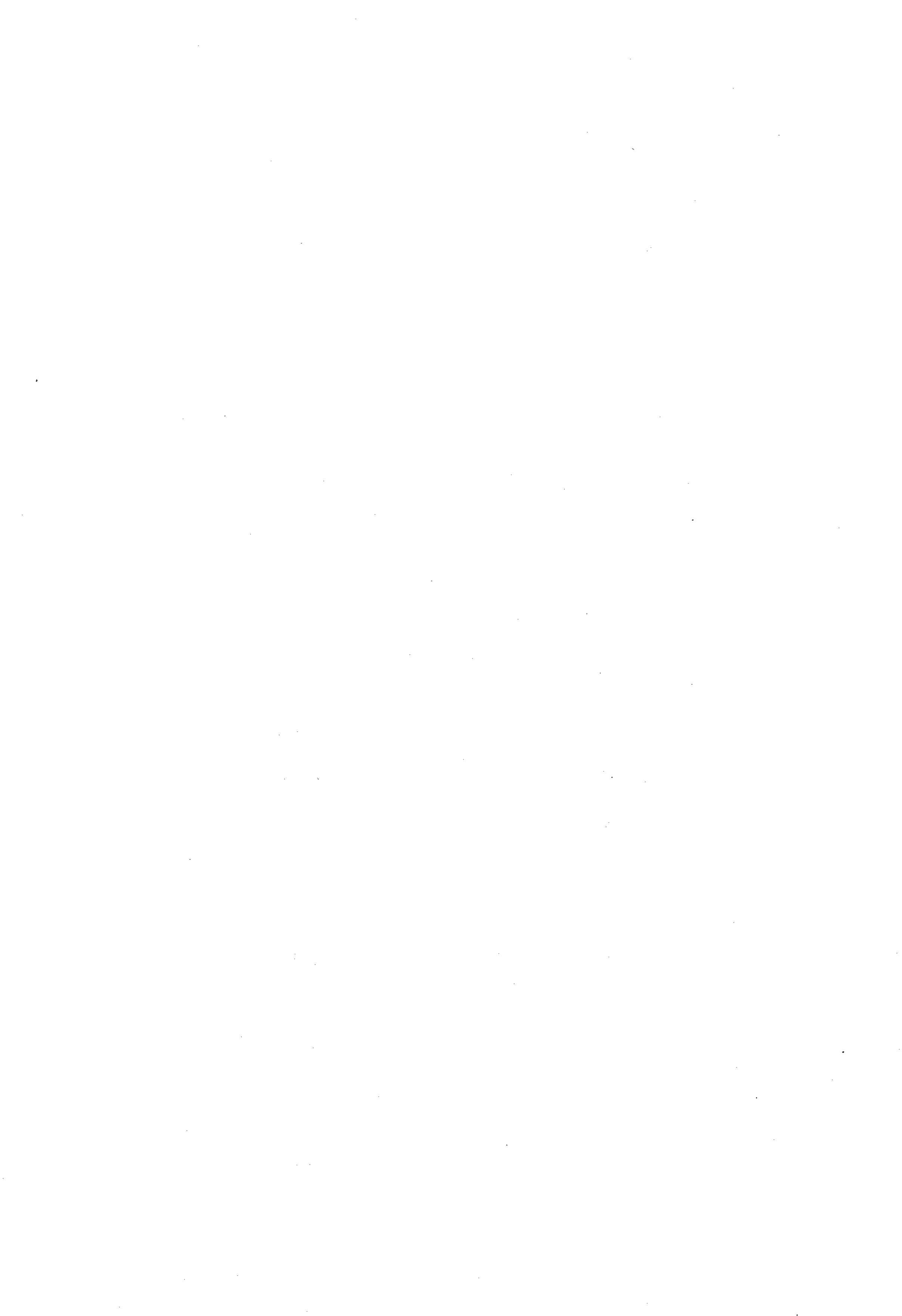

دخل الإسلام إلى ما يعرف الآن بجمهورية (ليبيريا) قبل دخول أيّ دين سماوي آخر ووجد طريقه إلى قلوب طائفة من السكان الذين كانوا يعبدون آلهة متعددة أو قل: إنهم الذين يسمون بالبدائيين الوثنيين. وان كان بعض المتثقفين من الإفريقيين المحدثين يحبون أن يسموا تلك الديانات الوثنية على تعددها واختلافها (بالديانة الإفريقية) على اعتبار أنها ديانة وجدت فيما يعرفونه في البلاد الأفريقية نفسها ولم تفد من الخارج.

وان كانوا لا يقصدون من ذلك إيجاد مفهوم واحد موحد لها فضلاً عن تنميتها أو الدعوة إليها لأنها مثل اللغات الإفريقية تعد بالمئات في إفريقية بل ربما تعد بالمئات في بلد كبير واحد، أو مجموعة من البلدان المتقاربة.

ولقد كثر معتنقو الدين الإسلامي في شمال البلاد وشرقها حيث القرب من الحدود الغينية.

كما كثر المهاجرون من القبائل المسلمة والقبائل العريقة في الإسلام التي وفدت من الشمال من غينيا ومالي مثل الماندنقو والسيراقلا والفولا، الذين عرفوا بالفلاني ـ بالنون ـ وقد نعرفهم في بلادنا بالفلاتة بالتاء وبعض تلك القبائل أو بتعبير أدق أولئك الأقوام هم من العريقين في الإسلام بل هم من الذين كانوا قد أقاموا لهم دولة إسلامية عظيمة في مالي أي في المنطقة التي تعرف الآن بجمهورية مالي والسنغال والنيجر وأجزاء من فولتا العليا وشمال نيجيريا.

وعرفت في التاريخ الإسلامي بسلطنة مالي ثم بسلطنة السودان. وبعض المؤرخين المسلمين المحدثين أسموها بلاد التكرور.

وكان اسم (السودان) قد أُطلق على سكانها قبل إطلاقه على ما يسمى الآن

بالقطر السوداني الواقع على نيل مصر. أو السودان العربي بالعين المهملة غير المنقوطة.

وإن كان الأمر قد يشتبه على غير ذوي البصيرة بالتاريخ حين يقرؤن أن سكان مملكة السودان في مالي تقع بلادهم على نهر عظيم كان أسلافنا العرب يسمونه النيل أيضاً وبعضهم يسميه نيل السودان.

ويريدون به ما يسمى الآن بنهر النيجر ظناً منهم أنه يتصل بنيل مصر وأنه هو نيل مصر نفسه يجري من هذه البلاد الواقعة في غرب إفريقية جنوب الصحراء حتى يصل إلى مصر.

إلا أن المتتبع لكلامهم قد يظن أنهم يريدون بإطلاق اسم النيل على هذا النهر العظيم (نهر النيجر) إنما هو تشبيهه بنهر النيل المعروف الذي هو نيل مصر، وليس لاعتقادهم بأنه النيل عينه.

وعلى أية حال فإن إيهام الغلط أيضاً حصل من اشتهار تسمية السودان العربي بالعين المهملة حينما كان الناس إذا أرادوا التفريق بين السودان القديم في مالي وبينه بأن يسموا سودان غربي أفريقية بالسودان الغربي بالغين المعجمة أي المنقوطة.

إلى أن جاء الاستعمار فأخذوا ينسبون كل قطر من القطرين إلى مستعمره فالسودان العربي هو السودان الإنكليزي المصري نظراً للحكم الثنائي فيه بين مصر وانكلترا.

الثاني هو السودان الفرنسي.

ولكن أولئك الأقوام من السودانيين الغربيين كانوا عندما وصلوا إلى ليبيريا في القرن السابع عشر فيما يعتقد على درجة من الضعف الثقافي والحضاري بالنسبة إلى ما كانت عليه دولتهم في وقت ازدهارها.

وهذا لم ينسهم عملهم السامي في نشر الإسلام بل لم يثنهم عن ذلك ولكنه كانوا ضعفاء أمام الغزو الفكري الغربي الجديد بل المتوثب القادم من العالم الجديد.

وذلك عندما وصل الأمريكيون إلى ساحل هذه الدولة الليبيرية في أول الأمر واحتلوه في عام ١٨١٦م ثم عملوا على ايجاد دولة للعبيد الأمريكيين المحررين الذين عملوا على عودتهم من الولايات المتحدة الأمريكية.

ثم لما أقاموا دولة ليبيريا في عام ١٨٤٧م كان العائدون قد حملوا معهم الديانة المسيحية التي تعلموها بل وتربوا في أحضانها في العالم الجديد.

ثم جاء معهم دعاة النصرانية الذين يتألفون من جمعيات قوية متسلحة بالأموال والثقافة وغير ذلك من الإمكانات غير المتوفرة لدعاة الإسلام في ذلك الوقت.

ولقد تعاونت الجمعيات المسيحية مع القائمين على الدولة الليبيرية المستقلة الحديثة في ذلك الوقت على إقامة الكنائس في البلاد وفتح المدارس المسيحية وبث الدعاة، بل على صبغ الدولة بالصبغة المسيحية.

ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره :

رغم كل ما ذكرناه، ورغم الفوارق الكبيرة في الإمكانات المادية المتوفرة فإن دعاة المسيحية فيما يسمى الآن بدولة ليبيريا قد ظلوا في نشاط دائب طيلة مائة واثنتين وثلاثين سنة هي ما مضى من عمر الدولة الليبيرية منذ إعلان استقلالها في عام ١٨٤٨م وحتى قيام الثورة الأخيرة في عام ١٩٨٠م.

وكانت الجمعيات المسيحية النشطة قد وجدت قبيل إعلان الدولة أيضاً.

ولا يزال بعضها أو أكثرها موجوداً حتى الآن.

ومع ذلك فإن محصلة تلك السنين الطويلة المليئة بالإمكانات المتوفرة التي

لا وجه لقياس الإمكانات المادية المتوفرة للدعاة المسلمين بها إذا كان الأمر يتعلق بالمقاييس المادية. كانت مدهشة.

فإمكانات المسلمين المادية أقل، والثقافة الحديثة عند كثير منهم تكاد تكون معدومة ووسائل الإغراء من مستشفيات ومدارس حديثة تكاد تكون غير موجودة.

وحتى الحوافز المادية التي من أهمها الوظائف والأعمال المنتظمة لا يملك دعاة المسلمين منها شيئاً يقدمونه لمن يدخل في الإسلام.

ومع ذلك فإن الرسميين بل والمسيحيين أنفسهم يعترفون بأن عدد المسلمين في دولة ليبيريا في الوقت الحاضر يفوق عدد المسيحيين رغم كون المسيحيين هم الذين يشغلون الوظائف الراقية، بل وهم المسيطرون في الحقيقة على الدولة منذ إنشائها حتى الآن.

فالإحصاءات الحالية غير المبالغة تقدر عدد المسلمين من سكان ليبيريا الآن بحوالي ٣٨٪ على حين تقدر عدد المسيحيين فيها بـ ٢٥٪ والبقية من الوثنيين.

وإن كان لا بد من تكرار القول بأن القوة المادية والتعليم العالي المستوى والوظائف الرئيسية بل إن قوة الدولة كلها هي في أيدي المسيحيين بسبب وجود المتعلمين المؤهلين لشغل الوظائف فيهم دون المسلمين والوثنيين بصفة عامة.

المقياس المادي:

لو أننا قسنا الأمور بمقياس مادي واحد من مقاييس مادية كثيرة وهو عدد المدارس والمساجد التي أنشأها المسلمون على فقرهم وقلة إمكاناتهم لرأينا عجباً من العجب.

فقد نشطوا في فتح المدارس الإسلامية التي هي في الحقيقة كتاتيب تعلم مبادىء القراءة بالعربية إلى جانب مبادىء الأمور الإسلامية البسيطة حتى كان

بعضهم يذهب إلى الأماكن التي يقطنها الوثنيون في قلب الغابات فيفتح مدرسة أو يبني مسجداً ويلحق به غرفة للدراسة ويظل هناك متفرغاً للعمل في سبيل الله خالي اليدين من أية قوة إلّا قوة الإيمان بالله.

ورجل يكون بهذه الصفة يكون في الغالب على مظهر من النسك مؤثر يمتد تأثيره إلى من يقتربون منه.

وغالباً ما يكون له تلاميذ ومريدون من أهل البلاد لا يلبث بعضهم أن ينهج منهجه سواء في حياته أو بعد مماته فيفتح بين قبيلته مدرسة في مسجد صغير يبنيه مما يبني أهالي البلاد به بيوتهم ويكلمهم بلغتهم لأنه منهم ثم لا يكاد يمضي الزمن حتى يجد له أنصاراً وأعواناً على الخير منهم فتتكون بذلك خلية إسلامية لا تلبث أن تكبر وتتسع دائرتها على الزمن.

رغم الإمكانات الكبيرة والمغريات التي تواجهها من دعاة النصرانية في المنطقة نفسها أو في منطقة قريبة منها.

ولقد شاهدت خلال تجوالي في مناطق ليبيريا خارج العاصمة وبخاصة في الأماكن النائية هذا الأمر واضحاً جلياً. وقصصت قصة ما شاهدته من ذلك في اليوميات.

عدد المساجد والمدارس :

ولذلك لم أدهش حينما قال لي إخواننا المسلمون وأكدوا ما قالوه من أن عدد المساجد في دولة ليبيريا يبلغ الآن ما يزيد قليلاً على خمسمائة مسجد.

بالإضافة إلى عدد كبير من المدارس الإسلامية والكتاتيب يزيد على المائة والخمسين.

يسند هذا العدد ويرفده دخول أعداد جديدة في الدين الإسلامي في كل يوم جديد على هذه البلاد السمراء الغنية من هذه القارة الإفريقية الفتية.

وإذاً يمكن القول بكل اطمئنان أن المسلمين لهم الأكثرية العددية في البلاد على المسيحيين ولكن ليس لهم من النفوذ شيء له أهمية أو ما يقارب ذلك.

والمؤمل أن تتاح لأبناء المسلمين فيها الفرص للالتحاق بالجامعات من مدنية ودينية والحصول على العلوم والشهادات التي تؤهلهم للسيادة والقيادة.

وحينئذ تضم إلى قوة الإسلام الخارقة في كونه دين الفطرة قوة الدولة والسلطان. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله ينصر من يشاء! .. وما ذلك على الله بعزيز.

نسبة المسلمين في ليبيريا ٣٨٪ ويكثر المسلمون في الأرياف على حدود غينيا وتقل نسبتهم في العاصمة إلّا أن عدداً كبيراً منهم يشتغلون بالتجارة وبخاصة تجارة الماس وحالتهم جيدة. ولهم منظمة عليا تجمع أكثر الجمعيات الإسلامية وهي المجلس الوطني لمسلمي ليبيريا وهي أحسن الدول التي مررنا بها في وحدة تمثيل المسلمين وجمع كلمتهم تحت قيادة واحدة ومع ذلك لا يوجد منهم في الحكومة وزراء وإنما يوجد أربعة من نواب الوزراء وقبل العهد الأخير كان المسلمون يتمتعون بالحرية الدينية الشخصية ولكن الدولة لم تكن تساعدهم على أن تكون لهم مشاركة في الإذاعة أو المصالح الحكومية الأخرى إلا أنهم في العهد الأخير تحسن الوضع بالنسبة لهم وصارت احتفالاتهم الدينية يحتفى بها في الإذاعة مثل المسيحيين.

وقد قررت الحكومة أن تجعل يومي عيد الفطر والإضحى عطلة عامة في البلاد كما أن الحكومة لا تمانع في أن يتلقى المسلمون المساعدات من الخارج وبخاصة من المملكة ولا أن يذهب أبناؤهم للدراسة في المملكة العربية السعودية.

ولديهم فرص في النجاح في الوصول إلى الوظائف الكبيرة لولا أن

الشهادات اللازمة لذلك لا تتوفر في الوقت الحاضر إلّا لقلة منهم. وذلك بسبب بعدهم عن دخول المدارس المسيحية التي كانت تقدم الحوافز والمشجعات للملتحقين بها وتؤهلهم للوظائف الكبيرة عن طريق الحصول على الشهادات الفنية والعالية.

وقد حاولت بعض الجمعيات الإسلامية أن تتلافى النقص في التأهيل للطلبة المسلمين بافتتاح مدارس حديثة وقد قام الوفد بزيارة بعض تلك المدارس ومنها على سبيل المثال مدرسة فوفانا الإسلامية وهذه المدرسة يملكها رجل من أثرياء المسلمين في ليبيريا اسمه الحاج محمد عثمان فوفانا في العاصمة وهي تشتمل على مرحلة ابتدائية ومرحلة إعدادية وتقع في مبنى جيد وجميل وعدد طلابها سبعمائة وقد اشترى صاحبها أرضاً بجوارها لتوسعة المدرسة ولبناء مسجد بجانبها يكون للمدرسة وللحي الذي تقع فيه.

ومنها أيضاً مدرسة المؤتمر الإسلامي وهي مدرسة تماثل سابقتها إلا أن ملكيتها لجمعية إسلامية تسمى جمعية المؤتمر الإسلامي وتدرس لطلابها المنهج الحكومي بالإضافة إلى العلوم الإسلامية من شرعية وعربية.

توصيات الوفد :

١ ـ نظرًا لأن اتحاد الجمعيات الإسلامية في ليبيريا تحت المجلس القومي الإسلامي وهو الممثل الرئيسي لمسلمي ليبيريا في الداخل والخارج فإن الوفد يوصى بالتعاون مع هذا المجلس لما له من جهود في سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه.

٢ ـ مما لمسناه من الحاجة إلى الدعوة إلى الله هناك فإننا نرى أنه ينبغي أن يسارع إلى إرسال المزيد من الدعاة ومدرسي اللغة العربية يوجهون إلى المجلس الوطني لمسلمي ليبيريا وهو يقوم بتوزيعهم على المدارس والهيئات الإسلامية.

٣ ـ كما أن الحصول على الكتاب الإسلامي هناك أمر صعب لذا ينبغي إمدادها عن طريق المجلس المذكور بكمية كبيرة من الكتب والمصاحف وموالاة إرسال ذلك.

قبل ختام الكلام على شئون الإسلام في ليبيربا نورد كلمة للأخ الشيخ سليمان بن محمد منصري مبعوث رئاسة الإفتاء والدعوة إلى ليبيريا عن نشاط المسلمين في مجال الدعوة لأنه خبير بذلك وقد أمضى سنوات في ليبريا لهذا العمل فكتب لنا ما يلي:

أول ما بدأ به المسلمون في البلاد من مشاريع الإسلام: بناء المساجد، وأول مسجد بني في العاصمة هو مسجد (فاي تاون Vai Town) بني بزعامة أبي بكر شريف من قبيلة الفاي وتاريخ تأسيسه لم يعرف لقدمه ثم مسجد شارع كامب جونسون رود (Camp Johnson Road) بناه رجل يدعى محمد كابا المشهور بمحمد كانول وكلا المسجدين لم يكونا مسجدين لصلاة الجمعة ولا وجود لهما الآن، وثالث مسجد في قلب العاصمة مسجد راندال ستريت الذي أسس عام (١٩٣٧) م ومؤسسه الحاج محمد كيرو وهو سيراليوني جنسيته، من هنا بدأت صلاة الجمعة وكان الإمام الشيخ أحمد تونسي وهو أيضاً من جمهورية سيراليون. وفي مسجد راندال ستريت نظم المسلمون أنفسهم وكونوا أول جمعية إسلامية في البلاد، وذلك عام ١٩٤٦م بزعامة الحاج (فامويا شريف Vamuya Sherif).

واعترفت حكومة ليبيريا بهذه الجمعية عام ١٩٥٣م وسموها (مجلس جماعة مسلمي ليبيريا Council of Muslim Community of Liberia) وبعدما كثر المصلون والمسجد صغير لا يحمل جميعهم، تبرع رئيس الجمعية بقطعة أرض واسعة بين شارع ميكلين وشارع بنسون لبناء مسجد كبير ثم تعاونوا جميعاً وبنوا المسجد المذكور بين شارعين وكان ذلك ١٩٥٣م. وانتقلوا إليه جميعاً تاركين المسجد القديم إلى الجديد لأنه أكبر وأوسع وأجمل للمصلين. وهكذا

بدأت نشاطات المسلمين في ليبيريا، وخاصة العاصمة.

وفي عام ١٩٤٦م قام الحاج فامويا شريف رئيس الجمعية لأداء فريضة الحج وهو يعتبر أول مولود ليبيري حامل جواز السفر ليبيريا، يحج إلى الأرض المقدسة.

بقي المسلمون في المسجد المذكور يؤدون صلواتهم المفروضة اليومية حتى في يوم من الأيام وقع بينهم فيه خلاف بسبب الإمام وخطيب المسجد لأن الإمام كان فيما يقال قد تزوج فوق أربع من النساء، وأنه يكتب التمائم ولأجل هذا قام بعض المأمومين عليه، فأنكروا إمامته، فأيده آخرون ومن هنا وقع الخلاف الواسع بين الفريقين المنكر والمؤيد.

ومن ذلك الوقت ترك المسجد كثير من المصلين ورجعوا إلى مكان المسجد القديم في راندال ستريت Randal Street) واشتروا بعض الأراضي حوله وجددوا بناء المسجد من جديد فصار مسجداً كبيراً الآن تقام فيها جميع الصلوات الخمسة وصلاة الجمعة وإمامه في الوقت الحاضر الحاج ابراهيم صوري جانه وهو عالم كبير.

نظم المسلمون أنفسهم في هذا المسجد وكونوا جمعية وسموها (المؤتمر الإسلامي الليبيري Muslim Congress of Liberia) وهذه الجمعية من أقوى الجمعيات الإسلامية في البلاد في جميع مجالات الدعوة والأعمال الإسلامية، وخصوصاً في ميدان التعليم والتربية.

ولديهم أيضاً مشروع بناء المسجد المركزي في العاصمة غير المسجد الذي يصلون فيه الآن، ويقدر المصلون فيه بثلاثة آلاف مصل يوجد هذا المشروع في شارع (نيوبورت New Port Street). والجدير بالذكر هنا أنه يوجد من بين أعضاء الجمعية أخ مسلم مخلص لدينه وهو الحاج محمد بن عبدالله سيلا، من جاليات جمهورية غينيا المستوطنين في ليبيريا، وهذا الأخ يحسن ذكره في

ميدان الدعوة في سبيل نشر العقيدة الصحيحة، وفي سبيل المثال عندما يدعو المسلمون اجتماعاتهم لجمع تبرعات المسلمين لإكمال المشروع يتبرع محمد سيلا في كل مرة بألف كيس اسمنت وقيمة الكيس الواحد تبلغ سبعة دولار أمريكي في البلاد. وهذا ما ذكرناه عنه قليل مما يفعله سراً، وهو الذي سبب مجيء المشايخ الأزهريين إلى ليبيريا، كان يسافر إلى مصر مراراً لأجل حضورهم، وأخيراً أوقف بيتاً له لخدمة جمعية (المؤتمر الإسلامي) وعمله وخدماته الجليلة لا تحصى لضيق المقام.

جمعية السلفية: في عام ١٩٧٣م جاء إلى ليبيريا شيخ كبير من غينيا وهو المدعو الشيخ (معافى كابا) وهو داعي كبير بدأ بالدعوة السلفية في غينيا وذلك عام ١٩٤٧م وبعد وصوله إلى ليبيريا استمر في دعوته فلقي إكراماً وترحيباً من بعض المسلمين، وقبلوا دعوته، من هؤلاء جماعة هذه الجمعية السلفية في منروفيا العاصمة مع أن هذا الشيخ كان يشدد في الدعوة مثل مسألة القبض والإرسال في الصلاة، يفتي على الناس بأن من لم يقبض يديه في الصلاة فإن صلاته غير صحيحة وما إلى ذلك.

ومن هنا قامت الجمعية السلفية بعد مجيء الشيخ المذكور، بدأ الذين اتبعوه يدعون الناس إلى التمسك بالعقيدة السلفية والسنة الصحيحة ومنهم الحاج موسى تغمده الله في رحمته ـ والحاج محمد شريف إمام مسجد السلفية وأمثالها كثيرون، حتى وهب لهم الحاج محمد شريف المشهور بالحاج فانتامادي شريف قطعة من الأرض لبناء مسجد السلفيين، الآن المسجد متألف من طبقتين والمدرسة.

وفي منروفيا مساجد كثيرة غير التي ذكرنا ولكن بعضها لم يكتمل بناؤه بعد مثل جامع الجليل في حي (لوكين تاون) وهذا المسجد كبير جداً بناه رجل واحد المدعو (فامبولي) من قبيلة الفاي، والمسجد تحت إشراف منظمة الهداية الإسلامية. ومسجد دار الحاج محمد فوفانا وهو صغير بناه لأهله ولكنه قد

اشترى أرضاً واسعة لتوسيعه ويجعله مسجداً للجمعة. ونسأل الله تعالى أن يوفقه لأن المشروع سيكون فخراً للإسلام والمسلمين لأن المكان ذو أهمية وهو واقع في الشارع الرئيسي في البلاد في حي سنكور.

وبعد هذا كله رأى المسلمون ضرورة وجود جمعية إسلامية ترأس جميع هذه الجمعيات، فنظموا المجلس القومي الإسلامي بليبيريا، ومركزه (منروفيا) العاصمة وذلك عام ١٩٧٤م. ويرأس هذا المجلس الحاج فامونيا كوني، ولهذا الشيخ المذكور ـ إنجازات إسلامية مشكورة في سبيل الدعوة إذ أنه قد بنى مسجداً جميلاً، ومدرسة (كاكاتا) ووهبها لجمعية الدعوة الإسلامية، اليوم تسمى هذه المدرسة مدرسة التربية الإسلامية، كما بنى مسجداً ومدرسة أيضاً في مدينة (نافولي) وعمله عظيم في الإسلام، ومع الأسف وهو الآن شيخ كبير السن، وقد أصيب بمرض وهو لازم الفراش ـ نسأل الله له العافية والشفاء العاجل.

والجمعيات التي كونت المجلس المذكور هي:

١ ـ مجلس جماعة مسلمي ليبيريا، ورئيسه: الحاج فامويا شريف.
٢ ـ المؤتمر الإسلامي بليبريا، ورئيسه: الحاج موريجان كابا.
٣ ـ جمعية مسلمي ليبيريا، ورئيسه: الحاج محمد خير باري.
٤ ـ جمعية السلفية، ورئيسه: الحاج عبدالله كمارا.

بجانب ما ذكرنا جمعيات إسلامية عديدة في البلاد، وكلها تحت المجلس القومي الإسلامي بليبيريا، ولكن أهمها هي هذه الجمعيات الأربع المذكورة كما توجد في مختلف المدن والقرى مساجد تضاهي بعض مساجد العاصمة، مثل: مسجد (مانيفالو) في مقاطعة كيب مان ومسجد (بايتان) في إقليم الوحي، باني هذين المسجدين هو الحاج سيكو شريف الأخ للحاج فامونيا شريف، ومسجد بوميها يوجد في إقليم بومي. ومسجد (بانغا) بناه الحاج سيكو

صواري أمير الحج، ومسجد بمدينة (باكيدو) و(فونجاما) و(سوسو مولاهون) وكلها في مديرية (لوفا) وغيرها كثير في مختلف المدن والقرى وفي المديريات المختلفة.

وللفائدة نذكر قائمة أسماء الجمعيات الإسلامية في البلاد.

أولاً: المجلس القومي الإسلامي بليبريا.
ثانياً: جمعية المؤتمر الإسلامي.
ثالثاً: مجلس جماعة مسلمي ليبيريا.
رابعاً: جمعية السلفية.
خامساً: جمعية مسلمي ليبيريا.
سادساً: جمعية الدعوة الإسلامية ورئيسها الحاج فافن قرسيا.
سابعاً: جمعية الرشاد الإسلامية ورئيسها الحاج صالح يوسف شريف.
ثامناً منظمة مسلمي لوفا المتحدة ورئيسها الحاج عثمان أيوب دوكلي.
تاسعاً: جمعية شباب مسلمي ليبيريا ورئيسها الحاج كارفا لا دونسو.
عاشراً: جمعية الأخوان المسلمين في كامبلي ورئيسها: الحاج فيغوكروما.
الحادي عشر: منظمة التضامن الإسلامي رئيسها السيد: أحمد كانه.
الثاني عشر: منظمة الهداية الإسلامية رئيسها السيد: فامبولي.
الثالث عشر: جمعية الرابطة الإسلامية ورئيسها السيد الحاج أحمد كانه.
الرابع عشر: جمعية الدعوة الإسلامية الثقافية. ورئيسها: سليمان ماساكوي.
الخامس عشر: جمعية اتحاد المسلمين (بان) ورئيسها: الحاج مامادي كمارا.
السادس عشر: منظمة شباب مسلمي ليبيريا: رئيسها: الأخ فامونيا عبدالله نيامي.
السابع عشر: جمعية زورزور الإسلامية يرأسها الحاج سيكو يليتي.

وهذه الجمعيات المذكورة لكل واحدة منها مدرسة إسلامية أو أكثر مثل جمعية مسلمي ليبيريا التي مركزها مدينة (سانيكولي) في مقاطعة نيمبا، ولها مدرسة في المدينة المذكورة، وخمسة فروع في المدن الأخرى، كما توجد مدارس وهي ليست تابعة لجمعية ولكنها متقدمة جداً في ميدان التعليم للمسلمين مثل مدرسة فوفانا الإسلامية الانجليزية التي هي موجودة في حي (سنكور) بالعاصمة، وهذه المدرسة متقدمة جداً في الدراسات الإسلامية، ومؤسسها الحاج محمد عثمان فوفانا هو من الرجال العاملين في سبيل رفع منارة الإسلام في البلاد وقد ذكرنا اسمه أنه بنى مسجداً في مكان المدرسة والآن يريد أن يجعله مسجداً للجمعة، وكما عليه مشروع جديد لتوسيع المدرسة. كما توجد مدرسة للمجلس القومي الإسلامي بليبيريا في العاصمة ولكنها تحت المشروع، وتعتبر أكبر مدرسة إسلامية ثانوية في البلاد إذا قدر الله إتمام مشروعها، واهب أرض المدرسة هو الحاج فامونيا شريف الذي ذكرنا سابقاً، بأنه رجل محسن كبير. وهناك مساجد كثيرة جداً في البلاد لم نذكرها.

نبذة من التاريخ السّياسيّ لليبيريا

ليبيريـا :

معنى اسمها (بلاد الحرية) وهذه التسمية مأخوذة من سبب إيجادها الذي سيأتي إيضاحه.

وموقعها في الشمال من ساحل المحيط الأطلسي وفي الجنوب من جمهورية غينيا الديمقراطية (غينيا كوناكري) ويحدها شرقاً غانا وساحل العاج، وغرباً المحيط الأطلسي وسيراليون.

وعدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة تقريباً.

وهي أقدم الدول الإفريقية الحديثة استقلالاً إذْ أصبحت دولة مستقلة في عام ١٨٤٧م.

وكان قد عاد قبل ذلك بسنوات قليلة عدد من العبيد المحررين من الولايات المتحدة الأمريكية ليؤلفوا أول العبيد المحررين الذين سيعيشون في دولة الحرية في إفريقية (ليبيريا).

بل إن أساس وجود دولة ليبيريا واستقلالها كان من أجل استيعاب العبيد المحررين في أمريكا الشمالية لكي يعودوا إلى إفريقية:

ورغم ما في الحرية والعودة إلى الوطن الأصلي من جاذبية وإغراء فإنه لم يبادر إلى ذلك إلا عدد قليل من الإفريقيين في أمريكا أو قل من العبيد المحررين في أمريكا.

بل إن بعض أولئك العائدين بالفعل إلى إفريقية قد عادوا مره ثانية إلى العالم الجديد.

مما جعل عدد هؤلاء المحررين المقيمين قليلاً جداً بالنسبة إلى عدد سكان

البلاد جميعهم الذين كانت أكثريتهم من القبائل الإفريقية التي تقطن في داخل البلاد والتي هي بحق صاحبة البلاد الأصيلة فيها.

ذلك بأن أولئك العائدين من أمريكا أو المتحررين من الرق لم يكونوا بالضرورة من أهل ليبيريا نفسها ينتمون إلى قبائلها، ويتكلمون بألسنتها، بل إنهم على العكس من ذلك مجموعة من الإفريقيين الأحرار ذات أصول متعددة جاءت إلى هذه البلاد من أجل العيش في حكومة حرة أفريقية وهم يتكلمون الانكليزية. ويتثقفون بالثقافة الأمريكية ولذلك كان قسم كبير منهم بمثابة الغرباء عن سكان الداخل في البلاد.

بل ظلوا يتعالون عليهم بأنهم المثقفون المتنورون بالنسبة إلى أبناء الداخل الجهلة من القبائل التي كانوا يسمونها بدائية.

وقد ظل الحكم بأيدي هؤلاء الإفريقيين العائدين لا يتعداهم إلى غيرهم إلى أن نفد صبر السكان الأصليين فقامت طائفة من شبانهم في الجيش من الصغار في السن والرتب بانقلاب دموي قتلوا فيه عامة المسئولين الكبار من هؤلاء العائدين وعلى رأسهم رئيس الدولة في ذلك العهد (تولبرت) وذلك في ١٢ أبريل عام ١٩٨٠م.

وتولوا السلطة في البلاد بقيادة الرئيس الحالي (صموئيل دو).

وكان انقلاباً دموياً قتل فيه ثلاثة عشر من الوزراء وكبار رجال الدولة كما قتل فيه من الحراس ورجال الأمن أعداد كبيرة لم يكشف النقاب عنها.

والحقيقة أنه أبيد أو أزيح من المسرح كل الرجال البارزين في ذلك العهد الذي دام مدة طويلة.

وقد جاءت هذه الثورة متأخرة عما كان يقدر لها المتتبعون للأحداث الذين كانوا يراقبون استئثار فئة قليلة جداً من السكان ربما لا يبلغ عددها ٥٪ بالنفوذ

والحكم من نسل أولئك المحررين القادمين من أمريكا دون الأكثرية من أهل البلاد الأصليين.

بل كان بعضهم لا يتورع عن نعت العهد السابق بالعنصرية والتمييز التعصبي وإن كان لون الفئتين كلتيهما واحداً هو اللون الأسود.

إن الذين سعو إلى توطين العبيد المحررين في هذه المنطقة في الأصل هم جمعيات أمريكية بالاتفاق مع الحكومة الأمريكية ولذلك كانت تسمية الموقع الذي استقروا فيه منها (منروفيا) الذي أصبح اسما لعاصمة البلاد على اسم الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت الذي تم فيه إنشاء المدينة.

وقد استقر أوائل العائدين في المنطقة ثم أخذوا بتوسيع نفوذهم بالإتفاق مع شيوخ القبائل المحلية ورؤسائها أحياناً وبمقاومتهم أحياناً أخرى نظراً للتفوق في السلاح الذي تمتلكه السفن الأمريكية والذين حملتهم من الولايات المتحدة سواء أكانوا من الأمريكيين البيض الذين عملوا على إعادة أولئك المحررين أو من الأفريقيين العائدين أنفسهم الذين كانوا قد أصبحوا أمريكيين بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وثقافتهم وكان ذلك في العقد الثالث من القرن التاسع عشر وما بعده.

وقد كان هذا الأمر سبباً مفهوماً لوقوع هذا الانقلاب الدموي إلّا أن هناك سببًا آخر بل أسباباً أخرى تبرر وقوعه أو تبرر أن يكون وقوعه مفهوماً أهمها: فساد الإدارة الذي كان مستشريًا في البلاد منذ مدد طويلة حتى أصبحت النزاهة فيها معدومة وأصبح الرئيس وبخاصة (وليم تابمان) الذي كان هو الرئيس قبل (تولبرت) الذي وقع عليه الانقلاب رمزاً للدكتاتور المتسلط رغم ما كان يحيط به حكمه من غطاء ديموقراطي هو التزييف بعينه. بل هو العكس الصحيح لما يوحي به لفظه.

وكان حزب الرئيس (تابمان) المسمى حزب المحافظين الحقيقيين هو

المتصرف في كل شئون البلاد رغم أن الذين يسيرونه في الحقيقة هم سلالة الإفريقيين العائدين من الولايات المتحدة الذين يسميهم بعض الناس (الأمروأفريقيين) أي: الأمريكيين الإفريقيين تمامًا مثلما سمى بعضهم هنود أمريكا الوسطى بالأمرواندیان أي: الهنود الأمريكيين ويراد بهم السكان الذين كانوا في تلك البلاد قبل وصول الأوروبيين إليها وان كان الواقع مختلفاً في الأمرين.

إلى غانة
ساحل الذهب

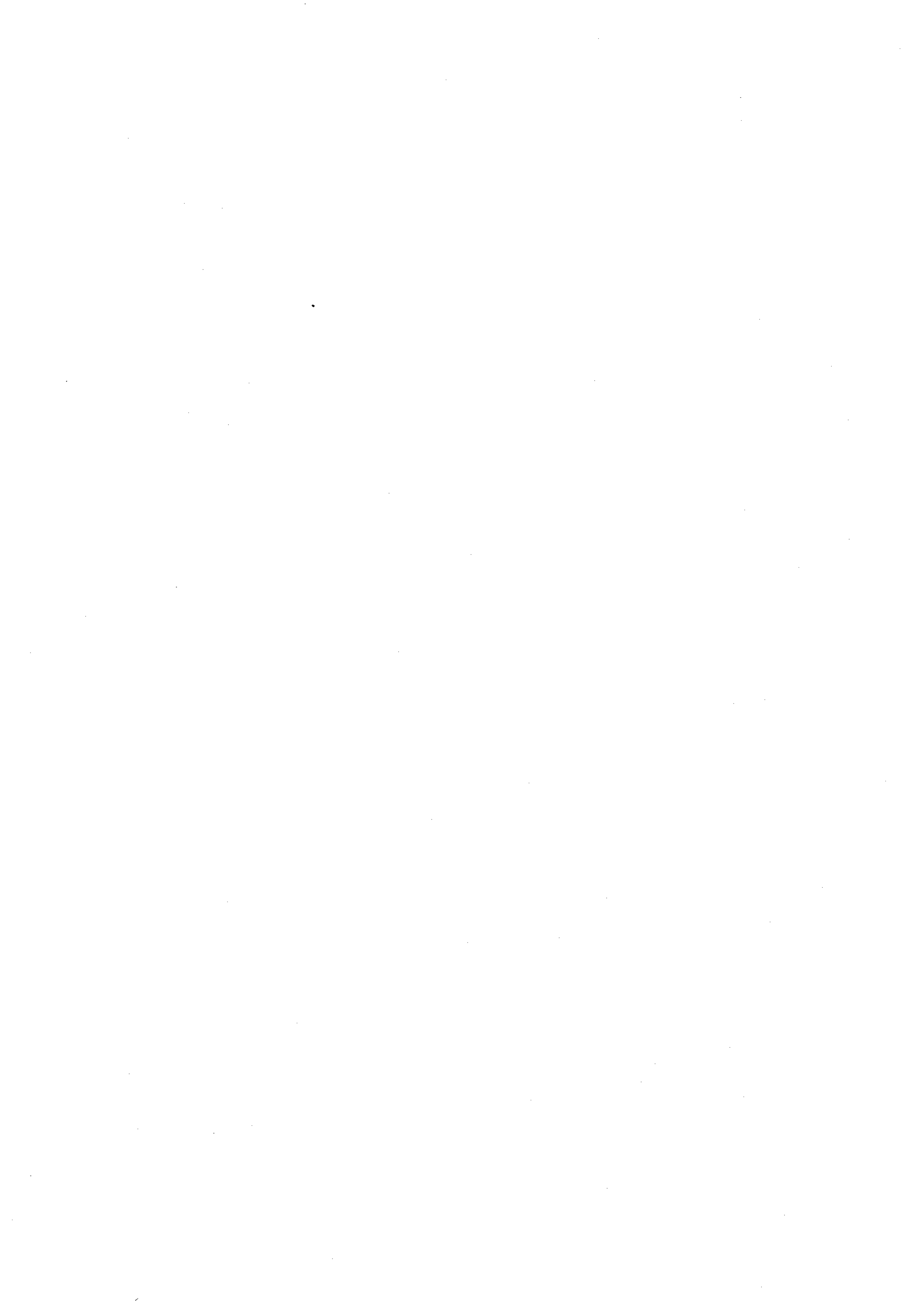

يوم الأحد ١٤٠١/٥/٩هـ ـ ١٩٨١/٣/١٥م:

من ساحل العاج إلى ساحل الذهب :

لم أَرَ ساحل العاج إلا من الطائرة، ولم أنزل في أرض هذا الساحل إلّا في المطار رغم أنني أمضيت في ساحل العاج ١٤ ساعة.

وذلك لأننا كنا قد حجزنا من منروفيا إلى (أكرا) عن طريق مطار أبيجان عاصمة ساحل العاج على أن تصل طائرتنا وهي طائرة الخطوط السويسرية في الساعة التاسعة صباحاً وان تكون مغادرتنا مع طائرة الخطوط الأثيوبية في الساعة السابعة وخمس دقائق مساءً، ولكن الطائرة الأثيوبية تأخرت حتى الحادية عشرة والثلث. وكانت هذه شنشنة معروفة من أخزم إفريقية الذي يفوق (أخزم العرب) في هذا المجال.

إن ساحل العاج وساحل الذهب: اسمان يذكِّران بالزمن الذاهب زمن الاستعمار، وليس ذلك فحسب وإنما يذكران بأن أكبر هَمٍّ للمكتشفين أو المغامرين الأوروبيين من المجيىء إلى هذه البلاد هو الحصول على الثروة فهنا ساحل العاج الثمين، وهناك ساحل الذهب الأثمن.

وتمتع المغامرون الأوروبيون. ومن بعدهم المستعمرون منهم بثروة هذين الساحلين مدة طويلة من الزمن كان أهلها خلالها يغطون في سبات من الجهل عميق.

وعندما بدأت اليقظة تدب في أذهانهم النائمة. كانت الثروة التي تغري الأوروبيين بالبقاء فيها قد بدأت بالنفاد وكان الأوروبيون المستعمرون قد بدأوا يدركون أن ما سيخسرونه في مكافحة طموح هؤلاء الوطنيين الإفريقيين أكثر مما يكسبونه من ثروة العاج والذهب.

لذلك رحلوا وتركوا التسمية التي تدل على هدفهم من الوصول إلى هذه البلاد فمن أهلها من أبقى عليها بعد ذلك مثل أهل ساحل العاج ومنهم من قضى عليها كما فعل أهل ساحل الذهب، فأسموا بلادهم (غانة).

وهذا الاسم الوطني الحديث (غانة) هو اسم معروف في التراث العربي القديم لبلاد واقعة في غرب إفريقية. كان العرب يعرفون أنها آخر المعمور الذي يتصورونه من جهة الغرب الجنوبي من العالم كما أن آخر المعمور الذي كانوا يعرفونه من الجهة المقابلة لها من العالم وهي جهة الشمال الشرقي هي (فرغانة) الواقعة الآن في الأراضي التي يسيطر عليها الاتحاد السوفييتي وكانت قولة بديع الزمان الهمذاني منذ أكثر من ألف عام: إنك لو جبت ما بين غانة إلى فرغانة) هي الدليل القريب على ذلك.

تركت الطائرة الأثيوبية في الساعة الحادية عشرة والثلث مطار أبيجان متأخرة عن موعدها المقرر أكثر من أربع ساعات، فجددت عهداً بعيداً بهذه الطائرات الأثيوبية التي كنت قد ركبت فيها عدة مرات في أول عهدي بالأقطار الإفريقية منذ سبعة عشر عاماً. وكنت أوثرها على غيرها من الطائرات الافريقية لما كان يتحلى به الأحباش من خدمة جيدة، وأدب جم في معاملة الآخرين في ذلك الحين.

ورأيت المضيفات الحبشيات اللائي كنت قد نسيتهن فذكرت جملة كنت قد قلتها في ذلك الزمن البعيد، ولم أنسها بعد وهي أن الأحباش عرب قد اسودُّوا.

إلا أنهم لم يقدموا شيئاً من الطعام وذلك لكون الرحلة قصيرة، ولكونهم كانوا قد أطعمونا على نفقتهم عشاءً جيداً في مطعم المطار.

كانت طائرتهم من طراز بوينج ٧٠٧ وربما كانت هذه هي التي ركبت فيها في تلك المدة الطويلة فقد كانوا من أوائل من ملكوا من الإفريقيين هذا الطراز

من الطائرات. وكانت الدرجة الأولى غير مزدحمة بالركاب، وكانت المضيفات يقدمن الخمر لمن يريدونها من الركاب قبل قيام الطائرة. وعندما طلبنا من إحداهن أن تقدم لنا بدلاً من أم الخبائث شراباً من شراب البرتقال لم تحضره إلّا بعد إقلاع الطائرة.

ودام طيرانها (٥٠) دقيقة في ظلام دامس من ظلمات ثلاث هي ظلمة الطائرة التي أطفأوا أنوارها طلباً للهدوء وظلمة السحاب ما بيننا وبين الأرض وظلمة الليل البهيم.

في مطار أكرا :

كنا قد ملأنا بطاقات الدخول إلى غانة ونحن في الطائرة، ومع ذلك قابلنا عدد من المتطفلين العاملين في المطار ببطاقات أخرى يريدون منا أن نملأها. وأخذوا الجوازات واستسلمت لهم لأن شهادة التطعيم الصحية التي أحملها لم يكن فيها شهادة تطعيم ضد الحمى الصفراء مع أنني أخذتها بالفعل قبل أقل من ثلاث سنوات عندما أردت السفر إلى مدغشقر، ومفعولها يستمر إلى عشر سنوات.

ونفع هذا فيهم فالمرأة التي كانت تستقبل الركاب وتنظر في أوراقهم الصحية ختمت عليها دون أن تنظر فيها ربما كان ذلك مراعاة لخاطر أحد المتطفلين.

وكذلك مررنا من ضابط الجوازات قبل غيرنا من المسافرين وهو أمر لم أكن أريده، إنما هذا المتطفل الذي أخذ الجوازات نادانا بل قدمنا بالقوة أو بما هو شبيه بالقوة. إلا أن ذلك لم يقدمنا كثيراً لأن مكتب رابطة العالم الإسلامي في جدة الذي كان قد تولى أمر الحصول على تأشيرات الدخول لنا إلى الدول الأفريقية التي سنزورها، نسي أن يأخذ تأشيرة جديدة عندما انتهى أمد التأشيرة الحالية فلما رآها الضابط قال: إن التأشيرة التي تحملها قد انتهى

مفعولها فأرجو أن تترك الجواز عندي حتى الصباح وسوف أمنحك مدة شهر غداً.

فقلت له: إنني لا أستطيع أن أتركه لأنني أحتاج إليه في الجمرك وصرف النقود والفندق، فأخذ يتمهل إلا أن أحدهم أشار إليّ أن أعطه شيئاً فكان أن قال بعد ذلك إنني أعرف أنك دبلوماسي لأن جوازك كذلك.

لذلك أعطيتك إقامة لمدة أسبوعين.

وتركته إلى منطقة الجمرك وهنا كان عدد المتطفلين قد كثر ونحن لانزال في المنطقة المحظورة على غير العاملين.

وعند صاحب البنك كانوا يلاحقوننا يتطفلون بأن يرشدوا.
وطلبت من موظف البنك أن يصرف لي عشرين دولاراً أمريكية من النقد فأبطأ عليّ وأعطاني استمارة طويلة طلب مني أن أملأها وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل، ونحن بحاجة إلى الراحة بعد تعب في مطار أبيجان. فعدلت عن الصرف وأردت الانصراف من عنده ولكنه ناداني وأعانه على ذلك بعض المتطفلين وقال: انتظر. فقلت له: إنني قد عدلت عن الصرف فقال: هات النقود، وهنا علق أحد الأوروبيين وكان موجوداً عنده فقال: إنك يجب أن تصرف شيئاً، إنه النظام عندهم.

فقلت: إذا كان الأمر كذلك فانني سوف أنتظر وانتظرت وقتاً طويلاً وقعت خلاله على عدد من الاستمارات كل ذلك من أجل صرف عشرين دولاراً نقداً وليست شيكاً سياحياً.

وخرجت من المطار فوجدت جمهوراً أكبر من المتطفلين والمتحدثين عن التاكسي والفندق.

الليلة الأولى في غانا:

قال سائق سيارة الأجرة وهو يهم بالإنطلاق بسيارته يتعلق بها عدد من

المتطفلين إلى أي فندق تحبون أن تذهبوا؟

فقلنا: إلى أقرب فندق من المطار.

فقال: إذاً إلى فندق غانا، ولكن الموظف فيه قال عندما وصلناه وهو لا يكاد يرفع جفنيه من النوم: إنه لا توجد لديه غرف.

فذهبنا إلى فندق آخر فكان الأمر كذلك مع ثالث ورابع وخامس ونحن ندور في شوارع عاصمة غانا حتى حصلنا على غرفة واحدة في فندق يسمى (رنقوي) وانهينا إجراءات النزول في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل.

وألح السائق على أن يأخذ أجرته بالدولار الأمريكي وعرفنا بذلك أن هناك فرقاً في الصرف بين السعر الرسمي للعملة وبين السوق الحرة المسماة بالسوق السوداء. ولكننا لم نعرف مقداره ولم نرض أن نعطيه نقداً أجنبياً أي: دولاراً إلّا في الصباح لأننا لسنا واثقين منه.

يوم الاثنين : ١٤٠١/٥/١٠هـ ١٩٨١/٣/١٦م:

من المصادفات :

كان عهدنا بزميلنا في الوفد الشيخ إسماعيل بن عتيق منذ أن غادرنا سيراليون إلى ليبيريا قبل ثمانية أيام، وكنا متحيرين أين نجده عاجلاً لأننا لم نتفق على السكنى في فندق معين ولو اتفقنا لما استطعنا أن نضمن ذلك لأننا لا نضمن أن نجد فيه غرفاً. وإنما الوسيلة أن نسأل السفارة السعودية في أكرا عن عنوانه مع العلم بأن الاتفاق كان قد تم معه على أن يعمل بعض الترتيبات لعمل الوفد.

ولكن بينما كنت أنزل من الغرفة في هذا الصباح وإذا بالشيخ (عمر إبراهيم إمام) أحد تلاميذي في الجامعة الإسلامية ومن المتخرجين فيها الذين يتفرغون للدعوة إلى الله وتدفع دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية رواتبهم وقد رأيته وهو واقف في مكتب الفندق فسلمت عليه وفرحت بذلك لأنه سيخبر الشيخ إسماعيل بنا غير أنه دهش وقال: إنني هنا أحجز غرفة في هذا الفندق للشيخ إسماعيل فقلت له: ولماذا في هذا الفندق بالذات؟

فقال: رأيته مناسباً فحجزت فيه إن الشيخ إسماعيل الآن في مدينة كوماسي وسيعود إلى أكرا ظهراً..

وكانت هذه مصادفة لطيفة.

مدينة أكرا أو نظرة أولى على أكرا :

يمكن القول بأنها من أقل المدن الإفريقية التي مررنا بها في هذه السفرة عناية بالمرافق العامة فالاسفلت في الشوارع أكثره غير ناعم وفي بعضه حفر ونقر

عميقة، والنظافة أيضاً ليست على ما يرام وقد ساعد ذلك شيء في جو هذه المدينة جعلها شبيهة في الجو ببعض البلاد العربية الجنوبية الساحلية أو بالجو في مدينة مقديشو عاصمة الصومال.

إلّا أن الهواء هنا إذا هبّ كان بارد النسمات، غير مثقل بالرطوبة مع أن المدينة واقعة على المحيط الأطلسي.

وأما الأرصفة فيها فهي رديئة ترابية وترابها جاف ومن هنا أشبهت الموانىء العربية ومدينة مقديشو.

ويبلغ عدد سكان (أكرا) ثلاثة ملايين نسمة وهي عاصمة دولة يبلغ سكانها اثني عشر مليوناً من النفوس.

كان العمل الأول هو صرف النقود وكنا قد صرفنا أمس قليلاً منها فأعطونا بكل دولار أمريكي ثلاثة سديات من عملتهم والسدِّي هو الواحد منها وهي كلمة استحدثوها من عهد الرئيس السابق نيكروما ولم يغيروها وهي من لغة محلية هي لغة (قان) إحدى قبائل غانا. وإحدى اللغات الكثيرة فيها قال بعضهم إنها تبلغ خمسين لغة.

واللغة الرسمية منها هي الانكليزية وهي التي يتفاهم بها الناس فيما بينهم لأن بعضهم لا يفهم لغات بعض.

وتليها في الأهمية لغة الهوسا وهم مجموعة لا بأس بعددها في غانا وكلهم من المسلمين ولغة (قان) في أكرا.

ولكن أحد الموظفين في الفندق قال لنا إنه يقبل أن يعطينا بالدولار الواحد عشرين (سدياً) أي أكثر من خمسة أضعاف السعر الرسمي للدولار، إلا أننا عرفنا فيما بعد أن الدولار يساوي في السوق السوداء أكثر من ذلك بكثير.

وقد ركبنا سيارة أجرة إلى مطعم كان لبنانيًا قد تغير أمره بعدما ضايقت

حكومة غانا التجار الأجانب من اللبنانيين وغيرهم وطردت بعضهم. وكانت الأجرة عشرين سدياً وتساوي سبعة دولارات بالسعر الرسمي وأقل من دولار واحد في السوق الحرة.

وكانت وجبة الغداء المؤلف من اللحم والخضار وقليل من الأرز (ثمانين سدياً) للشخص الواحد.

وكانت الكهرباء قد انقطعت في الفندق منذ الصباح وعرفنا أن الانقطاع شمل البلد كله. فكان البقاء في الغرفة أمراً صعباً لأن نوافذها من زجاج شفاف ثابت لا يمكن فتحه حتى يدخل الهواء الطبيعي إليها، فكنا نذهب إلى مقهى صغير في الفندق في الهواء الطبيعي.

يوم الثلاثاء : ١١/٥/١٤٠١هـ ١٧/٣/١٩٨١م :

أكرا والحمى :

قالوا إن اسم مدينة (أكرا) كان مستوحى في الأصل من حشرات كالبعوض إلّا أنها أصغر منه ويظهر أن البعوض نفسه قد استمر وجوده في أكرا بالذات واستمر كونه يسبب الحمى فأصبح الذي يسافر إليها، ويصل يوصيه أصحابه بأن يأكل حبوباً تكافح حمى الملاريا.

ولما وصلت نصحني بذلك الناصحون فأردت التأكد من ذلك من أحد اللبنانيين فقال لي: إن حمى الملاريا موجودة في جميع إفريقية وهو يريد بذلك إفريقية الغربية، ولكنها في هذه البلاد أكثر ونحن نواصل أخذ حبوب الوقاية باستمرار، فأرسلت أخي وتلميذي في الجامعة الإسلامية الشيخ (عمر إبراهيم إمام) وهو من أهل غانا أن يشتري لي الدواء اللازم للاحتياط، فأحضر حبوباً قال إن الصيدلي يذكر أنها قوية، وأنه يكفي أن يتناول المرء منها كل أسبوع حبة واحدة.

وقال لنا إخواننا الغانيون إن الملاريا كانت في القديم تعتبر مستوطنة في أكرا بالذات وفيما حولها غير أن أهل البلاد كانوا في أول عهدهم بالإستقلال يكافحونها برش المستنقعات التي لا يستطيعون إزالتها، وبإزالة التي يقوون على إزالتها فقضوا على معظم البعوض وانقطعت الحمى أو كادت، ولكن الحمى والبعوض الذي يسببها كأنما كانت تشعر بما أصاب البلاد من كوارث بسبب الانقلابات العسكرية وحكم العسكريين الذين شغلوا بما هو أهم لديهم من مكافحة الملاريا من نهب للأموال وإيثار للأقارب فغفلوا أو تغافلوا عن ذلك فعاد البعوض ينمو ويتكاثر وعادت الحمى تستوطن ولا ترحل، وعاد الناس

يوصي بعضهم بعضاً بأخذ الحبوب الواقية منها باستمرار، و(درهم وقاية خير من قنطار علاج).

في السفارة السعودية :

ذهبت إلى السفارة السعودية التي تقع غير بعيدة من الشارع الذي يقع عليه فندقنا والمسمى (رنقوي) وهو الذي سمى على اسمه فندقنا لأنه واقع عليه وهو شارع رئيسي هام ولذلك أسموه (وي) فهو ذو اتجاهين بينهما رصيف مهمل زراعته رديئة رغم أن الزراعة فيه لا تكلفهم كثيراً وعلى جانبيه أرصفة واسعة أيضاً، لا أثر للعناية فيها أصلاً، وقد غرسوا أشجارًا على الجانبين نما بعضها ومات الآخر.

اجتمعت بالأستاذ عبد الحميد أحمد قاري القائم بالأعمال من أهل مكة المكرمة. ويسمونه هنا السفير لأنه لم يعين سفير غيره منذ فترة والحقيقة أنه جدير بهذا اللقب وبالمنصب لأنه يؤدي واجبه السياسي، ولا ينسى واجبه الأساسي وهو خدمة المسلمين، والسعي فيما يعلي كلمة الدين في هذه البلاد التي كان من المسيحيين الإفريقيين من حكامها من كانوا متعصبين ضد المسلمين رغم أن كثيرًا من الأفريقيين كانوا يعدون من المسيحيين بالاسم أو بحكم النشأة أو التعليم من غير أن يتمسكوا بالمسيحية التي يعتبرها أكثر الإفريقيين ديانة الرجل الأبيض فضلاً عن أن يكون لها من المتعصبين.

وكان حديث مفيد في السفارة معه زادني معرفة بأمور هذه البلاد السياسية والاقتصادية وبما عليه أوضاع المسلمين.

وكان الذي صحبني أو على الأصح صحبته في السيارة هو الأخ شعيب أبو بكر وهو أحد تلاميذنا في الجامعة الإسلامية فكان بعد أن تخرج منها متعاقداً مع دار الافتاء في المملكة على تفرغه للدعوة في غانا مقابل أن تدفع له راتباً مناسباً، فكان عاملاً بما انتدب له نشيطاً في ذلك.

كان يقود سيارته بنفسه إلّا أنه قال قبل أن نركبها وهي من صنع ياباني : إنني غير واثق من أنها ستتحرك فإذا لم تتحرك ركبنا سيارة أجرة.

وتحركت وكان رجلاً واسع الاطلاع على ما يتعلق بأمور غانا فكانت مرافقته مفيدة ولذلك جلست معه جلسة مطولة لهذا الغرض.

يترحمون على من كانوا يسبونهم :

كان الناس بأكثريتهم يكرهون (قوامى نيكروما) رئيس غانا السابق بعد الاستقلال، وذلك لأنه انتهج أساليب غير ديموقراطية وكان المثقفون من أهل البلاد يطمعون في أن تكون في بلادهم بعد الاستقلال طرق للحكم ديمقراطية كالتي شاهدوها وعرفوها في بلاد الإنكليز، والذي لم يشاهدها عرفها نظريًا ولم يمارسها تجربة حية.

وساءت الأمور في زمنه حتى أسقطه الجيش وتولى الحكم بعده، ثم تعاقبت الحكومات وكل حكومة إما أن تكون أسوأ من سابقتها أو تكون مثلها في الرداءة ولكنها لا تكون أحسن منها.

وكانت النتيجة أن أصيبت البلاد بدمار اقتصادي أوصلها إلى أن لا تساوي عملتها الوطنية إلا أقل من عشر قيمتها الحقيقية، وأخذ الناس يذكر (نيكروما) ويترحمون على السوء الذي كان في زمانه مع أنه لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك لأنه هو الذي فتح باب السوء في الحكم.

ومن بين الحكومات التي فعلت فعلاً كان سيء العاقبة في اقتصاد البلاد أن رئيس إحدى الحكومات السابقة التي كان يرأسها مسيحياً متعصباً لمسيحيته مبغضاً للمسلمين فيما أخبرونا عنه وأنه أصدر أمره بطرد التجار الأجانب من البلاد وأغلبهم مسلمون من مالي والنيجر...

كما طرد بعض التجار اللبنانيين وضايقهم، فكانت النتيجة أن أخذ التجار

الذين بقوا في البلاد، وأخذ المواطنون ممن عندهم نقود يكادون يفقدون الثقة في المستقبل الاقتصادي للبلاد ولا يظهرون أموالهم على حقيقتها لئلا تصادر وكانت النتيجة الثانية ضعف الاقتصاد بل انهياره حتى فقدت بضائع ضرورية من السوق، وأصبحت تباع بأغلا الأثمان إذا وجد منها شيء مهرب وقد تضررت من ذلك عامة طبقات الشعب تضررًا عظيمًا.

فأصبح بعض الناس الذين كانوا يبغضون التجار الأجانب يكادون يترحمون عليهم.

يوم الأربعاء ١٢/٥/١٤٠١هـ ١٨/٣/١٩٨١م:

جولة في أكرا:

ستكون هذه الجولة على بعض الأحياء في أكرا وليست لموضع واحد بعينه.

بدأت في الثامنة والنصف من صباح هذا اليوم على سيارة للأخ (شعيب أبو بكر) الداعية إلى الله في أكرا يقودها بنفسه ومعنا الشيخ عبد العزيز الربيعان.

ومنذ أن تركنا فندقنا على شارع (رنقوي) الواسع ونحن نشاهد ظاهرة سيئة في البلدة لاتزال تطالع أكثر الذين يجولون فيها ألا وهي ظاهرة رؤية مياه المجاري في الشوارع والأزقة.

وهي في المحلات التي يمكن أن تسمى راقية بالنسبة إلى غيرها يراها المرء ظاهرة على جانبي الشارع على شكل قناتين صغيرتين كما عليه الحال في بعض البلدان الإفريقية والآسيوية الاستوائية مثل تايلاند ولكنها في تلك البلاد لا تحس لها بأي إزعاج وأقرب مثل على ذلك في مدينة فريتاون عاصمة سيراليون التي تركناها قريباً لأن المياه كثيرة وأهل البلاد يحاولون ألا يقع فيها شيء صلب يوقف جريان الماء فيها.

أما هنا فأن الأمر بالعكس فالمياه رغم كثرتها عندهم تنقطع كثيراً، وهي إذا جاءت تكون شحيحة، والناس ـ ولا أدري السبب ـ يلقون بالقمامات والأشياء الصلبة في هذه المجاري فتقف أو يقف جزء من مياهها عن الجريان. وهي مياه بعضها قذر قبل ذلك فتصبح بعد الوقوف والتحير قذرة نتنة الرائحة.

وبخاصة في مثل هذا الفصل الذي نحن فيه الذي يسمونه فصل الصيف الذي يسبق موسم الأمطار.

ولما كانت القمائم والأقذار توجد في هذه المدينة الإفريقية الكبيرة (أكرا) بشكل ملفت النظر سألت عن السبب؟ فأجابوا: لأن عمال النظافة في البلدية قد أضربوا عن العمل منذ شهر وذلك للمطالبة بزيادة أجورهم.

إلى نعمـــة:

هذا حيّ يسمى (نعمة) ولكنهم ينطقون بها من دون عين حلقية بل يجعلون بدلاً منها ياء فتصبح (نيمة).

وهو حي تقطنه نسبة كبيرة من المسلمين. والسبب في تسميته (نعمة) أن الذي أسسه هو أحد المسلمين من (الهوسا) وسماه بهذا الاسم على اعتبار أنه (نعمة) من نعم الله سبحانه وتعالى.

أول ما يلفت النظر فيه وجود بعض النساء اللاتي يسترن رؤوسهن، ولا يظهرن صدورهن كما تفعل غير المسلمات. ووجود بعض الرجال الذين على رؤسهم الطواقي ـ جمع طاقية ـ ووجود عدد أقل من ذلك عليهم القمص الطويلة ـ جمع قميص ـ وهو شبيه هنا بالقميص العربي لكن هذا أوسع وأقصر.

كانت أول زيارة فيه لمكان اسمه (مركز البحوث) وجدنا على بابه لافتة تقول بالعربية: (مركز البحوث والارشاد الإسلامي) وتحتها معنى ذلك بالانكليزية.

ولكننا لم ندخله مباشرة ووجـدنـا عند بابه امرأة في جانب الشارع تبيع جوز الهند الذي هو ثمار النارجيل الأخضر قبل اصفراره. فشربنا من ماء هذه الثمار وهو طبيعي بارد رغم أن الثمار كانت موضوعة في الشمس.

ثم رأينا المركز فقيراً بمحتوياته، تضمه غرفة غير واسعة، قليلة الكتب، سيئة التأثيث، ويقع بجانب مسجد صغير أخرجه أحد المسلمين من بيته ووقفه لهذا الغرض إلا أنه صغير المساحة، ويسمى هذا الشخص المحسن (صالح ميحيا) جزاه الله خيراً.

ولضيق المسجد فإنه يمتلىء بالمصلين، ويفرشون في الشارع فيصلون ولكن يحول بينهم وبين المصلى مجرى للمياه القذرة الآسنة يصعب تحمله وقد وضعوا عليه الواحاً من الخشب حتى يستره عن الأعين لمن يريد أن يدخل المسجد، ولكن ذلك لم يكف لستره. فأصبح منظره سيئاً، لا سيما إذا وقف فيه المرء فرأى أسراباً من الذباب مما يكون في هذه المياه القذرة. وكثرة الذباب أمر لم أشاهدها فيما مررت به من الدول الإفريقية لأن الجو الاستوائي لا يناسب الذباب المعتاد، وإنما يكون كثيراً في البلاد التي تقع عن خط الاستواء شمالاً على حدود المنطقة المعتدلة من المنطقة الحارة.

في سوق غاني :

ربما كانت الأسواق الشعبية تعطي الغريب صورة جيدة عن حالة أهل البلاد التي يزورها لمدة محدودة الوقت أكثر من غيرها لأنه يبصر فيها الشعب على مختلف طبقاته ثم هو يرى فيها المآكل أو المشارب التي يستعملها ذلك الشعب، ويرى مع ذلك طريقة معالجة تلك المآكل من ناحية الحفظ، والاستعمال. وذلك أمر لا يتيسر له أن يراه في البيوت أو الأماكن الخاصة. إضافة إلى أنه يعرف أسعار الأشياء، وأنواع المنتجات.

معظم الذين يبيعون في هذه الأسواق الشعبية إن لم يكونوا كلهم من النساء والنساء البائعات هنا من مختلف الاعمار ما بين الثالثة عشرة والثمانين، ولا يوجد حجاب هنا مطلقًا ولا توجد امرأة تستر وجهها. وإنما المتسترة هي التي تغطي رأسها وصدرها وعضديها.

أول ما رأيناه في هذه الأسواق امرأة قد نصبت قدرًا فيه مغراف وتحته نار وهي تبيع عصيدة قالوا: إنها من الأرز. وتعجبت من كون الأرز يعصد ، ربما كان ذلك محبة القوم للعصيدة أية عصيدة. وقد يكون أنه إذا عصد كان أكثر له وأوفر لا سيما إذا كانت العصيدة رقيقة على حد قول المثل العامي (دقق ورقق والبركة بيد حكيم) .

وبعد بائعة العصيد رأينا بائعات شيء آخر إنه الأقمشة المختلفة موضوعة في هذا الشارع في شمسه التي نقول لاخواننا الذين درسوا في بلادنا وأقاموا فيها سنوات: إن شمسكم استوائية قد تكون مضرة لأن أشعتها تنزل على الأرض عمودية فيقولون: إن الشمس هنا لا تضر لأن بلادنا ليس فيها سموم . وأن الرطوبة تحد من حرارة الشمس .

وقد يكون الأمر كذلك بالنسبة لما قالوه عن الرطوبة ، ولكن الذي كان غير ذلك بالنسبة إلى أثر الشمس في رؤوسنا نحن القادمين من البلاد العربية إذ أتعبنا بعد الجولة هذا اليوم.

ثم رأينا فتاة تبيع فاكهة تسمى هنا (فايا) وهي خضراء تضرب إلى اللون البني تشبه في شكلها الكمثرى إلا أنها أكبر منها ورأينا البائعة وهي تأكل من بضاعتها فلم نحتج إلى أن نسألهم كيف تؤكل إذ هي تأكلها كما تؤكل الكمثرى دون تقشير.

وهناك دقيق لما يسمونه (كسافا) أو (كسابا) وهو الذي يسمى في شرق إفريقية (موهوقو) يستخرج من عروق كبيرة في الأرض تشبه البطاطس إلّا أنها مستطيلة كبيرة وأحياناً تكون غير مستقيمة كأنها عروق الأشجار الكبيرة وطريقتهم فيه أن يجفف في الشمس ثم يطحن ويستعمل دقيقه في صنع العصيدة.

وبمناسبة الحديث عن الدقيق لم أرهم يستعملون القمح ولا يبيعونه،

وحدثني أحد الإخوان من أهل غانا أنفسهم أن عامة الشعب لا يأكلون الأرز ولا الخبز لأنهم لا يقدرون على شرائه، وإنما يعيشون على العصيدة التي إذا لم تكن من الكسافا فإنها تكون من الذرة أو الدخن.

وبجانب دقيق (الكسافا) كانت هناك امرأة تقلي الموز على قارعة الطريق وفي الشمس وتبيع قطعه المقلية حارة للمشترين من المارّة.

وهناك سردين صغير جدًّا كالجراد يبيعونه بمقادير قليلة جدًّا ولو كان جرادًا في حجمه لأكله المرء كله بسرعة، وأنواع من الملح وله مقام في بلادهم هذه الحارة الرطبة، وكذلك للفلفل الأحمر وهو هنا قليل أو لأن قدرتهم على الشراء محدودة بسبب عدم وجود النقود فتراهم يجمعون حبات قليلة مما لا يساوي في بلادنا قرشاً واحداً ويبيعونه بأغلى من ذلك أضعافاً مضاعفة.

وكل الأشياء التي تباع هنا لا توزن فلا يوجد في هذا السوق الذي هو في الحقيقة عدة أسواق شعبية في حي (نعمة) أيّ ميزان.

وطريقة البيع بالتقدير إما بالعدد أو بالكومة أو بالكيل الذي لا يكون بمكيال معروف كالصاع ونحوه وإنما هو بعلبة من علب الصفيح كيفما اتفق. وأهم ما يباع من ذلك بهذه الطريقة الملح والدقيق.

وهناك أنواع منوعة من الفول السوداني أو اللوز كما يسمى في الحجاز، وقد جلست بعض النسوة يبعنه هنا بمكيال صغير كما تفعل (التكرونيات) عندنا تمامًا.

وهناك أنواع أخرى تباع وهي نية إلا أنها كلها مقشرة وعندما أردت معرفة سعره لأنه مما تنتجه بلادهم ويستعمل عندهم في عدة أغراض، لم أستطع إلا بالتقدير لأنهم لا يبيعونه وزناً كما قدمت وإنما أرتني إحداهن مكيالاً يتسع لحوالي نصف كيلو أو أقل من ذلك وقالت: إن سعره عشرة (سدسات): جمع (سدي) من عملتهم.

وهذا كما ترى سعر مرتفع جداً وهو أغلى من بلادنا. أما في السودان فإنه أرخص من هذه البلاد كثيراً.

ومن أغرب ما رأيت منظر امرأة شديدة السواد الظاهر أنها غير مسلمة وهي تبيع شراباً في وعاء كبير من القرع يتسع لحوالي صفيحة أي حوالي ٢٠ لتراً من هذا الشراب، أو هو من ثمرة شجرة أخرى غير القرع فأصحابنا لم يعرفوا نوع الشجرة وفيه الثلج وعليه الذباب قد بدأ الشرب فيه قبل الزبائن ودون ثمن - بالطبع - وبيدها مغراف من الخشب أو من قشر ثمرة من الثمار فليس هو من المعدن أصلاً.

وقال لي الشيخ شعيب: إنه شبيه بالنبيذ الذي إذا ترك مدة طويلة تخمر.

ومن السير في جانب من هذا السوق الذي يقع على الشارع العام ومن ملاحظة المعروض فيه من الأطعمة والبضائع وحركة البيع والشراء وحالة الناس تبين أن الشعب يعيش في حالة شديدة من الفقر والعوز وأن الحكومة غير مخلصة ولا عاملة للشعب، وأن الإدارة في هذه البلاد فاشلة. وأن الغلاء الفاحش يستشري، ويصلي طوائف الشعب بناره.

ثم عطفنا إلى ناحية أخرى من هذا السوق، وفي هذه العطفة رأينا مأكولات شعبية غريبة.

يمدح الرسول في السوق:

ودخلنا سوقًا مسقوفًا بعض الشيء بسقف ردىء وفيه (بسطات) أي محلات لعرض البضاعة على موائد خشبية سوداء أو بنية اللون من الاتساخ وعدم العناية لا من كونها مطلية بالأسود فهم أفقر وأحوج من أن يتفرغوا لطلاء الأمكنة التي تعرض فيها البضائع الشعبية.

وإذا بأحد الأشخاص يسير وهو يتلو دون أن يلتفت وكأنه لا يفهم هو

نفسه ما يقول: مدائح في الرسول ﷺ باللغة العربية، وبصوت فيه شيء من التنغيم، إلا أنه هو نفسه متسخ الثياب في إحدى عينيه إصابة لم أر له مثيلاً في هذه البلاد فما صادفت حتى الآن في غانا شخصاً أعور، كما أن عدد العور في بلاد الإفريقيين التي رأيتها في هذه السفرة قليل جدًّا بل نادر لا يتعدى من رأيته منهم ثلاثة أو أربعة في الأقطار الأربعة التي زرناها، كما أن عدد العميان الذين صادفناهم فيها قليل أيضاً، ولا أدري السبب في ذلك ولكن ربما كان ذلك لقلة الذباب في بلادهم.

أما هم فإنهم يذكرون أشياءً كثيرة مما يأكلونه أو يستعملونه ويقولون: إنها نافعة للعين.

ولم أستطع معرفة ما يقوله الرجل فقد كان يهذّ كلامه هذًّا إلا أن فهمي اتفق مع فهم الشيخ شعيب في أنه يقول من بين ما يقوله (على أنه حب الإله وخله) أي: أن الرسول ﷺ خِلّ للإله وهذا معنى صحيح إذْ خله وخليله واحد. والرجل يتكسب بهذا المديح النبوي، يريد من الذين يسمعونه أن يعطوه شيئاً.

وشاهدنا في هذا السوق شيئاً أسود اللون على شكل كرات غير متساوية التكوير فقالوا: إنه الصابون المحلي وان الأهالي يصنعونه من مواد محلية وكان بجانبه صابون من صنع محلي لونه بين السواد والبياض.

ولمنتجات نخيل الزيت في هذه البلاد مقام كبير بدليل أننا وجدنا في السوق قوارير مليئة بشيء أحمر قالوا: إنه زيت النخيل، وكذلك قوارير صغيرة فيها زيت أسود قالوا: إنه من نوى زيت النخيل هذا وان اسمه الزيت الأسود، والأول أفضل في الأدم والثاني قالوا: إنه أيضاً إدام وأنه نافع للعين.

وشاهدنا شيئاً كالشيص أحمر يميل إلى الصفرة فقالوا: إنه ثمار نخيل الزيت الذي يطبخ مع الأدام فيكون له طعم لذيذ، والشيص - إن لم تعرفه - فإنه

البسر غير الصالح من طلع النخلة.

وهناك أكل لا أدري ما هو وكذلك مرافقي ولكنه ملفوف بأوراق الموز ويباع هكذا وطبيعي أنهم يعرفونه.

وصورة كانت موجودة في بلادنا في القديم ولكنها انقرضت الآن أو كادت تنقرض وهي صورة شيخ كبير السن، قد مد رجليه مداً شديداً وجعل في أصابع قدميه خيوطاً وهو يفتلها بيديه يستعين برجليه على ذلك.

وآخر سمعنا به ولم ندركه في بلادنا وصنعته أن يصنع التمائم والحروز التي تعلق على الأطفال والدواب وربما الكبار فهو يصنع لها أغلفة من الجلد ويخيطها للناس بالأجرة.

أغلى بامية في العالم :

ليس في هذا الأمر مبالغة فقد رأيت بلاداً واسعة من بلاد العالم، وما لم أره ربما قرأت عنه فلم أسمع بالبامية تباع في أي بلد في العالم بهذا الغلاء ـ فقد رأيت خمسة قرون من قرون البامية الغليظة القصيرة قيمتها سيديان أي بالصرف الرسمي للدولار ثلاثة ريالات سعودية وبالصرف الحر حوالي نصف ريال سعودي. وقد استغربت الأمر فسألت الشيخ شعيب عنه، فقال: نعم، هذا سعره. فسألته: إذًا بكم يباع الكيلو الواحد منه؟

فأجاب: إنه لا يباع بالكيلو، وإنما بالعدد، والناس ليس لهم عادة أكله أو الاكثار منه.

وسألت غيره بعد ذلك ومنهم سائق في السفارة يعرف شيئاً من العربية فكلهم أيدوا ما ذكره من الغلاء وعدم استطاعة أكثر الناس الوصول إلى (الباميا) لذلك يباع بعدد القرون أو (الحبات) كما يعبر عنه في بلادنا.

والطماطم أطم :

وكذلك الأمر في الطماطم فقد رأيت في السوق كومة من ٣ حبات من

الطماطم اثنتان منها في حجم البيضة والثالثة أصغر من ذلك فسألت عن ثمنها؟ فأجابت البائعة: إنه أربعة سيدات أي: دولار ونصف بالصرف الرسمي أو ثلثا ريال سعودي بالصرف الحر.

وهذا ما لم أسمع به فضلاً عن أراه من غلاء في العالم لا سيما إذا عرفنا أن أجرة العامل في المعتاد وحسب الحد الأدنى الذي وضعته الحكومة وأجبرت الناس عليه هو اثنا عشر سيدياً وكان قبل أمر الحكومة أقل من ذلك بكثير.

واثنا عشر سدياً هذه التي هي أجر العامل اليومي يمكن أن يشتري بها نصف كيلو باميا أو ربع كيلو طماطم أو رغيفاً نقياً واحداً من الخبز الإفرنجي أو نصف رطل من لحم البقر، أي: نصف رطل وليس كيلاً فاللحم عندهم يباع بالرطل يبيعون الرطل بخمسة وعشرين سدياً.

ولما قلت لأحدهم ذلك قال: إن العمال لا يأكلون اللحم. فقلت له: ماذا يأكلون، هل السمك رخيص؟

فقال: السمك غالٍ أيضاً.

فقلت له : والإدام؟ فقال: بالزيت زيت النخيل وغيره.

وقلت بعد ذلك لخبير اقتصادي لبناني وخاطري مشغول بصحة هذا الغلاء : إذاً مادام هذا الغلاء حقيقة واقعة فمن الذي يستطيع شراء الأشياء الغالية ؟

فأجاب : إنهم المهربون المنتفعون.

إن التهريب ومخالفة القوانين التجارية هو الوسيلة الأولى والأسهل للربح العاجل ، وذلك لأن الحكومة ليس لديها من الحزم أو القوة ما يمنع التهريب .

قال : ويكفي أن تعلم أن البلاد غنية بمواردها من الذهب والماس والاخشاب والكاكاو والقهوة وكلها تهرب .

فقاطعته مسرعًا ، وقلت : والخشب يهرب ؟

وكيف يهرب الخشب ؟ وهل يمكن إخفاؤه ؟

فأجاب وهو يضحك : إن تهريب الخشب والمنتجات الأخرى ليس معناه اخفاءها عن عيون الموظفين وإنما معناه أن الموظفين يسمحون بأن تجتاز الحدود إلى (توقو) مثلاً التي يهرب إليها أكثر الأشياء في هذه البلاد مقابل أجر معلوم أو على الأدق رشوة لها سعر محدد فالسيارة الكبيرة بكذا والتي أصغر منها بكذا وهكذا . .

وبعد حديث طويل في هذا الشأن معه ثم مع غيره اقتنعت بأن (غانا) بلاد غنية وشعب فقير ، وذووا نفوذ لا يهمهم إلا مصالحهم ، وطبقات من الشعب لا ناصر لها .

الأسود الذي ابيضّ :

عهدنا أن يصير الأبيض إذا عاش دهرًا طويلاً هو ونسله سودًا في إفريقية بسبب الجو ولكن لم نعهد أن شيئًا يكون فيها أبيض بعد أن كان في بلادنا ومثيلاتها أسود إلا الباذنجان الذي رأيته اليوم ولم أعرفه في هذا السوق فوقفت عنده أنا وزميلي الشيخ عبد العزيز الربيعان نتعرف عليه فلم نستطع إلى أن حضر الشيخ (شعيب أبو بكر) وقال : هذا هو الباذنجان الأسود عندكم فقلت له : إنه عندكم أبيض . فقال : هكذا .

وهو عندهم صغير الحجم بالنسبة إلى حجم الباذنجان الأسود المعروف في بلادنا وهو إلى ذلك أملس جدًا يكاد أن يبرق جلده لفرط ملا سته.

المغارف والمعاصد :

رأيت (بسطة) عند امرأة كل ما فيها خاص بالعصيد وباستعماله وطبخه فعندها مغارف من الخشب ومعاصد ـ جمع معصاد ـ وهو يد عريضة كالعصا

يحرك بها العصيد عند عصده أي تحريكه وهو على النار.

وهذه المعاصد بأحجام مختلفة من غليظ إلى متوسط إلى أصغر من ذلك. وإلى جانب ذلك أوانٍ من قشور بعض الثمار مثل القرع أي الدباء اليابس، ومواعين من خشب خفيف وبجانبها امرأة أخرى تبيع (جريشًا) وهو نوع من الحب أو الأشياء الغليظة الأخرى مجروش لم نعرف من أي مادة ولكنه على أي حال ليس من القمح ولا من الأرز.

أسماك مختلفة:

وللاسماك على قلتها من حيث المقادير في هذا السوق الشعبي نصيب فمنها ما هو مدخن لونه بين الأسود والبني مما يصد عن الأكل بل النظر لمن لم يعتد النظر إليه.

وسألت الشيخ (شعيب) عن الغرض من التدخين عليه؟ فأجاب: إن ذلك لحفظه من الفساد دون إضافة الملح إليه لغلاء الملح من جهة، ولأنه يفسد طعمه من جهة أخرى والتدخين عليه لا يكلف شيئًا إذْ الحطب في أماكن تدخينه موجود من الغابة. وله طعم خاص يحبه بعض الناس.

ولكن هذا لم يمنع الذباب الذي يفضل الوقوع على السمك كما هو معروف فترى أسرابًا منه حول باعة السمك أو بائعاته على الأدق.

وبعض السمك متغير. ومنه كبير وصغير كالجراد، وهناك شيء من الروبيان، ولكن كل ذلك بمقادير ضئيلة حتى يستطيع بعض ذوي الدخول الصغيرة أن يصلوا إلى شرائه.

وهناك نوع من السمك كبير الحجم بالنسبة إلى غيره قالوا: إنه نهري، أي من النهر وليس من البحر ويبيعونه مدخنًا عليه، ملتويا.

ومنتجات خوص النخيل سواء نخيل الزيت، أو النارجيل موجودة ظاهرة

ومن أهم ما ألفت نظرنا نحن المراوح اليدوية من الخوص التي كنا نستعملها في بلادنا قبل الكهرباء ولم نكن نعرف في مقاومة الحر غيرها ، ولكنها تخالف في الصنعة والشكل مراوحنا (الخوصية) القديمة .

وبعد أن قاربنا الفراغ من الطواف في هذا السوق الشعبي الذي ليس فيه شيء رخيص تفقدت أرضه وكنت عنها قبل ذلك في شغل من مشاهدة المعروضات فإذا بها سيئة إلى أبعد حدود السوء فهي مبلطة بالطين ، ولكنه متخرق فيه حفر صغيرة ونقر وبين الطين حصى صغار ناشب في الأرض ، وإذا خرجت شعرت بأنك لم تكن فيه تستطيع أن تطأ الأرض على قدمك كله . لأنك لا تجد مكانًا مستويًا تمامًا ، ولو كان في ضيق موضع القدم .

الأهالي :

والأهالي في هذا السوق وفي الحي وما حولها هم ممن كنا نسميهم في الحجاز (التكارنة) فهم من قبائل إفريقية شتى لا يجمع بينها إلا سواد البشرة على تفاوت في درجة هذا السواد فمثلاً الفلانية وعددهم قليل هم أقل سواداً من غيرهم . والهوسا يلونهم في هذا الأمر .

أما أفراد قبيلة (كادو) فإنهم أكثر الموجودين سوادًا . وربما كانوا من أكثر الناس سوادًا في العالم .

وأما الملابس فإنها تتدرج من اللباس الإفريقي الذي لا يبالي بما ظهر من الجسم ـ والكلام هنا عن ألبسة النساء بصفة خاصة ـ وبين لباس بعض المسلمات المتدينات اللاتي يسترن رؤوسهن وبعض أيديهن . ويكون لباسهن طويلاً بالنسبة إلى غيره .

وأما الرجال فإن أغلبهم يلبس الإفرنجي المخفف قميص بلا أكمام وسروال وبعضهم يتخفف من القميص فيقتصر على السروال . وهؤلاء من العمال ونحوهم .

وعلى عدد كبير منهم ملابس فضفاضة ولكنها أقل في الإتساع والتمدد من لباس السنغاليين أو النيجيريين .

اللغـــة :

أكثر اللغات استعمالاً في هذا الحي لغة الهوسا ذلك بأن أفراد قبيلة الهوسا الموجودة في هذا الحي كلهم مسلمون .

وليس المراد أن لغة الهوسا أكثر اللغات انتشارًا في غانا ، وإنما المراد أنها موجودة في هذا الحي أكثر من غيرها .. وهناك (قا) أو (غا) وهي لغة أهالي أكرا القديمة .

إلى جانب لغات أخرى جلبها القادمون من الأرياف إلى المدينة معهم .

وأما اللغة الإنكليزية فإنها معروفة هنا . ولكن عامة الشعب من غير المثقفين والمحتكين بالمثقفين أو رجال الأعمال لا يعرفونها .

وقد تعجب حين تعرف أن هناك أحياء في أكرا لا تفهم لغة الهوسا السائدة في هذا الحي الإسلامي ولا توجد لغة لها صفة العموم في هذه البلاد إلا الانكليزية .

الهاي وي :

الهاي وي : اصطلاح امريكي معناه الطريق الرئيسي المستقيم .

وعندما سألت أحد المرافقين عن اسم شارع رئيسي خرجنا إليه من هذا السوق الشعبي أجاب : إنه (هاي وي) فتبادر إلى ذهني المقارنة بين (الهاي وي) الذي رأيته في ولايات أمريكية مختلفة ، وبين هذا (الهاي وي) الغاني ورثيت للغة التي تسمي الأشياء المتناقضة باسم واحد.

فالشارع هنا قذر على جانبيه المجاري الآسنة التي أفسدها الناس بإلقائهم

الأشياء الصلبة فيها مثل قشور الموز وغيرها ، وأفسدها كذلك إضراب عمال النظافة في البلدة منذ شهر .

وهو إلى ذلك ليس فيه عود أخضر رغم أنه في بلاد كثيفة الخضرة في أصل طبيعتها . حتى رصيفه الذي في وسطه يفصل بين السيارات الذاهبة والسيارات الآيبة مصنوع من حصى قد خلط بنسبة ضئيلة جدًا من الأسمنت لم تؤثر في لونه وقد جعلوا وسطه عاليا محدودبًا يكاد يكون كظهر البعير وذلك لكي ينزلق عنه الماء بزعمهم ، ولكنه صار تكاد تنزلق عنه رجل الماشي عليه . وليس فيه شيء من النبات أصلاً .

ولما سألت عن هذا الأمر قالوا : إن هذا شارع جديد شقته الحكومة مستقيمًا بعد أن هدمت ما اعترضه من البيوت التي هي كلها من طابق واحد .

ولهذه الاستقامة سموه (هاي وي) لأنه يتصل بالطريق الموصل إلى المطار .

المكتبة العربيـــة :

هي في حانوت صغير كتب عليه بالانكليزية (أرابك بوك شب) أي : محل بيع الكتب العربية وهو كذلك فليس فيه إلا كتب عربية ، وليس فيه من الكتب الإنكليزية شيء .

ومعظم الكتب التي فيه قديمة أو مستعملة استعمالاً خفيفًا . ومما يؤسف له أن بعض المقرارات السعودية التي صرفت وأرسلت من المملكة إلى المدارس العربية في هذه البلاد قد وجدتها تباع في هذه المكتبة مع أنها أرسلت لهم بالمجان .

وتأكد عندي ما ذكره بعضهم من أن بعض الناس يبيعون بعض ما يصلهم من الكتب التي ترسل من المملكة ويكلف إرسالها إليهم ثمنًا باهظًا من أجور الطائرات أو حتى البواخر .

ولكن لبعض الأشياء المكروهة وجه حسن فكونها تباع وتجد مشترين في هذه البلاد الفقيرة يدل على رغبة أهل البلاد في الاطلاع على الكتب الإسلامية النافعة .

وكان بقرب المكتبة العربية امرأة في جانب الشارع تبيع بيضًا مسلوقًا فسألت عن قيمة الواحدة فأجابوا إنه (سيدان ونصف) أي ما يساوي بالصرف الرسمي دولارًا واحدًا إلا قليلاً أو ثلاثة ريالات سعودية تقريبًا . وأما بالصرف في السوق الحرة فإن ذلك يساوي ثلث ريال سعودي .

وواصلنا السير مع شارع تحف به المجاري المكشوفة بلونها الكريه ، ورائحتها الأشد كرهًا . وعدم العناية أو قل الإهمال الأشد كراهية من ذلك .

ووصلنـــا :

مسجد أهل السنة :

وهم قوم من أهل البلاد وأكثرهم من غير الكبار في السن تخاصموا مع قوم كان لهم مسجد قريب سنزوره بعد هذا عند البدع التي تكون في المسجد ، وعند ميل أولئك إلى التيجانيين فأنشأوا هذا المسجد وسموه (مسجد أهل السنة) وقد وجدناه في سعة لابأس بها ذا محراب واسع كعادة أهل هذه البلاد الإفريقية الغربية ، إلا أن النافذة التي يجعلونها في المحراب عادة أمام إمام المسجد في كل مسجد من مساجدهم قد جعلها هؤلاء يمين الإمام . ولما سألت أحدهم عن الحكمة في وضعها أجاب : بأنها من أجل دخول الهواء .

وكان في مقدمته تقويم باللغة العربية لهذا العام مطبوع عليه بأنه (لابو إبراهيم) ـ غانا .. قالوا : إنه مطبوع في مصر لذلك الشخص .

وفي آخر المسجد قسم للنساء مفصول عن بقية المسجد بجدار واصل إلى السقف وعليه باب يغلق .

وإلى يمين المسجد أي في الجهة الجنوبية منه فناء واسع قد أقاموا فيه أعمدة من الخشب وينوون تسقيفه بالزنك ولكنهم وقفوا عن التسقيف بسبب قلة النفقة . وقالوا : إن الزنك الذي تسقف به البيوت عندهم غالٍ الآن لأنه لا يوجد للبيع إلا في السوق الحرة أو السوداء كما يعبر بعضهم .

وقد قطعوا الأشجار التي كانت في أفنية المسجد ، ولم يبق إلا شجرتان أحدهما من نوع كبير من الشجر غليظ الجذع قليل الأوراق قالوا إنهم يسمونه (كوكا) ورقه يستعمل في المرق كما تستعمل الملوخية وشجرة أخرى لم أعرفها ولكنها ظليلة مما يدل على أنهم لو أبقوا الأشجار لكان ما حول المسجد واحة ظل في هذه البلاد التي تشتد فيها حرارة الشمس لقربها من خط الاستواء.

ومن مسجد أهل السنة خرجنا إلى حي شعبي بيوته مبنية بالطين الأحمر الذي يؤخذ من الأرض التي تقع بقربه مباشرة ، وسقوفها بزنك صديء في جميع أزقته وشوارعه المجاري السوداء ، وازقته حقيقية بمعنى أن بيوته مبنية في أزقة على نسق وليست كما عليه الحال في الأرياف الإفريقية التي لا يراعى فيها في الغالب أن تكون البيوت فيها على خط مستقيم أو شبه مستقيم ، ولا أن تكون فيها أزقة فضلاً عن الشوارع ، وإنما تنثر فيها البيوت نثرًا وتكون الممرات بينها متعرجة الاتجاه غير متساوية الاتساع .

ورأينا في بعض هذه الأزقة شياهًا كبيرة الحجم مثل التي ترد إلى المملكة من السودان وتسمى عندنا السواكن لأنها تصدر من السودان عن طريق ذلك الميناء السوداني (سواكن) ولكن قوائمها ملوَّنة بالسواد بسبب مرورها وهي تمشي على المياه الخارجة من البيوت التي أصبحت سوداء . وهي من مياه المجاري أو الفضلات .

ورأينا امرأة غير متسترة وهي شابة قالوا لنا : إنها غير متزوجة ، وغير بعيد منها رجل في ثياب كاملة في هذا الحر فقد لبس قميصًا أبيض عربيًا تماما يضرب

إلى الكعبين وتحته سروال طويل أبيض تطل رجلاه على ما تحت ذلك وفوق رأسه طاقية من قماش سميك .

وكثرت رؤية القدور المنصوبة في الشارع أو الزقاق تحتها الحطب والطعام فيها تبيعه امرأة بجانبها وهو حار .

وبيوت في هذا الحي حديثة قد تأنق اصحابها في بنائها فطلوا الطين الأحمر الذي بنوا جدرانها منه بطلاء اسمنتي أسود إلى ما دون قامة الرجل ثم طلوا ما فوقه بطلاء أبيض غير ناصع فيه من الجص شبه وليس هو بالجص الذي نعرفه وهي بهذا المظهر تشبه بيوتاً لنا كنا نبنيها من الطين ونطلي أسافلها بالاسمنت وأعاليها بالجص. إلا أن هذه البيوت الإفريقية الغانية لابد من أن تسقف بسقف من الزنك لكي تنزلق عنها الأمطار في هذه البلاد المطيرة.

ويلفت النظر هنا وجود شيء من الدواجن مثل الدجاج السارب في الأسواق يشبه الدجاج البلدي الذي كان موجودًا لدينا فهو متوسط الحجم بين الكبير والصغير . إلا أنه هنا قد أصبح ذا أرجل سودا من خوضه في مياه المجاري الآسنة الموجودة في كل شارع وزقاق بدون استثناء .

وزاد المنظر كآبة أو قل انسجامًا مع منظر المجاري الكئيب آثار من الرماد كثيرة قد أحالت لون بعض الأماكن المتسعة في الأزقة إلى لون السواد لأن بائعات الطعام وطابخاته في الطريق على الحطب لا يكلفن انفسهن أن يبعدن الرماد عن أرض الشارع .

ومثل ذلك يقال عن جيش من الأطفال الحفاة بدون استثناء الذين تزدحم بهم تلك الأزقة والشوارع الضيقة . وقد يقال ذلك أيضًا في جماعة من الرجال الذين يظهر عليهم أنهم عاطلون عن العمل وقد استندوا إلى أحد الحيطان يقطعون الوقت في الحديث بينما تقوم النساء بالأعمال التي تقدر عليها ولو كانت في بلادنا معتبرة من اختصاص الرجال مثل البيع والشراء في الأسواق .

أرض مركز البحوث العلمية :

في وسط هذا الحي الموصوف أرض واسعة نوعًا ما تقع بين شارعين وزقاق ثالث قال لنا الشيخ شعيب إنها أرض جديدة سينتقل إليها مركز البحوث العلمية الذي زرناه قبل قليل وأنه كانت قد تألفت جمعية لهذا الغرض اشترت هذه الأرض أو استوهبتها وسوف تقيم عليها مدرسة ومركزًا للارشاد الإسلامي .

وأنهم قد استعدوا للعمل في بنائها فأحضروا لبنًا من الاسمنت أرونا إياه .

فدعونا لهم بالتوفيق وأخبرناهم أن المملكة ستسهم في التبرع لهذا المشروع بمبلغ رمزي ندفعه قبل سفرنا .

وواصلنا السير مشيًا على الأقدام في الحي العجيب ، حي (نعمه) ونحن نجد لذلك متعة مبعثها الاطلاع على شيء غير مألوف ولو كان شيئًا غير محبوب . فرأيناهم قد جمعوا أكوامًا من القمامة دون عناية ، وهي متروكة لتسهم في أن يضرب هذا الحي الرقم القياسي في القذارة بسبب إضراب عمال النظافة حسبما أخبرونا به .

وكأنما أرادوا أن يسهموا أيضًا في إبعاد مظاهر البهجة عن هذا الحي من حيث لا يشعرون فقد قطعوا كل شجرة خضراء فيه وأزالوا كل عود أخضر فبدا وكأنه من قرى البادية في الصحراء وزاد الشبه قليلاً بقربه من قرى الصحراء وجود كلب مريض قد تقرح جلده ووهن عظمه من المرض فأصبح منظره يبعث على الرثاء إلا أنه مما يجب أن تصف به القرية الصحراوية غير النظيفة أنها لا توجد فيها مثل هذا المجاري السوداء اللون الكريهة الرائحة .

ورائحة أخرى زفرة ليست مقبولة غير موجودة في قرى الصحراء سألت عنها فأجابوا أنها منبعثة من أحد البيوت التي تعالج فيها ثمار زيت نخيل الزيت .

وذلك بوضعها على النار بطريقة خاصة حتى يستخلصوا منها الزيت الأحمر للإدام .

ووجدنا مكانًا لا يبعد في مظهره عن المظهر العام لهذا الحي إلا أنه ليس ببيت من بيوت السكن وقد رفع حائطاه إلى مقدار المتر وركب عليه باب لا يحيط بأعلاه جدار وعليه السقف المعتاد من الزنك الصديء فدخلناه فإذا به مدرسة أي كتّاب صغير أو كان كذلك فقد رفعت مقاعد متسخة كانت فيه إلى زاوية من زواياه وقال أحد الأطفال إن الدراسة فيها تكون في المساء .

وعلى أحد الحيطان سبورة ليس عليها كتابة ، ولم نجد فيه أحداً إلا شخصًا قال : إنه دخله ليستظل ويستريح وإلا فهو ليس من أهل هذا الحي ، وقد كلمه الشيخ شعيب باللغة الهوساوية .

مع شيخ قبيلة كادو :

ووجدنا حول هذا المكان قومًا شديدي السواد كأنهم من أهالي جنوب السودان إلا أن عيونهم سوداء شديدة السواد أيضًا . وسألنا عنهم فقالوا : إنهم من قبيلة (كادو) التي تسكن في مالي ، وجاء هؤلاء من مالي في الأصل وهؤلاء أكثرهم مسلمون .

ثم دلونا على شيخ هذه القبيلة الموجودة في هذه المنطقة ، فإذا به في التسعين من عمره إلا أنه لا يزال يستطيع أن يعمل بدليل أننا وجدنا معه كومة من المسامير قال: إنها للعمل في المسجد الذي كان قريبًا منا .

وقال : إن اسمه (علي بلكو) وهو يرتدي قميصًا عربيًا طويلاً وعلى رأسه طاقية حمراء مخططة بأخضر وأسود من قماش سميك .

وقال إنهم الذين أسسوا هذا الحي ، وأنه الذي بنى المسجد بتبرع منه ومن جماعته .

وبينما كنا نتحدث معه تجمهر حولنا طائفة من أطفالهم الحالكي السواد فأسرع أحد الزملاء ينهرهم ويبعدهم ويحاول أن يضربهم إذا لم يبتعدوا . ولكنهم ابتعدوا ثم عادوا يتحدونه ، وأشرت إليه وإلى من عاونه على طردهم ألا يفعل فنحن إخوان لهم ووجودهم لا يضايقنا ، ونحن نسلم على هؤلاء الأطفال وأحيانًا نصافح بعضهم ، ونسألهم عن اسمائهم فنجدها اسماء إسلامية خالصة فنخبرهم بأننا من إخوانهم في الدين ولسنا من الأوروبيين الذين يسمونهم البيض .

وكنا نقف عند المسجد وأحد الاشخاص يجرب مكبرًا للصوت فيه يقرأ سورة الفاتحة وينشد بعض التواشيح ولكن حرف الحاء ليس له في حلقه أو على لسانه من نصيب .

ودخلنا المسجد الجامع فإذا به واسع ، حسن البناء ، نظيف إلى حد ما ، وإذا قيس إلى الحي وما ظهر من بيوته ومنازله فإنه يفوق ذلك بمراحل .

قالوا : إنه يمتليء يوم الجمعة ، وهذا المسجد هو الذي خرج منه جماعة أهل السنة مغاضبين لأهله وأسسوا لهم مسجدًا غير بعيد لأن أهل هذا المسجد حسب ما ذكر لنا خصومهم لا يبرأون من التيجانية ومن بعض البدع التي أدخلت على الدين باسم التصوف ، وأنهم يعملون الاوراد الصوفية في المسجد .

وقد وسعوا محراب هذا المسجد حتى غدا كأنه مسجد صغير حتى إن فيه درجة تصعد إلى الطابق الثاني أو إلى مكان في السقف وفيه نافذة كبيرة وأما منبره فإنه درجة واحدة فقط وقالوا إن السبب في ذلك هو كون إمامه الذي يخطب بهم الجمعة كبير السن يتعبه أن يصعد درجًا متعددة .

وبجانب المسجد كتّاب صغير قابلنا المدرس فيه واسمه أحمد محمود من القبيلة نفسها قبيلة (كادو) وهو يعرف من اللغة العربية شيئًا ليس بالكثير . ولا

يستطيع أن يستعمل كل ما يعرفه .

وخرجنا إلى ناحية أخرى من الشارع العام الذي كنا فيه من قبل والذي سموه (هاي وي) فرأينا (حانوتًا) آخر يبيع الكتب العربية وحدها ليس عنده كتب في لغة أخرى غير العربية إلا أن عنده ما يأتي به الحجاج عادة من مكة المكرمة أو المدينة المنورة مثل مجموعة من الطواقي ـ جمع طاقية ـ وزجاجات صغيرة من عطر الهند .

أما أسعار الكتب فهي غالية جدًا أغلى منها في البلاد العربية رغم الفقر في عامة أهل البلاد .

ومن المفارقات التي رأيتها على بعض المقررات الدراسية السعودية عبارة (يوزع مجانًا ولا يباع) ولكنه وامثاله لم يبالوا بها ولا بغيرها ، ولما سألتهم عن ذلك قالوا : إننا نشتريها ممن يبيعها لنا ونبيعها . والحقيقة أنه لو أمكن التقصي من ذلك لكان واجبًا حتى تعرف الجهات أو الأشخاص الذين يبيعون هذه الكتب التي تهدى إليهم ، ويصرف عليها المصاريف الكبيرة في النقل . ثم يكون مآلها أو مآل بعضها البيع على المحتاجين إليها .

وفي هذا الشارع العام أو (الهاي وي) رأينا مجنونًا عليه ثياب وسخة ممزقة ولكنه قوي الجسم وهو يحمل عصا فأبعدت عنه قليلاً فقال أحد صاحبيَّ : إنه لا يؤذي . فقلت ماذا لو طرأ عليه الايذاء لأول مرة في هذا اليوم ؟

وبعده رأينا امرأة قد جلست على أرض الرصيف الخشن القذر ، وقد أخرجت ثديها ترضع طفلها منه أمام الناس.

ومرَّ وجيه من وجهاء البلاد أو على الأقل من وجهاء هذا الحي في ثياب بيضاء شديدة البياض نظيفة غاية النظافة وهي قميص وطني واسع قصير ، وسروال طويل ، وفوق رأسه طاقية واقفة نصفها الأعلى فارغ لأنها مصنوعة على شكل هرمي من قماش ملون .

تتعرى لتقيس الثياب :

ووصلنا إلى طرف السوق عند بائعة قماش فإذا بامرأة واقفة في هذا السوق المزدحم وقد بدا نصفها الأعلى كله عاريًا وبيدها قماش لم أفطن إليه إلا بعد ذلك . فسألنا عن حالها فقالوا : إنها فعلت ذلك لتقيس قميصًا نسائيًا قصير الاكمام (بلوزة) على نفسها وقد خلعت ما كان على جسمها إلا شيئًا على عورتها ، وقد وجدناها في نقاش مع البائعة حول الثمن وهي على تلك الحالة تريد أن تلبس هذا القميص ، والبائعة تريدها أن تزيد في الثمن ، وقد ظلت واقفة نصف عارية أمام الناس بدون مبالاة . وفارقناها وهي كذلك غير مبالية بالناس وربما كان الناس ناس هذا البلد غير مبالين بها .

اللبن المقلي :

هل اللبن يقلى ؟ قد تسأل وما هو ذلك اللبن ؟ وأجيبك : بأنه لبن البقر .

والقصة أننا رأينا امرأة (فلاتية) والفلاتيون هنا أغلبهم شكله مميز عن بقية الناس في كونهم ذوي وجاهة في المظهر . وهي تقلي شيئًا مستطيلاً استطالة غير متناسقة وتبيعه للمارة . فسألت الشيخ شعيب عن ذلك التي تصنعه هذه المرأة : فسألها فقالت له شيئا ترجمه لي بأنه اللبن يجمدونه ثم يقلونه .

فقلت له : لو كان الأمر كذلك لذاب جمده عند الحرارة ولما أصبح كرات صلبة تصبر على هذا الزيت الذي نراه يغلي أمامنا في الشارع .

فعاد يسأل المرأة وكانت في شغل من طفلها الذي تحمله على ركبتها لأنها كانت جالسة على خشبة أمام هذا الزيت الذي يغلي والعرق يتصبب من وجهها ، وطفلها يحتاج إلى عناية . إلا أنه قال بعد أن كلمها إنهم يجعلونه صلبًا ، ثم يقلونه في هذا الزيت يبيعونه لمن يأكلونه . وفهمت أن المراد أنهم يجعلونه شيئًا كالجبن أو كالأقط . ثم يقلونه في هذا الزيت .

ولما كان المرأة فلاتية والفلاتيون كلهم مسلمون أحببت أن اعرف اسمها فقالت : إنه (هاجر) .

في المدرسة التفصيلية :

سألت أول الأمر مديرها عن المقصود بهذه التسمية فأجاب إنها تعني أنها تفصل بين الحق والباطل ولم نجد صاحبها الشيخ حمزة عبد السلام لأنه شيخ كبير ولا ابنه الذي أكمل دراسته في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة . وإنما وجدنا مدير المدرسة حسن محمد قال إنه تعلم اللغة العربية في أكرا مع أنه يتحدث بقدر لا بأس به .

قال إن عدد طلاب المدرسة ٤٢١ ومدرسيها ستة وقال : إن نفقات المدرسة تسدد من الرسوم التي تأخذها من طلابها وقدرها ثلاثة سيدات في الشهر . والفقير الذي يعجز عن الدفع يسامحونه . وسألته عن راتب المدرس الواحد في الشهر فأجاب : إنه سبعون سيديا ، أي : أقل من ثلاثة دولارات بالصرف الحر ويساوي ذلك أقل قليلاً من عشرة ريالات سعودية ، وأما بالصرف الرسمي فإنه يساوي ثمانية عشر دولارًا تقريبًا .

وليس هذا وحده كل عجائب هذه المدرسة الإسلامية الكبيرة بل إن أرض المدرسة عارية وليست مملوكة لها . وإنما تملك الانقاض وحدها وهي جدران من الطين المطلي بمادة تشبه الجص ومسقفة بالزنك .

ولكن المدرسة والحق يقال تستحق من القادرين من المسلين أن يساعدوها بل أن يبنوا لها بناءً خاصًا بها فهي كبيرة بالفعل ، والتعليم فيها كله عربي راق حتى كتابة بعض الطلاب فيها باللغة العربية جربناها فوجدناها جيدة جدًا . ومن ذلك خط الطالب (محمد أول اسحاق) في السنة السادسة التي هي السنة النهائية فيها .

وفي السنة الثالثة رأينا المدرس يعلم تلاميذه الفرق بين الحروف الشمسية

والقمرية وكنا زرناها دون ترتيب موعد سابق ، فوجدناها مزدحمة بالطلاب . وكل المدرسين الذين فيها تقريبًا يتحدثون بما يعرفون من العربية بشكل جيد ، والطلاب فيها بنون وبنات .

الدعوة إلى النصرانية حتى في المدرسة :

لم نَرَ في هذه المدرسة شيئًا مكتوبًا بلغة أخرى غير العربية ، وربما كان هذا السبب في وجود كتاب مرمي فيها مع أنه ذو غلاف أنيق ، وطباعة جيدة . وهو كتاب دعوة إلى النصرانية عنوانه : (بشارة لجعلكم سعداء) طبع باللغة العربية في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ م وربما كانت هذه طبعة جديدة .

وهكـــذا .حاولوا الدعوة إلى النصرانية حتى باللغة العربية في هذه البلاد الإفريقية.

عود إلى السوق الشعبية :

وخرجنا من هذه المدرسة التفصيلية التي تسر قوة إرادة طلابها والعاملين فيها وتفضيلهم إسلامهم على الاغراءات المادية الموجودة في المدارس النصرانية . ولكن ضعف امكاناتها يسوء المسلم الذي يعلم من قدرة المسلمين في خارج هذه البلاد ، ومن امكاناتهم المادية ما يعرف أنه يمكن لو صدقوا العمل أن يغيروا هذا الوضع أو بعضه لمصلحة التعليم الإسلامي . ويذكر أننا ساعدناهم بمبلغ عشرة آلاف سيدي .

مررنا بسوق شعبية أخرى بيوتها مبنية بالطين الأحمر . وشاهدناهم فيها يقلون الموز على النار في الشارع ويبيعونه على المارة ، وكذلك يصنعون باليام وهو عروق تنبت تحت الأرض . إلى جانب مقادير صغيرة من الفحم . وحانوت يعلن بأنه يبيع الخمر .

إلى أن وصلنا مدرسة القبة الخضراء وهي كتّاب يديره الشيخ شعيب أبو

بكر مرافقنا في هذه الجولة . وكان لابد للوصول إلى المدرسة من القفز فوق المجاري السوداء اللون الخبيثة الرائحة الموجودة ظاهرة في شوارع هذا الحي وأزقته . ولم نجد فيها طلابًا كثيرين وقال لنا الشيخ شعيب : إنهم يدرسون في المدارس الإنكليزية في النهار ويأتوننا في الليل .

ورأينا بجانبها مسجدًا أردنا أن ندخله فوجدناه مغلقًا قالوا : إنه مسجد الحاج نوقا من أهل الحي وأصله من قبيلة (موشي) في فولتا العليا .

وفي هذا الحي لا توجد أشجار أو أعشاب خضراء . ولكن يقابله من جهة الشرق حي راقٍ غارق في الأشجار الظليلة ، عامر بالمنازل الجيدة يسمى (كندا) قالوا : إنه كان فيه بيت الرئيس السابق (نكروما) .

وشاهدنا في أزقة هذا الحي الشعبي وشوارعه بعض النساء يحملن على رؤسهن أواني الماء إلى بيوتهن بسبب انقطاع المياه عن أجزاء كبيرة من مدينة أكرا في هذا اليوم . وقالوا : إن هناك صنابير خاصة في كل حي تكون للطوارىء بمثابة الاحتياط ينقل منها الأهالي ما يحتاجونه من الماء حتى يعود الماء إلى حالته الطبيعية .

وجدير بالذكر أن الماء كان قد انقطع عن فندقنا منذ الليلة البارحة مع أن في غانا نهرين كبيرين أحدهما نهر فولتا الذي منه تنتج الكهرباء التي تغذي العاصمة ، والثاني : نهر دانسو .

وفي باب أحد البيوت كانت امرأة جالسة ، وقد تركت نصف جسمها الأعلى دون ستر .

وقد خيل إليَّ وأنا في حالة من معاناة الشمس في وقت الظهر هذا ومن التعب من السير على الأقدام وأنا أرى الناس جالسين أو يمشون ببطأ أن الكسل هو الغالب عليهم ، وأنهم لا يحبون العمل الشاق .

حيّ الحمــد :

من حي (نعمه) هذا الذي أسسه المسلمون واسموه بهذا الاسم الذي اصبح على السنتهم (نيمه) ذهبنا شمالاً إلى حيٍّ آخر اسمه مستوحى أيضًا من معنى إسلامي جيد هو حي (الحمد) المستوحى من الحمد لله وشكره .

وتقطنه ـ كذلك ـ أغلبية مسلمة مثل ما هي عليه الحال في حي (نعمه) إلا أنه أحسن قليلاً من الأول وأنظف نوعًا ما ، وفيه بعض الأشجار والنباتات الخضراء إلا أن فيه كما في غيره أكوامًا من القمامة ويقولون : إن الحكومة غيرت اسمه من (الحمد) إلى (مامو «ب») .

وخرجنا منه إلى شارع عام اسمه (رومان وي) اي الطريق الروماني أو الشارع الروماني وما للرومان ولغانا ؟ إلا إذا كانت التسمية من عهد قوم كانوا يحكمون البلاد قبل أهل غانا وهم الانكليز المستعمرون . ولم تشفع هذه التسمية الأوروبية لهذا الشارع فهو مثل بعض الشوارع في اكرا مكسر الاسفلت . وفي أماكن منه قد ذهب إسفلته حتى صار ترابًا وحجارة تثير غبارًا أحمر متطايرًا .

ومن هذا الشارع عطفنا جنوبًا إلى حي حديث الإنشاء ، وما تم منه جميل جدًا ، ليس فيه إلاَّ (فيلـلات) جيدة إلا أن كثيرًا من الأراضي الخالية فيه لم تشملها العمارة ، وإنما هي قد اشتبكت فيها الحشائش الوحشية أي : التي لم تزرع ورأيتهم لا يستطيعون مكافحتها إلا بالحريق . وعرفت من الحشائش المتشابكة فيه أشجاراً صغيرة من أشجار (النيم) الموجود لدينا في الحجاز وبخاصة في مكة المكرمة وجدة.

واسم هذا الحي (الاجو) وكان مقصدنا من الذهاب اليه الاطلاع على أرض ذكر لنا أخونا الشيخ شعيب أبو بكر أنه قد اشتراها أو على الأدق استأجرها من شيخ القبيلة التي يقع هذا الحي ضمن أرضها لمدة (٦٠) سنة وقال إن الذي يمنح هذه الأراضي ويتصرف بها في العادة هم شيوخ القبائل ،

وليس الحكومة . هكذا قال مع أنها في مدينة وليست في قرية أو غابة . وقال : إنه شيخ من قبيلة (قان) .

وعدنا إلى الفندق وقد أحسسنا بالصداع بسبب الرطوبة والشمس والغبار الذي كان ينبعث من شوارع جيدة السعة في أحياء راقية ولكنهم الآن يعملون في إعادة سفلتة أكثرها .

وعندما قربنا من الفندق (رنقوي) قال لي الأخ الشيخ (شعيب أبو بكر) إن هذه المنطقة من (أكرا) أول من أسسها مسلم كبير من قبيلة (يوربا) في نيجيريا اسمه (أمير إبراهيم) توفي منذ زمن وأنه سماها (لاجوس تاون) أي : مدينة لاجوس ولكن الحكومة الغانية أسمتها (نيوتاون) أي : المدينة الجديدة .

وقد تناولنا الغداء بعد الظهر على مائدة القائم باعمال السفارة الأستاذ عبد الحميد أحمد القاري في بيت السفير الملحق بالسفارة ويقع في حي يسمى (أسو) وهو حي راقٍ قديم . شوارعه مشجرة والبيوت فيه غارقة في الحدائق وحاولت أن أقارن بينه وبين حي نعمة أو (نيمه) كما يسمونه فوجدت الفرق بينهما كالفرق بين المدينة الراقية والغابة البدائية .

مع ممثلي مسلمي غانا :

هذا اسم منظمة تضم خمس جمعيات إسلامية ولكنها لا تضم أكثرية المنظمات فالمسلمون هنا ليسوا موحدين مثلما مسلمو ليبريا موحدون في المجلس الوطني لمسلمي ليبيريا .

ويقع في حي يسمى حي (البركة) سماه بهذا الاسم العربي بعض المسلمين من قبيلة الهوسا وقالوا : إن مكانه كان لبيع الأغنام فكانوا إذا سام أحدهم الغنم قالوا له : البركة بلغتهم التي دخلتها من العربية بمعنى زدنا فسمي هذا الحي بهذا الاسم .

وهناك حي آخر اسمه (مبروكه).

ذهبنا إلى حي البركة لمقابلة ممثلي مسلمي غانا في الساعة الخامسة عصرًا فوجدنا في رصيف الشارع لوحة كتب عليها بالعربية (مجلس ممثلي مسلمي غانا ـ مقر الأمانة الوطنية) والآية الكريمة : ﴿وإن هذه امتكم أمة واحدة﴾ والآية الآخرى : ﴿وشاورهم في الأمر﴾.

وصلنا مقر المجلس في الخامسة والربع متأخرين ربع ساعة فأسفنا لذلك غير انني عندما بدأت الكلام عن مهمتنا في هذه البلاد قاطعني الأمين العام وقال : إن الرئيس لم يحضر فنرجو أن تنتظروا حضوره لأننا لا نستطيع أن نبحث معكم شيئًا يتعلق بهذه الأمور الهامة إلا إذا حضر الرئيس.

وانتظرنا بالفعل هنيهة امضيناها في التعرف على اسماء العاملين واعمالهم في هذا المجلس فكانت الاسماء الرئيسية :

١ ـ الحاج موسى كوادي ممثل جمعية بعثة الإسلام ومنصبه نائب الرئيس.

٢ ـ الحاج عبد الله ويلبمس : ممثل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومنصبه نائب الرئيس.

٣ ـ الحاج عبدالرحمن اسحاق : عضو عامل بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٤ ـ الحاج داود أتوا رئيس مجلس ممثلي مسلمي غانا.

٥ ـ الحاج أبو بكر ايتس الأمين العام لجمعية بعثة الإسلام.

٦ ـ الحاج أبو بكر يوسف : عضو المجلس الأعلى لجمعية ممثلي مسلمي غانا.

٧ ـ إمام محمد أوكاين : عضو المجلس العام لجميعة ممثلي مسلمي غانا.

٨ ـ الحاج محمد رشيد الحس : المنظم العام لجمعية ممثلي مسلمي غانا.

٩ ـ الحاج إبراهيم دابو مساعد الأمين العام لجمعية ممثلي مسلمي غانا.

١٠ ـ الحاج سلمان ارسان : السكرتير العام الإداري.

وجاء الرئيس الحاج داود اوتو وهو ذو مظهر يستحق ذلك فهو ملتح لحية غير كثة ، وشخصيته قوية تؤهله لذلك .

وتكلمت بالتفصيل عن مهمتنا ، ثم تكلم هو طويلاً بالانكليزية وكان أحد الحاضرين يترجم كلامه إلى العربية لأنه تبين أن عددًا من الحاضرين يفهمونها وبعد ذلك سلم ما كان قد تكلم به مكتوبًا بالإنكليزية فكان منه :

إنه ليشرفنا أن يقوم مجلسنا باستقبالكم في غانا لأن العربية السعودية تعتبر مهد الإسلام كما وإن وجودكم بيننا ربما أتاح لكم فرصة معرفة المشاكل التي تواجه الإسلام في هذا البلد .

المجلس التمثيلي لمسلمي غانا يعتبر جديدًا لأنه أنشيء عام ١٩٧٣ م كما أنه عضو في رابطة العالم الإسلامي ومع ذلك فلم توجه له دعوة حضور المؤتمرات إلا مرة واحدة خلال عام ١٩٧٤ م لذلك نرجو من وفدكم التوصية لدى الأمانة العامة حتى لا نستمر على هذا الوضع وأيضًا مساعدتنا ماديًا لنتمكن من مواصلة جهودنا في المشاريع الإسلامية بغانا .

الزراعــة :

لدينا العديد من هيئات الشباب المسلم وإذا ما حصلنا على المساعدات اللازمة لشراء الشاحنات ولوازم الصيد وأدوات الحرث يمكننا حينئذ تشغيل الشباب في الزراعة ونرفق لكم طيه نسخة من برنامجنا الزراعي .

كما أننا في حاجة إلى مواد البناء لاقامة المدارس الانجليزية والعربية . ورسومات مجمع مدارس الرياض الابتدائية والثانوية جاهزة التنفيذ بمجرد حصولنا على المبالغ اللازمة . كما أننا في حاجة إلى مساعدة الرابطة لإدارة مكتبنا هذا وتجدون طيه نسخة من كتابنا إلى سعادة الأمين العام الشيخ على الحركان للعلم والتوصية .

العيادات الإسلامية :

يلزم اقامة عيادات إسلامية في جميع انحاء الدولة لرعاية المسلمين وعائلاتهم وقد سبق المسيحيون والأحمدية في هذا المضمار لأن ممثليهم في الخارج يقومون بتزويدهم بالمال والمعدات اللازمة .

الصحافة الإسلامية :

إنشاء صحافة عربية وانجليزية سيسير قدمًا لتوطيد صورة الإسلام في غانا ونوصي وفدكم بهذا الأمر .

دورات للأئمة العاملين :

يوجد لدينا عدد من الشباب الذين قاموا بدراسات خاصة في العلوم الإسلامية ويلزمهم المزيد من الندوات والدراسات الإسلامية لتوسيع آفاقهم .

المنح الدراسية والتذاكر :

نشكر البلاد العربية المختلفة على المنح الدراسية للطلاب المسلمين في غانا . حصل البعض على منح دراسية في العام الماضي وقد قام مجلسنا نيابة عنهم بالاتصال بالجهات الحكومية لصرف جوازات سفر لهم والتصريح لهم بشراء التذاكر ونظرًا للتبادل التجاري والنقدي فقد رفضت الجهات المسئولة قيام الطلبة بشراء التذاكر من شركات طيران أجنبية.

نلتمس من ممثلي جامعة المدينة إحالة الموضوع أولاً إلى المجلس التمثيلي لمسلمي غانا الذي سيعلن عن المنح لاختيار أفضل الدارسين . وبسبب ضعف حالتنا المادية فنرى أن تعطى التذاكر للحاصلين على المنح الذين يقومون بسداد قيمتها على اقساط تخصم من رواتبهم أثناء الدراسة . وهذه الوسيلة ستكون بمقام مساعدة فعالة للدراسة الإسلامية في غانا .

المساهمة الدينية الإسلامية في قضية غانا الأهلية :

نظرًا لعدم وجود مساعدات مالية للمجلس فلا يمكن لنا المساهمة في صناديق الدعم للمؤسسات الحكومية أو الهيئات الإسلامية الدولية التي تحتاج إلى مساعدة مثل لجنة المغتربين وهيئة اللاجئين والهيئة الدولية للمعوقين وبالتالي فمساعدة الرابطة لمجلسنا تعتبر ضرورية .

مشاريع المجلس الإسلامية :

بينا المشاريع التي تتطلب التطوير والمساعدة المطلوبة من الرابطة . ومنذ انتخاب المجلس التنفيذي الجديد في شهر مايو ١٩٨٠ م في مؤتمر وطني عقد في مدينة كيب كوست قمنا بتعديل في إدارة مجلسنا وذلك بتعيين مندوبين اثنين متفرغين وآخرين متطوعين . وارسلنا إلى سعادة الشيخ علي الحركان (طيه صورة من كتابنا المؤرخ ٢ يناير ١٩٨١ م) وكذلك صورة من برنامجنا الزراعي عن عام ١٩٨٠/١٩٨٢ والذي نأمل أن تمدنا بموجبه الرابطة بالآلات الزراعية اللازمة .

دولة اقلية اسلامية :

غانا كغالبية الدول غير المسلمة لا تعارض الإسلام ولا تضطهده فهي دولة تحترم الدين ويتمتع المسلمون بكامل الحرية في عقيدتهم الدينية . ولكن باعتبار الدولة تقوم على المباديء المسيحية فعلى المسلمين تمويل مشروعاتهم بدون مساعدة الحكومة . ونظرًا لأن المجلس يعتبر حديثًا فقد وجدنا أنه من الصعوبة بمكان انجاز أي من المشاريع .

ونرجو بمنح المجلس التمثيلي لمسلمي غانا المساعدة المالية اللازمة والمبينة فيما بعد :

١ ـ آلات إدارية :

المركز الرئيسي والسكرتارية .

وإدارات في تسع مناطق ٢,٥ مليون دولار.

٢ ـ البرنامج الزراعي :

آلات وخلافـه ٣,٥ مليون دولار.

٣ ـ برامج تعليميــة :

بناء مدارس انجليزية وعربية
صيانة المدارس الحاليـة ١٠ مليون دولار.

٤ ـ بناء وتجديد المساجـد :

في جمع أنحاء غانا ٥ مليون ريال.

٥ ـ إنشاء عيادات إسلامية :

ومطابع في عواصم الأقاليم ٦ مليون دولار.

الإجمالي : ٧٢ مليون دولار

الحاج داود. اوتو — **أمير أبو بكر ساليفو**
رئيــس — **الأمين الوطني**

وقد دار نقاش هام بيننا وبينهم اشترك فيه عدد من المجتمعين كلهم تكلموا بشدة قد تصل إلى حد التهجم على المسلمين عامة وعلى العرب الأغنياء خاصة ، يريدون منهم أن يقيموا لهم المشاريع التي يريدونها لأنهم فيما يقولون فقراء.

وقد قلت لهم : إن إخوانكم العرب مستعدون ـ فيما نعرفه ـ لمساعدتكم ولكن عليكم أن تبدأوا أنتم أولاً بالعمل ثم تطلبوا المساعدة من إخوانكم على إتمامه لأنكم إذا لم تساعدوا انفسكم بالعمل لم يساعدكم الآخرون ، وهذه

طبيعة المساعدة فهي لا تعني أن يقوم غيركم بكل ما تريدونه ، ثم يسلمه جاهزًا إليكم ، لانكم إذا كنتم على هذه المثابة من عدم العمل ، فانكم لن تستطيعوا القيام عليه واستمرار الانتفاع به ، لأن استمرارية الانتفاع به تحتاج أيضًا إلى عمل كثير مادي ومعنوي .

ثم ضربت لهم المثل بالحديث الشريف وهو أن أحد الصحابة قال : خدمت النبي ﷺ من الليل وقربت له وضوئه فقال النبي ﷺ : سلني حاجتك ! فقلت : اسألك يا رسول الله ـ مرافقتك في الجنة ، فقال النبي ﷺ : أعني على نفسك بكثرة السجود !

وقلت : إن المراد من كلام رسول الله ﷺ في هذا الحديث هو الحث على العمل ، وبذل الجهد في ذلك .

ويؤيده الحديث الصحيح عن النبي ﷺ وهو قوله : استعن بالله ولا تعجزن فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان .

لقد قلنا لهم ذلك لكي نحثهم على العمل لأننا نعلم من وسائلنا الخاصة أن هذا المجلس كثير الأماني والتخطيط وقليل العمل أو لنقل بعبارة أكثر انصافًا : إنه أقل امكانات مما عرفه به القائمون عليه . ونسأل الله تعالى لهم المزيد من العمل الصالح وأن تكون ذلك نتيجة مثمرة في صالح الإسلام والمسلمين .

الخميس ١٣/٥/١٤٠١ هـ ١٩/٣/١٩٨١ م

صرف المساعدات المالية :

حزمنا أمرنا على أن نصرف نقودنا التي احضرناها معنا من أجل أن نفرقها على إخواننا المسلمين في هذه البلاد . وقد بلغ مجموع النقود بالعملة الغانية خمسمائة ألف سيدي فملأ حقيبة كبيرة ومعها صندوق من الورق المقوى إذ هو مبلغ كبير .

ومجرد حفظ هذا البلغ مشكلة في حد ذاته . وبخاصة في بلاد تعاني من الفقر ، وعدم صرامة القوانين . وقد اهتدينا إلى وسيلة مناسبة وأبقيناها في حرز أمين في السفارة السعودية وواعدنا المسئولين عن الجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي سنعطيهم مساعدات للحضور إلى السفارة السعودية لكي نسلمهم ما قررناه لهم ورجونا الأخ الكريم الأستاذ عبدالحميد القاري أن يخصص وقتًا إضافيًا لهذا الغرض فلم يبخل بذلك جزاه الله خيرًا بل أصبح عونًا طيبًا لنا في هذا الأمر بخبرته بالجهات والمدارس الإسلامية واهتمامه الشخصي بهذا الأمر وهو اهتمام لا يكون كثيرًا عند بعض السفراء ورؤساء الهيئات السياسية لأنهم أو أكثرهم يعتبرون أن السفير أو الرجل السياسي في بلد مهمته تنحصر في العمل السياسي ، ولا تجيز له الأعراف السياسية أن يتجاوزه إلى غيره من باب المعاملة بالمثل بين البلاد.

وكان من أهم ما قصدناه من تسليم المساعدات في السفارة أن تكون على علم بالذين سوعدوا حتى تتابع ذلك وتنظر فيما يعملون بالمساعدة ، ليقرر – على ضوء ذلك – استمرار العمل على مساعدتهم فيما بعد أو عدم ذلك .

ما أرخص الجمل لولا الهرة !

هذا مثل عربي قديم أصله أن رجلاً عرض جملاً له للبيع ، وقال إنه حدد

ثمنه بدرهم واحد وكان يساوي خمسمائة درهم ، إلا أنه قرنه بهرة عرضها للبيع وحدد لها ثمنًا ألف درهم ، وقال : إنه لا يبيعها إلا معًا بالثمن الذي حدده لكل منهما .

فقال الناس : (ما أرخص الجمل لولا الهرة) ! فذهب مثلاً ذكرته هذا اليوم .

كان بعضهم قد ذكر لنا مطعمًا جميل الموقع قال إنه على شاطيء البحر ، وأنه تابع لمنتزه وفندق اسمه (ريفيرا بيج هوتيل) .

فركبنا إليه سيارة أجرة اخترقت حي (أسو) الجميل الغارق في الجنات .

وكان الجلوس في مكان غير بعيد من بركة عظيمة للسباحة ربما كانت أكبر بركة رأيتها في فندق قبل الآن على كثرة ما رأيت من فنادق وبرك فيها للسباحة . ولكن لم يكن في هذه البركة الكبيرة قطرة ماء بل هي لم تشهد قطرة ماء منذ وقت لاشك في أنه طويل لأن فيها مقدارًا كبيرًا من رمال الشاطيء .

وكيف يكون في البركة ماء وأكرا كلها أو أغلبها ليس فيها ماء للشرب ؟

وهذا المطعم ، غالي الأسعار ، غير جيد الطعام . إذْ أكلنا وجبة لا نعتبرها كاملة بمائة وخمسة سديات للشخص الواحد .

وكل ما في هذا الفندق والمحيط به مهمل ليس فيه أي أثر لعناية .

أما الفندق فهو في الطابق الأعلى وما فوقه في موقع جميل على هذا الشاطيء الرملي على المحيط الأطلسي .

إلَّا أننا في نهاية الأكل وكنا قد أكلنا سمكًا احتجنا إلى أن نغسل أيدينا بعده ، فطلبنا قليلاً من الماء لهذا الغرض كما هي العادة فاعتذر بأنه لا يوجد عندهم ماء .

وعند الخروج مررنا بكاتب الفندق وسألناه عن أجرة الغرفة في الليلة

الواحدة فقال : إن الغرفة ذات السريرين بحمام داخلي أجرتها ٩٩ سديًا .

ولما كان هذا غير معقول لنا لأن مستوى الفندق مرتفع ، لم نصدق أننا تأكدنا من قوله إذْ فندقنا أغلى من هذا فهو بمائتين وستين سديًا ومستواه لا يصل إلى مستوى هذا .. فكررت عليه سؤالي عن الأجرة فاجاب : إنها تسعة وتسعون أي مائة إلا واحدًا .

وعندما ظهر له أنني حتى الآن غير مقتنع أو غير مدرك لما ذكره أضاف : إلا أننا لا نقبل الأجر إلا بالعملة الأجنبية وبالصرف الرسمي . فأدركت عند ذلك السبب وتمثلت بهذا المثل العربي (ما أرخص الجمل لولا الهرة) .

لأنه إذا قبل بالعملة الوطنية صارت أجرة الغرفة أربعة دولارات بالنسبة لنا وإذا لم يقبل بها صارت الأجرة أربعين دولارًا .

في المدينة القديمة :

كانت مدينة (أكرا) عاصمة غانا من المدن الرئيسية في إفريقية عند أول عهد القارة الإفريقية بتتابع استقلال دولها .

وكانت من الدول الرئيسية في ذلك في كل شيء إبان مجدها على عهد رئيسها السابق (قوامي نيكروما) فكانت مركز ثقل سياسي بل كانت مركز قيادة في بعض الأحيان وكانت مزدهرة اقتصاديًا فكان مظهرها مظهر المدن الحديثة .

ذلك كان حال المدينة القديمة .

أما الآن فقد تغير الحال إلى الأسوأ وكان السبب في ذلك هو توالي الانقلابات وتولي العسكريين شئون البلاد وهم لا يحسنون من السياسة والاقتصاد ما يصلحها وفي أيديهم من القوة ما يجعلهم يفرضون الأسوأ ويسكتون أفواه المنتقدين والناصحين .

لذلك كان لا بد لي من زيارة مدينة نيكروما أو الجزء القديم المتمدين من أكرا .

فكان ذلك في عصر هذا اليوم وبصحبة الأخ شعيب أبو بكر .

فكان أول ما يلفت النظر فيها الشوارع الفسيحة والأبنية المسطحة السقوف كأنها الأبنية العربية أو الهندية الحديثة . وكثافة السكان أي كثرة السائرين في الشوارع .

ومررنا بالجامعة التي كانت مهمة وكانت مشهورة حتى جعلها بعضهم أو حاول أن يجعلها ندًا لبعض الجامعات الأوروبية .

وبناية (البرلمان) والمحكمة العليا . وخيل إليَّ وفي ذهني تدني سعر عملتهم إلى عشر دركات أن هذه الأشياء قد تدنت قيمتها فقل الانتفاع بها بمثل ذلك القدر .

ومثل ذلك تمثال (نكروما) أول رئيس لدولة (غانا) المستقلة ، وهو يقف في مكانه رغم أنه تولى السلطة بعده معارضون له . بل معادون لسياسته ولكنهم تركوا تمثاله ربما من أجل أن يشهد ما فعله بهم من جاؤوا بعده . بل ما فعلوه جميعًا بغانا وشعب غانا .

وقصدنا سوقًا للتحف والمصنوعات الوطنية الخفيفة فلم أجدها رخيصة رغم الصرف الخاص لأن كل شيء ارتفع على اعتبار أن صرف العملة الغانية فد تدنى .

وأكثر الباعة في هذا السوق هم من المسلمين يعرفهم الشيخ شعيب بأشخاصهم وأعرف أنا بعضهم بملابسهم وطواقيهم ـ جمع طاقية ـ وبعضهم يعرف شيئًا من العربية تعلمه في الكتّاب العربي في صغره أو كانوا قد جاؤوا من

شمال الكاميرون أو تشاد حيث اللغة العربية هناك اللغة التي يفهمها الجميع .

واشتريت فيما اشتريته فراشًا من جلود الوحوش بتسعمائة سيدي .

كما اشتريت حقائب من جلود الحيات وأخرى من جلود التماسيح وبعض المصنوعات الخشبية .

يوم الجمعة ١٤٠١/٥/١٤ هـ ١٩٨١/٣/٢٠ م

منذ وصلت إلى (أكرا) وأنا أحاول أن أجد فرصة للسفر خارج العاصمة تكون كما قال الأقدمون (حجة وحاجة) أي : عملاً وسياحة . وقد عزمت على السفر إلى إقليم (أبشي) في الشمال حيث يكثر المسلمون إلا أن الطرق غير مسفلتة ، وهو بعيد بالطريق البري . والسفر الجوي قد توقف بسبب سقوط الطائرة التي كانت تذهب إلى هناك .

وقد زار زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق مدينة كوماسي باسم الوفد واطلع على ما فيها .

لذلك قررت السفر اليوم إلى مدينة اسمها (كوفوردوا) تبعد عن العاصمة ثمانين كيلا وأن تكون صلاة الجمعة هناك ومعها الاجتماع بالمسلمين فيها والاطلاع على مدرسة فيها كانت مزدهرة عندما كان الشيخ علي عبدالعزيز العايدي الفلسطيني الجنسية مبعوثًا من رئاسة الافتاء في غانا ومتوليًا شئون تلك المدرسة .

وإن كان بعض الإخوان قد نصحنا بأن نتجاوزها إلى (هوهو) التي تبعد مائة وستين كيلا من العاصمة جهة الشمال الشرقي .

غير أنه لم يتحقق هذا ولا ذاك . إذْ ظللت انتظر سيارة خاصة كنا قد اتفقنا مع صاحبها على هذا الأمر وبعد طول انتظار جاء يعتذر بأنه اكتشف عطلاً في الحاشدة (البطارية) ولم يستطع الحصول على جديدة .

فألغينا ذلك لأننا على موعد من بعد الظهر حتى الليل مع المسئولين عن الجمعيات والمدارس والمؤسسات الإسلامية لصرف المساعدات النقدية لهم ابتداءً من الرابعة بعد ظهر اليوم .

وهكذا كان ولم ننته من ذلك إلاَّ في الحادية عشرة ليلاً .

يوم السبت ١٥ /٥/١٤٠١ هـ ٢١ /١٩٨١/٣ م

مضى أول هذا اليوم في إكمال صرف المساعدات في مقر السفارة السعودية وبمعاونة الأخ الكريم عبد الحميد القاري القائم بالأعمال. وفي الساعة الواحدة خرجنا إلى المطار في الطريق إلى (لاجوس) عاصمة نيجيريا.

السفر إلى أكرا :

تركنا فندق رنقوي في شارع رنقوي الذي قالوا: إنه من أهم الشوارع فيها وأنه من مآثر رئيسهم السابق أول رئيس لغانا بعد الاستقلال (قوامي نكروما) في الساعة الرابعة إلا ربعاً قاصدين المطار ومعنا مندوب من السفارة السعودية أرسله مع سيارته الأستاذ عبد الحميد القارى القائم بأعمال السفارة وقال الموظف: إنه أمرني بأن أنجز معاملات خروجكم ثم أعود إليه فأحضره ليودعكم.

ووصلنا المطار قبل الرابعة بدقيقتين فهو قريب جداً من الفندق.

وقد أنهى الموظف الإجراءات كلها، ولم يأخذوا عليها رسماً بسبب وجود جوازي السياسي وكنا أثناء ذلك في مقصف هذا المطار الكبير المهمل نشرب الشاي في مكان مغلق كأنه الحمام لأنه كان قد صمم على أن يكون مكيف الهواء إذْ لا يمكن الاستغناء عن التكييف في بلاد مثل هذه البلاد الساحلية الاستوائية الرطبة. ولكن التكييف متعطل في المطار منذ مدة طويلة، ولم يروا أو لم يستطيعوا أن يغيروا من تصميم المكان فيفتحوه للهواء الطلق فهو أرحم من الاختناق بالحرارة.

وعند الدخول إلى قاعة المغادرة حياني موظف الجوازات الذي كان قد أعطاني الدخول لمدة أسبوعين بعشرة دولارات مع أن جوازي (دبلوماسي)

ولكن التأشيرة كانت قد انتهت صلاحيتها وكان عنده تفويض بإعطاء من يكون مثلي تأشيرة الدخول من المطار ولكنه لم يستعمل ذلك إلا بعد أن وعدته بعشرة دولارات أعطيته إياها بعد أن أنهيت كل شيء.

وفي قاعة المغادرة التي هي صغيرة ولكنها ذات زوايا متعددة منها زاوية لخمارة أو بار لا يبيع الا المسكرات حتى الكوكاكولا وما أشبهها لا تباع فيه، ومنها مكان آخر يبيع القهوة وما أشبهها ولكنه رفض أن يقبل النقود الغانية عملة هذه البلاد، وقال: إنه لا يقبل إلا العملة الصعبة.

وجاء الأستاذ عبد الحميد القاري جزاه الله خيراً ليودعنا ولبث معنا حتى أعلن عن الخروج إلى الطائرة.

وبينما كنا في انتظار ذلك أمطرت السماء فوكف سقف المطار أي: تسرب منه ماء المطر وتكوّن منه في بعض الشرفات المغطاة مستنقعات صغيرة في وسطها (بالوعة) كانت قد عملت ليتسرب منها في حالة مثل هذه الحالة ولكنها كانت مسدودة.

والطريف في الأمر أن المياه منقطعة عن بناء المطار هذا ولهذا كانت حماماته التي ذهبنا إليها مغلقة.

ولا شك أنه مثل غيره من الأماكن التي انقطعت عنها المياه. ولكن السؤال يكون: لماذا لم يضعوا خزانات أرضية أو علوية كافية لخزن المياه وإمداد المطار أثناء انقطاع الماء في الأنابيب؟

وعندما أعلن عن قيام الطائرة ذهب الركاب مع ممرات طويلة أكدت انطباعي الأول عن هذا المطار من أنه مطار كبير على طراز قديم مهمل، حتى الطلاء الخارجي في أكثر جوانبه قد أفسده وكف المطر، وكذلك السقوف ولم يصلح من ذلك شيء.

وكنا كثيراً ما نسأل عن سبب الإهمال في هذه المدينة الإفريقية الكبيرة فيجيبنا أهلها بأن ذلك كان بسبب الإنقلابات العسكرية، وتولي الحكم غير المختصين فنقتنع بذلك لأن بعض البلاد العربية عانت من ذلك، ولا تزال تعاني منه.

وفي الممر الطويل المهمل كان هناك حاجز لتفتيش الأمتعة والحقائب اليدوية من أجل الأمن ولكنه انقلب أيضاً إلى حاجز للجمرك حول العملة إلا أن التي كانت تفتش فيه امرأة مهذبة هادئة الطبع كما هي عادة أهل هذه البلاد السمحي الطباع. وقد عثرت على النقود ولكنها تجاهلتها، وهي نقود لم يطلبوا مني تسجيلها عند الدخول ولا فتح الحقائب بسبب الجواز السياسي. وتركتها إلى ممر مستور فيه رجلان يفتشان أبدان المسافرين من الرجال، وهناك ممر آخر فيه امرأة تفتش النساء وتحسس أحد الرجلين جيبي بيده ثم قال: هل معك نقود؟

فغضبت من ذلك وقلت له: لن أخبرك لأنك لم تثق بي وإنما فحصت جيبي بنفسك، فعليك أن تتأكد أنت بنفسك، فخجل من ذلك واعتذر وانحنى بالتحية وهذا أيضاً مظهر من مظاهر سماحة أخلاق هذه البلاد الغانية.

وقد دخلنا الطائرة النيجيرية قبل أن ينزلوا حقائب الركاب القادمين الذين كانوا قادمين عليها من (أبيجان) عاصمة ساحل العاج، وتركونا فترة وهم يعملون كذلك حتى انتهوا، وكان غيرهم في هذه الأثناء يتم حمل أمتعة المسافرين إلى الطائرة.

ثم قامت الطائرة في الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين قاصدة (لاجوس) وأعلنت المضيفة بصوت لا يستمع إليه إلا من احتاج إليه بأن مدة الطيران ستكون أربعين دقيقة.

وتبين أن المطار يقع في ربوة بعدها منخفض فيه زراعة يظهر عليها عدم العناية.

وحلقت الطائرة فوق ضواحي مدينة (أكرا) الجيدة وهي بيوت متفرقة على هيئة الدارات (الفيلات) تحيط بها الخضرة، ثم فوق وسط المدينة الذي يشبه مظهره مظهر المدن في البلاد العربية والهندية فهو ذو عمارات متعددة الأدوار أغلب سقوفها مسطحة. وليست مسنمة كما تكون عليه البيوت في أغلب القرى والمدن الإفريقية الصغيرة. وتجاوزت الطائرة ذلك وهي ترتفع إلى الطيران فوق ضواحٍ شعبية فيها البيوت الافريقية الأصيلة بسقوفها المسنمة، وبيوتها ذات الطابق الواحد.

وعندما ارتفعت الطائرة أيضاً اتضحت مدينة أكرا واسعة المساحة، ممتدة الضواحي على شاطىء المحيط، وفي داخل اليابسة.

وداعاً يا أكرا :

رغم ما رأيته في بعض ضواحي هذه المدينة الكبيرة من قذارة وإهمال، ورغم ما رأيته في جهاتها الأخرى من إهمال أيضاً، فإن أخلاق أهلها السمحة، وروحهم الودية تجاه الأجانب، مما لا يكاد المرء ينساه كما أن سهولة صرف العملة الأجنبية مما أحال غلاء البلاد إلى رخص.

ولذلك غادرت (أكرا) معتقداً أنها من البلاد التي لا ينساها زائرها بسهولة.

وبهذا التوديع انتهى الحديث عن زيارة هذه الأقطار الإفريقية الأربعة وهي الزيارة التي استمرت شهراً واحداً نوهنا به في تسمية هذا الكتاب.

أما الكلام عن نيجيريا وهي تختلف في أشياء كثيرة عن هذه الأقطار فإنه في كتاب مستقل اسمه: «قصة سفر في نيجيريا».

غـــانا

تقع (غانا) فيما يسمى بخليج غينيا على المحيط الأطلسي وتحد من جهة الشمال بفولتا العليا ومن جهة الغرب بساحل العاج كما يحدها من الجنوب المحيط الأطلسي ومن الشرق جمهورية توجو، ويبلغ عدد سكانها اثني عشر مليوناً من النفوس، يعيشون في مساحة تبلغ مائتين وثمانية وثلاثين ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين كيلو متر مربع هي مجموع مساحة (غانا) الحالية.

وقد حصلت غانا على استقلالها من بريطانيا عام ١٩٥٧م فهي بذلك من أقدم الدول الإفريقية حصولاً على الاستقلال في العهد الأخير الذي تخلصت فيه الشعوب الإفريقية من الحكم الاستعماري الغريب.

وتعتبر غانا من أغنى الدول في غرب إفريقية من الناحية النظرية لأنها تشتمل على معادن منها الذهب الذي كانت تسمى به قبل الاستقلال (ساحل الذهب) وقد اكتشفت فيها مكامن للذهب غير ما كان معروفاً من قبل وتنتج منتجات عالمية هامة مثل الكاكاو والفول السوداني. والأخشاب الغالية.

ولكنها تعاني في الوقت الحاضر من سوء الإدارة، وفساد الموظفين، ومن الانقلابات المتتالية التي كان يصحبها في الغالب حكم عسكري جاهل بأصول الإدارة لا يهمه إلا تثبيت سلطته.

لذلك تدهور اقتصادها، وقل إنتاجها، وكثر الفقر فيها حتى أصبح هو الصفة الغالبة على أكثر السكان.

وتدنت قيمة عملتها حتى أصبحت تباع في السوق الحرة من دون استخفاء بعشر قيمتها الرسمية أي ١٠٪ من قيمتها

ولقد شمل الفساد الصادرات حتى صارت أكثر المنتجات ذات القيمة تهرب من البلاد تهريباً أو يتاجر بها أرباب الدولة أو سماسرتهم ولقد أخبرني أحد

السياسيين العاملين في (غانا) بأن الخشب الذي تنتجه البلاد يهرب إلى خارج البلاد. وكان يحدثني غير مبالٍ بمدلول هذه اللفظة (تهريب الخشب).

فاستوقفته، وقلت له: إن تهريب الذهب وما أشبهه من الأشياء ذات القيمة العالية مفهوم غير أن تهريب الخشب بحجمه الكبير وقيمته غير الغالية أمر غير مفهوم.

فقال: إن معنى تهريب الأخشاب أن موظفي الجمارك ومفتشيهم قد اعتادوا على أخذ رشوة معينة مقابل تركهم للسيارات التي تحمل الخشب وتخرجه من البلاد بصفة غير رسمية فكل حمولة من السيارات لها قدر معلوم من الرشوة إذا قبضه الموظفون تركوها تمر. وهذا هو معنى تهريب الخشب بمعنى أن خزينة الدولة لا تنتفع منه نقداً أجنبياً ينفعها في شراء الآلات والمعدات التي تحتاجها البلاد.

ولقد لاحظت شيئاً مؤسفاً في العاصمة أكرا وهو أن رغيف الخبز الإفرنجي المستطيل يباع بعشرة سيدات على حين أن أجرة العامل غير الماهر في اليوم هي عشرة سيدات وإذاً يكون الحصول على رغيف من ذلك الخبز يحتاج من العامل غير الماهر إلى جهد يوم كامل.

وذلك بأن الرغيف يصنع من القمح بطبيعة الحال والقمح لا تنتجه البلاد وإنما يستورد من الخارج والحكومة لا تستطيع أن توفر العملة الصعبة للتجار بسعرها المقرر وهو ثلاثة سيدات الا ثلثا للدولار الواحد فيضطر التجار إلى شراء الدولار في السوق الحرة بسبعة وعشرين سيدياً أي بأكثر من قيمته الرسمية عشرة أضعاف ولذلك لا يبيعون هذا الرغيف من القمح إلا بهذا السعر الغالي.

وقد نتج عن ذلك أن أصبحت طوائف كبيرة من الشعب لا تستطيع أن تصل إلى رغيف الخبز ولا حتى الأرز التي تنتج البلاد منه مقادير غير كافية. لغلاء ثمنه وإنما يكادون يقتصرون على أكل (الكسافا) ذلك الطعام الرخيص

الثمن ولكنه يكاد يكون مؤلفاً من النشويات فقط فيحتاج من يأكله إلى أن يتناول معهُ أحد الأغذية الغنية بالبروتين وإلا كان غذاؤه ناقصاً وقد يصاب بأمراض سوء التغذية.

والأغذية الغنية بالبروتين كاللحم والألبان والبيض تكون غالية لا يستطيع الفقراء والمعوزون من عامة الشعب الحصول عليها.

أما الإهمال في مرافق البلاد فإنه قد بلغ دركاً لم أر مثيلاً له فيما رأيته من أقطار إفريقية الغربية التي زرتها.

وذلك بعد أن كانت دولة غانا الحديثة من أكثر الدول الإفريقية ازدهاراً عند استقلالها وبعد ذلك بزمن قصير.

تسميتها :

غانة : اسم مجلجل في التاريخ القديم في غرب إفريقية. وكان أول اسم لمملكة من ممالك السودان عرفه العرب والمسلمون.

ولذلك تحدثوا عنه كثيراً وبخاصة عن بلاد غانة التي كانوا يتاجرون معها يأتون إليها بالملح والأقمشة من المغرب فيقطعون الصحراء ويقايضون بضائعهم التي لا تقتصر على ذلك وإنما تتعداه إلى الحلي الزجاجية والخرز ونحوها ويأتون بديلاً عن ذلك بالذهب والرقيق وأحياناً بالعاج.

وقد كانت (غانة) أول ما يتبادر إلى ذهن التاجر العربي المسلم أو المتتبع لأخبار الرحالة والتجار في غرب إفريقية وبخاصة خلال ازدهار تلك الدولة (الغانية) في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ولم يكن يدور بخلد التجار والزوار من العرب عندما يرون هذه المملكة السودانية أن غانة كانت قد شهدت مملكة وربما ممالك مزدهرة قديمة كانت موجودة قبل الإسلام ولكن أخبارها لم تصلهم.

أما ما شاهدوه من أمر غانة فإنه كان يملأ أذهانهم بالأفكار ويملأ صحائف من يكتبون الحديث عنهم.

ولقد استمرت مملكة (غانة) على ازدهارها إلى أن تغلبت عليها مملكة سودانية عظيمة مجاورة هي مملكة (مالي) فأصبحت (غانة) ولاية من ولايات (مالي) حتى اضمحل أمرها.

تنبيه مهم :

ينبغي أن يتنبه القارىء الكريم إلى أن مملكة (غانة) القديمة هذه ذات الأمجاد التاريخية ليست هي من حيث الموقع الجغرافي بدولة (غانا) الحديثة هذه التي رحلنا عنها والتي كانت تسمى (ساحل الذهب) قبل الاستقلال.

(فغانة) القديمة واقعة في المنطقة التي تتقاسمها الآن حدود السنغال مع حدود موريتانيا ومالي.

وقد كان بعض المؤرخين المسلمين القدماء يعرّفون (غانا) القديمة بأن نهر السنغال هو نهر غانة ويعبرون عنه باسم نيل غانة فيقولون: إن نيل غانة هو شقيق نيل السودان، ويريدون بنيل السودان هنا ما يسمى الآن نهر النيجر وليس نيل مصر.

ذلك بأنهم في أول عهدهم بالإتصال بأهل غرب إفريقية وحتى العصور الوسطية لم يكونوا يطلقون تسمية (السودان) أو لنقل بمعنى أدق اصطلاح (السودان) إلا على السودان الغربي ذلك الذي كان يشمل في القديم مملكة غانة ومملكة مالي وأجزاء كبيرة مما يسمى بمنطقة الساحل التي يراد بها ساحل الصحراء الإفريقية الكبرى وليس ساحل البحر.

وان كانت الحدود الغربية للسودان عندهم تمتد حتى تصل ساحل المحيط الأطلسي الذي كانوا يسمونه (المحيط الأعظم).

وكانوا قد عرفوا غانة بأنها كانت في القرن الرابع ذات سكان من المسلمين وغيرهم.

ثم نشأت بلدة تجارية مهمة في المنطقة التي تقع الآن داخل حدود موريتانيا الجنوبية، وصار للمسلمين فيها صولة ونفوذ وبخاصة في الناحية التجارية.

غانة الحالية :

عند الاستقلال كان الدكتور قوامي نكروما وصحبه من جيل الاستقلال في البلاد من المثقفين الإفريقيين الذين كانوا يشكون مر الشكوى يبدون ذلك ويعيدون من كون بعض الأوروبيين من الباحثين وممن يدعون لأنفسهم المعرفة بالشعوب ينكرون على الافريقيين أن يكون لهم ماضٍ حضاري، بل أن يكونوا حتى أسهموا في الحضارة الإنسانية وبالتالي يصلون إلى القول بأن الإفريقيين غير مؤهلين لكي تكون لهم حضارة في الحاضر.

فأراد الدكتور (نكروما) ومن معه أن يذكروا أولئك وغيرهم من غير العارفين بالماضي المشرف لمملكة (غانا) الإفريقية القديمة فأطلقوا هذا الاسم (غانا) أوغانة على دولتهم التي استقلت حديثاً وتركوا اسمها الاستعماري الأوروبي (ساحل الذهب).

وذلك أيضاً من باب التيمن بهذا الاسم التاريخي الإفريقي العريق، وليس لكون المنطقة التي كانت تشغلها مملكة (غانة) القديمة هي (غانا) الحديثة.

على أن بعض الإفريقيين يحاولون أن يجعلوا للأمر وجهاً آخر غير التيمن بالاسم والتذكير بالماضي الحضاري العريق وإنما يقولون إن له سنداً من الواقعية يتمثل في أن شعب (الأشانتي) الذي يسكن الآن في الأماكن الداخلية من دولة (غانا) الحديثة إنما جاء أصله من الشمال من تلك المنطقة التي كانت تحكمها أو كانت تشتمل عليها مملكة (غانة) القديمة.

وهذا أمر يحتاج إلى دليل، كما أن شعب (الأشانتي) ليس له الأغلبية السكانية في دولة (غانا) الحالية وان كنا لا ننفي احتمال كونه قد قدم من الشمال.

وعلى أية حال فإن المقصود من البحث هنا أن دولة (غانا) الحديثة لا تشغل المنطقة الجغرافية التي كانت تشغلها مملكة (غانة) القديمة.

دخول الإسلام إلى غانا :

الخوض في دخول الإسلام إلى مملكة (غانة) القديمة ليس من موضوع كتابنا هذا في شيء وإنما موضع ذلك في الرحلة التي سنقوم بها إن شاء الله إلى بلاد السودان الغربي التي كانت تشمل في القديم غانة ومالي وما يتبع ذلك من بلاد.

وإنما كلامنا الآن على بلاد (غانا) الحديثة هذه.

والحدود الشمالية لبلاد (غانا) تشترك مع حدود فولتا العليا التي تشترك مع حدود جمهورية مالي الحالية التي هي وريثة مملكة مالي العظيمة العريقة وإن كان لم يبق لها من تلك المملكة الإسلامية العظيمة إلا مثلما يبقى للذرية المبذرة من ثروة مورثهم الثري الحصيف، بعد أن يمضي على هلاكه سنون.

وإذاً لا بد من أن يكون الإسلام دخل إلى (غانا) الحديثة هذه أول ما دخل من جهة حدودها مع فولتا العليا التي هي مجاورة لجمهورية مالي في الوقت الحاضر وكان قسم كبير منها جزءاً من مملكة مالي القديمة تلك المملكة الإسلامية العريقة التي انطلق منها الدعاة المسلمون جهة الجنوب في المناطق الاستوائية والشبيهة بالاستوائية في القارة الإفريقية يدعون إلى الله، ولا ينسون مع ذلك نصيبهم من الدنيا في التجارة وغيرها.

وبعد أن سقطت مملكة مالي في القرن العاشر أو التاسع الهجري لم تسقط مكانة الدين الإسلامي في نفوس أهلها، ولا حماستهم لهداية الناس.

كما لم تسقط رغبتهم في التجارة فكان الأفراد ينطلقون إلى تلك المناطق الجنوبية متاجرين أو مهاجرين يحملون معهم دينهم ومفاهيمهم للحياة التي تبهر العقول السليمة التي لا تزال على الفطرة فكان يهتدي على أيديهم أناس من أهل البلاد الأصليين وهؤلاء يصبحون بعد ذلك من الدعاة إلى الإسلام أو يصبح منهم أفراد يقومون بذلك.

حتى عرّف شعب عريق كثير الأفراد من سكان (غانا) الحديثة هو شعب الأشانتي بأنه شعب مسلم وان جماعات منه هي عريقة في الدخول إلى الإسلام ولكن لا يستطاع القول بتاريخ دخول الإسلام إلى غانا الحديثة هذه ولا بمعرفة كيفية دخوله بالتفصيل.

غير أنه في العصور الحديثة صارت تفد إلى ساحل الذهب الذي أصبح (غانا) الحديثة وبخاصة إلى منطقة الساحل فيه طائفة من المسلمين العريقين في الإسلام مثل الحوس (الهوسا) والفلاني (الفلاتيين) والماندنقو وغيرهم.

فأخذوا يعملون على بناء المساجد وافتتاح الكتاتيب الإسلامية. حتى أخذت نسبة السكان من المسلمين تزداد في مناطق ساحل المحيط من (غانا) التي لم تكن تعد من بلاد المسلمين في الماضي.

يبلغ عدد المسلمين في غانا تقريباً ٣٥٪ لأنه لا توجد إحصائية تثبت هذه النسبة على الحقيقة ويقول إخواننا المسلمون إن نسبتهم أكثر من ذلك ويتكاثر المسلمون في أطراف البلاد كمدينتي تملي وكوماسي.

وكانت الحكومة السابقة تعتبر معادية للمسلمين من حيث عدم توظيفهم في الوظائف الكبيرة بحجة أنهم غير متعلمين.

ولذلك لا يوجد حتى الآن في عهد هذه الحكومة التي هي أقل عداء من سابقتها أي وزير مسلم رغم نسبة المسلمين المرتفعة.

كما أن المسلمين أنفسهم ليسوا موحدين في جمعية كبيرة أو اتحاد ينطق باسمهم.

تحركات الوفد وسير عمله في غانا :

قرر وفدنا البقاء في غانا مدة عشرة أيام نظراً لسعة المنطقة وتوزع المسلمين في أماكن بعيدة والحاجة للتعرف على أحوالهم وقد وجد الوفد من القائم بالأعمال في السفارة السعودية الأستاذ عبد الحميد قاري التعاون لإنجاح المهمة الإسلامية التي قدم الوفد من أجلها.

وقد توجه أحد أعضاء الوفد إلى مدينة كوماسي المدينة الثانية بعد العاصمة لأهميتها وكثرة المسلمين فيها وبقي اثنان في أكرا وفي خلال هذه المدة استطاع الوفد أن يحصل على معلومات قيمة عن المسلمين والنشاطات الإسلامية بل والمناوئة للإسلام في الوقت الراهن.

وقد قام اعضاء الوفد بإلقاء محاضرات وتنظيم زيارات للهيئات الإسلامية والمراكز والمدارس.

ونظراً لقلة المسلمين في وظائف الحكومة فإن الوفد لم يحاول الاتصال بالمسئولين فيها واكتفى بما حصل عليه من معلومات عن أوضاع المسلمين وما يعانونه من أزمات مما جعل النشاط الإسلامي يأخذ تسميات كبيرة إلا أن حقيقة هذه الأسماء تقل عن الواقع بكثير وتختلف عن الاسم الذي تحمله فمثلاً مجلس ممثلي مسلمي غانا يتكون من خمس هيئات رئيسية وكل مشاريعهم وأعمالهم لا تتعدى نطاق التخطيط ولم يظهر لحيز الوجود من أعمالهم سوى تنظيم سفر الحجاج إلى الحج.

أما المدارس الإسلامية فهي تشكو فقدان الكتاب كما ينقصها المكان المناسب للتدريس وقد شاهد الوفد ما تقوم به المنظمات المعادية للإسلام من دعاة النصرانية والإرساليات القاديانية وما تقوم به البهائية من نشر وتوزيع واسع لكتب مبادئهم.

ومع ذلك فقد سر الوفد بما يقوم به المسلمون في مدينة كوماسي خاصة من جهود في مكافحة الفقر والجهل والأمراض رغم قلة الإمكانات.

في كوماسي يوجد المعهد الإسلامي الذي يضم أكثر من ألفي طالب وخمسة وثلاثين مدرساً منهم ثلاثة من مبعوثي رئاسة البحوث العلمية في المملكة العربية السعودية ويقع على أرض مرتفعة واسعة من ناحية البلد قابلة لمشاريع أخرى لخدمة المسلمين وقد كان بناؤه بدعم مالي من المملكة إنفاذاً لأمر من الملك فيصل رحمه الله وأثابه.

ولايزال اخواننا المسلمون فى أماكن عديدة من البلاد يعملون فى التعليم الإسلامي والتبليغ ولكن ذلك أقل مما هو عليه في سيراليون مثلاً. بل أقل تنظيماً ونشاطاً مما هو عليه الحال في ليبيريا.

والواجب مد يد المساعدة لهم ولكن لا بد من قصر التشجيع والتعضيد على الجمعيات والمؤسسات الإسلامية العاملة دون غيرها من المؤسسات التي تكثر من الإدعاء وتقلل من العمل رغم أسمائها الرنانة.

وهذا بيان ببعض المؤسسات والمدارس التي صرف الوفد لها مبالغ مالية من المساعدات الرمزية التي حملها الوفد معه وقام بتسليمها للمؤسسات المذكورة بعلم من السفارة السعودية في أكرا.

بيان بالجهات التي تم صرف مساعدة لها في غانا مباشرة

١ ـ معهد الدراسات الإسلامية ـ أبكا/أكرا ـ محمد ابراهيم امام مدير المعهد إنشاء

إدارة للمعهد ومكتبة.

٢ ـ مسجد أهل السنة ـ نيما/أكرا ـ أحمد وابراهيم إمام ـ إمام المسجد ـ إنشاء مظلة تابعة للمسجد.

٣ ـ مركز البحوث العلمية ـ نيما/أكرا ـ ابراهيم عبدالله ابراهيم ـ رئيس المركز ـ إعانته على مشروع منشآت المركز.

٤ ـ مدرسة القبة الخضراء ـ نيما/أكرا ـ شعيب أبو بكر ـ مدير المدرسة ـ لصرفها على احتياجات المدرسة.

٥ ـ مدرسة التربية الإسلامية ـ نيما/أكرا ـ محمد الرابع سراقة ـ مدير المدرسة ـ لصرفها على احتياجات المدرسة.

٦ ـ مسجد نمتكا ـ نمتكا ـ عمر ابراهيم إمام ـ عضو هيئة المسجد ـ لسقف المسجد.

٧ ـ مسجد مانوماتا ـ بوكوم ـ مصطفى لائي ـ رئيس هيئة المسجد ـ لشراء مكبر صوت ومراوح للمسجد.

٨ ـ المدرسة الأزهرية ـ كوماسي ـ آدم بابا ـ رئيس المدرسة ـ لغرض إتمام مشروع المدرسة.

٩ ـ المدرسة الصمدانية ـ كوماسي ـ عبد الصمد مختار ـ مدير المدرسة ـ لشراء ستة آلاف نسخة من كتاب رسالة الداعية.

١٠ ـ جمعية البعثة الإسلامية ـ أكرا ـ الحاج موسى فؤادى نائب رئيس الجمعية ـ لدعم صندوق صحيفة البيان.

١١ ـ المجلس الإسلامي لترجمة الكتاب ـ أكرا ـ مصطفى ابراهيم ـ رئيس المجلس ـ لدعم المجلس على طبع الكتب الإسلامية.

١٢ ـ مسجد حي مبروكة ـ مبروكة/أكرا ـ امام محمد أوكاي ـ إمام المسجد ـ لشراء مكبر صوت وفرش المسجد.

١٣ ـ المدرسة التفصيلية ـ أكرا ـ حمزة عبد السلام ـ نائب رئيس المدرسة ـ لصرفها على احتياجات المدرسة.

١٤ ـ مدرسة رياض العلوم ـ مبروكة/أكرا ـ ابراهيم سنكادارفو ـ مدير المدرسة ـ لدعم صندوق المدرسة.

١٥ ـ المدرسة الفوزية ـ نيما/أكرا ـ عبدالله أبو بكر ـ مدير المدرسة ـ ترميم المدرسة.

١٦ ـ المدرسة الرشيدية ـ نيما/أكرا ـ هارون جبريل مادغو ـ مدرس المدرسة ـ مساعدة للمدرسة على أداء مهمتها.

١٧ ـ مدرسة الرشاد ـ نيما/أكرا ـ اسحاق أبو بكر عمر ـ مدير المدرسة ـ مساعدة للمدرسة على أداء مهمتها.

١٨ ـ جمعية أنصار السنة ـ كوماسي ـ آدم بابا ـ عضو جمعية أنصار السنة ـ مساعدة الجمعية على أداء واجبها.

١٩ ـ مدرسة الآداب الإسلامية في أكرا لتأثيث المدرسة.

٢٠ ـ المعهد الثانوي الإسلامي في كوماسي.

٢١ ـ معهد العنبرية الإسلامي في تملي.

٢٢ ـ إتحاد الطلبة المسلمين في جامعة ليجور بأكرا.

٢٣ ـ المدرسة الحجازية في أكرا.

٢٤ ـ المدرسة النورية في تملي.

٢٥ ـ مجلس ممثلي مسلمي غانا في أكرا.

٢٦ ـ مدرسة النهضة الإسلامية في تملي.

٢٧ ـ معهد الدعوة الإسلامية في كوماسي.

٢٨ ـ مجلس الأئمة في نياميم لمساعدة الأئمة.

٢٩ ـ مساعدة للطلبة المسلمين المنقطعين عن الدراسة.

تجربة داعية :

درجت المملكة العربية السعودية على إرسال دعاة ومرشدين إلى أنحاء العالم الواسع يعمل أولئك الدعاة والمرشدون مع الأخوة المسلمين في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ويرشدونهم إلى الطريق الصحيح في عملهم.

وتقوم الجهات المختصة في المملكة مثل رئاسة الافتاء والدعوة في الرياض ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بالتعاقد مع الدعاة المؤهلين للدعوة سواء أكانوا من السعوديين أم من غيرهم. بل سواء أكانوا من العرب أم من غير العرب.

فأصل الداعية إلى الله أو جنسه غير مهم لأن هذا هو الأمر الذي أكده القرآن الكريم كما قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم).

وإنما المهم أن يكون الداعي إلى الله من أهل المعرفة بالدين يحمل شهادات وتزكيات ترشحه لذلك وبشرط أن يكون ملتزماً في نفسه بشرائع الله مستعداً للقيام بالدعوة.

فتدفع الإدارات السعودية المختصة له الرواتب وتذاكر السفر، وتفرغه لهذه المهمة الإسلامية السامية التي هي جزء من القيام بالواجب الإسلامي الذي وفق الله بلادنا إلى القيام به أو ببعضه وذلك بطبيعة الحال لا يسقط هذا الواجب عن البلدان الإسلامية الأخرى القادرة على القيام به.

ومن تلك البلدان التي أرسلت المملكة لها الدعاة (غانا) فقد أرسلت إليها طائفة من الدعاة منهم الأخ الشيخ علي عبد العزيز العايدي الذين كان أحد طلبتنا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وقد طلبنا منه أن يحدثنا عن تجربته في الدعوة إلى الله في هذه البلاد

(الغانية) فكتب لنا الكلمة التالية التي استعرض هنا جزءاً منها مع بعض الاختصار والتصرف الذي يقتضيه المقام ويوافق عليه الكاتب.

قال الشيخ علي العايدي:

لقد حصل لي الشرف أن أرسلتني دار الافتاء والدعوة إلى الله في المملكة العربية السعودية إلى جمهورية (غانا) في عام ١٣٩١ هـ. وكان عملي في بلدة تسمى كفوريدوا يزيد سكانها عن ثلاثين ألف نسمة يكون عدد المسلمين فيها ١٠ ٪ من عدد السكان وهذه البلدة مركز رئيسي لما حولها من القرى التي تبلغ حوالي مائتي قرية (٢٠٠) وتعد بمثابة المصيف لمدينة أكرا عاصمة (غانا) وتبعد عن العاصمة ٨٠ ميلاً وهي من أجمل القرى التي رأيتها في غانا، تقع (كفوريدوا) بين ثلاثة جبال شاهقة ويوجد على قمة الجبل الشرقي للقرية محطة رادار وتلفزيون.

وهذه الجبال الثلاثة مكسوة بأشجار ضخمة شاهقة الإرتفاع بحيث يصل ارتفاع بعضها إلى ٢٠ ـ ٣٠ متر وقد رأيت شجرة على باب المقبرة صنع للحارس بداخلها غرفة وقيل إن عمرها يبلغ مئات السنين ويوجد بين هذه الأشجار شجر الكاكاو والمانجو والبرتغال والليمون والجوافة وشجرة الزبدة والموز والفيكس والسرو العامودي والنارجيل وشجر الباباي والجبل مكسوٌ من القاعدة إلى القمة وفيها أرض منبسطة مليئة بالأعشاب وفيها الحدائق والبساتين وبها من جميع الخضروات مثل الباميا والخيار والكوسا وفيها المستنقعات الكثيرة وهذا مما جعلها مأوى للبعوض الفتاك بالإنسان وهو يحمل جرثومة الملاريا في خرطومه الحاد والحمى الصفراء وهو خطير جداً حيث لو لدغت الإنسان أربع بعوضات تجعله يمرض بمرض الملاريا أو الحمى الصفراء.

ولقد تعرضت لكثير من مرض الملاريا حتى كنت طريح الفراش ٢٥ يوماً كنت أشعر خلال المرض بحمى شديدة وصداع مستمر رغم العلاج المكثف

وأصيبت زوجتي وأولادي بهذا المرض من جراء البعوض ولهذا يجب أن يأخذ كل من يذهب هناك في كل يوم حبة من الدواء ضد الملاريا ويجب على كل فرد يريد زيارة هذه المنطقة من أفريقيا أن يطعم ضد الحمى الصفراء.

الناحية االاقتصادية :

كانت جمهورية غانا تعتمد على مناجم الذهب واليوم تعتمد على تصدير الكاكاو ويأتي في المرتبة الثانية تصدير الأخشاب لأن فيها غابات كثيفة كما سبق أن ذكرت ذلك ويوجد شيء من الكاكاو والأخشاب في (كفوريدا) وما حولها من القرى.

أحوال المعيشة :

يعيش السكان من الموارد الداخلية وهو مما تنبت الأرض مثل اليام وهو شبيه بالبطاطا والموز الهندي، يصنع من الموز واليام أكلة شعبية رئيسية لا غنى عنها على الإطلاق تسمى هذه الأكلة (فوفو) كيفية صنعها : يقشر اليام ويقطع قطعاً صغيرة والموز كذلك ويوضع في قدر ويصب عليه الماء ثم يوضع القدر فوق النار حتى ينضج الخليط ثم ينشل من الماء ويوضع في إناء عميق يشبه الهاون ثم تحضر امرأتان في يد إحداهما عصا طويلة دقيقة من أعلى غليظة من أسفل إحداهما تجلس تقلب اليام والموز معاً والأخرى واقفة تضرب بعصاها ضربات قوية فوق اليام والموز.

وتستمر هذه العملية زهاء ربع ساعة حتى يصبح الموز واليام قطعة من عجين ثم يحضر الصغار في صف وكل واحد يحمل صحناً يمده إلى الأم فتأخذ قطعة من عجين اليام والموز وتضعها في الصحن وهكذا كل واحد يأخذ نصيبه ويضاف إلى هذه القطعة قليل من مرق الدجاج ذو اللحم أو الخضار فإذا أكل هذه الأكلة لم يشعر بالجوع طيلة يومه وهذه الأكلة لا تكلف أكثر من ٢ ريال سعودي.

ويعتمدون أيضاً في طهيهم لطعام السمك والفول السوداني والبامنوت وشجرة البامنوت كشجرة النخيل ولها قطوف دانية مثل قطوف البلح إلا أن طعمها يشبه الطماطم حتى في لونها حمراء وحياتهم كلها بدائية وهذا مما يساعدهم على حياتهم الصعبة وشدة الفقر المفزع على نطاق واسع بين الشعب الغاني عامة والمسلمين هناك خاصة بل الجوع والفقر والمرض متفشي بينهم بدرجة خطيرة والسبب في ذلك ما يلي:

١ ـ أن نسبة التعليم بينهم متدنية جداً لأنهم رفضوا التعليم في مدارس النصارى في البداية ولذلك لم تسنح لهم الفرصة بالعمل في سلك الحكومة سواء في دوائر الحكومة المدنية أو العسكرية. أما المسيحيون فهم على درجة عظيمة من التعليم ولا سيا في المجال العسكري وهذا مما جعل المسيحيين في المقدمة وجعل المسلمين في المؤخرة مما يؤثر في حياتهم الاقتصادية والمعيشية.

٢ ـ زهدهم في العمل، وهذا يرجع إلى التواكل، ورفض التعلم في المدارس الحكومية. وهذا من تأثير بعض مشايخهم الذين همهم تثبيت مراكزهم والإرتزاق من أموال الضعفاء من المسلمين. ولكن منذ اليوم الذي أطل عليهم العالم الإسلامي بعد غياب طويل بدأوا يفهمون قدراً من الدين الإسلامي الصحيح والعقيدة السلفية، وذلك عن طريق البعثات التي وصلت إليهم من العالم الإسلامي وخصوصاً بعثات دار الافتاء ورابطة العالم الإسلامي.

المسلمون ومذاهبهم في غانا :

يوجد المسلمون في كل أنحاء غانا ولكنهم يكثرون في العاصمة (أكرا) وفي كفوريدوا وضواحيها وغالبيتهم الساحقة في مدينة كوماسي العاصمة الثانية لغانا.

ويوجد مذهبان رئيسيان : أهل السنة ـ والتيجانية ـ أما الحركة التيجانية

فلها نشاط كبير وهم متعاونون مع بعضهم البعض يساعد غنيهم فقيرهم والرئاسة العامة للحركة التيجانية في جمهورية السنغال وفي كل شهرين يصل إليهم وفد من جمهورية السنغال يرشدهم إلى الطريقة التيجانية ويخبرهم بأنهم الذين يسيرون على الحق وغيرهم خلاف ذلك وأنا سمعت ذلك من الوفد ويجمعون الأموال من الأغنياء ويساعدون بها الفقراء منهم ويوجد في كل حي من أحيائهم كتاتيب للأطفال حتى سن عشر سنوات يدرسون القرآن الكريم ويحفظونه.

وهناك أذكار تيجانية يلزمون بها أنفسهم مديح وتغنّي في ذات رسول الله ﷺ ومديح وتغني في أحمد التيجاني صاحب هذه الطريقة.

ومن جملة الأذكار على كل تيجاني أن يقول سبحان الله ٥٠٠ مرة والحمدلله ٥٠٠ مرة والله أكبر ٥٠٠ مرة ويقرأ سورة الإخلاص ١٠٠ مرة هذا بعد كل صلاة في البيت أو المسجد ويكرر هذه الأذكار قبل النوم، وفي كل ليلة جمعة يحيون هذه الأذكار وغيرها في المديح والتغني في الرسول ﷺ وأحمد التيجاني حتى الفجر ومن لم يفعل ذلك ليس بتيجاني ويفرضون على أنفسهم عدداً من الركعات يصلونها آخر الليل.

علماً أن قرية كفوريدوا كثير من المسلمين الذين فيها والقرى التي حولها يسيرون على الطريقة التيجانية.

وعندما أرسلتني دار الإفتاء أصبحت في قرية شبه متدينة كلها تيجانية أخذت أعمل بينهم في الدعوة والإرشاد بكل حذر وتأن.

وأول عمل قمت به لهذا الغرض أنشأت جمعية تسمى الجمعية الإسلامية والعمل الثاني جمعت جميع الطلاب الذين في الكتاتيب في مدرسة واحدة أطلقت عليها مدرسة خالد بن الوليد وزاد عددهم عن ٧٠٠ طالب وطالبة جعلت لهم إثني عشر فصلاً بعد اختبار الجميع ووضعت كل طالب وطالبة في

الفصل الذي يستحقه بعد أن فتحنا فصولاً في بيت تصدق به بعض المسلمين وبعد التنسيق وصهرهم في مدرسة واحدة وضعت لهم منهجاً من المناهج التي تدرس في المعاهد الابتدائية في المملكة وأرسلت رسالة إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لإرسال الكتب.

وفعلاً أرسلت كميات كبيرة من الكتب بحيث غطت جميع فصول المدرسة وأرسلت لنا رابطة العالم الإسلامي كتباً قيمة وهنا وقفت أمام مشكلة المدرسين لهذه المدرسة وفصولها المتعددة التي تحتاج إلى عدد كبير من المدرسين وهذا العدد من المدرسين لا يمكن الحصول عليه من المملكة ولكن وجدت أحسن وسيلة أن أختار من بين المسلمين الذين لهم إلمام باللغة العربية والمواد الأخرى وفعلاً وجدت العدد الكافي وجعلت لهم دروساً خصوصية عندي أدربهم على كيفية التدريس وفعلاً نجحت في هذه الطريقة نجاحاً جيداً وهذا من فضل الله.

ثم برزت هنا مشكلة أخرى وهي أن هؤلاء المدرسين إنقطعوا عن أعمالهم الأساسية فلا بد لهم من رواتب يسددون بها حوائجهم المعيشية وهذه المشكلة أشد حرجاً من سابقتها ـ ولكن وجدت لها حلاً بأنه من الضروري أن يدفع الطالب ٢ شلن للصف الأول والثاني والثالث و٥ شلن للصف الرابع والخامس في كل شهر وطلبت من الناس التبرع لهذا الغرض وفعلاً نجحت الفكرة نجاحاً ممتازاً وأخذت لكل مدرس راتبه المتواضع الذي لا يزيد عن ٥٠ ريالاً سعودياً في كل شهر.

وسارت المدرسة سيراً حثيثاً في التقدم والازدهار تحت إشرافي وأصبحت مشرفاً على الجمعية الإسلامية وانضم تحت لوائها الكثير من الأعضاء بالإشتراك لها سنوياً وهنا برزت مشكلة مهمة جداً أخذ الكثير من الطلاب يلتحقون بالمدرسة من جميع القرى التي تحيط بكفوريدوا إذ أصبح عدد الطلاب يزيد والفصول تزيد أيضاً والمدرسة تضيق إذن لا بد من إيجاد مدرسة أكبر وأوسع

وقامت الجمعية الإسلامية بشراء قطعة أرض مساحتها ٢٠ ألف متر ورسمنا لها خريطة وتكلمت في الناس يوم الجمعة بأن يتبرعوا لمشروع المدرسة الجديدة وفعلاً تبرع الأغنياء حتى الفقراء والنساء تبرعوا ثم قام الشباب المسلم بحفر الأساس لمدرسة عدد فصولها ٢٤ فصلاً ثم أرسلت رسالة إلى الجهات المختصة في المملكة العربية السعودية منها دار الافتاء ورابطة العالم الإسلامي لإمدادنا بالأموال لبناء المدرسة مع صورة من الخريطة تبين مساحة المدرسة وفصولها والمسجد اللازم لها ورحم الله الملك (فيصل) وأسكنه فسيح جناته فقد أرسل وفداً على مستوى عالٍ إلى أنحاء العالم الإسلامي لتلبية حاجاتهم وزار الوفد حين ذاك مدينة أكرا.

وقابلت الوفد فعلاً في أكرا مع وفد كان معي من كفوريدوا وقدمت له الخرائط للمدرسة الجديدة وهي تحمل اسم مدرسة خالد بن الوليد والمسجد واهتم الوفد فعلاً بالموضوع وبعد مغادرة الوفد بشهرين دعاني الأخ فؤاد الألفي القائم بأعمال السفارة السعودية في أكرا وأخبرني بأن جلالة الملك فيصل قد تبرع بمائة وثمانين ألف ريال لمساعدة المدرسة والمسجد وكان المبلغ قد جاء باسم مدير المدرسة أي باسمي وأخبرت الناس يوم الجمعة بهذه المساعدة الكريمة من جلالة الملك فيصل رحمه الله فذهب معي وفد ضم أميركفوريدوا وبعض شخصيات البلد.

وعندما أحس بعضهم بأن الشيك باسمي لم يرق لهم ذلك وقالوا للأخ فؤاد الألفي لا نقبل أن يكون الشيك باسم الشيخ علي العايدي بل يكون بأسمائنا وصارت مشادة داخل السفارة مع القائم بالأعمال ثم ذهب هؤلاء إلى عضو قيادة الثورة في غانا الميجر صالح سالف وهو مسلم وكان همزة الوصل بين المسلمين والحكومة وشكوا له الحالة فجاء الميجر صالح إلى السفارة وفهم الحقيقة من الأخ فؤاد الألفي وتم الإتفاق بوضع المبلغ في البنك بأسماء ثلاثة أعضاء من الجمعية الإسلامية أي باسمي أنا واثنين معي ولا يجوز لأحد من

العضوين سحب أي مبلغ بدون توقيعي على الشيك.

وبعد ذلك صارت الأمور على ما يرام ومن هذا وفق الجميع وأطمأنوا وأخذوا يسمعون الوعظ والإرشاد ويعملون به.

أخذ الشباب الأفارقة يتشككون في الديانة المسيحية بسبب تعدد مذاهب أهلها وتناقضهم والكثير منهم يتساءلون عن الخلافات والتناقضات بين الأناجيل حتى أصبح الشباب المسيحي الإفريقي المتعلم وعلى درجة كبيرة من الوعي الفكري تائها في بحر زاخر من الشكوك والملابسات في الديانة المسيحية والكثير منهم يبحث عن الحقيقة بل الكثير منهم إتصل بي وألقوا كثيراً من الأسئلة حول الإسلام وبما أن الإسلام هو دين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها لأنه الحق الظاهر الواضح فسرعان ما يدخل الإيمان في قلبه ويسلم بل المئات منهم أسلم وحسن إسلامهم منهم الأطباء والصيادلة والجامعيون والمدرسون والبعض وصل إلى المملكة حاجاً وهذا فضل من الله ورحمته.

أما الوثني فهو أقرب في الإجابة إلى الإسلام من المسيحي لأن حجته أوهى من بيت العنكبوت فإنه إذا فكر قليلاً بعمق يجد ما يعبده حجراً أصم لا يسمع ولا يرى ولا ينفع ولا يضر ودعوتهم بالمنطق والعقل أولاً لأن بالمنطق تصل به إلى الحقيقة وإخراجه من ظلمات الجهل إلى نور الحق نور العلم والإيمان لأنك لو دعوتهم بالكتاب والسنة لن تصل بهم إلى الحقيقة لأن الوثني لا يعرف شيئاً عن الكتاب والسنة بل لا يؤمن بهما على الإطلاق ولكن العلاج أولاً بالعقل والمنطق وهذا هو الإسعاف الأولي فإذا تماثل للشفاء من غيبوبته بسبب مرضه الخبيث المزمن وأخذ يعرف الحق من الباطل نعطيه العلاج الشافي من كل داء وهو الكتاب كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

دعوت الكثير من الشباب الوثني بالعقل والمنطق والحكمة ـ ثم بالكتاب والسنة. أسلم الكثير منهم ثم كونت جماعة من هؤلاء الذين أسلموا ودربتهم على

الدعوة في سبيل الله بعد أن تعلموا الدين الإسلامي، وأرسلتهم إلى القرى المجاورة للوعظ والإرشاد ودعوة الوثنيين للإسلام.

والكثير أسلم على أيديهم وهذه الطريقة من طرق المبشرين المسيحيين حيث كان المبشرون في الماضي والحاضر يأتون إلى القرى الوثنية ويبنون الكنائس والمدارس والمستوصفات ثم يدربون فريقاً من الشباب الوثني بعد تنصيرهم على كيفية التبشير ويضعون الصليب في أعناقهم ويخصصون لهم شيئاً من المال ثم يقوم هؤلاء بمهمة التبشير مقابل المال وبهذه الطريقة تنصر الكثير من الوثنيين في أفريقيا.

« **حكـــاية** » :

في صباح يوم خرجت من منزلي في كفوريدا ذاهباً إلى المدرسة وإذا برجل في انتظاري عند الباب وفي عنقه صليب عرفته من المبشرين فقال لي كيف حالك ـ قلت الحمدلله ـ طيب أهلاً وسهلاً هل تريد شيئاً مني قال نعم كنت في انتظارك وأريد أن أقول لك شيئاً وأحب أن تسمع مني ـ علماً أنه لم يكن يعلم أني من الدعاة في سبيل الله للإسلام ـ قلت له : تفضل وقل ما عندك. قال : أريد لك الحب والخير وبركة المسيح تهبط عليك من السماء وأن عيسى ابن الله.

وقد ظل مسترسلاً في شرحه عن الديانة المسيحية زهاء ربع ساعة وأنا أسمع له حتى أنهى ما عنده وكان عندي إلمام بالمعلومات عن بعض الأناجيل فقلت : أريد أن أسألك سؤالاً واحداً في شيء أشكل عليّ ولكن تفضل إلى مكتبي في المدرسة بدلاً من وقوفنا في الطريق فاستجاب طمعاً في تنصيري وأنا كنت حريصاً على إسلامه وجلسنا في المكتب وكان سؤالي منطقياً فقلت : إن الانجيل عندكم يقول إن اليهود صلبوا عيسى بن مريم هل هذا صحيح؟ فقال : نعم ـ قلت : إذا كنت رئيساً وكل شيء في يدك وأمام عينيك ولا يخفى

شيء عنك في ملكك ولك ولد في عنفوان شبابه وتحبه حباً جماً وبطبيعة الحال الولد عزيز على أبيه ثم حاك الناس ضده مؤامرة لقتله وأنت تعلم بهذه المؤامرة لقتل ولدك العزيز وأنت قادر على حمايته والبطش بهم قبل قتل ولدك هل تترك هؤلاء يقتلون ولدك أمامك؟.

فكان جوابه: كلا، وألف كلا: ونهض عن كرسيه بدون شعور يهدد ويقسم لأقتل هؤلاء جميعاً قبل أن يقتلوا ولدي وكان الغضب ظاهراً على وجهه.

قلت: أليس الله هو القوي القدير وهو على كل شيء قدير ولا يخفى عليه شيء في السموات والأرض وكل شيء في قبضته. فكيف يسمح الرب ويرضى بقتل ولده عيسى كما تزعمون؟ فقال: هاه، هاه، وبهت الذي كفر وأذعن إلى الحق قائلاً إن عيسى بن مريم رسول الله وعبده كسائر الناس ـ قلت: القرآن الكريم والدين الإسلامي ينفي نفياً قاطعاً أن يكون لله ولد لقوله تعالى: «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» هذا وصف الله لنفسه.

قال: هذا هو الحق وبعد مناقشة طويلة وشرح كثير حول الإسلام أنار الله قلبه للإسلام وأسلم وحَسن إسلامه.

والإسلام دين الفطرة لا يحتاج إلى عناء في إقناع الناس لأن القرآن الكريم لم يطرأ عليه تغيير وتحريف لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. ثم نفى القرآن ما صرحت به الأناجيل من قتل عيسى عليه السلام وصلبه فقال الله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ وحكم على النصارى بالكفر لقوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم. إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إلـه إلا إله واحد﴾.

الحركة القاديانية :

إن الحركة القاديانية تستهدف النيل من الإسلام. وقد بدأت بزعامة غلام أحمد الذي ادعى في بادىء الأمر بدعوة الإسلام ثم ادعى أنه مصلح لهذه الأمة، ثم ادعى أنه نبي أوحي إليه. ثم زعم أنه رسول من الله من بعد محمد ﷺ وقد شجع الاستعمار القاديانية على انتشار مذهبها لأنها تدمر الإسلام وتعطل الجهاد.

وقد حصل بيني وبين القاديانيين في غانا مناقشات ومناظرات. وأحب أن أتحدث قليلاً عن ذلك حتى يحذرهم المسلمون.

إن الاستعمار الانكليزي في الهند قديماً ساعد زعيمهم بالأموال حتى جمع حوله أعواناً يعترفون بثبوت نبوته ويساعدونه في ضلاله مثل الكتابة في الصحف ووسائل الإعلام، ويتقاضون على ذلك رواتب ضخمة والهدف من ذلك هو إضعاف الأمة الإسلامية، وبعدها عن دينها وبذلك تضعف أمام الغزاة الطامعين في بلاد الإسلام.

إن ادعاء (غلام أحمد) النبوة كذب وبهتان وافتراء على الله ورسوله والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ . هل يبقى للقاديانيين بعد أن سمعوا هذه الآية الكريمة أن يدعوا بأن غلام أحمد نبي الله ورسوله.

فرسولنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين وليس بعده نبي ولا رسول. وان الخاتم هنا في هذه الآية هو آخر الشيء.

دعوة إلى المناظرة :

لقد دعت الجمعيات الإسلامية في غانا الأحمديين (القاديانية) من أنحاء غانا إلى الاجتماع في كفوريدوا مع المسلمين للمناظرة هل هم على صواب أم

هم على خطأ ويكون الاجتماع في كفوريدوا وفعلاً تم الاجتماع في يوم الاثنين ١٩٧٣/٥/١م على النقاط الآتية :

١ ـ هل غلام أحمد نبي الله ورسوله أم لا؟

٢ ـ هل الأحمديون مسلمون أم لا ؟

٣ ـ هل سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين أم لا؟.

وضم الاجتماع أعضاء الجمعيات الإسلامية في كفوريدوا وغيرها وضم الاجتماع بعض الشباب المسلم من غانا المتخرجين من كليات الشريعة الإسلامية من البلاد العربية بالإضافة إلى مشايخ مصريين من الأزهر ضم الاجتماع: شعيب وعمر ـ وفضل الله ـ ودعى عبد العزيز العايدي وجمع غفير من المتفرجين، فتح الاجتماع بتلاوة من القرآن الكريم.

بدأت المناظرة من علي عبد العزيز العايدي وسردت لهم الأدلة الآتية :

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ ليس بعده نبي إطلاقاً لأن كلمة خاتم آخر كل شيء وعلى ذلك يكون ادعاء غلام أحمد كذباً وافتراءً على الله ورسوله.

٢ ـ قال الرسول ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء ... الخ وهذا الحديث يوضح لنا أيضاً بأن لا نبي بعد الرسول محمد ﷺ وعلى هذا يكون غلام أحمد دجالاً وليس بنبي ولكن افترى على الله ورسوله.

٣ ـ ﴿إذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ وأن هذه الآية تدل بأن المقصود من بشارة عيسى هو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وليس غلام أحمد كما زعم بأنه هو المقصود في الآية.

وعلى ضوء ما زعم غلام أحمد بأنه نبي لأن اسمه موجود في القرآن يكون

من السهل على كل واحد من الأمة اسمه أحمد أن يدعي النبوة ويقول هذا اسمي موجود في القرآن.

وأما ادعاء القاديانية بأن غلام أحمد هو المسيح الموعود والذي أخبر عنه الرسول ﷺ فهذا ادعاء باطل ولا أساس له من الصحة لأن عيسى بن مريم هو المخبر عنه واسمه وصفاته واسم عيسى لا ينطبق على غلام أحمد والدليل على ذلك أن غلام أحمد يدعي مرة بأنه نبي الله ومرة بأنه رسول الله ومرة بأنه المهدي.

واستمرت المناقشات مدة ٨ ساعات وأن الجماهير من الناس من المسلمين والمسيحيين والقاديانيين وغيرهم فأبصروا الحقيقة بأن القاديانية ليست على حق وأن غلام أحمد كذاب ومفترٍ على الله ورسوله ولكن مع كل أسف أن المأجورين من الأحمديين لم يعترفوا بالحقيقة بل دافعوا دفاعاً شديداً عن غلام أحمد ودعوته الباطلة وكان دفاعهم دفاع المنهزم مع أنهم يعرفون الحقيقة في أنفسهم ويكتمون الحق والدليل على ذلك أنه عندما خرجنا من الاجتماع قلت لأحد الأحمديين إنك تعرف الحقيقة وتكتمها فهمس في أذني وقال لي وأنت أتيت من السعودية لكي تنشر الإسلامية الصحيحة ولكن نحن نعمل مع الأحمديين كوظيفة لنا مع علمنا بأنه ما يسير عليه الأحمديون باطل وإذاً المسألة مادة لا غير.

لقد أخذت الدعوة هنا طابعاً جديداً أو استراتيجية على أسس قوية ودفعة إلى الأمام ونشرها على نطاق واسع في طريق التقدم والازدهار في كثير من المدن والقرى الغانية بسبب إسلام أئمة ورؤساء بعض الأحمديين (القاديانية).

الذين كانوا من المرشدين والوعاظ في الأسرة الأحمدية (القاديانية) سابقاً والحمدلله الذي هداهم وأرشدهم إلى طريق الحق والصواب وهذا بسبب العمل والتحرك السريع في نشر الدعوة أينما أتيحت الفرصة لذلك مهما كلف ذلك من تضحيات في سبيل الله.

وهؤلاء النفر تحولوا كلية بعد إسلامهم إلى الوعظ والإرشاد في سبيل الدعوة الإسلامية والآن يسافرون من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ولهذا عملت لهم صندوقاً خيرياً تجمع فيه الأموال من أهل الخير وأصرف لهم أجرة التنقلات وهذا مما سهل لهم مهمة السفر ونشر الدعوة على نطاق واسع ولا سيما أن دعوتهم تلقى استجابة عظيمة بين الأحمديين وأنهم يعرفون نقطة الضعف عند الأحمديين وأنا أجتمع معهم في الأسبوع مرتين لتزويدهم بالتوحيد ليزدادوا إيماناً وترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوبهم وتدريبهم على الوعظ والإرشاد وعلى كيفية نشر الدعوة السلفية وهم يجيدون اللغة الإنكليزية واللغات الغانية المحلية وهم ينطلقون من (كفوريدوا)لإعلاء كلمة الإسلام ونصرة الحق بعد أن هزمت القاديانية في كفوريدوا وضواحيها.

أخذوا يرسلون بعض دعاتهم إلى بعض القرى التي تبعد عن كفوريدوا حوالي ثلاثين كيلومتر لنشر دعوتهم فيها وكان بعض دعاتهم يأتون من (أكرا) وكوماسي وعندما علمت بذلك ذهبت بنفسي واجتمعت بعدد كبير من أفراد هذه القرى المسلمين وشرحت لهم حقيقة القاديانيين وما الذي يهدفون إليه وهم ليسوا مسلمين كما شرحت لكم سابقاً وللأمراء وقال لي أمير منهم: الآن يوجد عندنا داعية من القاديانية فقلت لهم: أريد أن أجتمع بهذا المبعوث القادياني وفعلاً تم اللقاء وفي الحال دارت المناقشة بيني وبينه وهم يسمعون وبالحجج القاطعة من الكتاب والسنة حتى بهت الذي كفر ولم يعد أمامه من جواب إلا التسليم بالحقيقة الواقعة وهو أن غلام أحمد ليس على حق بل هو على باطل وبذلك رجع الى الإسلام وحسن إسلامه وصار من الدعاة المسلمين وعند ذلك كبر الأمراء وحمدوا الله.

وكان هذا المبعوث اسمه اسحاق بن اسحاق ومن أنشط الدعاة القاديانية وتحدث إسحاق بن اسحاق إلى الأمراء والجمهور من الناس بأنه كان على خطأ ومخدوعا بالقاديانية وكل من سمع من كلام عن الدعوة القاديانية فهو باطل فإن

دعوة القاديانية لا تمثل شيئاً من الحقيقة وليس لها صلة بالإسلام فعليكم أن ترجعوا إلى الإسلام الحقيقي كما رجعت على يد الشيخ علي عبد العزيز العايدي هذا.

وهكذا رجع إلى صوابه بعد أن انخدع بالأحمدية بقوله أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

انتهى كلام الشيخ علي عبد العزيز العايدي.

الفهرس

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض ١١٤٦١ - ص.ب ٢٩٥٧ تلفون ٤٠٢٧٥٤٦